

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

البرهان في علوم القرآن

لإمامنا أبي عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي

تتبع
سورة الفاتحة

الكتاب الثاني في علوم القرآن
صدا - بيروت



Barcode label with the number 8003957 and the text Bibliotheca Alexandrina.

البرهان

في علوم القرآن

للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزكشي

تقديم
محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الأول

منشورات المكتبة العصرية
طبعة - بيروت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقّمة الطبعة الثانية

لم يكّد يظهر هذا الكتاب في طبعته الأولى ، في ثوبها القشيب وروضها الجليل ،
ويبرز من عالم المخطوطات إلى مكانه الرموق في عالم الطبعوعات ؛ حتى أقبل عليه جبهة
العلماء وأخذ في مدارسته الطلاب في كليات الأزهر وغيره من الجامعات واحتفل به قراء
العربية في كل مكان ، لشرف مقاصده ، واشتماله على شتى الفوائد ومنثور للسائل ،
وإبداعه في التنسيق وحسن التأليف ، وهذه هي الطبعة الثانية منه ، استدرّكنا فيها ما فاتنا
في التحقيق مما نبّه عليه بعض العلماء والدارسين .

والله نسال أن يجعل النفع به دائماً متصلاً بكتابه الكريم وقرأته الجيدة .
ومن الله التوفيق .

محمد زور الفاضل

ذو القعدة سنة ١٤١١ هـ
يناير سنة ١٩٧٢ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

١ - بدر الدين الزركشى *

الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشى أحد العلماء الأئمة الذين
نجموا بمصر في القرن الثامن ؛ وجهيد من جهابذة أهل النظر وأرباب الاجتهاد ؛
وهو أيضا علم من أعلام الفقه والحديث والتفسير وأصول الدين .

ولد بالقاهرة سنة خمس وأربعين وسبعمائة حينما كانت معمورة بالمدارس ، غاصة بالفضلاء
وحلة العلم ؛ زاخرة بدور الكتب الخاصة والعامة ، وللشاهد الحافظة بطلاب المعرفة ،
والوافدين من شتى الجهات ؛ ولم يكده مجاوز سن الخدمة حتى انتظم في حلقات الدروس ،
وتفقه بمذهب الشافعي ؛ وحفظ كتاب المنهاج في الفروع للإمام النووي ؛ وصار يعرف
بالمناهجي ؛ نسبة إلى هذا الكتاب .

وكان الشيخ جمال الدين الإسئوي رئيس الشافعية بالديار المصرية بدر العلماء الزاهر ،
ووكوبهم للتألق ؛ وإمام أهل الحديث بالمدرسة السكاملية غير مدافع ؛ فلزمه وتلمذه ؛

* مصادر الترجمة

حسن المحاضرة في أخبار مصر القاهرة للسيوطي ١ : ١٨٥ - ١٨٦ (الطبعة المصرية سنة ١٣٢٧) .
البرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر ٣ : ٣٩٧ - ٣٩٨ (طبع حيدر اباد سنة ١٣٤٩)
شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن المهدي المنبلي ٦ : ٣٣٥ (طبع القديس سنة ١٣٥١) . طبقات
الشافعية لابن فاضل شعبة الأسدي ، الورقة ١٠٤ (مخطوطة دار الكتب المصرية برقم ٩٠ م - تاريخ) .
التل السافي والمستوفى بعد الواق ٣ : الورقة ١٣٦ ب (نسخة مصورة بدار الكتب المصرية برقم
١١٠٧٦٠ ح) .

ونهل من علمه ماشاء الله له أن ينهل فكان من أنجب تلاميذه وأوعام ، وأفضلهم وأذكاهم ؛ كما تخرج على الشيخ سراج الدين البلقيني ، والحافظ مغطاي ، وغيرهم من شيوخ مصر وعلماؤها .

ثم ترامت إليه شهرة الشيخ شهاب الدين الأذري بحلب ، والحافظ ابن كثير بدمشق فشدَّ إليهما الرحال ؛ قصد إلى حلب أولا حيث أخذ عن الأذري الفقه والأصول ؛ ثم عهد إلى دمشق حيث تلقى على ابن كثير الحديث ؛ ثم عاد إلى القاهرة وقد جمع أشتات العلوم ، وأحاط بالأصول والقروع ؛ وعرف التامض والواضح ، وعوى الغريب والنادر ، واستقصى الشاذ والقيس ؛ إلى ذكاء وفضلة ، وثقافة وألمية ؛ فأهله كل ذلك للفتيا والتدريس ، والتوفر على الجمع والتصنيف ؛ واجتمع له من المؤلفات في عمره القصير ما لم يجتمع لغيره من أفاضال الرجال ؛ وإن كان هذا الفضل لم يعرفه الناس إلا بعد وفاته ؛ وحين توارث شمس حياته .

وكان رضى ^١ أَخْلَقَ ، محمود الخصال ، عذب الشائل ؛ متواضعا رقيقا ، يلبس أَخْلَقَ من الثياب ، ويرضى بالقليل من الزاد ؛ لا يشغله عن العلم شيء من مطالب الدنيا ، أو شئون الحياة .

قال ابن حجر : « وكان منقطعا في منزله لا يتردد إلى أحد إلا إلى سوق الكتب ؛ وإذا حضر إليها لا يشتري شيئا ؛ وإنما يطالع في حاتوت الكتب طول نهاره ومعه ظهور أوراق يملق فيها ما يعبه ، ثم يرجع فينقله إلى تصانيفه » ^(١) .

وحكى تلميذه شمس الدين البرماوى أنه كان منقطعا إلى الاشتغال بالعلم لا يشتغل عنه بشيء ، وله أقارب يكتفونه أمر دنياه ^(٢) .

(١) الدرر الكامنة .

(٢) طبقات الشافعية للأسدي .

وكان يكتب مصنفاته بنفسه ؛ وخطه رديء جداً قل من يُحسن استخراجها ، كما أخبر بذلك ابن العماد ^(١) ؛ ولهذا شاع في الكتب للنقولة عن خطه التموض والإبهام ، والتحريف والتصحيف ؛ ولقى منها القراء والمدرسون المناء الكثير .
وتوفى من المناصب خاتمه كريم الدين بالقرافة الصغرى . وتوفى بمصر في وجب سنة أربع وتسعين وسبعمائة ، ودُفن بالقرافة الصغرى بالقرب من تربة بكتير الساق يرحمه الله .

٢ - مؤلفاته*

- ١ - الإجابة الإبراد ما استدر كته عائشة على الصحابة .
طبع بالمطبعة الهاشمية بدمشق سنة ١٩٣٩ ، بصحيف الأستاذ سعيد الأفغانى .
- ٢ - إعلام الساجد بأحكام الساجد .
منه نسخة خطية بمكتبة الجامع للقدس بصنماء ؛ كتبت سنة ٧٩١ ، ومنها نسخة مصورة على الليكرو قلم بدار الكتب للصرية .
ومنه نسخة أيضاً فى مكتبة آصاف (١١٤٨:٢) ، وأخرى فى مكتبة رامبور (١٦٦:١) .
- ٣ - البحر الحيط فى أصول الفقه . ومنه نسخة خطية بدار الكتب للصرية برقم ٤٨٣ - أصول ، ونشرته لجنة إحياء التراث بالجلس الأهل للشتون الإسلامية ، بصحيف الأستاذ أبو الوفا للراغى سنة ١٣٨٥ هـ .
- ٤ - البرهان فى علوم القرآن .
ويأتى الكلام عليه .

(١) شفرات الذهب .

* رجعت فى جم هذه المؤلفات إلى مصادر ترجمة المؤلفات السابقة ، وكشف الظنون ، وفهراس دار الكتب المصرية ومهد المخطوطات بجامعة الدول العربية وللكتبة الأزهرية ، وبروكلمن ، وللى المقدمة القيمة التى كتبها الأستاذ سعيد الأفغانى لكتاب الإجابة .

٥ - تخريج أحاديث الشرح الكبير للرافعي^(١) ؛ للمسمى بكتاب « فتح العزيز على كتاب الوجيز » .

ذكره السيوطي في حسن المحاضرة وصاحب كشف الظنون ؛ وسمّاه الزركشي في كتاب الإجابة ص ٨٧ : « القهب الإبريز ، في تخريج أحاديث فتح العزيز » .

٦ - تصنيف للسامع يجمع الجوامع :

طبع في مجموع شروح جمع الجوامع بمصر سنة ١٣٢٢ هـ ، ومنه نسخة خطية بدار الكتب المصرية برقم ٤٨٩ - أصول :

٧ - تفسير القرآن :

ذكره السيوطي وقال : إنه وصل فيه إلى سورة مريم ؛ وكذا أورده صاحب كشف الظنون .

٨ - تكملة شرح للنهاج للإمام النووي .

ذكره الأسدي في الطبقات ، وابن العاد في الشذرات ، وصاحب كشف الظنون وذكر الأستاذ سعيد الأضائي أن منه نسخة خطية بدار الكتب الظاهرية بمشق (الجزء الثالث) برقم ٣٤٥ - قه الشافعي .

وكان الإسنوي بدأ في شرح للنهاج ، وسمّاه « كافي المحتاج إلى شرح النهاج » ووصل فيه إلى باب للساقاة ولم يتمه ، فأكله الزركشي .

٩ - التنبيه لألفاظ الجامع الصحيح :

طبع بالطبعة المصرية بمصر سنة ١٩٣٣ م . ومنه نسخ خطية بدار الكتب المصرية بالأرقام : ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٥٥٠ ، ٣٥٠ م ، ٣٥٠ م - حديث .

(١) هو الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن محمد القزويني ، المتوفى سنة ٦٢٣ . شرح كتاب الوجيز للإمام الفزالي ومن هذا الكتاب نسخ متعددة بدار الكتب المصرية .

١٠ - خادم الرافعي والروضة في التروع^(١) :

ذكره ابن حجر في الدرر الكامنة ، والسيوطي في حسن المحاضرة ، وابن العباد في الشذرات ، وقال صاحب كشف الظنون : « ذكر في بغية المستفيد أنه أربعة عشر مجلدا ، كل منها خمس وعشرون كراسة ؛ ثم إني رأيت المجلد الأول منها اختص بقوله : الحمد لله الذي أمدنا بنعمائه . . . ، وذكر أنه شرح فيه مشكلات الروضة وفتح منقولات فتح العزيز ؛ وهو على أسلوب التوسط^(٢) للأذرعى ، وأخذ جلال الدين السيوطي ، واخصره من الزكاة إلى آخر الحج ولم يثمه ، وسماه تحصيل الخادم . »
وقال ابن حجر : « جمع الخادم على طريق للمهمات^(٣) ؛ فاستمد من التوسط للأذرعى ؛ لكن شحنته بالفوائد الزوائد ، من للطلب^(٤) وغيره . »

ومنه نسخة خطية نفيسة بدار الكتب المصرية برقم ٢١٦٠٢ ب تقع في خمسة عشر مجلدا .

١١ - خبايا الزوايا في التروع :

ذكره صاحب كشف الظنون وقال : « ذكر فيه ما ذكره الرافعي والنووي في غير مغلته من الأبواب ؛ فرد كل شكل إلى شكله ، وكل فرع إلى أصله ، واستدرك

(١) الرافعي في شرحه على الوجيز ، وكتاب الروضة للنووي اخصره من شرح الرافعي . (كشف الظنون) .

(٢) هو كتاب التوسط والفتح بين الروضة والشرح ؛ ومنه نسخة خطية بدار الكتب المصرية برقم ٥٨ - فقه شافعي .

(٣) المهمات في شرح الرافعي والروضة لجلال الدين الإسنوي ؛ ومنه نسخ متعددة خطية بدار الكتب المصرية ؛ بالأرقام : ٢١١ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٤١٠ ، ٤٢٤ ، ٤٢٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ١٤٥٠ - فقه الشافعي .

(٤) هو كتاب للطلب العالي في شرح وسيط الإمام النزالي أنجم الدين أحمد بن محمد بن علي بن مرتضى المصري المعروف بابن الرضا ؛ ومنه نسخ خطية بدار الكتب المصرية بالأرقام ٢٧٩ ، ٣٦٣ ، ٤٢٩ ، ١٤٤٧ ، ١٥١٨ ، ٤٤ م - فقه شافعي .

عليه عز الدين حمزة بن أحمد الحسنيّ الممشقيّ للتوفى سنة ٨٧٤ وسمّاه بقايا الخبايا .
ولبلد الدين أبي السملات محمد بن محمد البلقينيّ للتوفى سنة ٨٩٠ حاشية عليه « .
ومنه نسخة خطية بالمكتبة التيمورية برقم ٣٠٧ - هـ ، ونسخة بمكتبة جوته
برقم ٩٨١ ، ونسخة بمكتبة البودليانا : ٢٧٧ .

١٢ - خلاصة الفنون الأربعة :

ومنه نسخة خطية بمكتبة برلين برقم ٥٣٢٠ .

١٣ - الديباج في توضيح النهاج :

ذكره السيوطي ، وصاحب كشف الظنون ، وهو غير تكملة شرح للنهاج .
وقل الأستاذ سميد الأفغاني أن منه نسخة خطية في دار الكتب الظاهرية بدمشق
في مجلد - برقم ٦٨ هـ الشافى . ومنه أيضا نسختان بدار الكتب المصرية برقى
١٠٢ ، ١١٣٧ - هـ الشافى .

- الذهب الإبريز في تخرج أحاديث العزيز = تخرج أحاديث الراعى .

١٤ - ربيع الفزلان في الأدب :

ذكره الأسدي في الطبقات ، وصاحب كشف الظنون .

١٥ - رسالة في كلمات التوحيد :

منها نسخة بمكتبة البلدية بالإسكندرية برقم ٨٧ - فنون متنوعة .

١٦ - زهر العريش في أحكام الحشيش :

منه نسخة خطية في مكتبة بلدية الإسكندرية برقم ٣٨١٢ ، ونسخة بدار الكتب
لامرية برقم ١٥٠ مجاميع ، ونسخة في مكتبة قولة برقم ٢٥ مجاميع ، ونسخة
في مكتبة برلين برقم ٥٤٨٦ ، ونسخة في مكتبة جوته برقم ٢٠٩٦ .

١٧ - سلاسل الذهب في الأصول :

منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية برقم ٢٢٠٩٥ ب ، كتبت في عصر المؤلف .

١٨ - شرح الأربعين النووية^(١) :

ذكره ابن حجر في الدرر الكامنة .

١٩ - شرح البخارى :

ذكره السيوطى وكذا ابن حجر وقال : « شرع في شرح البخارى وتركمه مسودة
وقفت على بعضها ؛ ونخلص منها كتاب التفتيح في مجلد » .

٢٠ - شرح التنبيه^(٢) للشرارزى :

ذكره السيوطى وصاحب كشف الظنون ، ومنه نسخة خطية في مكتبة برلين
برقم ٤٤٦٦ ، وأخرى في باتنا ١ : ٩١ .

— شرح الجامع الصحيح = شرح البخارى

— شرح جمع الجوامع = تشيف السامع

٢١ - شرح الوجيز في الفروع للقرالى :

ذكر الأستاذ سعيد الأفتانى أن منه نسخة خطية في للكتبة الظاهرية بدمشق

برقم ٢٣٩٢ .

٢٢ - عقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان لابن خلكان :

ذكر العلامة أحمد تيمور في مقال له عن نواذر المخطوطات بمجلة الهلال سنة ٢٨

أن منه نسخة في خزانة عارف حكمت بالمدينة .

(١) هي أربعون حديثا ، جمعها الإمام النووى ؛ كل حديث منها قطعة من قواعد الدين ، ألزم أن
تكون صحيحة ؛ معظمها من البخارى ومسلم ، عذوبة الأسانيد (كشف الظنون) .

(٢) كتاب التنبيه في فروع الشافعية ؛ للشيخ أبى إسحاق إبراهيم الشيرازى الفقيه النافى ، التوفى
سنة ٤٨٩ هـ ، ومنه نسخ خطية متعددة بدار الكتب المصرية .

٢٢ - الفرر السوافر فيا محتاج إليه للسافر :

منه نسخة خطية بمكتبة توبنجن بألمانيا ، وعنها نسخة مصورة بالميكروفلم في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية . وذكر صاحب كشف الظنون أنه مختصر على ثلاثة أبواب : الباب الأول في ملول السفر ، والثاني في ما يتعلق عند السفر ، والثالث في الآداب المتعلقة بالسفر .

— غنية المحتاج في شرح للنهاج = الديباج .

٢٤ - فتاوى الزركشى :

ذكره صاحب كشف الظنون .

٢٥ - في أحكام التمتي :

منه نسخة خطية بمكتبة برلين برقم ٥٤١٠

٢٦ - القواعد في الفروع :

ذكره صاحب كشف الظنون وقال : « رتبها على حروف المعجم ، وشرحها سراج الدين العبادي في مجلدين ، واختصر الشيخ عبد الوهاب الأمل كما ذكر في مقته » . وذكر الأستاذ الأفغاني أنه من « مخطوطات دمشق واسمه : القواعد والزوائد » .

ومنه نسختان خطيتان في دار الكتب المصرية برقي ٨٥٣ ، ١١٠٣ - فقه شافعي ، ونسخة بمكتبة الأزهر برقم ١٥١ - أصول ، ونسخة بالخرزانة التيمورية برقم ٢٣٠ - أصول ، ونسخة بمكتبة برلين برقم ٤٦٠٥ ، ونسختان في أحمد الثالث برقي ١٢٣٨ ، ١٣٣٩

٢٧ - اللآلئ للثورة في الأحاديث للشهورة :

أوردته بروكسن في القليل ؛ وذكره صاحب كشف الظنون غفلا من اسم المؤلف .

٢٨ - قطعة الجبلان ويلة الظلآن في أصول الفقه والحكمة والنطق :

طبع بمصر سنة ١٣٢٦ هـ مع تعليقات للشيخ جمال الدين القاسمي ؛ وطبع مرة أخرى بدمشق .

ومنه نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٥٧٣ - أصول .

٢٩ - مالا يسع للكلف جهله :

منه نسخة خطية بمكتبة الأوسكريال برقم ٧٠٧ .

٣٠ - مجموعة الزركشي - في فقه الشافعي :

منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية برقم ٢٥٣ - فقه شافعي .

٣١ - المتبر في تخريج أحاديث المهاج والمختصر :

منه نسخة خطية في المكتبة التيمورية برقم ٤٥١ - حديث تيمور . وذكر الأستاذ

سميد الأنصاري أن منه نسخة في دار الكتب الظاهرية بدمشق برقم ١١١٥ - حديث .

— للنشور = القواعد

— النكت على البخاري = التنقيح .

٣٢ - النكت على عدة الأحكام .

ذكره ابن تقي بردي في الملل الصافي .

٣٣ - النكت على ابن الصلاح^(١) .

ذكره السيوطي .



(١) هو الإمام أبو عمرو عثمان بن صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان الكروني المعروف بابن الصلاح،

المتوفى سنة ٦٤٣ هـ، وكتابه المعروف بمقدمة ابن الصلاح في المصطلح .

٣ - كتاب البرهان

وكتاب البرهان في علوم القرآن من الكتب المتيدة التي جمعت عصارة أقوال المتقدمين ، وصفوة آراء العلماء المحققين ؛ حول القرآن الكريم ، وكتاب الله الخالد ؛ كثره على سبعة وأربعين نوعا ؛ كل نوع يدور حول موضوع خاص من علوم القرآن ومباحثه ؛ يستأهل كل نوع أن يكون موضوعا لمؤلف خاص ؛ حاول في كل موضوع أن يؤرخ له ؛ ويحصى الكتب التي ألفت فيه ؛ ويشير إلى العلماء الذين تدارسوه ؛ فأشيع القصول ، وجمع أشتات السائل ؛ وضم أقوال المفسرين والمحدثين ، إلى مباحث الفقهاء والأصوليين ؛ إلى قضايا المتكلمين وأصحاب الجدل ؛ إلى مسائل المربية وآراء أرباب الفصاحة والبيان ؛ فجاء كما شاء الله كتابا فريدا في فنه ؛ شريفا في أغراضه ، مع سداد المنهج ، وعذوبة للورد ؛ وغزارة المادة ، بعيدا عن التعمية واللبس ؛ نائيا عن الحشو والفضول .

ولكن هذا الكتاب لم يكن معروفا عند الباحثين ؛ ولا متداولاً بين الطلاب والدراسين ؛ عداقة من المشغوفين بمعرفة النوادر ورواد المكتبات ؛ شأنه شأن الكثير من كتب الزركشي على عظيم خطرهما ، وجلالة موضوعاتها ، ومقدار غنائها ونفها ؛ حتى جاء جلال الدين السيوطي ووضع كتابه الإقتان ، فدل الناس في مقدمته عليه ، وأشاد به ؛ وعده أصلا من الأصول التي بنى عليها كتابه ، وتأسى طريقته ؛ وتقبل مذهبه ؛ وسار في الدرب التي رسمه ؛ ونقل كثيرا من فصوله ؛ مرة معزوة إليه ؛ ومرة بدون عزو ؛ وإن كان فيما نقل عنه اقتضب الكلام اقتضابا ؛ واختصره اختصارا ؛ وبهذا ظهر كتاب الإقتان بمنزلة مرموقة عند العلماء ؛ وغدا مرجعا للباحثين حقبة من الزمان ؛ وظل كتاب البرهان متورايا عن البيان ، مطمورا في زوايا النسيان . وأعان على ذلك قلة نسخه المخطوطة ؛ وتعدد الانتفاع بها .

٤ - نسخ الكتاب

وحينما نهيأ لى العمل فى هذا الكتاب وقتت على النسخ الآتية :

١ - نسخة مكتوبة بقلم نسخ واضح ؛ قوبلت على أصلها ؛ كما قوبلت على نسخة بخط المصنف ؛ طالعها بعض العلماء وأثبتوا بعض التعليلات على حواشيا ؛ ومنهم العلامة محب الدين بن الشحنة المتوفى سنة ٨١٥ هـ مكتوبة بخط قديم ربما كان فى عصر المصنف ، كتبها أحمد بن أحمد المقدسى .

والموجود من هذه النسخة الجزء الأول ينتهى بانتهاء الكلام فى أقسام معنى الكلام ويقع فى مائة وستين ورقة ، وعدد أسطر صفحاتها سبعة وعشرون سطرا .
وهى محفوظة بدار الكتب المصرية بمكتبة طلعت ؛ برقم ٤٥٦ - تفسير . وقد رمزت إليها بالحرف ط .

٢ - نسخة وقتت فى مجلدين :

الأول كتب بخط نسخ واضح مضبوط بالحركات ؛ ويبدو أنه من خطوط القرن التاسع .
ويقع فى ست ومائتى ورقة ، وعدد أسطر كل صفحة خمسة وعشرون سطرا ؛ وبه يياضات متفرقة فى بعض اللواضع .

والثانى يكمل هذه النسخة مكتوب بخطوط حديثة متعددة ، آخره مؤرخ فى ١١ ذى القعدة سنة ١٣٣٥ بدون ذكر للأصل المنسوخ عنه ، وبه أيضا يياضات متفرقة فى بعض الأماكن ومواضع نقص .

ويقع فى ست وثلاثمائة ورقة ؛ وعدد أسطر كل صفحة خمسة وعشرون سطرا .
وهى محفوظة بالخزانة التيمورية برقم ٢٥٦ - تفسير . وقد رمزت إليها بالحرف ت .

٣- نسخة مصورة عن نسخة مكتوبة بقلم مستاد بدون تاريخ ، منقولة عن نسخة أخرى جاء في آخرها أنها كتبت « في رابع عشر شهر شعبان القرد من شهر سنة تسع وسبعين وثمانمائة » .

ويبدو من خطها أنها مكتوبة في القرن العاشر وقع في اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ورقة ، وعدد أسطر الصفحة واحد وثلاثون سطرا ، وبأولها فهرس لفصول الكتاب وأبوابه وأقسامه .

وأصل هذه النسخة محفوظ بمكتبة مدينة ، للتحفة بمكتبة طوبقو سراى باستانبول برقم ١٧٠ . وقد رمزت إلى هذه النسخة بالحرف م .

✽

وقد اتخذت هذه النسخ أصلا للعمل في الكتاب؛ وأثبت ما اخترت منها، وأوضحت في الحاشية وجوه الاختلاف ؛ كما أتى رجعت إلى ما تيسر لي الاطلاع عليه من الكتب التي رجع إليها المؤلف ؛ في التفسير والحديث والفقه والنحو واللغة والصرف والرسم والبلاغة والقراءات ؛ فكان لها الفضل الكبير في جلاء الغامض ، وتصحيح المحرف ، وتوضيح للشكل ، وإكمال الناقص ؛ كما أعانني في الحواشي التي وشيت بها الكتاب .

وما عدا العناوانات التي وضعها للمؤلف جعلته بين علامتي الزيادة ؛ وألحقت بكل جزء فهرس موضوعاته ؛ أما الفهارس المفصلة العامة فترد في آخر الكتاب إن شاء الله . وقد بذلت في تحقيقه ما استطعت من الجهد ، ومن الله أستمدارضا وأستمنحه القبول .

محمد أبو الفضل إبراهيم

٢١ رمضان سنة ١٢٧٦
٢١ أبريل سنة ١٩٥٧
مصر الجديدة في

[illegible]

البرهان

في علوم القرآن

للإمام عبد الله بن محمد بن عبد الله الزكشي

حقوق الطبع محفوظة للناس

بسمه الرحمن الرحيم

مقدّمه المؤلف

قال الشيخ الإمام العالم العلامة ، وحيد الدهر ، وفريد العصر ، جامع أشعثان الفضائل ، وناصر الحق بالبرهان من الدلائل ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي الشافعي ، بَلَّغَهُ اللهُ مِنْهُ مَا يَرْجُوهُ :

الحمدُ لله الذي نور بكتابه القلوب ، وأنزله في أوجز لفظ وأعجز أسلوب ، فأعيت بلاغته البلاء ، وأعجزت حكته الحُكَّاء ، وأبكت فصاحته الخطباء .

أَحْمَدُهُ أَنْ جَمَلَ الْحَدَّ فَاتِحَةً أَسْرَارِهِ ، وَخَاتِمَةً تَصَارِيفِهِ وَأَقْلَامَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ لِلصُّلَاحِ ، وَنَبِيَّةَ الْمُرْتَضَى ، الظَّافِرَ مِنَ الْحَمْدِ بِاتِّخَاصِهِ^(١) ، الظَّاهِرُ بِفَضْلِهِ عَلَى ذَوِي الْفَضْلِ . مَعْلَمُ الْحِكْمَةِ ، وَهَادِي الْأُمَّةِ ، أَرْسَلَهُ بِالنُّورِ السَّاطِعِ ، وَالضِّيَاءِ اللَّامِعِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْأَبْرَارِ ، وَصَحْبِهِ الْأَخْيَارِ .

أَمَّا بَدَ فَإِنْ أَوَّلَى مَا أَعْلَمْتُ فِيهِ الْقِرَاحُ ، وَعَلَيْتُ بِهِ الْأَفْكَارَ الْوَاقِعَ ، الْقَحْصُ عَنْ أَسْرَارِ التَّنْزِيلِ ، وَالْكَشْفُ عَنْ حَقَائِقِ التَّأْوِيلِ ، الْقِيَّ قَوْمٌ بِالْمَالِمْ ، وَتَبَتِ الدَّعَائِمُ .

فَهُوَ الْمَصْمُوعَةُ الْوَاقِيَةُ ، وَالنِّعْمَةُ الْبَاقِيَةُ ، وَالْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ، وَالْإِلَاقَةُ الدَّامِنَةُ ، وَهُوَ شِفَاءُ الصُّدُورِ ، وَالْحَكْمُ الْمَذَلُّ عِنْدَ مُشْكِهَاتِ الْأُمُورِ ؛ وَهُوَ الْكَلَامُ الْجَزَلُ ، الْقِصْلُ الَّذِي لَيْسَ بِالْهَزَلِ . سَرَّاجٌ لَا يَنْبُو ضِيَاؤُهُ ، وَشَهَابٌ لَا يَنْخَمُدُ نُورُهُ وَسَنَاوُهُ ، وَبَحْرٌ لَا يَدْرُكُ غَوْرُهُ .

بهرت بلاغته القول ، وظهرت فصاحته على كل مقول ، وظافر إيجازه وإيجازه ،
وظاهرت حقيقة وعجزه ، وقارن في الحسن مطاله ومقاطه ، وحوث كل البيان جوامه
وبدائه ، قد أحكم الحكيم صيغته ومبناه ، وقسم لفظه ومعناه ، إلى ما ينشط السامع ،
ويقرط السامع ، من تجنيس أنيس ، وتطبيق لبيق ، وتشبيه نبيه ، وتقسيم وسيم ، وتفصيل
أصيل ، وتبليغ بليغ ، وتصدير بالحسن جدير ، وترديد ما له مزيد ؛ إلى غير ذلك مما
أجرى^(١) من الصياغة البديعة ، والصناعة الرفيعة ، فالآذان بأقراطه حالية ، والأذهان
من أسماطه غير خالية ؛ فهو من تناسب ألقاطه ، وتناسق أغراضه ، قلادة ذات أناسق ؛
ومن نبسم زهره ، وننسم نشره ، حديقة مبهجة للنفوس والأسماع والأحداق ؛ كل كلمة منه
لها من قسما طرب ، ومن ذاتها عجب ، ومن طلعتها غرة ، ومن بهجتها ذرة ، لاحت
عليه بهجة القدرة ، ونزل^(٢) بمن له الأمر^(٣) ، فله على كل كلام سلطان وإمرة ، بهر
تمكن فواصله ، وحسن ارتباط أواخره وأوائله ، وبديع إشاراته ، وهجيب امتقالاته ؛
من قصص باهرة ، إلى مواعظ زاجرة ، وأمثال سائرة ، وحكم زاهرة ، وأدلة على التوحيد
ظاهرة ، وأمثال بالتنزيه والتحميد سائرة ، ومواقع تسجيب واعتبار ، ومواطن تنزيه
واستغفار ؛ إن كان سياق الكلام ترجية بسط ، وإن كان نحوفا قبض ، وإن كان
وعلا أبهج ، وإن كان بعيدا أزعج ، وإن كان دعوة حذب ، وإن كان زجرة أربع ،
وإن كان موعظة أقلق ، وإن كان ترغيبا شوق .

هنا ، وكم فيه من مزايأ وفي زواياه من خبايا
ويطعم الحسب في التناهي فيكشف الخير عن قضايا
فبجان من سلكه ينابيع في القلوب ، وصرته بأبدع معنى وأغرب أسلوب ،

(١) كذا في ط . وفي حاشيتها : « كذا بخط المصنف ، ولله : أخرى . » وفي ت ، م : « أخرى » .

(٢ - ٣) ط : « ونزل بأمر من له الأمر » .

لا يستمى ممانيه فَنَه الخَلْق ، ولا يحيط بوصفه على الإطلاق ذو اللسان المَلَق ، فالسيد من صرف همته إليه ، ووقف فكره وعزمه عليه ، وللوفيق من وقته الله ندبره ، واصطفاه للتذكير به وتذكّره ، فهو يرتع منه في رياض ، ويكرع منه في حياض .

أُنذَى على الأَكْبَادِ مَنْ قَطَرَ النَّدى وَأَلَدَ فِي الْأَجَانِ مِنْ سِنَةِ الْكَرَى
يَمَلَأُ الْقُلُوبَ بِشِرَا^(١) ، وَيَمِثُّ الْقِرَانِحَ عَيْرًا وَتَشْرَا ، يَحْيِي الْقُلُوبَ بِأَوْرَادِهِ ، وَلَهْجَا
سَمَاءَ اللَّهِ رُوحًا ؛ قَالَ : ﴿ يُبَلِّغُ الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾^(٢) ، فَسَمَاءُ
رُوحًا لِأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى حَيَاةِ الْأَبَدِ ، وَلَوْلَا الرُّوحُ لَمَاتِ الْجَسَدُ ، فَجَلَّ هَذَا الرُّوحُ سَبِيحًا
لِلْإِقْتِدَارِ ، وَعَلَمًا عَلَى الْإِعْتِبَارِ .

يَزِيدُ عَلَى طَوْلِ التَّأَمُّلِ بَهْجَةً كَانِ السَّيُونَ النَّاطِرَاتِ صَيَاقِلُ
وَأَمَّا فِهْمُ بَعْضِ مَعَانِيهِ ، وَيَطْلُعُ عَلَى أَسْرَارِهِ وَمَعَانِيهِ ؛ مَنْ قَوَى نَظْرُهُ ، وَانْصَحَ
جِبَالَهُ فِي الْفَكْرِ وَتَدَبَّرَهُ ؛ وَامْتَدَّ بَاحُهُ ، وَدَقَّتْ طَبَاعُهُ ، وَامْتَدَّتْ فِي فُنُونِ الْأَدَبِ ، وَأَحْاطَ
بِلُغَةِ الْعَرَبِ .

قَالَ الْحَرَّالِيُّ^(٣) فِي جِزءِ سَمَاءَ : « مِفْتَاحُ الْبَابِ لِلتَّقْوَى ، لَهُمُ الْكِتَابُ لِلزَّلْزَلَةِ » :
لَهُ تَعَالَى مَوَاقِبُ ، جَمَلُهَا أَسْوَالُ الْمَكْشَبِ ، فَمَنْ وَهَبَ عَقْلًا يَسَّرَ عَلَيْهِ السَّبِيلَ ، وَمَنْ
رَكَّبَ فِيهِ خُرْقًا قَصَّ ضَبْطُهُ مِنَ التَّحْصِيلِ ، وَمَنْ أَيْدَهُ بِتَقْوَى الْإِسْتِنَادِ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ

(١) م : ٥ : بصرى .

(٢) سورة طه ١٥ .

(٣) الحرّالي : بفتح الحاء والراء المهملين وبعد الألف لام مشددة مكسورة ، فية إلى حرّالة : قرية من أعمال مرسية ؛ وهو أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن النجيب ، صاحب التفسير العظيم ؛ اعتمد عليه البقاعي في تفسيره . وله أيضًا شرح للرمط والشفاء وفتح الباب للتفكر وغيرها . تولى سنة ٦٣٧ . (شفاوت القهب : ١٨٩ ، النجوم الزاهرة ٦ : ٣١٧ ، تاج العروس - حرل) .

أموره عليه وفضله . قال : وأكلُ الملأ من وجهه الله تعالى فيها في كلامه ، ووعيا عن كتابه ، وتبصرة في الفرقان ، وإحاطة بما شاء من علوم القرآن ، فقيه تمام شهود ما كتب الله لخلوقه من ذكره الحكيم ، بما يزيل بكريم عنايته من خطأ اللاعنين ؛ إذ فيه كل العلوم .

وقال الشافعي رضي الله عنه : جميع ما قوله الأمة شرح للسنة ، وجميع السنة شرح للقرآن . وجميع القرآن شرح أسماء الله الحسنى ، وصفاته العليا - زاد غيره : وجميع الأسماء الحسنى شرح لاسمه الأعظم - وكأ أنه أفضل من كل كلام سواء ، فطومه أفضل من كل علم عداه ؛ قال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ يَنْهَىٰ أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمْ هُوَ أَعْمَىٰ ﴾^(١) . وقال تعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾^(٢) . قال مجاهد^(٣) : القهم والإصابة في القرآن . وقال . وقال مقاتل^(٤) : يعني علم القرآن .

وقال سفيان بن عيينة^(٥) في قوله تعالى : ﴿ سَاحِرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَكْفُرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾^(٦) ، قال : أحرمهم فهم القرآن .

وقال سفيان الثوري^(٧) : لا يجتمع فهم القرآن والاشتغال بالحطام في قلب مؤمن أبداً .

(١) سورة الرعد ١٥

(٢) سورة البقرة ٢٦٩

(٣) هو مجاهد بن جبر للكنى ، مولى السائب ، أحد التابعين الثقات ، وأحد العلماء القراء والخبر . توفي سنة ١٠٠ في إحدى الروايات . (تهذيب التهذيب ١٠ : ٤٤) .

(٤) هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي ، صاحب التفسير . توفي سنة ١٥٠ . (خلاصة تفهيم الكمال ٣٣١) .

(٥) هو سفيان بن عيينة اللاتلي الكوفي ، وخبث أهل الحجاز في الحديث والتفه والتفسير . توفي سنة ١٩٨ (تذكرة الحفاظ ١ : ٧٤٢) .

(٦) سورة الأعراف ١٤٦ .

(٧) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي ، اللمى أمير المؤمنين في الحديث ؛ قالوا : كتب عنه ألف ومائة شيخ ، وتوفي سنة ١٦١ . (تذكرة الحفاظ ١ : ١٩٠ ، حقه الصفرة ٣ : ٨٧)

وقال عبد العزيز بن يحيى الكنانى^(١) : مثل علم القرآن مثل الأسد لا يمكن من غيظه سواء .

قال ذو النون المصرى^(٢) : أبى الله عز وجل [إلا]^(٣) أن يحرم قلوب الباطلين مكنون حكمة القرآن .

وقال عز وجل : ﴿ مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾^(٤) . وقال : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾^(٥) .

وقال عبد الله بن مسعود في قوله تعالى : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾^(٦) قال : القرآن ، يقول : أرشدنا إلى علمه .

وقال الحسن البصرى^(٧) : علم^(٨) القرآن ذكر لا يطلع إلا الله . كور من الرجال . وقال الله جل ذكره : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾^(٩) . وقال تعالى : ﴿ وَمَا آخُذْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَضُكُّهُ إِلَى اللَّهِ ﴾^(١٠) ؛ يقول : إلى كتاب الله .

(١) عبد العزيز بن يحيى الكنانى ، ثقة بالشافعى ، وروى عن سفيان بن عيينة . تولى بعد سنة ٢٣٠ . (تهذيب التهذيب ٦ : ٣٦٣ ، خلاصة تهذيب الكمال ٢٠٤) .

(٢) هو أبو القيس ثوبان بن إبراهيم المروى بنى النون المصرى . أحد المروفين بالزهد والورع . ولد بأخيم ؛ وروى عنه الجنييد وغيره ، توفى سنة ٢٤٥ . (طبقات الصوفية للسبى ١٥ ، حسن المحاضرة ١ : ٢١٨) .

(٣) زيادة يتخفيها الباق ، وفى م : « أبى الله عز وجل أن يحرم قلوب الباطلين مكنون القرآن »

(٤) سورة الأنعام ٣٨

(٥) سورة النساء ٨٢ ، محمد ٧٤

(٦) سورة العنكبوت ٦

(٧) هو الحسن بن أبى الحسن البصرى ؛ أحد ساحات التابعين وكبرائهم ، توفى سنة ١١٠ (واضطر نرجه وأخباره فى ابن خلكان ١ : ١٢٨ ، وأمالى للرفعى ١ : ١٥٧) .

(٨) كلمة « علم » ساقطة من م .

(٩) سورة النساء ٥٩

(١٠) سورة الثورى ١٠٠

وكلّ علم من العلوم متزع من القرآن ، وإلا فليس له برهان . قال ابن مسعود : من أراد العلم فليثور^(١) القرآن ، فإن فيه علم الأولين والآخرين .^(٢) رواه البيهقي في اللخل وقال : أراد به أصول العلم .

وقد كانت الصحابة رضى الله عنهم علماء ؛ كل منهم مخصوص بنوع من العلم كملّى رضى الله تعالى عنه بالقضاء ، وزيد بالقراء ، ومعاذ بالحلل والحرام ، وأبى بالقراءة ، فلم يسم أحد منهم بحراً^(٣) إلا عبدالله بن عباس لاختصاصه دونهم بالتفسير وعلم التأويل ؛ وقال فيه عليّ بن أبي طالب : كأنما ينظر إلى النيب من ستر رقيق . وقال فيه عبدالله بن مسعود : نعم ترجمان القرآن عبدالله بن عباس ؛ وقد مات ابن مسعود في سنة ثنتين وثلاثين ؛ وعمر بعده ابن عباس ستا وثلاثين سنة ؛ فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود ! نعم ؛ كان لى فيه اليد السابغة قبل ابن عباس ؛ وهو القاتل : لو أردت أن أملى وقر بغير على القاعة لصلت .

وقال ابن عطية^(٤) : فأما^(٥) صدر للفسرين وللؤيد فيهم فلىّ بن أبي طالب ، ويتلوه ابن عباس رضى الله عنهما ؛ وهو تجرد للأمر [وكله]^(٦) ، وتقبه العلماء عليه ؛ كجاهد وسميد جبير وغيرهما .

وكان جلة من السلف كسميد بن السبب والشمي وغيرهما ، يعظمون تفسير القرآن ، ويتوقفون عنه تورعا واحتياطاً لأنفسهم ، مع إحداكم وتقدمهم .

(١) قال ابن الأثير في النهاية (١ : ١٣٨) : « أى ليثور عنه ، ويفكر في معانيه وتفسيره وقراءته » .

(٢) (٢ : ٢) « ليس في لغة المصنف » — حاشية ط .

(٣) كان يقال لابن عباس : « الحبر ، والبحر » لعمه . (تاج المروس — حبر) .

(٤) هو الإمام عبد الحق بن غالب بن عبد الرموف المروفي بآين عطية ؛ وتفسيره هو المروفي بالحرر الوجيز توفي بمدينة لورقة سنة ٤٦٠ هـ (الديباج للذهب ١٧٤ - ١٧٥) .

(٥) المحرر الوجيز ١ : ٨ - ٩ (مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ١٦٨ تفسير) .

(٦) من كتاب المحرر الوجيز .

ثم جاء بعدهم طبقة فطيفة ، فجذّوا واجتهدوا ؛ وكلٌّ ينفق مما رزق الله ؛ ولهذا كان^(١) سهل بن عبد الله يقول : لو أُعطيَ العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم لم يبلغ نهاية ما أودعه الله في آية من كتبه ؛ لأنه كلام الله ، وكلامه صفة . وكما أنه ليس لله نهاية ، فكذلك لا نهاية لفهم كلامه ؛ وإنما يفهم كلٌّ بمقدار ما يفتح الله عليه . وكلام الله غير مخلوق ، ولا تبلغ إلى نهاية فهمه فهوم محدثة مخلوقة .



ولما كانت علوم القرآن لا تنحصر ، وممانيه لا تستقصى ، وجبت العناية بالتقدير^(٢) للممكن . ومما فات للتقدمين وضع كتاب يشتمل على أنواع علومه ، كما وضع الناس ذلك بالنسبة إلى علم الحديث ؛ فاستخرت الله تعالى - وله الحمد - في وضع كتاب في ذلك جامع لما تكلم الناس في فنونه ، وخاضوا في نكته وعيوبه ، وضمتته من الماني الأنيقة ، والحكم الرشيق ، ما يهزّ القلوب طرباً ، ويبهز العقول عجباً ؛ ليكون مفتاحاً لأبوابه ، وعنواناً على كتابه ؛ معيناً للفسر على حقائقه ، ومطلماً على بعض أسرارهِ ودقائقهِ ؛ والله المختص والمعين ، وعليه أتوكل ، وبه أستعين ، وسميته : « البرهان في علوم القرآن » . وهذه فهرست أنواعه :

- | | |
|--------|--------------------------------|
| الأول | : معرفة سبب النزول . |
| الثاني | : معرفة المناسبات بين الآيات . |
| الثالث | : معرفة النواصل . |
| الرابع | : معرفة الوجوه والنظائر . |
| الخامس | : علم للقتابه . |

(١) كلمة « كان » ساقطة من ط ، م وأثبتها عن ت .

(٢) ت : « للتقوّر » .

السادس	: علم للبهات .
السابع	: في أسرار القوايح .
الثامن	: في خواتم السور .
التاسع	: في معرفة السكى والدنى .
العاشر	: معرفة أول منازل .
الحادى عشر	: معرفة على كم لغة نزل .
الثانى عشر	: في كيفية إزاله .
الثالث عشر	: في بيان جمه ومن حفظه من الصحابة .
الرابع عشر	: معرفة تقسيمه .
الخامس عشر	: معرفة أسمائه .
السادس عشر	: معرفة ما وقع فيه من غير لغة الحجاز .
السابع عشر	: معرفة ما فيه من لغة العرب .
الثامن عشر	: معرفة غريبه .
التاسع عشر	: معرفة التصريف .
العشرون	: معرفة الأحكام .
الحادى والعشرون	: معرفة كون اللفظ أو التركيب أحسن وأفصح .
الثانى والعشرون	: معرفة اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص .
الثالث والعشرون	: معرفة توجيه القراءات .
الرابع والعشرون	: معرفة الوقف والابتداء .
الخامس والعشرون	: علم مرسوم الخط .
السادس والعشرون	: معرفة فضائله .

السابع والعشرون	: معرفة خواصه .
الثامن والعشرون	: هل في القرآن شيء أفضل من شيء .
التاسع والعشرون	: في آداب تلاوته .
الثلاثون	: في أنه هل يجوز في التصانيف والرسائل والخطب استعمال بعض آيات القرآن .
الحادي والثلاثون	: معرفة الأمثال الكائنة فيه .
الثاني والثلاثون	: معرفة أحكامه .
الثالث والثلاثون	: في معرفة جده .
الرابع والثلاثون	: معرفة ناسخه ومنسوخه .
الخامس والثلاثون	: معرفة توهم المختلف .
السادس والثلاثون	: في معرفة المحكم من المتشابه .
السابع والثلاثون	: في حكم الآيات للتشابهات الواردة في الصفات .
الثامن والثلاثون	: معرفة إيجازه .
التاسع والثلاثون	: معرفة وجوب تواتره .
الأربعون	: في بيان معاضدة السنة للكتاب .
الحادي والأربعون	: معرفة تفسيره .
الثاني والأربعون	: معرفة وجوب المحاطات .
الثالث والأربعون	: بيان حقيقته ومجازه .
الرابع والأربعون	: في الكناية والتعريض .
الخامس والأربعون	: في أقسام معنى الكلام .

السادس والأربعون : في ذكر ما يتيسر من أساليب القرآن .

السابع والأربعون : في معرفة الأدوات .

واعلم أنه ما من نوع من هذه الأنواع إلا ولو أراد الإنسان استقصاءه، لاستفرغ عمره،
ثم لم يُحكَمْ أمره ؛ ولكن اقتصرنا من كل نوع على أصوله ، والرمز إلى بعض
فصوله ؛ ^(١) فإن الصناعة طويلة والمرُ قصير ؛ وماذا عسى أن يبلغ لسانُ التخصير !
قالوا خذِ العَيْن من كلِّ صَلتُ لهم
في العَيْن فضلٌ ولكن ناظرِ العَيْنِ

(١ - ١) هذه البارة من كلام أبقراط. ذكرها في أول جلة من فصوله . (طبع للتمتص ١٨٩٦م).

فصل

[في علم التفسير]

التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله للنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وبيان معانيه ، واستخراج أحكامه وحكمه . واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصرف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات . ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والسنوخ . وقد أكثر الناس فيه من اللطوعات ؛ ما بين مختصر ومبسوط ، وكلهم يقتصر على الفن الذي ينسب إليه ؛ فالزجاج^(١) والواحدي^(٢) في « البسيط » ينسب عليهما التريب ، والثعلبي^(٣) ينسب عليه القصص ، والزغزري^(٤) علم البيان ، والإمام^(٥) غفر الله له علم الكلام وما في معناه من العلوم العقلية .

(١) هو إبراهيم بن السري أبو إسحاق الزجاج صاحب كتاب معاني القرآن ؛ هل ياقوت : « قرأت على ظهر كتاب المعاني : ابتداء أبو إسحاق بإملاء كتابه للوسوم بماني القرآن في صفر سنة خمس ومائتين ، وآتاه في شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثمائة » . وتوفى الزجاج سنة ٣١١ . (وانظر إنباه الرواة وحواشيه ١ : ١٦٣) .

(٢) هو علي بن أحمد الواحدي أبو الحسين . الإمام المصنف القصر التحوي . قال الثعلبي : « وصنف التفسير الكبير وسماه البسيط ، وأكثر فيه من الإعراب والشواهد والمثلة ، ومن رآه علم مقدار ماغتنمه من علم العربية . وصنف الوسيط في التفسير ؛ وهو مختار من البسيط أيضاً ؛ غاية في بابه ، والرجيز وهو عجيب . مات ببهاور سنة ٤٦٨ . (إنباه الرواة ٢ : ٢٢٤) .

(٣) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، صاحب التفسير الكبير المسمى الكنف والبيان ، والمرائس في قصص الأنبياء . توفى سنة ٤٢٢ (إنباه الرواة ١ : ١١٩) .

(٤) هو محمود بن عمر بن محمد الزغزري ، صاحب القدم في الأدب واللغة والنحو والتفسير ؛ وتفسيره الكشاف من أشهر الكتب . توفى سنة ٥٣٨ (وانظر ترجمته وأخباره في إنباه الرواة وحواشيه ٢ : ٢٦٥) .

(٥) هو الإمام غفر الله له محمد بن عمر الرزي صاحب التفسير المسمى مفاتيح الغيب ، توفى سنة ٦٠٦ (ابن خلكان ١ : ٤٧٤) .

واعلم أن من العلوم أن الله تعالى إنما خاطب خلقه بما يفهمونه ؛ ولذلك أرسل كل رسول بلسان قومه ، وأُنزل كتابه على نفهم ؛ وإنما احتيج إلى التفسير لما سُدَّ ذكر ، بعد تقرير قاعدة ؛ وهي أن كلَّ من وضع من البشر كتاباً فإنما وضعه ليفهم بذاته من غير شرح ؛ وإنما احتيج إلى الشروح لأُمور ثلاثة :

أحدها : كمال فضيلة المصنّف ؛ فإنه لقوته العلمية يجمع للمعاني الدقيقة في اللفظ الوجيز ، فربما عسر فهمُ مراده ، قصيد بالشرح ظهورُ تلك المعاني الخفية ؛ ومن هنا كان شرحُ بعض الأئمة تصنيفه أدلَّ على المراد من شرح غيره له .

وثانيها : [قد يكون] ^(١) حذف بعض مقدمات الأقيسة أو أغفل فيها شروطاً ^(٢) اعتماداً على وضوحها ، أو لأنها من علم آخر ؛ فيحتاج الشارح لبيان المحذوف ومراتبه .
وثالثها : احتمال اللفظ لعمان ثلاثة ؛ كما في الجواز والاشتراك ^(٣) ودلالة الالتزام ؛ فيحتاج الشارح إلى بيان غرض المصنف وترجيحه . وقد يقع في التصنيف ما لا يخلو منه بشر من السهو والغلط وتكرار الشيء ، وحذف المهم ؛ وغير ذلك ؛ فيحتاج الشارح للتنبيه على ذلك .

وإذا علم هذا فنقول : إن القرآن إنما أُنزلَ بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ في زمنٍ أفصح العرب ؛ وكانوا يهتدون بظواهره وأحكامه ؛ أما دقائق باطنه فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر ، من شؤون النبي صلى الله عليه وسلم في الأكثر ؛ كسؤالهم لنا نزل : ﴿ وَلَمْ يَلْسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ ^(٤) ، فقالوا : أينالم يظلم نفسه ! ففسره النبي صلى الله عليه وسلم بالشرك ؛ واستدلَّ

(١) زيادة يقتضيا السياق.

(٢) كذا في ت ، م . وفي ط : « شرطا » وفوقها واو ، وكلمة « لعل » لترجيحها .

(٣) الخفية ط : « من : للترك » .

(٤) سورة الأمام ٨٢

عليه - قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّرْكَ لَكَبِيرٌ عَظِيمٌ ﴾^(١) . وكسؤال عائشة - رضى الله عنها - عن الحساب اليسير فقال : « ذلك المرض ، ومنّ نوقش الحساب عَذْبٌ » . وكقصّة عدى ابن حاتم في الخيط الذى وضعه تحت رأسه^(٢) . وغير ذلك مما سألوها عن آحاد منه .

ولم ينقل إلينا عنهم تفسير القرآن وتأويله بحملته ؛ فنحن نحتاج إلى ما كانوا يحتاجون إليه ، وزيادة على ما لم يكونوا محتاجين إليه من أحكام الظواهر ، لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم ؛ فنحن أشد الناس احتياجا إلى التفسير .

ومعلوم أن تفسيره يكون بعضه من قبيل بسط الألفاظ الوجيهة وكشف معانيها ، وبعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض ، لبلاغته ولطف معانيه ؛ ولهذا لا يستغنى عن قانون عام يعول في تفسيره عليه ، ويرجع في تفسيره إليه ؛ من معرفة مفردات ألفاظه ومركباتها . وسياقه ، وظاهره وباطنه ، وغير ذلك مما لا بدخل تحت الوهم ، ويدق عند الفهم .

بين أقداحهم حديث قصير هو سحر ، وما سواه كلام

وفى هذا تنفاوت الأذهان ، وتساوق في النظر إليه مسابقة الزمان فمن سابق بفهمه ، وراشق كبد الرمية بسهمه ، وآخر رمى فأشوى^(٣) ، وخبط في النظر خبط^(٤) عشوا - كما قيل . وأين الدقيق من الركيك ، وأين الزلال من الزقاق !

(١) سورة النحل ١٣

(٢) يشير إلى ما رواه مسلم في كتاب الصوم عن عدى بن حاتم : « لما نزلت : ﴿ حَقٌّ يَدِّينَ لَكُمْ أَنْخِيطَ الْأَبْيَضُ مِنْ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ قال له عدى : يا رسول الله ، إلى أجل تحت وسادتي عقالين : عقالا أبيض وعقالا أسود ، أعرف الليل من النهار ، فقال رسول الله عليه وسلم : إن وسادتك لمرين ؛ إنما هو سواد الليل وياض النهار » .

(٣) أشوى : أصاب شواه ، والكوى هنا : قض الرأس .

(٤) كلمة « خبط » ساقطة من ط .

وقال القاضى شمس الدين الخلوئى^(١) رحمه الله : علم التفسير عسير يسير ؛ أما عُسْرُهُ فظاهر من وجوه ؛ أظهرها أنه كلام متكلم لم يصل الناس إلى مراده بالسماع منه ، ولا إمكان للوصول إليه ، بخلاف الأمثال والأشعار ؛ فإن الإنسان يمكن علمه بمجرد التكلم بأن يسمع منه أو يسمع من سمع منه ، أما القرآن ففسيره على وجه القطع لا يعلم إلا بأن يسمع من الرسول عليه السلام ، وذلك متمذراً إلّا في آيات قليلة . فالعلم بالمراد يستنبط بأمارات ودلائل ، والحكمة فيه أن الله تعالى أراد أن يفكر عباده في كتابه ؛ فلم يأمر نبيه بالتنصيص على المراد ؛ وإنما هو عليه السلام صوّب رأى جماعة من المفسرين ، فصار ذلك دليلاً قاطعاً على جواز التفسير من غير سماع من الله ورسوله^(٢) .

قال : واعلم أن بعض الناس يفتخر ويقول : كتبتُ هذا وما طالعت شيئاً من الكتب ، ويظن أنه فخر ؛ ولا يعلم أن ذلك غاية النقص ؛ فإنه لا يعلم مزية ما قاله على ما قيل ، ولا مزية ما قيل على ما قاله ، فبماذا يفتخر ! ومع هذا ما كتبتُ شيئاً إلا خاتماً من الله مستعينا به ، معتمداً عليه ؛ فما كان حسناً فمن الله وفضله^(٣) بوسيلة مطالعة كلام عباد الله الصالحين^(٤) ، وما كان ضميماً فمن النفس الأمارة بالسوء .

فصل

[في علوم القرآن]

ذكر القاضى أبو بكر بن المرينى^(٥) في كتاب « قانون التأويل » : إن علوم القرآن

(١) الحوى ، بضم الحاء وفتح الواو وتثنية الباء ، هو شمس الدين أحمد بن خليل بن سعادة الحوى الشافعى صاحب الإمام نضر الدين الرازى . كان فقيهاً منظرأ وأستاذاً في الطب والحكمة . توفى سنة ٦٣٧ ، ونجده إلى خوى مدينة بأذربيجان . (سفرات الذهب : ٥ ، ١٨٣ ، النجوم الزاهرة ٦ : ٣١٦ ، تاج الروس - خوى) .

(٢) قوله السيوطى فى الإختان فى الباب السابع والستين .

(٣ - ٣) ساقط من م

(٤) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله الماقرى ، المروف بابن المرينى ؛ أحد فقهاء إشبيلية وعلمائها ؛ وفى سبيل العلم رحل إلى للشرق ثم عاد إلى المغرب وتوفى سنة ٥٤٤ . (الصلاة لابن بشكوال ٥٩٩) .

خسون علما وأربمائة وسبعة آلاف علم وسبعون ألف علم ، على عدد كلم القرآن ، مضروبة في أربعة . قال بعض السلف : إذ لكل كلمة ظاهر وباطن ، وحدّ ومقطع ^(١) ؛ وهذا معطوق دون اعتبار تراكيبه وما بينها من روابط . وهذا ما لا يحصى ولا يملئه إلا الله عز وجل . قال : وأمّ علوم القرآن ثلاثة أقسام : توحيد وتذكير وأحكام ؛ فالتوحيد تدخل فيه معرفة الخلوقات ومعرفة الخلق بأسمائه وصفاته وأفعاله . والتذكير ، ومنه الوعد والوعيد والجنة والنار ، وتصفية الظاهر والباطن . والأحكام ؛ ومنها التكاليف كلها وتبيين للنافع والضار ، والأمر والنهي والتنبؤ .

فالأول : ﴿ وَابْتَغُوا إِلَهًا وَاحِدًا ﴾ ^(٢) ، فيه التوحيد كلّ في القنات والصفات والأفعال . والثاني : ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ اللَّهَ كَرَّمَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٣) . والثالث : ﴿ وَأَن أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ ^(٤) ؛ ولعلك قيل في معنى قوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ^(٥) تدلّ ثلث القرآن . . . يعني في الأخير ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . وقيل ثلثه في المعنى ؛ لأن القرآن ثلاثة أقسام كما ذكرنا . وهذه السورة اشتملت على التوحيد .

ولهذا للمعنى صارت فاتحة الكتاب أمّ الكتاب ؛ لأن فيها الأقسام الثلاثة : فأما التوحيد فن أولها إلى قوله : ﴿ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ ^(٦) . وأما الأحكام فـ ﴿ إِنَّا نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ^(٧) ، وأما التذكير فن قوله : ﴿ أَهْدِنَا ﴾ ^(٨) إلى آخرها ؛ فصارت بهذا أمّا ؛ لأنه يضرع عنها كل نبت .

(١) كذا في الأصول . وفي الإتيان وحاشية ط : « مطع » .

(٢) سورة البقرة ١٦٣
(٣) سورة البقرة ١٦٣
(٤) سورة البقرة ١٦٣
(٥) سورة الإخلاص ١
(٦) سورة الفاتحة ٤
(٧) سورة الفاتحة ٦
(٨) سورة الفاتحة ٦

وقيل : صارت أمّا لأنها مقلّمة على القرآن بالقبليّة ، وأمّ قبل البنت .

وقيل : سميت قائّمة لأنها فتّحت أبواب الجنة على وجوه مذكورة في مواضعها .

وقال أبو الحكم بن برّجان^(١) في كتاب « الإرشاد »^(٢) : وجملّة القرآن تشتمل على ثلاثة علوم : علم أسماء الله تعالى وصفاته ، ثم علم النبوة وبراهينها ، ثم علم التكليف والجنّة . قال : وهو أعسر لإغرابه^(٣) وقلة انصراف الممّم إلى تطلبه من مكانه .

وقال غيره : القرآن يشتمل على أربعة أنواع من العلوم : أمر ، ونهي ، وخبر واستخبار . وقيل : ستة - وزاد الوعد والوعيد .

وقال محمد بن جرير الطبري^(٤) : يشتمل على ثلاثة أشياء : التوحيد ، والأخبار والهدايات ؛ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : « (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) تَمْدُلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ » . وهذه السورة تشمل التوحيد كلّّه .

وقال علي بن عيسى^(٥) : القرآن يشتمل على ثلاثين شيئاً : الإعلام ، والتنبيه ، والأمر ، والنهي ، والوعد ، والوعيد ، ووصف الجنة ، والنار ، وتعليم الإقرار باسم الله ، وصفاته [وأفضاله]^(٦) ، وتعليم الاعتراف بإنعامه ، والاحتجاج على المخالفين ، والرّد على الملحدين ، والبيان عن الرغبة ، والرغبة ، الخير ، والشر ، والحسن ، والقيبح ، ونعت الحكمة ، وفضل المعرفة ،

(١) هو أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن المعروف بابن برّجان النخعي الإشبيلي ؛ حامل لواء الفتنة بالأندلس في عصره . توفي سنة ٦٢٧ . (بنية الرواة ٢٠٦ ، شذرات الذهب ٥ : ١٢٤) .

(٢) كتابه الإرشاد في تفسير القرآن ، ذكره صاحب كشف الظنون وقال : « وهو تفسير كبير و مجلّدات ؛ ذكر فيه من الأسرار والمخاوس ما هو مشهور فيما بين أهل هذا الشأن » .

(٣) ت : لا إغرابه .

(٤) هو أبو جعفر عبد بن جرير الطبري ؛ صاحب التفسير والتاريخ ، توفي سنة ٣١٠ . (وانظر ترجمته وأخباره في إنباء الرواة وحوادثه ٣ : ٨٩) .

(٥) هو علي بن عيسى بن علي الرماني ؛ صاحب التصانيف المشهورة في التفسير والنحو والفقه . توفي سنة ٣٨٤ . (إنباء الرواة ٢ : ٢٩٤) . (٦) تمكّلة من الإقنان فيما قلّه عن الرماني .

ومدح الأبرار ، وذم التجار ، والتسليم ، والتصين ، والتوكيد ، والتفريع ، والبيان من ذم الإخلاف ، وشرف الأداء .

قال القاضي أبو المالح عزري^(١) : وعلى التحقيق أن تلك الثلاثة التي قالها محمد بن جرير تشمل هذه كلها بل أضافها ؛ فإن القرآن لا يُستدرك ولا تُحصى غرائبه ومجائبه ؛ قال تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يُعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾^(٢) .

وقال غيره : علوم ألقاها القرآن أربعة : الإعراب ؛ وهو في الخبر .

والنظم ؛ وهو التصد ؛ نحو ﴿ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ ﴾^(٣) ، معنى باطن نظم بمعنى ظاهر ؛ وقوله : ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ﴾^(٤) ؛ كأنه قيل : قالوا : ومن يبدأ الخلق ثم يعيده ؟ فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول : ﴿ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ﴾ ؛ لفظ ظاهر نظم بمعنى باطن .

والتصريف في الكلمة ؛ كاقط : عدل ، وقسط : جار . ويبد : ضد قرب ، ويعد : هلك .

والاعتبار ؛ وهو معيار الأعماء الثلاثة ؛ وبه يكون الاستنباط والاستدلال ؛ وهو كثير ، منه ما يعرف بفحوى الكلام . ومعنى اعتبرت الشيء طليت بيانه ، عبرت الرؤيا : يبتئها ؛ قال الله تعالى : ﴿ فَاعْتَبِرُوا ﴾^(٥) . بعد : ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ

(١) هو أبو المالح عزري بن عبد الملك القتيبي القاسمي اللخروي بشفقة ؛ وصاحب كتاب البرهان في مشكلات القرآن . توفي سنة ٤٩٤ . (وانظر ابن خلكان ١ : ٣١٨ ، هذرات الذهب ٣ : ٤٠١ ، وكشف الظنون ٢٤١) .

(٢) سورة المائدة ٤

(٣) سورة الأعمام ٥٩

(٤) سورة المعمر ٢

(٥) سورة يوسف ٣٤

الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ^(١) دَلَّ عَلَى أَنَّ اعْتِقَامَهُ بِالْخُرُوجِ مِنَ النَّارِ مِنْ أَكْثَرِ الْوُجُوهِ ،
و (أَوَّلُ الْخُشْرِ)^(٢) دَلَّ عَلَى أَنَّ هَذَا^(٣) تَوَاجِعٌ ؛ لِأَنَّ «أَوَّلَ» لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ «آخِرٍ» ؛
وَكَانَ هَذَا فِي بَنِي النَّضِيرِ ثُمَّ أَهْلُ يَمْرُوتَ . (مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا)^(٤) إِلَّا^(٥) بَنِيَاءُ ، وَأَنَّهُمْ
يَسْتَقِلُّونَ عِدَدَ مَنْ كَانَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . (وَلَوْ لَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
الْجَلَاءَ)^(٦) فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِخْرَاجَ مِثْلَ الْعَذَابِ فِي الشَّدَّةِ ؛ إِذْ جُعِلَ بِهِ .

وَقَدْ يَتِمُّدُ الْإِعْتِبَارُ ؛ نَحْوَ أَتَى غَيْرَ^(٧) زَيْدٍ ، أَيْ أَتَيْاهُ ، أَوْ أَنَاهُ غَيْرُ زَيْدٍ ، لَا هُوَ .
لَوْ شِئْتَ أَنْتَ لَمْ أَفْعَلْ ، أَمَرْتَنِي أَوْ نَهَيْتَنِي ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا)^(٨)
رَدَّ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ؛ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ : (وَأَلَّهُ أَمَرَنَا بِهَا)^(٩) . (وَإِذَا حَلَلْتُمْ
فَاعْمَدُوا)^(١٠) ، فَالْإِعْتِبَارُ بِإِبَاحَةِ .

وَمِنَ الْإِعْتِبَارِ مَا يَظْهَرُ بِأَيِّ آخِرٍ ؛ كَقَوْلِهِ : (فَإِنَّا جَاءَ أَجْلُهُمْ فِإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِبَادِيهِ
بَصِيرًا)^(١١) ، فَهَذِهِ تَعْتَبَرُ بِآخِرِ^(١٢) الْوَاقِعَةِ ؛ مِنْ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ثَلَاثَةِ مَنَازِلَ ؛ أَيْ أَحَلَّ
كُلَّ فَرِيقٍ فِي مَنْزِلَةٍ لَهُ ، وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَنَازِلِهِمْ .

(١) سورة المائدة ٢

(٢) ت : « دال » .

(٣) ت : « دال » .

(٤ - ٥) كذا وروعت البازة في جميع الأصول ، وفيها غموض .

(٦) ت : « عين » تحريف .

(٧) سورة المائدة ٣

(٨) سورة الأعراف ٢٨

(٩) سورة النحل ٣٥

(١٠) سورة طه ٤٥

(١١) سورة المائدة ٢

(١٢) إشارة إلى قوله تعالى في آخر سورة الواقعة : (فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ . فَرَوْحٌ

وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ . وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ السَّعِيرِينَ . فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ

السَّعِيرِينَ . وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكَذِبِينَ الضَّالِّينَ . فَنَزَلَ مِنْ رَبِّهِمْ . وَتَصْلِيَةٌ جَمِيمٌ) .

ومنه ما يظهر بالخبر كقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ ﴾^(١) ،
بمعنى الحديث^(٢) : إن اليهود قالوا : لو جاء به ميكائيل لاتبعناك ، لأنه يأتي بالخبر ،
وجبريل لم يأت بالخبر قط ، وأى خير أجل من القرآن !
ومن ضروب النظم قوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يَرْيدُ المِزَّةَ فَلَهُ ﴾^(٣) ، إن حمل على أن
يستبرأ أن المِزَّة له لم ينتظم به ما بعده وإن حمل على معنى أن يعلم أن المِزَّة انتظم .

(١) سورة البقرة ٩٧

(٢) روى الطبري في تفسير هذه الآية عن ابن أبي ليلى : « قالت اليهود للسلفين : لو أن ميكائيل كان
الذى ينزل عليكم لاتبعناكم ؛ فإنه ينزل بالرحمة والنعيم ، وإن جبريل ينزل بالمشاب والفتنة ، وهو لنا عدو »
قال : نزلت هذه الآية : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ ﴾ . وانظر الجزء الأول من التفسير ٣٧٧ وما بعدها

(٣) سورة طه ١٠

السَّوْعُ الْأَوَّلُ مَعْرِفَةُ أَسْبَابِ النُّزُولِ

وقد اعتنى بذلك الفسرون في كتبهم ، وأفردوا فيه تصانيف ^(١) ؛ منهم علي بن
الدينى ^(٢) شيخ البخارى ، ومن أشهرها تصنيف ^(٣) الواحدى في ذلك . وأخطأ مَنْ زعم
أنه لا طائل تحته ، لجريانه تجرئ التاريخ ، وليس كذلك ، بل له فوائد :
منها وجه الحكمة البالغة على تشريع الحكم .

ومنها تخصيص الحكم به عند مَنْ يرى أَنَّ العبرة بخصوص السبب .
ومنها الوقوف على المعنى ، قال الشيخ أبو الفتح التشيرى : ' بيان سبب النزول
طريق قوى في فهم مسمى الكتاب العزيز ؛ وهو أمر تحصل للصحابة بقرائن تحف
بالقضايا .

ومنها أنه قد يكون اللفظ عاما ، ويقوم الدليل على التخصيص ؛ فإن محل السبب لا يجوز

(١) حاشية ط : « س : مصنفات » .

(٢) هـ : أبو الحسن علي بن عبد الله بن جبر الحمدي ، مولاه . توفي سنة ٢٣٤ . (وانظر ترجمته في

تذكرة الحفاظ ٢ : ١٥ - ١٦)

(٣) طبع بمصر سنة ١٣١٥ هـ ، وعلى هامشه « كتاب التاسخ والنسوخ » ، لأبي القاسم بن حبة الله
ابن سلافة البغدادي للتوفى سنة ٤١٠ . وذكر السيوطي في الإقتان ١ : ٢٨ أن الجعفي اختصره ،
لخفف آهائمه ولم يزد عليه شيئا ، ثم قال : « وألف فيه شيخ الإسلام أبو الفضل بن حجر كتابا مات عنه
مسودا لم تفت عليه كاملا . وقد ألفت فيه كتابا حافظا موجزا محررا لم يؤلف مثله في هذا النوع ، سميته :
لياد القول في أسباب النزول » .

وقد طبع كتاب السيوطي بهامش تفسير الجلالين في يولات سنة ١٢٨٠ هـ .

إخراجه والاجتهاد والإجماع؛ كما حكاه القاضى^(١) أبو بكر فى «مختصر التفرير»؛ لأن دخول السبب قطعى. وهل بعضهم الاتفاق على أن تقدم السبب على ورود الموم أثرا. ولا التفت إلى ما نقل عن بعضهم من تجوز إخراج محل السبب بالتخصيص لأمرين: أحدهما أنه يلزم منه تأخير البيان عن وقت الحاجة، ولا يجوز. والثانى أن فيه عدولاً عن محل السؤال؛ وذلك لا يجوز فى حق الشارع؛ لئلا يلبس على السائل. واتفقوا على أنه تعتبر النصوصية فى السبب من جهة استحالة تأخير البيان عن وقت الحاجة؛ وتؤثر أيضاً وراء محل السبب؛ وهو إبطال الدلالة على قول، والضعف على قول.

ومن القوائد أيضاً دفع توهم الحصر؛ قال الشافى ما معناه فى معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِىَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا...﴾^(٢) الآية: إِنَّ الْكُفَّارَ لَمَّا حَرَّمُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ، وَأَحَلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَكَانُوا عَلَى اللَّذَاذَةِ وَالْخِلَافَةِ جَاءَتِ الْآيَةُ مُنَاقِضَةً لِرُضْهِمْ؛ فَكَانَتْ قَال: لَا حَلَالَ إِلَّا مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَلَا حَرَامَ إِلَّا مَا أَحَلَّتْهُ؛ نَازِلًا مُنَزَلَةً مِنْ يَقُول: لَا تَأْكُلُ الْيَوْمَ حَلَاوَةً؛ فَقُول: لَا آكُلُ الْيَوْمَ إِلَّا الْحَلَاوَةَ؛ وَالتَّرْضُ لِلذَّادَةِ لَا النَّفْيَ وَالْإِثْبَاتَ عَلَى الْحَقِيقَةِ؛ فَكَانَتْ قَال: لَا حَرَامَ إِلَّا مَا حَلَّتْهُ مِنَ اللَّيْتَةِ وَالْقَمِّ وَلَحْمِ الْخَنَزِيرِ وَمَا أُحِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ، وَلَمْ يَقْصِدْ حَلَّ مَا وَرَاءَهُ؛ إِذْ الْقَصْدُ إِثْبَاتُ التَّحْرِيمِ لَا إِثْبَاتُ الْحَلِّ.

قال إمام الحرمين^(٣): «وهذا فى غاية الحسن؛ ولولا سبق الشافى إلى ذلك لما كنا

(١) هو القاضى أبو بكر محمد بن الطيب الباقلى التكميل للجمهور؛ وصاحب كتاب إيجاز القرآن وكتاب التفرير والإرشاد فى أصول الفقه. وقد عمل مختصراً له، توفى سنة ٤٠٣ هـ (ابن خلكان ١: ٤٨١، الشيبانج للذهب ٢٧٦، شذرات الذهب ٢: ٥٧). وانظر مقدمة الأستاذ السيد أحمد مقر لكتاب إيجاز القرآن ص ٥٣، ٥٤ - طبعة دار المعارف.

(٢) سورة الأنعام ١٤٥

(٣) هو أبو المالى عبد الملك بن أبى عبد الله بن يوسف بن محمد الجوينى الشافى السراق، شيخ الإمام القزالى، وأعلم المتأخرين من أصحاب الشافى، توفى سنة ٤٧٨ هـ. (وانظر ترجمته فى ابن خلكان ١: ٢٨٧).

نستجير بخاتمة مالك في حصر الحرمات فيما ذكرته الآية . وهذا قد يكون من الشافعي
أجراه مجرى التأويل . ومن قال بمراعاة اللفظ دون سببه لا يمنع من التأويل

وقد جاءت [آيات]^(١) في مواضع اتفقوا على تمديتها إلى غير أسبابها ؛ كنزول
آية^(٢) الظهار في سلمة بن صخر ، وآية اللعان في شأن هلال بن أمية^(٣) ، ونزول حد
القذف في رمة عائشة رضي الله عنها ، ثم تمدي إلى غيرهم ، وإن كان قد قال سبحانه :
(وَالَّذِينَ يَرْمُونَ لِلْحَصَنَاتِ)^(٤) ، فجمعها مع غيرها ؛ إما تعظيها لما إذا أنها لم تؤمنين .

(١) زيادة يتضمنها السياق ، وانظر الإثنان ١ : ٢٩ .

(٢) سورة المجادلة ١ - ٤ ، والمجبر رواه ابن ماجه يستمدق كتاب الطلاق باب الظهار من سلمة بن
صخر قال : « كنت امرأ استكثر من النساء ؛ لا أرى رجلاً كان يصيب من ذلك ما أصيب ، فلما دخل رمضان
ظاهرت من امرأتى حتى يبالغ رمضان ؛ فبينما هي تمدني ذات ليلة انكشف لي منها شيء ، فوثبت عليها
فوالله ، فلما أصبحت غدوت على قولي فأخبرتهم خبري وقلت لهم : سلوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا : ما كنا نقول ؛ إذا يزول الله فينا كتاباً أو يكون فينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قول فيبقى
علينا طهره ، ولكن سوف لعلك يجرب ترك ، اذهب أنت فذكر شأنك لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قال :
فخرجت حتى جثته فأخبرته الخبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت بذلك ؟ فقلت : أنا بذلك ؛ وهأنا
بارسول الله صابر لحكم الله علي . قال : فأعق ربقة ؛ قال : قلت : والله بينك بالحق ، ما أصبحت أملك
إلا ربقة هذه ؛ قال : فممن شهرين متتابعين ، قال : قلت لرسول الله ؛ وهل دخل على ما دخل من البلاد
إلا بالصوم ؛ قال : فاصدق أو أطمع ستين سكيناً ، قال : قلت : والله بينك بالحق ، لقد بقنا هذه مائتاً
عشاء ؛ قال : فاذهب إلى صاحب صدقة بني زريق فقل له : فليدفعها إليك ؛ وأطمع ستين سكيناً واتضع
ببيتها . قال ابن كثير : إن الذي نزل فيه آية الظهار هو أوس بن الصامت ؛ وأما حديث سلمة بن
صخر ، فليس فيه أنه سبب النزول ؛ ولكن أمر بما أنزل الله في هذه السورة من التقي أو الصيام أو الإطعام .
وانظر تفسير ابن كثير ٤ : ٣١٨ - ٣٢٢

(٣) هو هلال بن أمية الخزاعي ؛ أحد الثلاثة الذين خلفوا ثم تاب الله عليهم ؛ نزل فيه قوله تعالى :
(وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ
شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ) ، [سورة التور ٦] . وانظر تفصيل المجبر في تفسير ابن كثير ٣ : ٢٦٥ وما بعدها ..

(٤) سورة التور ٤

ومن روى أم قوم قد رمام - ولما للإشارة إلى التصميم ؛ ولكن الرماة لما كانوا
معلومين ، فمضى الحكم إلى من سوام ؛ فمن يقول ببراءة حكم اللفظ كان الاختلق
هاعنا هو مقتضى الأصل ، ومن قال بالتصر على الأصل خرج عن الأصل في هذه
الآية بدليل . ونظير هذا تخصيص الاستمادة بالإناث في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ
فِي الْعُقَدِ ﴾ ^(١) ، ونحوه على السبب ؛ وهو أن بنات لبيد سحرن رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

كذا قال أبو عبيد ؛ وفيه نظر ؛ فإن القى سحر النبي صلى الله عليه وسلم هو لبيد ^(٢)
ابن الأعمى كما جاء في الصحيح ^(٣) .

وقد تنزل الآيات على الأسباب خاصة ، وتوضع كل واحدة منها مع ما يناسبها من
الآى رعاية لنظم القرآن وحسن السياق ؛ فذلك القى وضمت معه الآية نازلة على سبب
خاص للنسبة ؛ إذ كان مسوقاً لما نزل في معنى يدخل تحت ذلك اللفظ العام ؛ أو كان
من جملة الأفراد الداخلة وضما تحت اللفظ العام ؛ فدلالة اللفظ عليه ؛ هل هى كالسبب
فلا يخرج ويكون مراداً من الآيات قطعا ؟ أو لا ينتهى فى القوة إلى ذلك ؟ لأنه قد يراد
غيره ، وتكون للنسبة مشبهة به ؟ فيه احتمال .

(١) سورة القلق ٣

(٢) حاشية ط : « وجه الجمع ظاهر إذ قد يكون هو الآخر ؛ ومن الغلات ، والله أعلم . »
(٣) صحيح البخارى ، كتاب بدء الخلق (٢) : ولفظه فيه : « عن عائشة رضى الله عنها قالت : سحر
النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان يغيل إليه أنه يضل القى وما يضل ؛ حتى كان ذات ذات يوم دعا ودعا ،
ثم قال : أشمرت أن الله أفتانى فيما فيه شفتى ، أنا ورجلان ، فقد أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى ؛
فقال أحدهما للآخر : ما وجع الرجل ؟ قال : مغلوب ، قال : ومن طبه ؟ قال : لبيد بن الأعمى ، قال :
فماذا ؟ قال : فى مسط ومثاق وجف طلعة ذكر ؛ قال : فأين هو ؟ قال : فى بئر ذروان ؛ فخرج إليهما
النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع فقال لمائنة حين رجع : نخلها كأنه رؤوس الشياطين ؛ فقالت : استخرجها ؟
قال : لا ، أما أنا فقد شفى الله ؛ وخشيت أن يثير ذلك على الناس شرا ؛ ثم دفنت البئر . »

واختار بعضهم أنه رتبة متوسطة دون السبب وفوق العموم المجرد ؛ ومثاله قوله تعالى : ﴿ إِنْ أَفْهَ بِأَمْرٍكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ ^(١) ؛ فإن مناسبتها للآية التي قبلها ، وهي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَالْفُتُوحِ وَيَقُولُونَ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا هُوَ لَا أَهْدِي مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾ ^(٢) ، أن ذلك إشارة إلى كعب بن الأشرف ، كان قدِم إلى مكة وشاهد قتلى بدر وحرَض الكفار على الأخذ بتأمرهم ، وغزو النبي صلى الله عليه وسلم ، فألوه : مَنْ أَهْدَى سَبِيلًا؟ النبي صلى الله عليه وسلم ، أو هم ؟ قال : أُنْزِمَ - كذبا منه وضلاله - لئنه الله تلك الآية في حق مَنْ شَارَكَه في تلك القالة ؟ وهم أهلُ كتاب يَحْمِلُونَ عِنْدَهُمْ في كتابهم بعث النبي صلى الله عليه وسلم وصفته ، وقد أَخَذَتْ عَلَيْهِمُ اللّوَاتِقُ إِلَّا يَكْتُمُوا ذَلِكَ وَأَنْ يَنْصُرُوهُ ؛ وكان ذلك أمانة لازمة لم فلم يُوَدِّعُوا خَانُوا فِيهَا ؛ وذلك مناسب لقوله : ﴿ إِنْ أَفْهَ بِأَمْرٍكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ . قال ابن العربي ^(٣) في تفسيره : وجه النظم أنه أَخْبَرَ عَنْ كَتَمَانِ أَهْلِ الْكِتَابِ صِفَةَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ، وقوله : إِنْ لِلْمُشْرِكِينَ أَهْدَى سَبِيلًا . فكان ذلك خِيَانَةً مِنْهُمْ ؛ فَاجْمَعْ الْكَلَامَ إِلَى ذِكْرِ جَمِيعِ الْأَمَانَاتِ . انتهى .

ولا يَرِدُ عَلَى هَذَا أَنَّ قِصَّةَ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ كَانَتْ عَقِبَ مَدْرٍ ، وَتَزُولُ ﴿ إِنْ أَفْهَ بِأَمْرٍكُمْ ﴾ في الفتح أو قريبا منها ؛ وَبَيْنَهُمَا سِتُّ سَنِينَ ؛ لِأَنَّ الزَّمَانَ إِنَّمَا يَشْتَرِطُ فِي سَبَبِ النَّزُولِ ، وَلَا يَشْتَرِطُ فِي الْمُنَاسَبَةِ لِأَنَّ الْقَصْدَ مِنْهَا وَضْعُ آيَةٍ فِي مَوْضِعٍ يَنْسَبُهَا ؛ وَالْآيَاتُ كَانَتْ تَنْزِلُ عَلَى أَسْبَابِهَا ، وَبِأَمْرِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بوضوحها في المواضع التي علم من الله تعالى أنها مواضعها .

(١) سورة النساء ٤٢

(٢) سورة النساء ٤٦

(٣) حاشية ط : « لله الإمام أبو بكر المالِكُ العالمُ المجرُّ المجلل » .

ومن فوائد هذا العلم إزالة الإشكال (١) في الصحيح (٢) عن مروان بن الحكم أنه
 بعث إلى ابن عباس يسأله : لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما فعل
 مُعَذَّبًا لَمَذَّيْن أَجْمَعُونَ ا فقال ابن عباس : هذه الآية نزلت في أهل الكتاب ؛ ثم تلا :
 ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ (٣)
 إلى قوله : ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ (٤).
 قال ابن عباس : سألم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه وأخبروه بنيره ؛
 فخرجوا وقد أرووه أن قد أخبروه بما سألم عنه ؛ فاستحمدوا بذلك إليه ؛ وفرحوا بما أوتوا
 من كتابهم ما سألم عنه . انتهى .

قال (٥) بعضهم : وما أجاب به ابن عباس عن سؤال مروان لا يكفي ، لأن اللفظ
 أم من السب ؛ ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم : « انشعب بما لم يُعطْ كلاس قوتي »

(١) صحيح البخاري في باب التفسير ١١٥ : ٤ . يسنده عن علقمة بن وقاص : « أن مروان قال ليوأب :
 اذهب يرافق إلى ابن عباس قل : لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً
 لَمَذَّيْن أَجْمَعُونَ ا فقال ابن عباس : وما لكم ولهذا إنما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود ، فألم عن شيء
 فكتموه لئلا وأخبروه بنيره ، فأرووه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألم ، وفرحوا بما أوتوا
 من كتابهم . ثم قرأ ابن عباس : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ﴾
 حتى قوله : ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ ، وانظر تفسير ابن كثير
 ١ : ٤٣٦ وما بعدها .

(٢) سورة آل عمران ١٨٧

(٣) سورة آل عمران ١٨٨

(٤) ١ - ٤ حاشية ط . « من قوله قال .. إلى .. لا يكفي ، غير ثابت في النسخة التي بخط للمنفذ ،
 وفيها بدل ، وهذا الجواب مشكوك . »

زور^(١)، وإنما الجواب أن الوعيد مرتب على أثر الأمرين للذكورين؛ وهما الفرح وحب الحمد؛ لا عليها أنفسهما؛ إذ هما من الأمور الطبيعية التي لا يتعلق بها التكليف أمرًا ولا نهيًا.

قلت: لا يخفى عن ابن عباس رضي الله عنه أن اللفظ أعم من السبب؛ لكنه بين أن المراد باللفظ خاص؛ ونظيره تفسير النبي صلى الله عليه وسلم الظلم بالشرك فيما سبق.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾^(٢) الآية؛ فحسب عن عثمان بن مظعون وعمر بن سعد يكره أنها كانت يقولان: الحمر مباحة، ويحتجبان بهذه الآية، وخفي عليها سبب نزولها؛ فإنه يمنع من ذلك؛ وهو ما قاله الحسن وغيره^(٣): لما نزل تحريم الحمر، قالوا: كيف ياخواننا الذين ماتوا وهي في بطونهم، وقد أخبر الله أنها رجس! فأنزله الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ﴾.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرَبْتُمْ...﴾^(٤) الآية، قد أشكل معنى هذا الشرط على بعض الأئمة؛ وقد بينته سبب النزول^(٥)؛ روى

(١) رواه البخاري في كتاب النكاح (٣: ٢٦٣) بسنده عن هشام: «حدثني فاطمة عن أسماء أن امرأة قالت: يا رسول الله، إن لي خرة فهل علي جناح إن تبيت من زوجي غير الذي يطيق؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: للشيخ بما لم يطعك إني زور».

(٢) سورة المائدة ٩٣

(٣) قتله ابن كثير في التفسير (١: ٩٧) عن أحمد بسنده عن ابن عباس قال: «لأحرمت الحمر قال

ناس: يا رسول الله، أصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها! فأنزله الله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ لك آخر الآية. وانظر أسباب النزول للواحدي ١٩٦.

(٤) سورة الطلاق ٤

(٥) قتله ابن كثير في التفسير (٤: ٣٨١) عن ابن جرير بسنده عن عمرو بن سالم قال: «قال أبي ابن كعب: يا رسول الله، إن عددا من عبيد النساء لم تذكر في الكتاب: العتار والكبار وأولات الأعمال، قال: فأنزله عز وجل: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةً أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَعْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضْمَنَّ سَلْمَهُنَّ﴾».

أَنْ نَأْتِيَ قُلُوبَهُمْ : يَارَسُولَ اللَّهِ ؛ قَدْ عَرَفْنَا عِدَّةَ ذَوَاتِ الْأَفْرَاءِ ؛ فَاِئِدَّةَ اللَّائِي لَمْ يَمَحُضَنَّ مِنْ الصَّغَارِ وَالْكِبَارِ ؟ فَتَزَلْ ؛ هَذَا بَيِّنٌ مَعْنَى : ﴿ إِنْ أَنْ تَبُذُّنَّ ﴾ أَيْ إِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكُمْ حُكْمُهُنَّ ، وَجِهَاتِهِمْ كَيْفَ يَمْتَدُّنَ ؛ هَذَا حُكْمُهُنَّ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَفِيهِ لِلشَّرِيقِ وَالْمَغْرِبِ ؛ فَأَيُّنَا تَوَلَّوْا فَنَمَّ وَجْهُهُ ﴾ (١) ؛ فَإِنَّا لَوْ تَرَكْنَا مَدْلُولَ الْفَلْظِ لَأَقْتَضَى أَنَّ لِلصَّلَاةِ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ اسْتِقْبَالُ الْقِبْلَةِ سَتَرًا وَلَا حَضْرًا ؛ وَهُوَ خِلَافُ الْإِجْمَاعِ ؛ فَلَا يُفْهَمُ مَرَادُ الْآيَةِ حَتَّى يُلَمَّ سَبَبُهَا ؛ وَذَلِكَ أَنَّهَا نَزَلَتْ لَمَّا صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَاحِلَتِهِ ؛ وَهُوَ مُسْتَقْبِلٌ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الدِّينَةِ ؛ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ بِهِ ؛ فَلَمْ أَنْ هَذَا هُوَ الْمُرَادُ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ ﴾ (٢) ؛ فَإِنَّ سَبَبَ نَزْلِهَا أَنْ قَوْمًا أَرَادُوا الْخُرُوجَ لِلْجِهَادِ ؛ فَتَنَّمَّه أَرْوَاجُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ ؛ ثُمَّ أُنْزِلَ فِي بَقِيَّتِهَا مَا يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَةِ وَتَرْكِ التَّوَاخُذَةِ ؛ قَالَ : ﴿ وَإِنْ نَعَفُوا وَتَصَفَّحُوا وَتَتَمَرَّعُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣) .

فصل

[فَيَا تَزَلْ مَكْرًا]

وَقَدْ يُنْزَلُ الشَّيْءُ مَرَّتَيْنِ تَمَظْيًا لِأَنَّهُ ، وَتَذَكِيرًا بِهِ عِنْدَ حُلُوثِ سَبَبِهِ خَوْفَ نَسْيَانِهِ ؛ وَهَذَا كَمَا قِيلَ فِي الْقَائِمَةِ تَزَلْتُ مَرَّتَيْنِ : مَرَّةً بِمَكَّةَ ، وَأُخْرَى بِالْمَدِينَةِ ؛ وَكَأَنَّهَا تَزَلْتُ فِي

(١) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ١١٥

(٢) سُورَةُ التَّوْبَةِ ١٢

الصحيحين من أبي عمان التهدي عن ابن مسعود^(١) : أن رجلاً أصاب من امرأة قبة ،
فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبره ؛ فأنزل الله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ
وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾^(٢) ، فقال الرجل : إلى هذا ؟ قال :
بل لجميع أمتي . فهذا كان في المدينة ؛ والرجل قد ذكر الترمذي أو غيره أنه أبو اليسر .
وسورة هود مكية بالاتفاق ؛ ولهذا أشكل على بعضهم هذا الحديث مع ما ذكرنا ، ولا
إشكال ، لأنها نزلت مرة بعد مرة .

ومثله ما في الصحيحين^(٣) عن ابن مسعود في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾^(٤)
أنها نزلت لما سأله اليهود عن الروح وهو في المدينة ، ومعلوم أن هذه في سورة
﴿ سُبْحَانَ ﴾ ؛ وهي مكية بالاتفاق ؛ فإن للشركين لما سألوهم عن ذى القرنين ومن أهل
الكهف قيل ذلك بمكة وأن اليهود أمروهم أن يسألوه عن ذلك ؛ فأنزل الله الجواب
كما قد بسط في موضعه .

وكذلك ما ورد في ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾^(٥) أنها جواب للمشركين بمكة ، وأنها
جواب لأهل الكتاب بالمدينة .

(١) بقوله ابن كثير في التفسير (٢ : ٢٢٦) .

(٢) سورة هود ١١٤ . قال ابن كثير : « طرقت النهار : المصباح في أول النهار والنظير والمصر مرد
أخرى ، وزلفنا من الليل ؛ يعني للفرج والمشاء » .

(٣) رواه البخاري ومسلم من حديث الأعمش به ، ولفظ البخاري في كتاب التفسير (٣ : ١٥١ - ١٥٢)
عن عبد الله بن مسعود : « بينما أنا أشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرت ، وهو متكئ على عيب
لأحد اليهود فقال بعضهم لبعض : سأله عن الروح ، فقال : ما رايتكم إليه ، وقال بعضهم : لا يستقبلكم بشيء .
تكرهونه ، فقالوا : سأله : فسأله عن الروح فأجبت النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئاً ،
فقلت أنه يوحى إليه ، فقلت منى ، فلما نزل الوحي قال : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ
مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ . وقوله ابن كثير أيضاً في التفسير (٣ : ٦٠)
عن أحمد يستند عن ابن مسعود .

(٤) سورة الإسراء ٨٥ . (٥) الإخلاص ١

وكذلك ماورد في الصحيحين من حديث السيب^(١) لما حضرت أبا طالب الوفاة ؛
وتلكا عن الشهادة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والله لأستغفرن لك ما لم أنة » ،
فأنزل الله : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا
أُولَىٰ قُرْبَىٰ ﴾^(٢) ، وأنزل الله في أبي طالب : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾^(٣) ،
وهذه الآية نزلت في آخر الأمر بالاتفاق ؛ وموت أبي طالب كان بمكة ؛ فيمكن أنها نزلت
مرة بعد أخرى ، وجعلت أخيرا في « براءة » .

والحكمة في هذا كله أنه قد يحدث سبب من سؤال أو حادثة تقتضي نزول
آية ؛ وقد نزل قبل ذلك ما يتضمنها ، فتؤدي تلك الآية بينها إلى النبي صلى الله عليه
وسلم تذكيرا لهم بها ، وبأنها تتضمن هذه ؛ والمالم قد يحدث له حوادث ، فيتذكر
أحاديث وآيات تتضمن الحكم في تلك الواقعة وإن لم تكن خطرت له تلك الحادثة
قبل ؛ مع حفظه لتلك النص .

وما يذكره المفسرون من أسباب متعددة لنزول الآية قد يكون من هذا الباب ؛
لا سيما وقد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قل : نزلت هذه الآية

(١) وقوله ابن كثير في التفسير (٢ : ٣٩٣) أيضا عن أحد يستدعي عن السيب . ولفظ البخاري : « لما
حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية ؛ فقال
النبي صلى الله عليه وسلم : أي عم ، قل : لا إله إلا الله أحاج لك بها عند الله ، قال أبو جهل وعبد الله بن أمية :
يا أبا طالب ، أرغب عن ملة عبد المطلب ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لأستغفرن لك ما لم أنة أنك ؛
فنزلت : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ
قُرْبَىٰ ﴾ . . . إلى ﴿ إِنَّهُ بِهِمْ رَهُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ ، ورواه البخاري أيضا في باب التفسير . (٣ : ١٧٣)
عن السيب .

(٢) سورة التوبة ١١٣

(٣) سورة القصص ٥٦

في كذا فإنه يريد بذلك أن هذه الآية تتضمن هذا الحكم ؛ لا أن هذا كان السبب في نزولها . وجماعة من المحدثين يحملون هذا من الرفع للسند ؛ كما في قول ابن عمر في قوله تعالى : (نِسَاءُكُمْ حَرْثُكُمْ ^(١)) ؛ وأما الإمام أحمد ^(٢) فلم يدخله في السند ؛ وكذلك مسلم ^(٣) وغيره ، وجعلوا هذا مما يقال بالاستدلال وبالتأويل ؛ فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية ؛ لا من جنس النقل لما وقع .

فصل

[خصوص السبب وعموم الصيغة]

وقد يكون السبب خاصاً والصيغة عامة ؛ لينبئ على أن العبرة بمعوم اللفظ . وقال الزخشرى في نفس سورة الممزة : يجوز أن يكون السبب خاصاً والوعيد عاماً ؛ ليقنوا كل من باشر ذلك التبيح ؛ وليكون جارياً مجرى التعريض بالوارد فيه ؛ فإن ذلك أزجر له ، وأنكى فيه .

[تقدم نزول الآية على الحكم]

واعلم أنه قد يكون النزول سابقاً على الحكم ؛ وهذا كقوله تعالى : (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ^(١)) ؛ فإنه يستدل بها على زكاة الفطر ؛ روى البيهقي بسنده إلى ابن عمر

(١) سورة البقرة ٢٢٣

(٢) هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل ، صاحب المذهب وكتاب السند ؛ ولد سنة ١٦٤ هـ وتوفي سنة ٢٤١ هـ .

(٣) وانظر ترجمته وأخباره في تاريخ الإسلام للذهبي - وفیات ٢٤١) .

(٤) هو أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ، صاحب الصحيح ، وأحد الأئمة الحفاظ وأعلام المحدثين ، توفي سنة ٢٦١ هـ . (وانظر ترجمته في ابن خلكان ٢ : ٩١) .

(٥) سورة الأعلى ١٤ .

أنها نزلت في زكاة رمضان؛ ثم أسند مرفوعاً نحوه . وقال بعضهم : لا أدري ما وجه هذا التأويل ! لأن هذه السورة مكّية ؛ ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة .

وأجاب البيهقي^(١) في تفسيره ، بأنه يجوز أن يكون النزول سابقاً على الحكم ؛ كما قال : ﴿ لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْكَلْبِ . وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْكَلْبِ ﴾^(٢) ؛ فالسورة مكّية ، وظهور أثر الحلال يوم فتح مكة ؛ حتى قال عليه السلام : « أُحِلَّتْ لِي سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ » .

وكذلك نزل بمكة : ﴿ سَبِّحْهُمُ أَجْمَعُ وَيُؤْتُونَ الدُّبُرَ ﴾^(٣) ، قال عمر بن الخطاب : كنت لا أدري : أي الجمع يهزم ؛ فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ﴿ سَبِّحْهُمُ أَجْمَعُ وَيُؤْتُونَ الدُّبُرَ ﴾ .

مُتَابَعَةٌ

روى البخاري^(٤) في كتاب « الأدب المفرد » ، في برّ الوالدين عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : نزلت في أربع آيات من كتاب الله عز وجل : كانت أمي حلفت ألا تأكل ولا تشرب ، حتى أفارق^(٥) محمداً صلى الله عليه وسلم ؛ فأنزل الله تعالى : ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾^(٦) ، والثانية أني كنت أخذت سيفاً فأعجبني ، قلت : يا رسول الله هب لي هذا ؛

(١) هو أبو محمد الحسن بن محمود بن محمد البهقي القليبي الدانسي ، صاحب كتاب مصابيح الحديث ، ومسلم التنزيل في التفسير . توفي سنة ٥١٠ . (ابن خلكان ١ : ١٤٦) .

(٢) سورة البلد ١ ، ٢ .

(٣) سورة القمر ٤٥ .

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ، الإمام ، عالم الحديث وصاحب الجامع الصحيح ، توفي سنة ٢٥٦ . (ابن خلكان ١ : ٢٥٦ - ٢٥٧) .

(٥) في الأصول : « تفارق » ، ومأخذه عن كتاب الأدب المفرد .

(٦) سورة لقمان ١٥ .

فنزلت : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ﴾ ^(١) ، والثالثة أنى كنت مرضتُ ، فأتانى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قلت : يا رسول الله ، إني أريد أن أقسم مالى [أفأوصى] ^(٢) بالنصف؟ قال- لا ، قلت : الثالث ؟ فسكت ؛ فكان الثالثُ بعدُ جائزاً ^(٣) . والرابعة أنى شربتُ الخمرَ مع قوم من الأنصار ، فضربَ رجلٌ منهم أنفى [بلحى بجل] ^(٤) ؛ فأتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله [عز وجل] ^(٥) تحريمَ الخمر ^(٦) .



وأعلم أنه جرت عادة المفسرين أن يبدءوا بذكر سبب النزول ، ووقع البحث : أيما أولى البداهة به : بتقديم السبب على السبب ؛ أو بالمناسبة ، لأنها المصححة لنظم الكلام ؛ وهى سابقةٌ على النزول ؟

والتحقيق التفضيل ؛ بين أن يكون وجهُ المناسبة متوقفاً على سبب النزول كالآية السابقة فى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ ^(٧) ، فهذا ينبئ فى تقديم ذكر السبب ؛ لأنه حينئذٍ من باب تقديم الوسائل على المقاصد ؛ وإن لم يتوقف على ذلك فالأولى تقديم وجهِ المناسبة .

(١) سورة الأنفال ١ (٢) تكملة من الأدب للفرد .

(٣) فى الوصية نزل قوله تعالى فى سورة البقرة ١٨٠ : ﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ .

(٤) سورة اللائدة ٩٠ ، وانظر ص ٢٦ - (٥) سورة النساء ٥٨

النوع الثاني معرفة المناسبات بين الآيات

وقد أفرده بالتصنيف الأستاذ أبو جعفر بن الزبير^(١) ؛ شيخ الشيخ أبي حيان .
وتفسير الإمام غفر الدين فيه شيء كثير من ذلك^(٢) .

واعلم أن المناسبة علم شريف ، تحزّرُ به العقول ، ويُعرف به قدر القائل فيما يقول .
والمناسبة في اللغة : المقاربة ، وفلان يناسب فلانا ، أى يقرب منه ويشاكله ، ومنه التسبب
الذى هو القريب المتصل ، كالأخوين وابن العم^(٣) ونحوه ، وإن كانا متناهيين بمعنى رابط
بينهما ، وهو القرابة . ومنه المناسبة في الملة في باب^(٤) القياس : الوصفُ للمقارب للحكم ؛
لأنه إذا حصلتْ مقاربتُهُ له غلّ عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم ؛ ولهذا قيل :
المناسبة أمر معقول ؛ إذا عرض على العقول تلقته بالقبول . وكذلك للمناسبة في فوائج الآي
وخواتمها ؛ ومرجعها - والله أعلم - إلى معنى ما رابط بينهما : عام أو خاص ، عقلى أو
حمى أو خيالى ؛ وغير ذلك من أنواع العلاقات . أو التلازم الذهني ؛ كالسبب والسبب ،
والملة والمعلول ، والتظيرين ، والضدين ، ونحوه . أو التلازم الخارجى ؛ كالترتب على ترتيب
الوجود الواقع في باب الخبر .

(١) هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير ، الأندلسى النحوى المافظ : صاحب كتاب القيل على
الصلة . وذكر السيوطى الإفتان : (٢ : ١٠٨) أن اسم كتابه في مناسبات الآي هو " البرهان في
مناسبة ترتيب سور القرآن " ، توفي سنة ٨٠٧ . (وانظر ترجمته في الدرر الكامنة ١ : ٨٢ - ٨٦) .
(٢) وعين ألف في هذا الموضوع أيضاً الشيخ برهان الدين البقاعي في كتاب سماه : " نظم الدرر في
تناسب الآيات والصور " . ومنه نسخ خطية بدار الكتب المصرية .
(٣ - ٣) ساقط من م .

وقائده جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ،
ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم ، المتلائم الأجزاء .

وقد قلّ اعتناء المفسرين بهذا النوع لفقته ؛ وعن أكثر منه الإمام نضر الدين الرازي
وقال في تفسيره : أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط .

وقال بعض الأئمة : من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض ، لئلا يكون منقطعاً .
وهذا النوع يهمله بعض المفسرين ، أو كثير منهم ، وفوائده غزيرة . قال القاضي
أبو بكر بن العربي في : «مراجع اللريدين» : ارتباط آي القرآن بعضها ببعض^(١) حتى تكون
كالكلمة الواحدة ، متسقة المعاني ، منتظمة اللباني علم عظيم ، لم يتعرض له إلا عالم واحد
عمل فيه سورة البقرة ، ثم فتح الله عز وجل لنا فيه ؛ فلما^(٢) لم نجد له حكمة ، ورأينا الخلق
بأوصاف البطالة ختمنا عليه ، وجملناه بيننا وبين الله ورددناه إليه .

وقال الشيخ أبو الحسن الشهرستاني^(٣) : أول من أظهر بغداد علم للنسابة ولم تكن
سمناه من غيره هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري^(٤) ؛ وكان غزير العلم في الشريعة
والأدب ، وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية : لم جعلت هذه الآية إلى جنب
هذه ؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة ؟ وكان يُرَى على علماء
بغداد لعدم علمهم بالنسابة . انتهى .

(١ - ١) ساقط من ت ، م .

(٢) في الأصول : « أنا » وصوابه من كتاب الإتيان (٢ : ١٠٨) ، فيما نقل عن ابن العربي .

(٣) منسوب إلى شهرابان ؛ قرية شرق بغداد ينسب إليها كثير من العلماء .

(٤) هو أبو عبد الله بن محمد زيد النيسابوري النعماني المأظرحل في طلب العلم إلى العراق والشام

ومصر ، وقرأ على الزبيدي ، ثم سكن بغداد ، وصار إماماً مالطافياً بالعراق ، وتوفي سنة ٣٢٤ . (الباب

٣ : ٢٥٢ ، طبقات القراء ١ : ٤٤٩ ، شذرات الذهب ٢ : ٣٠٢) .

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام^(١) : للنسبة علم حسن ؛ ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره ، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر .

قال : ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا برباط ركيك بهان عنه حسن الحديث فضلا عن أحسنه ؛ فإن القرآن نزل في ثيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة ؛ وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضها ببعض ؛ إذ لا يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضها ببعض ؛ مع اختلاف الملل والأسباب ؛ كتصرف اللوك والحكام والفتن ، وتصرف الإنسان نفسه بأمور متوافقة ومتخالفة ومتضادة . وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات مع بعض ، مع اختلافها في نفسها واختلاف أوقاتها . انتهى .

قال بعض مشايخنا المحققين : قد وهم من قال : لا يطلب للآي الكريمة مناسبة ؛ لأنها على حسب الوقائع المتفرقة . وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا ، وعلى حسب الحكمة ترتيباً ؛ فالصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون ، مرتبة سورة كلها وآياته بالتوقيف . وحافظ القرآن العظيم^(٢) لو استغنى في أحكام متعددة ، أو ناظر فيها ، أو أملاها قد كراهية كل حكم على ما سئل ، وإذا رجع إلى التلاوة لم يتل كما أفتى ، ولا كما نزل مفرقا ؛ بل كما أنزل جملة إلى بيت العزة . ومن المعجز البين أسلوبه ، ونظمه الباهر ، فإنه ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ، ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾^(٣) . قال : والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها ، أو مستقلة ، ثم المسئلة ؛ ما وجه مناسبتها لما قبلها ؟ ففي ذلك علم حم ؛ وهكذا في السور يُطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سبقت له .

(١) هو الإمام عبد العزيز بن عبد السلام المعروف بالمر ، ولد سنة ٥٧٧ هـ وتوفي سنة ٦٦٠ هـ . (واظر

ترجمته في طبقات الشافعية ٥ : ٨٠ - ١٠٧) .

(٢) سورة مود (٣)

(٢) ت : هـ الجيد .

قلت : وهو مبني على أن ترتيب السور توقيفي ؛ وهذا الراجح كما سيأتي ، وإذا
اعتبرت اختراع كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها ؛ ثم هو يخفى
تارة ويظهر أخرى ؛ كافتتاح سورة الأنعام بالحمد ، فإنه مناسب لكتاب سورة المائدة من
فصل القضاء ؛ كما قال سبحانه : ﴿ وَفُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴾ ^(١) وكافتتاح سورة طه : ﴿ الْحَمْدُ ﴾ أيضاً ؛ فإنه مناسب لختم ما قبلها
من قوله : ﴿ وَجِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَمُونَ كَمَا قِيلَ بِأَشْيَاءِهِمْ مِنْ قَبْلُ ﴾ ^(٢) ؛
وكما قال تعالى : ﴿ قَطَّعَ دَاوُدَ الْقَوْمَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٣) . وكافتتاح
سورة الحديد بالتسبيح ، فإنه مناسب لختم سورة الواقعة ، من الأمر به ^(٤) . وكافتتاح
البقرة بقوله : ﴿ أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ ^(٥) إشارة إلى ﴿ الصِّرَاطِ ﴾ في قوله :
﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ^(٦) ؛ كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط المستقيم قيل لهم :
ذلك الصِّرَاطُ الذي سألتهم الهداية إليه هو الكتاب .

وهذا معنى حسن يظهر فيه ارتباط سورة البقرة بالقائمة ؛ وهو رد سؤال الزمخشري
في ذلك .

وتأمل ارتباط سورة ﴿ لِيلَافٍ قُرَيْشٍ ﴾ ^(٧) بسورة النبل ؛ حتى قال الأخفش :
اتصالها بها من باب قوله : ﴿ فَالْقَطْعَةُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَرَمًا ﴾ ^(٨) .

(٢) سورة سبأ ٥٤

(١) سورة الزمر ٧٥

(٣) سورة الأنعام ٤٥

(٤) إشارة إلى ختم سورة الواقعة بقوله تعالى : ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ . ولاتفتح سورة
الحديد بقوله سبحانه : ﴿ سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ .

(٦) سورة الواقعة ٦

(٥) سورة البقرة ١

(٨) سورة القصص ٨

(٧) سورة قريش ١

ومن لطائف سورة الكوثر أنها كالمقابلة للتي قبلها ؛ لأن السابعة قد وصف الله فيها المنافق بأمور أربعة : البخل ، وترك الصلاة ، والرياء فيها ، ومنع الزكاة ؛ فذكر هنا في مقابلة البخل : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ ^(١) أى الكثير . وفي مقابلة ترك الصلاة : « فَصَلِّ » أى دُم عليها ؛ وفي مقابلة الرياء : ﴿ لِرَبِّكَ ﴾ ، أى لرضاه لا للناس ، وفي مقابلة منَعَ الماعون : ﴿ وَانْحَرْ ﴾ ؛ وأراد به التصديق بلحم الأضاحي ؛ فاعتبر هذه المناسبة العجيبة .

وكذلك مناسبة فاتحة سورة الإسراء بالتبسيح ، وسورة الكهف بالتحميد ؛ لأن التبسيح حيث جاء مقدّم على التحميد ؛ يقال : سبحان الله ، والحمد لله .

وذكر الشيخ كال الدين الزمكاني ^(٢) في بعض دروسه مناسبة استفتاحها بذلك ما ملخصه : إن سورة بني إسرائيل أفتتحت بحديث الإسراء ؛ وهو من الخوارق العالّة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه رسول من عند الله ، وللشركون كذبوا ذلك وقالوا : كيف يسير في ليلة من مكة إلى بيت المقدس أو عادوا وتمنتوا وقالوا : صف لنا بيت المقدس ؛ فرُفع له حتى وصفه لهم . والسبب في الإسراء أولاً لبيت المقدس ، ليكون ذلك دليلاً على صحة قوله بصعود السموات ؛ فافتتحت بالتبسيح تصديقاً لنبيه فيما ادّعاه ؛ لأن تكذيبهم له تكذيب عناد ، فزعه نفسه قبل الإخبار بهذا الذي كذبوه . أما الكهف فإنه لما احتبس الوحي ، وأرجف الكفار بسبب ذلك ، أنزلها الله ردّاً عليهم ، وأنه لم يقطع نعمه عن نبيه صلى الله عليه وسلم ، بل أتمّ عليه بإنزال الكتاب ، فتناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة . وإذا ثبت هذا بالنسبة إلى الشور ، فاعلمت أن الآيات وتلق بعضها ببعض ؛ بل عند التأمل يظهر أن القرآن كله كالكلمة الواحدة .

(١) سورة الكوثر ١

(٢) هو كمال الدين محمد بن عبد الواحد الزمكاني الشافعي صاحب كتاب البرهان في إيجاز القرآن ، توفي سنة ٧٢٧ . (وانظر ترجمته في الدور الكامنة ٤ : - ٧٦ ، صفحات القبع ٣ : ٣٦٦) .

[أنوع ارتباط الآي بعضها ببعض :

عُدنا إلى ذكر ارتباط الآي بعضها ببعض . فنقول :

ذكر الآية بعد الأخرى ؛ إما أن يظهر الارتباط بينهما لتعلق الكلام بعضها ببعض وعدم تمامه بالأولى فواضح، وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على جهة التأكيد والتفسير ، أو الاعتراض والتشديد ؛ وهذا القسم لا كلام فيه .

وإما ألا يظهر الارتباط ؛ بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى ، وأنها خلاف النوع للبدو . به . فلما أن تكون معطوفة على ما قبلها بحرف من حروف العطف المشترك في الحكم ، أولا :

القسم الأول أن تكون معطوفة ؛ ولا بد أن تكون بينهما جهة جامعة على ما سبق تسميه ؛ كقوله تعالى : ﴿ يَسْمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يُخْرِجُ مِنْهَا ، وَمَا يَنْزِلُ مِنْ أَسْمَاءَ وَمَا يُخْرِجُ فِيهَا ﴾^(١) . وقوله : ﴿ وَاللَّهُ يَفْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾^(٢) . وفائدة العطف جعلهما كالنظيرين والشركيين .

وقد تكون العلاقة بينهما للمضادة ؛ وهذا كنسابة ذكر الرحمة بعد ذكر المذاب ، والرغبة بعد الرهبة . وعادة القرآن العظيم إذا ذكر أحكاما ذكر بعدها وعدا ووعيدا ؛ ليكون ذلك باعثا على العمل بما سبق ؛ ثم يذكر آيات التوحيد والقرية ؛ ليطمع عظم الأمر والنهي . وتأمل سورة البقرة والنساء والمائدة وغيرها تجده كذلك .

وقد تأتي الجملة معطوفة على ما قبلها ويشكل وجه الارتباط ؛ فحتاج إلى شرح ؛ ونذكر من ذلك صورا يلتحق بها ما هو في معناها :

فنها قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحُجَّ ، وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا . . . ﴾^(٣) الآية ؛ فقد يقال : أي رابط بين أحكام الأهلة وبين حكم إتيان البيوت ؟ والجواب من وجوه :

أحدها كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الحكمة في تمام الأهلّة وقصائنها: معلوم أن كلّ ما يفعلّه الله فيه حكمة ظاهرة ، ومصلحة لعباده ، فدعوا السؤال عنه ، وانظروا في واحدة ففعلونها أنتم ؛ بما ليس من البرّ في شيء وأنتم تحسبونها برّاً .

الثاني أنه من باب الاستطراد ؛ لما ذكر أنها مواقيت للحج ؛ وكان هذا من أفضلهم في الحج ؛ ففي الحديث أن ناساً من الأنصار كانوا إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطاً ولا داراً ولا فسطاطاً من باب ؛ فإن كان من أهل للدرّ تهبّ تهباً في ظهر بيته ؛ منه يدخل ويخرج ، أو يتخذ سناً يصعد به . وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء ؛ قيل لهم : ليس البرّ بتخرجكم من دخول الباب ؛ لكن البرّ برّ من اتقى ما حرّم الله ؛ وكان من حقه السؤال عن هذا وتركهم السؤال عن الأهلّة . ونظيره في الزيادة على الجواب قوله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن للتوضؤ بماء البحر فقال : « هو الطهور ماؤه ، الحلّ ميتته » (١) .

الثالث أنه من قبيل التمثيل لما هم عليه ؛ من تكيسهم في سؤالهم ؛ وأن مثلهم كنز من يترك باباً ويدخل من ظهر البيت ؛ قيل لهم : ليس البرّ ما أنتم عليه من تكيس الأسئلة ؛ ولكن البرّ من اتقى ذلك ، ثم قال الله سبحانه : ﴿ وَأَتُوا آلِيَّوْتَ مِنْ آبَائِهِمْ ﴾ ، أي باشروا الأمور من وجوها التي يجب أن تباشر عليها ، ولا تمكسوا . ولما أراد أن يصمم القلب على أن جميع أفعال الله حكمة منه ؛ وأنه ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ (٢) فإن في السؤال أسهما .

ومنها قوله سبحانه وتعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

(١) رواه ابن ماجه في كتاب الطهارة (١ : ١٣٦) بسنده عن أبي هريرة ؛ يقول : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إنا نركب البحر ، ونحمل مما القيل من الماء ، فإن توضأنا به عطشنا ؛ أفنتوضأ من ماء البحر ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » .

(٢) سورة الأنبياء ٢٣

إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى . . .)^(١) إِلَى أَنْ قَالَ : ﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾^(٢) ؛ فَإِنَّهُ قَدْ يُقَالُ : أَيْ رَابِطٌ بَيْنَ الْإِسْرَاءِ ، وَ﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ ؛ وَوَجْهُ اتِّصَالِهَا بِعَاقِبِهَا أَنَّ التَّنْذِيرَ : أَطْلَعْنَاهُ عَلَى التَّيْبِ عَيْنًا ، وَأَخْبَرْنَاهُ بِوَقَائِعِ مَنْ سَلَفَ بَيْنَنَا ، لِتَقْوَمَ أَخْبَارُهُ عَلَى مَعْجَزَتِهِ بِرَهَانَا ؛ أَيْ سُبْحَانَ الَّذِي أَطْلَعَكَ عَلَى بَعْضِ آيَاتِهِ لِقَصَصِهَا ذِكْرًا ، وَأَخْبَرَكَ بِمَا جَرَى لِمُوسَى وَقَوْمِهِ فِي الْكَرْتَيْنِ ؛ لِتَكُونَ قِصَّتُهُمَا آيَةً أُخْرَى . أَوْ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِمُحَمَّدٍ إِلَى رَبِّهِ كَأُسْرَى مُوسَى مِنْ مِصْرَ حِينَ خَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ثُمَّ ذَكَرَ بِلَدِهِ : ﴿ ذُرِّيَّةٌ مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾^(٣) لِيَتَذَكَّرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ قَدِيمًا ؛ حَيْثُ نَجَّاهُمْ مِنَ الْفِرْقِ ، إِذْ لَوْ لَمْ يَنْجِ آبَاؤُهُمْ مِنْ أَبْنَاءِ نُوحٍ لِمَ وَجَدُوا . وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ نُوحًا كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ، وَهُوَ ذُرِّيَّتُهُ ، وَالْوَلَدُ سَرَّ أَيْهِ ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونُوا شَاكِرِينَ كَابِتِهِمْ . لِأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَسِيرُوا سِيرَتَهُ فَيَشْكُرُوا .

وَتَأْمَلُ كَيْفَ أَتَى عَلَيْهِ ، وَكَيْفَ تَلَقَّى صِفَتَهُ بِالْفَاصِلَةِ ، وَتَمَّ النِّظْمُ بِهَا ، مَعَ خُرُوجِهَا مَخْرَجَ لِلرُّورِ عَنِ الْكَلَامِ الْأَوَّلِ إِلَى ذِكْرِهِ وَمَدَحِهِ بِشُكْرِهِ ، وَأَنْ يَتَقَدَّرُوا تَعْظِيمَ تَخْلِيصِهِ إِيَّاهُمْ مِنَ الطُّوفَانِ بِمَا حَمَلَهُمْ عَلَيْهِ ، وَبِجَاهِ مَنْهُ ، حِينَ أَهْلَكَ مَنْ عَذَابِهِمْ . وَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنَّهُ إِنَّمَا يُؤَاخِذُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَفَسَادِهِمْ فِيمَا سَلَطَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَتْلِهِمْ . ثُمَّ عَادَ عَلَيْهِمُ بِالْإِحْسَانِ وَالْإِفْضَالِ لِي يَتَذَكَّرُوا وَيَعْرِفُوا قَدْرَ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَعَلَى نُوحٍ الَّذِي وَلَّاهُمْ وَهُمْ ذُرِّيَّتَهُ ، فَلَمَّا صَارُوا إِلَى جِهَاتِهِمْ وَتَمَرَّدُوا عَادَ عَلَيْهِمُ التَّمْذِيبُ .

ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى فِي ثَلَاثِ آيَاتٍ بَدَ ذَلِكَ مَعْنَى هَذِهِ الْقِصَّةِ ، بِكَلِمَاتٍ قَلِيلَةٍ الْعَدَدِ ، كَثِيرَةِ الْفَوَائِدِ ، لَا يُمْكِنُ شَرْحُهَا إِلَّا بِالتَّفْصِيلِ الْكَثِيرِ وَالْكَلَامِ الطَّوِيلِ ، مَعَ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنَ التَّنْذِيرِ الْعَجِيبِ ، وَاللَّوْعِظَةِ الْمُغْلِيَةِ بِقَوْلِهِ : ﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أُحْسَنْتُمْ لَئِنْ أَسَأْتُمْ

قَلَمًا^(١) ، ولم ينقطع بذلك نظام الكلام ، إلى أن خرج إلى قوله : ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَزِيلَ حُكْمَكُمْ وَهَٰذَا عُدَّتُمْ عِدَّتَنَا﴾^(٢) ، يعنى إن عدتم إلى الطاعة عدنا إلى العفو . ثم خرج خروجا آخر ، إلى حكمة القرآن ؛ لأنه الآية الكبرى . وعلى هذا فقس الانتقال من مقام إلى مقام ؛ حتى ينقطع الكلام .

وبهذا يظهر لك اشتغال القرآن العظيم على النوع السرى بالتخلص^(٣) . وقد أنكره أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالشافعى^(٤) وقال : ليس فى القرآن الكريم منه شىء ، لما فيه من التكلف ، وليس كما قال .

ومن أحسن أمثله قوله تعالى : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ...﴾^(٥) الآية ، فإن فيها خمس تخلصات : وذلك أنه جاء بصفة النور وتمثيله ، ثم تخلص منه إلى ذكر الزجاجة وصفاتها ، ثم رجع إلى ذكر النور والزيت يستفيد منه ، ثم تخلص منه إلى ذكر الشجرة ، ثم تخلص من ذكرها إلى صفة الزيت ، ثم تخلص من صفة الزيت إلى صفة النور وتضاعفه ، ثم تخلص منه إلى نعم الله بالهدى على من يشاء .

ومنه قوله تعالى : ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِمَذَاقٍ وَاقِعٍ ...﴾^(٦) الآية ؛ فإنه سبحانه ذكر أولا عذاب الكفار وأن لا دافع له من الله ؛ ثم تخلص إلى قوله : ﴿تَمْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾^(٧) بوصف ﴿الله ذى الْمَمَارِجِ﴾^(٨) ومنه قوله تعالى : ﴿وَأَنْتَ لَ عَلَيْهِمْ نَبَأٌ إِبْرَاهِيمَ . إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾^(٩) ،

(١) سورة الإسراء ٧

(١) سورة الإسراء ٧

(٢) ذكره ابن الأثير فى الباب (٣ : ١٦٦) ، وقال : كان من فضلاء عصره ، وشعره مشهور ؛ وهو من شعراء نظام الملك .

(٣) انظر الكلام عليه فى كتاب اللؤلؤ السائر لابن الأثير ٢ : ٢٦٦ وما بعدها .

(٤) سورة المارج ١

(٤) سورة النور ٣٥

(٥) سورة الشعراء ٦٩ ، ٧٠

(٦) سورة الطارق ٤

إلى قوله : ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(١) ، فهذا تخلص من قصة إبراهيم وقومه إلى قوله هكذا ؛ وتمنى الكفار في البار الآخرة الرجوع إلى الدنيا ليؤمنوا بالرسول ؛ وهنا تخلص عجيب .

وقوله : ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ . أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ . قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ . قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ . فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْمَالِكِينَ . الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ ^(٢) . وذلك أنه لما أراد الاتصال من أحوال أصنامهم إلى ذكر صفات الله قال : إن أولئك لي أعداء إلا الله ، فانتقل بطريق الاستثناء للتفصل .

وقوله تعالى : ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ أُمَّرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ . وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّمَهُمُ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ . أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْغَبَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُحْشَوْنَ وَمَا تُنْصَوْنَ . اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ^(٣) . وقوله تعالى في سورة الصافات ^(٤) : ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ تُزَلُّوا عَنْ شَجَرَةِ الزَّكْوَمِ ﴾ ؛ وهذا من بديع التخلُّص ؛ فإنه سبحانه تخلص من وصف الخالصين وما أعد لهم ، إلى وصف الظالمين وما أعد لهم .

ومنه أنه تعالى في سورة الأعراف ذكر الأم الخالية والأنبياء للراضين من آدم عليه السلام إلى أن انتهى إلى قصة موسى عليه السلام ، فقال في آخرها : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا رِيقَاتًا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾ ^(٥) إلى ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَدْعُوهُمْ مَكْتُوبًا عِنْدَ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ ، وهو من بديع التخلُّص .

(١) سورة الشعراء ٧٢ - ٧٨

(١) سورة الشعراء ١٠٢

(٣) سورة النمل ٢٣ - ٢٦

(٤) آية ٦٢

(٥) سورة الأعراف ١٥٥

واعلم أنه حيث قصد التخلص فلا بدّ من التوطئة له ؛ ومن بديهه قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ ^(١) يشير إلى قصة يوسف عليه السلام . فوطأ بهذه الجملة إلى ذكر القصة ؛ يشير إليها بهذه النكتة من باب الوحى والرمز . وكقوله سبحانه موطناً للتخلص إلى ذكر مبتدأ خلق المسيح عليه السلام : ﴿ إِنَّ اللَّهَ آمَطٌ أَدَمَ وَنُوحًا ... ﴾ ^(٢) الآية .

ومنها قوله تعالى : ﴿ وَفِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَسَمِعْتُمْ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ ^(٣) ؛ فإنه قد يقال : ما وجه اتصاله بما قبله ، وهو قوله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَتَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَنَّهٗ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ﴾ ^(٤) الآية ؟ قال الشيخ أبو محمد الجويني في تفسيره : سمعت أبا الحسين الدهان يقول : وجه اتصالها هو أن ذكر تخريب بيت المقدس قد سبق ، أى فلا يجر منكم ذلك واستقبلوها ، فإن لله المشرق والمغرب .

ومنها قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ . . . ﴾ ^(٥) الآية ؛ فإنه يقال : ما وجه الجمع بين الإبل والسماء والجبال والأرض في هذه الآية ؟ والجواب أنه جمع بينها على مجرى الإلف والمادة بالنسبة إلى أهل البر ؛ فإن كل انتفاعهم في معاشهم من الإبل ، فتكون عنايتهم مصروفة إليها ؛ ولا يحصل إلا بأن ترعى وتشرب ؛ وذلك بنزول اللطر ؛ وهو سبب قلب وجوههم في السماء ؛ ثم لا بدّ لهم من مأوى يؤويهم ، وحسن يتحصنون [به] ؛ ولا شيء في ذلك كالجبال ؛ ثم لا غنى لهم - لتعذر طول مكثهم في منزل - عن التنقل من أرض إلى سواها ؛ فإذا نظرى البدوى في خياله وجد صورة هذه الأشياء حاضرة ^(٦) فيه على الترتيب المذكور .

(١) سورة يوسف ٣

(٢) سورة آل عمران ٢٣

(٣) سورة البقرة ١١٥

(٤) سورة البقرة ١١٤

(٥) سورة النازية ١٧ ، ١٨

(٦) في الأصول : « خامس » تحريف .

ومنها قوله تعالى : ﴿ أَفَنَزَّلُ الْفُلَّ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا فِيهِ شُرَكَاءَ ﴾^(١) ، فيقال : أى ارتباط بينهما ؟ وجوابه أن اللفظ هو (مَنْ) خبره محذوف ، أى أفن هو قائم على كل نفس تترك عبادته ؟ أو معادل الميزة تديره : أفن هو قائم على كل نفس كمن ليس بقائم ؟ ووجه العطف على التقديرين واضح . أما الأول فاللعن : أنت ترك عبادة من هو قائم على كل نفس ، ولم يكفِ الترك حتى جعلوا له شركاء ! وأما على الثانى فاللعن : إذا انتفت للساواة بينهما فكيف تجعلون لعنير للساوى حكم المساوى !

ومنها قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ . . . ﴾ إلى قوله : ﴿ وَآلَهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ ﴾^(٢) عطف قصة على قصة ؛ مع أن شرط العطف المشاكلة ، فلا يحسن في نظير الآية : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ ﴾ ﴿ أَوْ كَالَّذِي ﴾ . ووجه ما بينهما من المشابهة أن ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ بمنزلة هل رأيت كالذى حاج إبراهيم ؟ وإنما كانت بمنزلة لأن ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي ولذلك يجاب ببلى ، والاستفهام يعطى النفي ، إذ حقيقة المستفهم عنه غير ثابتة عند المستفهم ؛ ومن ثم جاء حرف الاستفهام مكان حرف النفي ، ونفى النفي بإيجاب ، فصار بمثابة « رأيت » غير أنه مقصوده الاستفهام ، ولم يمكن أن يؤتى بحرفه لوجوده في اللفظ ؛ فلذلك أعطى معنى : هل رأيت .

فإن قلت : من أين جاءت « إلى » ورأيت يشعدي بنفسه ؟ أجيب لتضمنه معنى « تنظر » .

القسم الثانى ألا تكون معطوفة ، فلا بد من دعامة تؤخذ باتصال الكلام ، وهى قرائن معنوية مؤذنة بالربط ؛ والأول مزج لفظى ؛ وهذا مزج معنوى ، تنزل الثانية من الأولى منزلة جزئها الثانى ، وله أسباب .

أحدهما التنظير ؛ فإن إلحاق النظير بالنظير من دأب السلاة ؛ ومن أمثله قوله تعالى :
 ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ﴾ ^(١) عقب قوله : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ
 دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ ^(٢) فإن الله سبحانه أمر رسوله أن يعفى لأمره
 في الفتناء على كره من أصحابه كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب الميرون كارهون ؛
 وذلك أنهم اختلفوا في القتال يوم بدر في الأضال ، وحاجوا النبي صلى الله عليه وسلم
 وجادلوه ؛ فكره كثير منهم ما كان من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في النفل ،
 فأنزل الله هذه الآية ، وأخذ أمره بها ، وأمرهم أن يتقوا الله ويطيعوه ، ولا يمتروا عليه فيما
 يفعله من شيء ما ، بعد أن كانوا مؤمنين . ووصف المؤمنين ؛ ثم قال : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ
 مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴾ ، يريد أن كراهتهم لما فعلته
 من الفتناء ككراهتهم للخروج مملك .

وقيل : معناه أولئك هم المؤمنون حقا ؛ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ؛ كقوله
 تعالى : ﴿ قَرِيبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ ^(٣) .

وقيل : الكاف صفة لفعل مضمر ؛ وتأويله : افعل في الأضال كما فعلت في الخروج ؛
 إلى بدر ، وإن كره القوم ذلك ؛ ونظيره قوله تعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا
 مِنْكُمْ ﴾ ^(٤) معناه : كما أنعمنا عليكم بإرسال رسول من أنفسكم فكذلك أتم نعمتي
 عليكم ؛ فشيء كراهتهم ما جرى من أمر الأضال وقسمتها بالكراهة في مخرجه من بيته .
 وكل ما لا يبيح الكلام إلا به ؛ من صفة وصلة فهو من نفس الكلام .

وأما قوله تعالى : ﴿ كَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى الْمُقْسِمِينَ ﴾ ^(٥) بعد قوله : ﴿ وَقُلْ إِنِّي أَنَا

(٢) سورة الأضال :

(٤) سورة البقرة ١٥١

(١) سورة الأضال ٥

(٣) سورة القاربات ٢٣

(٥) سورة الحجر ٩٠

النذيرُ الْمُتَيْنُّ) ^(١) فإن فيه محذوفاً ؛ كأنه قال : قل أنا النذير للبين ، عقوبة أو عذاباً ،
بمثل ما أنزلنا على القسطين .

وأما قوله تعالى : ﴿ لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَمَاجِلَ بِهِ ﴾ ^(٢) وقد اكتنفته من جانبيه
قوله : ﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ . وَلَوْ أَلْقَىٰ مَآذِرُهُ ﴾ ^(٣) . وقوله : ﴿ كَلَّا بَلْ
يُحِبُّونَ الْمَآجِلَ . وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴾ ^(٤) ؛ فهذا من باب قولك للرجل ، وأنت تحذره
بحديث فينتقل عنك ويقبل على شيء آخر : أقبل على واسمع ما أقول ، وافهم عني ، ومحو
هذا الكلام ؛ ثم نصّل حديثك ؛ فلا يكون بذلك خارجاً عن الكلام الأول ؛ فأطاعه ؛
وإنما يكون به مشوقاً للكلام . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمياً لا يقرأ ولا يكتب ؛
وكان إذا نزل عليه الوحي وسمع القرآن حرك لسانه بذكر الله ، فقيل له : تدبر ما يوحي
إليك ، ولا تتلفه بلسانك ؛ فإما نجمه لك ومحفظه عليك .

ونظيره قوله في سورة اللّٰه : ﴿ الْيَوْمَ يَنصُرُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ ﴾ ^(٥) إلى
قوله : ﴿ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ ^(٦) ، فإن الكلام بعد ذلك متصل بقوله أولاً : ﴿ ذَلِكُمْ
فِسْقٌ ﴾ ^(٧) ، ووسط هذه الجملة بين الكلامين ترغيباً في قبول هذه الأحكام ، والعمل
بها ، والحث على مخالفة الكفار وموت كلهم وإكمال الدين . وبدل على اتصال ﴿ فَمَن
أَضْطَرَّ ﴾ ^(٨) بقوله : ﴿ ذَلِكُمْ فِسْقٌ ﴾ آية الأنعام ﴿ قُلْ لَا أُجِدُ فِيهَا أَوْحِيَ إِلَىٰ مُحَرَّمًا
عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعُمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ خَلْمٌ خِزْيِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ
أَوْ فِسْقًا أَلِ لَنَصْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَن اضْطُرَّ ﴾ ^(٩) .

(٢) سورة البقرة ١٦

(٣) سورة البقرة ٢٠ ، ٢١

(٤) سورة الأنعام ١٤٥

(١) سورة الحجر ٨٩

(٢) سورة البقرة ١٤٥ ، ١٥٠

(٣) سورة البقرة ٢٠ ، ٢١

الثاني للمضادة ؛ ومن أمثله قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(١) الآية ، فإنه أول السورة كان حديثاً عن القرآن الكريم ، وأن من شأنه كَيْتَ وَكَيْتَ ، وأنه لا يهتدي القوم الذين من صفاتهم كَيْتَ وَكَيْتَ . فرجع إلى الحديث عن المؤمنين ، فلما أَكْثَلَهُ عَقَّبَ بما هو حديث عن الكفا ؛ فبينهما جامع ومهى بالتضاد من هذا الوجه ، وحكمته انتشويق والثبوت على الأول ، كما قيل :

* وَبُضْدُهَا تَقْيِينُ الْأَشْيَاءِ *

فإن قيل : هذا جامع بعيد ، لأن كونه حديثاً عن المؤمنين ، بالعرض لا بالذات ، والمقصود بالذات الذي هو مساق الكلام ، إنما هو الحديث عن الكتاب لأنه مفتتح القول . قلنا : لا يشترط في الجامع ذلك ، بل يكفي التعلق على أى وجه كان ، ويكفي فيوجه الربط ما ذكرنا لأن القصد تأكيده أمر القرآن والعمل به ، والحث على الإيمان به ، ولهذا لما فرغ من ذلك قال : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا ﴾ ^(٢) الآية . فرجع إلى الأول .

الثالث : الاستطراد ؛ كقوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ النُّفُوسِ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ ^(٣) . قال الزمخشري : هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد ، عقيب ذكر بدو السموات وخصف الورق عليها ؛ لإظهار اللذة فيما خلق الله من القباس ، ولباس في العري وكشف العودة من المهانة والفضيحة ، وإشماراً بأن السر بلب عظيم من أبواب النفوس .

وجعل القاضي أبو بكر في كتاب « إيجاز القرآن » من الاستطراد قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ

(٢) سورة البقرة ٢٣

(١) سورة البقرة ٦

(٢) سورة الأعراف ٢٦ .

يُرَوِّا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ بَشِيئًا ظِلَالُهُ عَنِ الْبَيْنِ وَالشَّمَائِلِ سَجْدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ.
وَقَدْ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ^(١)
وقال : « كَانَ الْمُرَادُ أَنْ يَجْرَى بِالْقَوْلِ الْأَوَّلِ إِلَى الْإِخْبَارِ عَنْ أَنْ كُلَّ شَيْءٍ يَسْجُدُ لِلَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ ، وَإِنْ كَانَ ابْتِدَاءُ الْكَلَامِ فِي أَمْرٍ خَاصٍّ »^(٢) . انتهى ، وفيه نظر .

ومنه الانتقال من حديث إلى آخر تنشيطا للسامع كقوله تعالى في سورة ص بعد ذكر
الأنبياء : ﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴾^(٣) فإن هذا القرآن نوع من الذِّكْرِ ،
لما انتهى ذكر الأنبياء ، وهو نوع من التنزيل ، أراد أن يذكر نوعا آخر ، وهو ذكر
الجنة وأهلها ، قال : ﴿ هَذَا ذِكْرٌ ﴾ ؛ فأكد تلك الإخبارات باسم الإشارة ، يقول : أشير
عليك بكذا ؛ ثم يقول بعده : هذا الذي عندي والأمر إليك . وقال : ﴿ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ
مَآبٍ ﴾ كما يقول المصنف : هذا باب يشرع في باب آخر . وللتكثير لما فرغ من ذكر أهل الجنة
قال : ﴿ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاعِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴾^(٤) .

فصل

[في اتصال اللفظ والمعنى على خلاف]

وقد يكون اللفظ متصلا بالآخر والمعنى على خلافه ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ
فَضْلٌ مِنْ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ ﴾^(٥) ؛ فقوله : ﴿ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ ﴾ منظوم بقوله : ﴿ قَالَ قَدْ أَنْفَمَ اللَّهُ عَلَيَّ ﴾^(٦) ؛ لأنه موضع الشكامة .
وقوله : ﴿ كَأَنَّمَا يَسْقُونَ إِلَى الْوَتِّ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾^(٧) ؛ فإنه متصل بقوله : ﴿ وَإِنَّ

(٢) ص ١٥٩ (طبعة المعارف)

(٤) سورة ص ٥٥

(٦) سورة النساء ٧٢

(١) سورة النحل ٤٨ ، ٤٩

(٣) سورة ص ٤٩

(٥) سورة النساء ٧٣

(٧) سورة الأقال ٦

فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ. يُحَادِّثُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ^(١).
وقوله : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ﴾^(٢) جواب الشرط قوله تعالى :
﴿ تَوَلَّوْا وَأَعْيَيْنُهُمْ فَبِغْضٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾^(٣)، وقوله : ﴿ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أُحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾^(٤)
داخل في الشرط .

وقوله : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ﴾^(٥) إلى قوله : ﴿ إِلَّا
قَلِيلًا ﴾^(٦)، قوله : ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ متصل بقوله : ﴿ لَعَلَّهُ الَّذِينَ يَسْتَبْطِنُونَهُ مِنْهُمْ ﴾^(٧) ومثَّل
بقوله : ﴿ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾^(٨)، على تأويل : ولولا فضل الله عليكم ورحمته
إلا قليلا من لم يدخله في رحمته ، واتبعوا الشيطان ، لا تبعم الشيطان .

ومما يحتمل الاتصال والاقطاع قوله تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ
فِيهَا أَسْمُهُ ﴾^(٩) ؛ يحتمل أن يكون متصلا بقوله : ﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾^(١٠) ، أي المصباح في بيوت ،
ويكون تاملا على قوله : ﴿ وَيُذْكَرُ فِيهَا أَسْمُهُ ﴾^(١١) ، و﴿ يسبح له فيها رجال ﴾ صفة للبيوت ،
ويحتمل أن يكون منقطعا خبرا لقوله : و ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ ﴾^(١٢) .

ومما يتعين أن يكون منقطعا قوله : ﴿ وَلَا أَصْفَرَمِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مُّبِينٍ ﴾^(١٣) مستأنف ، لأنه لو جُمِلَ متصلا « بيعزب » لاختل اللفي ، إذ يصير على حد
قولك : ما يعزب عن ذهني إلا في كتاب ، أي استلذاكه .

وقوله : ﴿ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾^(١٤) ، منهم من قضى باستثنائه على أنه مبتدأ وخبر ، ومنهم
من قضى بجمل ﴿ فيه ﴾ خير ﴿ لا ﴾ ، و ﴿ هدى ﴾ نصب على الحال في تقدير « هاديا » .

(٢) سورة التوبة ٦٢

(٤) سورة التور ٣٦

(٦) سورة التور ٣٧

(٨) سورة البقرة ٢

(١) سورة الأقال ٥ ، ٦

(٣) سورة النساء ٨٣

(٥) سورة التور ٣٥

(٧) سورة يونس ٦١

ولا يخفى انقطاع ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾^(١) عن قوله : ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَابُ
النَّارِ﴾^(٢)

وكذا ﴿فَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ﴾^(٣) عن قوله سبحانه : ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يَسْرُونَ وَمَا
يُمْلِنُونَ﴾^(٤).

وكذلك قوله : ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ التَّائِبِينَ﴾^(٥) عن قوله : ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى
بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِنفسٍ نفساً﴾^(٦).

(٢) سورة غافر ٦
(٤) سورة المائدة ٣١

(١) سورة غافر ٧
(٣) سورة يس ٧٦
(٥) سورة المائدة ٣٢

السَّعْيُ الثَّالِثُ . مَعْرِفَةُ الْفَوَاصِلِ وَرُؤُوسِ الْآيِ

وهي كلمة آخر الآية ، كقافية الشعر وقربة السجع .

وقال الداني^(١) : كلمة آخر الجملة

قال الجسري^(٢) : وهو خلاف للمصطلح ، ولا دليل له في تمثيل سبويه^(٣) : ﴿يَوْمَ يَأْتُ﴾^(٤) ، و﴿مَا كُنَّا نَبْخِرُ﴾^(٥) ، وليس رأس آيٍ ؛ لأن مرادها الفواصل القنوية لا الصناعية ؛ ويلزم أبا عمرو^(٦) إمالة ﴿مَنْ أَعْطَى﴾^(٧) لأبي عمرو .

وقال القاضي أبو بكر : الفواصل حروف متشاكلة في التقاطع ، يقع بها إتمام للماني . انتهى .

وفرق الإمام أبو عمرو الداني بين الفواصل ورؤوس الآي ، قل : أما الفاصلة فهي الكلام المنفصل عما بعده . والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس ، وكذلك

(٢) هو الإمام عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني ؛ أحد الأئمة في القرآن الكريم وروايته ، وصاحب كتاب التيسير في مذاهب القراءة السبعة ، وللقنع في الرسم ، والاكتفاء في الوقف والابتداء ؛ وغيرها من الكتب التي تتعلق بالقراءة والقرآن . توفي سنة ٤٤٤ . (وانظر ترجمته ومراجعتها في إنباء الرواة : ٣٤١ - ٣٤٢ .

(٢) هو العلامة إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الجبيري ؛ اللقب يرهان الدين ؛ صاحب شرح الشاطبية المسمى كثر الماني ، وكتاب عقود الجمان ، وروضة الطرائف في رسم للمصاحف ، وغيرها . توفي سنة ٧٣٢ . (الدرر الكامنة : ١ : ٥٠)

(٤) سورة هود ١٠٥

(٣) الكتاب ٢ : ٢٨٩

(٥) سورة الكهف ٦٤

(٦) يريد أبا عمرو الداني للذكور . (٧) سورة الأبل ٧ . ويريد أبا عمرو بن العلاء صاحب القراءة

النسوية إليه .

القواصل يمكن رموس أي وغيرها . وكل رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية ؛ فالفاصلة تم النوعين ، وتجمع الضربين ؛ ولأجل كون معنى الفاصلة هذا ذكر سيديويه في تمثيل القوافي ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ و﴿مَا كُنَّا نَبْخِرُ﴾ - وما غير رأس آيتين بإجماع - مع ﴿إِذَا﴾ ﴿يَسِرُ﴾^(١) ؛ وهو رأس آية باتفاق . انتهى .

وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها؛ وهي الطريقة التي يبين القرآن بها سائر الكلام . ونسب فواصل؛ لأنه ينصل عندها الكلامان؛ وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها ، ولم يسموها أسجعا .

فأما مناسبة فواصل، فقلوه تعالى: ﴿كِتَابٌ فَصَّلْتُ آيَاتُهُ﴾^(٢) وأما تجنب أسجاع، فلا أن أصله من سجع الطير، فشرف القرآن الكريم أن يستمر لشيء فيه لفظ هو أصل^(٣) في صوت الطائر ، ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في اسم السجع الواقع في كلام آحاد الناس ، ولأن القرآن من صفات الله عز وجل فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الإذن بها وإن صح للمنى ؛ ثم فرقوا بينهما فقالوا : السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يحيل المعنى عليه، والفواصل التي تنبع للمانى ، ولا تكون مقصودة في نفسها .

قال الرماني في كتاب «إعجاز القرآن» ،^(٤) وبني عليه أن الفواصل بلاغة والسجع عيب ، وتبعه القاضي أبو بكر الباقلاني في كتاب «إعجاز القرآن»^(٥) ، ونقل عن الأشعرية امتناع كون في القرآن سجعا . قال :^(٥) « ونص عليه الشيخ أبو الحسن الأشعري^(٦) في غير موضع من كتبه » .

(١) سورة الفجر ٤

(٢) سورة فصلت ٣ .

(٤ - ٤) ساقط من م .

(٥) س ٨٦ وما بعدها (٦) الإعجاز : وذكره الشيخ أبو الحسن .

(٣) ت : « صوت »

قال : وذهب كثير من مخالفهم إلى إثبات السجع في القرآن ، وزعموا أن ذلك مما تبين فيه فضل الكلام ، وأنه من الأجناس التي يقع بها التضال في البيان والتفصيح ، كالجناس ، والالتفات ونحوها^(١) . قال : « وأقوى^(٢) ما استدلوا به الاتفاق^(٣) على أن موسى أفضل من هارون عليهما السلام ، ولما كان^(٤) السجع قيل في موضع : ﴿ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾^(٥) ولما كانت الفواصل في موضع آخر بالواو والنون قيل : ﴿ موسى وهارون ﴾^(٦) .

قالوا : وهذا يفارق أمر الشعر لأنه لا يجوز أن يقع في الخطاب إلا مقصوداً إليه ، وإذا وقع غير مقصود إليه كان دون القدر الذي نسميه شعراً ، وذلك القدر يتفق وجوده من المقحم^(٧) كما يتفق وجوده في الشعر . وأما ما جاء في القرآن من السجع فهو كثير لا يصح أن يتفق كله غير مقصود إليه .

قال : « وبنوا^(٨) الأمر في ذلك على تحديد معنى السجع ؛ قال أهل اللغة : هو موالاته الكلام على وزن^(٩) واحد . قال ابن دريد : « سجت الجملة : ردّت صوتها »^(١٠) .

قال القاضي : وهذا [الذي يزعمونه]^(١١) غير صحيح ؛ ولو كان القرآن سجماً لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ؛ ولو كان داخلياً فيها لم يقع بذلك إيجاز ، ولو جاز أن يقال^(١٢) : هو سجع معجز ، لجاز لهم أن يقولوا : شعر معجز . وكيف ! والسجع مما كانت

(١) الإيجاز : « وما أشبه ذلك من الوجوه التي تعرف بها التفصيح » .

(٢) (٢ - ٢) الإيجاز : « وأقوى ما يستدلون به عليه اتفاق الكل » .

(٣) في الإيجاز : « ولمكان » (٤) سورة طه ٧٠

(٥) سورة الشعراء ٨٠

(٦) كذا في إيجاز القرآن ، وفي الأصول : « البسم » .

(٧) الإيجاز : « ويثبتون الأمر » . (٨) م : « على روى » .

(٩) جملة الآية ٢ : ٩٣ - (١٠) تكملة من إيجاز القرآن

(١١) الإيجاز : « أن يقولوا »

كُنَّ العرب تألفه ؛ ونجيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نقي الشعر ؛ لأن الكهانة تخالف النبوات ؛ بخلاف الشعر ^(١) .

وما توهموا ^(٢) أنه سجع باطل ؛ لأن مجيئه على صورته لا يقتضى كونه هو ^(٣) ؛ لأن السجع [من الكلام] ^(٤) يتبع المعنى فيه اللفظ الذى يؤدى السجع ؛ وليس كذلك ما انتفى مما هو فى معنى ^(٥) السجع من القرآن ؛ لأن اللفظ وقع فيه تاباً للمعنى . وفرق ^(٦) بين أن ينظم الكلام فى نفسه بألفاظه التى تؤدى المعنى المقصود فيه ، وبين أن يكون للمعنى منتظماً دون اللفظ ؛ ومتى ارتبط المعنى بالسجع كان إفادة السجع كإفادة غيره . ومتى انتظم ^(٧) المعنى نفسه دون السجع كان مستجلباً لتحسين الكلام دون تصحيح المعنى . قال : و [أما] ^(٨) ما ذكروه فى تقديم موسى على هارون فى موضع وتأخير هـ عنه فى موضع لأجل ^(٩) السجع ، ولتساوى مقاطع الكلام فردود ^(١٠) ، بل الفائدة فيه إعادة قصة الوحدة بألفاظ مختلفة تؤدى معنى واحداً ^(١١) ، وذلك من الأمر الصعب الذى تظهر فيه الفصاحة ، وتوى البلاغة ، ولهذا أعيدت كثير من القصص [فى مواضع كثيرة مختلفة] ^(١٢) على ترتيبات متفاوتة ؛ تنبيهاً ^(١٣) بذلك على مجزئهم عن الإتيان بمثله ، مبتدأ به ومكرراً .

(١) الإعجاز : « وليس كذلك الشعر » .

(٢ - ٣) الإعجاز : « والذى يقدرونه أنه سجع فهو وهم ؛ لأنه قد يكون الكلام على مقال السجع وإن لم يكن سجعاً ، لأن ما يكون به الكلام سجعاً يضمن بعض الوجوه دون بعض » .

(٤) من إعجاز القرآن . (٥) الإعجاز : « فى تقدير السجع » .

(٦) كذا فى الإعجاز وفى الأصول : « ارتبط » . (٧) الإعجاز : « فصل » .

(٨) تكملة من كتاب إعجاز : القرآن .

(٩) الإعجاز : « لمكان » .

(١٠) الإعجاز : « فليس يصحح » .

(١١) ت : « إلى معنى واحد » . (١٢) الإعجاز : « ونهوا بذلك » .

ولو أمكنهم^(١) للمارضة فقصدا تلك القصة وعبروا عنها بالقاف لم تؤدي إلى تلك المعاني ونحوها [وجعلوها إيزاء ماجاء به ، وتوصلوا بذلك إلى تكذيبه وإلى مساواته فيما حكي وجاء به . وكيف وقد قال لم : ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾^(٢)] فلي هذا يكون للتصديق بتقديم بعض الكلمات على بعض وتأخيرها - إظهار الإعجاز [على الطريقتين جميعا]^(٣) دون السجع [الذي توهموه]^(٤) .

إلى أن قال : « فإن [بما قلنا]^(٥) أن الحروف الواقعة^(٦) في القوافل مناسبة موقع الظواهر التي تقع في الأسجاع ، لا يخرجها عن حدها ، ولا يدخلها في باب السجع . وقد بينا أنهم يذمون كل سجع خرج عن اعتدال الأجزاء ؛ فكان بعض معياريه كلمتين ، وبعضها يبلغ^(٧) كلمات ، ولا يرون ذلك فصاحة ، بل يرونه عجزاً ،^(٨) فلو فهموا اشتغال القرآن على السجع^(٩) لقالوا : نحن نمارضه بسجع معتدل ، فزيد في الفصاحة على طريق القرآن ، [وتجاوز حده في البراعة والحسن]^(١٠) . انتهى ما ذكره القاضي والرماني .

رد عليهما المتفاجي^(١١) في « كتاب سر الفصاحة » قال : «^(١٢) وأما قول الرماني إن السجع عيب ، والقوافل [على الإطلاق]^(١٣) بلاغة فغلط ، فإنه إن أراد بالسجع ما يتبع للمعنى ، وكأنه غير مقصود فذلك بلاغة ، والقوافل مثله . وإن أراد^(١٤) به ما مع المعاني تابعة له ، وهو مقصود متكلف ، فذلك عيب ، والقوافل مثله » .

(١) الإعجاز : « ولو كان فيهم » .

(٢) ما بين الملامتين تسكعة من كتاب إعجاز القرآن .

(٣) سورة الطور ٣٤ . (٤) الإعجاز : « في الوقت » .

(٥) الإعجاز : يبلغ أربع كلمات » .

(٦ - ٦) الإعجاز : « فلو رأوا أن ما مثل عليهم من القرآن سجا » .

(٧) من إعجاز القرآن .

(٨) هو الأمير عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان المتفاجي الأديب الشاعر . توفي سنة ١٤٦٦ .

(٩) وانظر ترجمته في نوات الوفيات ١ : ٤٨٩ ، والنجوم الزاهرة ٥ : ٩٦ .

(١٠) سر الفصاحة ١٦٦ وما بعدها (١٠) من سر الفصاحة .

(١١) سر الفصاحة : « وإن كان يريد بالسجع . . . » .

قال : « وأظن أن الذى دعاهم ^(١) إلى تسمية كل ما فى القرآن فواصل ولم يسئوا ما تماثلت حروفه سجعاً رغبتهم فى تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بنيره من الكلام المردى عن الكهنة وغيرهم ، وهذا غرض فى التسمية قريب ، والحقيقة ما قلناه ^(٢) » .

ثم قال : « ^(٣) والتحرير أن الأسجاع حروف متماثلة فى مقاطع الفواصل ^(٤) » .

فإن قيل ^(٥) : إذا كان عندكم أن السجع محمود فهلا ورد القرآن كله مسجوعاً وما الوجه فى ورود بعضه مسجوعاً وبعضه غير مسجوع ؟ قلنا ^(٦) : إن القرآن نزل بلغة العرب وعلى عرفهم وعادتهم ، وكان ^(٧) الفصحح منهم لا يكون كلامه كله مسجوعاً ^(٨) لما فيه من أمارات التكلف والاستكراه والتصنع ، لاسيما فيما يطول من الكلام ، فلم يرد كله مسجوعاً جبراً منه على عرفهم فى العطفة ^(٩) المالية من كلامهم ، ولم يحل من السجع ؛ لأنه يحسن فى بعض الكلام على الصفة السابقة ^(١٠) ، [وعليها ورد فى فصحح كلامهم ، فلم يميز أن يكون عالياً فى التصاحح وقد أدخل فيه بشرط من شروطها] ^(١١) . فهذا هو السبب فى ورود بعضه كذلك وبعضه بخلافه .

وخست فواصل الشعر باسم القوافى لأن الشاعر يفتقوها أى يقيمها فى شعره ، لا يخرج عنها ، وهى فى الحقيقة فاصلة ، لأنها تفصل آخر الكلام ، فالقافية أخص فى الاصطلاح ، إذ كل قافية فاصلة ، ولا عكس .

ويعتق استعمال القافية فى كلام الله تعالى ، لأن الشرع لا سلب عنه اسم الشعر وجب

(١) سر الفصاحة : « دعا أسحاجنا » . (٢) سر الفصاحة : « وأما الحقيقة فما ذكرناه ،

(٣ - ٣) لم ترد هذه العبارة فى النسخة التى بين أيدينا من كتاب سر الفصاحة .

(٤) سر الفصاحة : « فإن قال قائل » . (٥) سر الفصاحة : « قيل » .

(٦ - ٦) سر الفصاحة : « وكان الفصحح من كلامهم لا يكون كله مسجوعاً » .

(٧) سر الفصاحة : « العطفة » .

(٨) سر الفصاحة : « على الصفة التى قدمناها » (٩) من سر الفصاحة .

سلبُ التافية أيضاً عنه لأنها منه ، وخاصة به في الاصطلاح . وكما يتجنى استعمال التافية في القرآن ، لا تطلق الفاصلة في الشعر ، لأنها صفة لكتاب الله ، فلا تنسأه .

قيل : وقد يقع في القرآن الإبطاء^(١) ، وهو ليس بقيق ، إنما يقيق في الشعر ، كقوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ كَانَهُمْ لَا يَمْلِكُونَ ﴾^(٢) . ثم قال في آخرين : ﴿ لَوْ كَانُوا يَمْلِكُونَ ﴾^(٣) ، ثلاث فواصل متوالية « يملكون » يملكون ، [يملكون] ، فهذا لا يقيق في القرآن قولاً واحداً .

قيل : ويقع فيه التضمين^(٤) ، وليس بقيق ، إنما يقيق في الشعر ، ومنه سورتنا القيل وقريش ، فإن اللام في ﴿ لِإِبِلَافٍ قُرَيْشٍ ﴾^(٥) قيل : إنها متعلقة بـ ﴿ جَعَلَهُمْ ﴾^(٦) في آخر القيل .

وحكى حازم^(٧) في « منهاج البلاء » خلافاً غريباً فقال : وللناس في الكلام المنثور من جهة تقطيعه إلى مقادير تقارب في الكمية ، وتناسب مقاطعها على ضرب منها ، أو بالثقل من ضرب واقع في ضربين أو أكثر ، إلى ضرب آخر مزدوج ، في كل ضرب

(١) الإبطاء في الشعر أن يقف بكلمة ، ثم يقف بها في بيت آخر ، كتركوا كلمة « لنا » في قول ابن مقبل :
أَوْ كَاهِنَازٍ رُدِّيَنِي تَدَاوُلُهُ أَبْدَى التَّجَارِ فَرَادُوا مَقْنَهُ لِينَا
ثم قال في موضع آخر :

نَازَعَ أَلْبَابَهَا أُبِّيَ بِمَقْتَصِرٍ مِنَ الْأَحَادِيثِ حَتَّى زِدْنَنِي لِينَا

(٢) سورة البقرة ١٠١ - ١٠٣ وانظر للوشح لمرزبان ١٥

(٣) التضمين في الشعر هو بيت يبق على كلام يكون مناه في بيت يتلوه من بعده متضمناً له : كقول الفائل :

وَسَمِعْتُ فَسَائِلَهُمُ وَالرَّيَابِ وَسَائِلُ هَوَازٍ عَنَّا إِذَا مَا

لَقِينَاهُمْ كَيْفَ نَعْلُومِ بَوَازٍ يَفْرِينُ يَبْضًا وَهَامًا

وانظر (للوشح ٢٥)

(٤) سورة قريش ١ (٥) سورة القيل ٥

(٦) هو أبو الحسن حزم بن محمد القرمطاني ، الأنصاري القرطبي ، شيخ البلاغة والأدب ، وأوجد زمانه في النظم والنثر والتجويد واللغة والعروض والبيان ، توفي سنة ٦٨٤ (بنية الوفاة ٢٤١)

ضرب منها أو يزيد على الازدواج، ومن جهة ما يكون غير مقطع، إلى مقادير بقصد تناسب أطرافها، وتقارب ما بينها في كمية الألفاظ والحروف ثلاثة مذاهب :

منهم من يكره تقطيع الكلام إلى مقادير متناسبة الأطراف، غير متقاربة في الطول والقصر لما فيه من التكلف، إلا ما يقع به الإلزام في النادر من الكلام .

والثاني أن التناسب الواقع بإفراغ الكلام في قوالب التقفية وتخليها بمناسبات للقاطع أكيد جدا .

والثالث - وهو الوسط - أن السَّخَجَ لما كان زينةً للكلام، قد يدعو إلى التكلف، فرئى ألا يستعمل في الكلام، وأن لا يُخْلَى الكلام بالجملة منه أيضا، ولكن قبل من اغتاظر فيه ما اجتنبه عقوا، بخلاف التكلف، وهذا رأى أبى الفرج قدامة^(١) .

قال حازم : وكيف يباب السَّخَجُ على الإطلاق ! وإنما نَزَلَ القرآن على أساليب الفصيح من كلام العرب، فوردت الفواصل فيه يلزأ ورود الأسجاع في كلام العرب، وإنما لم يجر على أسلوب واحد، لأنه لا يحسن في الكلام جميعا أن يكون مستمرا على نمط واحد، لما فيه من التكلف، ولما في الطبع من الللل عليه. ولأنّ الالتئان في ضروب الفصاحة أعلى من الاستمرار على ضرب واحد فلها وردت بعض آى القرآن متماثلة للقاطع، وبعضها غير متماثل .

[إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل]

واعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكدا جدا، ومؤثر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيرا عظيما، ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها في مواضع :

(١) هو أبو الفرج قدامة بن جعفر صاحب كتاب قدر الشعر، ذكر ابن الجوزى أنه توفى سنة ٣٣٧ (وانظر ترجمته في معجم الأديباء ١٧ : ١٢) .

أحدها زيادة حرفٍ لأجلها ، ولهذا ألحقت الألف بـ « الظنون » في قوله تعالى : ﴿ وَظَنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴾ ^(١) ، لأن مقاطع فواصل هذه السورة ألفت متقبلة عن تنوين في الوقف ، فزيد على النون ألفٌ لتساوى للمقاطع ، وتنسب نهايات الفواصل ، ومثله : ﴿ فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾ ^(٢) ، ﴿ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴾ ^(٣) .

وأنكر بعض النّارية ذلك وقال : لم تُرد الألف لتتناسب رهوس الآي كما قال قوم ، لأن في سورة الأحزاب : ﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ ^(٤) وفيها : ﴿ فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾ ^(٥) ، وكل واحد منها رأسُ آية ، وثبتت الألف بالنسبة إلى حالةٍ أخرى غير تلك في الثاني دون الأول ؛ فلو كان لتتناسب رهوس الآي لثبت من الجميع .

قال : وإنما زيدت الألف في مثل ذلك لبيان القسمين ، واستواء الظاهر والباطن بالنسبة إلى حالةٍ أخرى غير تلك . وكذلك خلق هاء السكت في قوله : ﴿ مَاهِيْ ﴾ ^(٦) في سورة القارعة ، هذه الهاء عدلت مقاطع الفواصل في هذه السورة ، وكان ليعانها في هذا الموضع تأثيرٌ عظيم في القصاحة .

وعلى هذا - والله أعلم - ينبغي أن يحمل لحاق النون في الموضع التي قد تكلم في لحاق النون إيّاها ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَكُلٌّ فِي فَكٍّ يَسْبَحُونَ ﴾ ^(٧) ، وقوله تعالى : ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ ^(٨) ؛ فإن من مآخذ القصاحة ومزاهيها أن يكون ورود هذه النون في مقاطع هذه الأتباع للآي راجعاً إلى الأصالة في القصاحة ، لتكون فواصل السور الوارد فيها ذلك قد استوتق فيما قبل حروفها للمتطرفة ، وقوع حرفي اللد واللين .

(٢) سورة الأحزاب ١٧

(٤) سورة الأحزاب ٤

(٦) سورة يس ٤٠

(١) سورة الأحزاب ١٠

(٣) سورة الأحزاب ٦٦

(٥) سورة القارعة ١٠

(٧) سورة البقرة ٦٠

وقوله تعالى: ﴿وَأَطُورِ سَيْنِينَ﴾^(١) وهو طور سيناء؛ لقوله: ﴿وشجرة تخرج من طور سيناء﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٣) كرر «لعل» مراعاة لقواصل لآي، إذ لو جاء على الأصل لقال: لعلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ فَيُطْعَمُوا؛ بحذف النون على الجواب.

الثاني حذف همزة أو حرف اطراداً؛ كقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ﴾^(٤).
الثالث الجمع بين الجرورات؛ وبذلك يجاب عن سؤال في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْهَا بِهِ نَبِيًّا﴾^(٥) فإنه قد توالى الجرورات بالأحرف الثلاثة، وهي اللام في ﴿لَكُمْ﴾ والباء في ﴿بِهِ﴾ و«على» في ﴿عَلَيْهَا﴾ وكان الأحسن الفصل.

وجوابه أن تأخر ﴿نَبِيًّا﴾ وترك الفصل أرجح من أن يفصل به بين بعض الروابط، وكذلك الآيات التي تتصل بقوله: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْهَا بِهِ نَبِيًّا﴾، فإن فواصلها كلها منصوبة منوثة، فلم يكن بد من تأخير قوله: ﴿نَبِيًّا﴾ لتكون نهاية هذه الآية مناسبة لنهايات ما قبلها حتى تتناسق على صورة واحدة.

الرابع تأخير ما أصله أن يقدم، كقوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾^(٦)، لأن أصل الكلام أن يتصل الفعل بفاعله ويؤخر الفاعل، لكن أخر الفاعل، وهو «موسى» لأجل رعاية النافعة.

قلت: للتأخير حكمة أخرى، وهي أن النفس تشوق لفاعل ﴿أَوْجَسَ﴾، فإذا جاء بعد أن أخر وقع بموقع.

(١) سورة التين ٢ (٢) سورة «الزّمر» ٢٠ (٣) سورة يوسف ٦٦

(٤) سورة الفجر ٤ (٥) سورة الإسراء ٦٩ (٦) سورة طه ٦٧

وكقوله تعالى: ﴿وَوَلَّا كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾^(١)
فإن قوله: ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ معطوف على ﴿كَلِمَةً﴾ ولهذا رفع. واللى: ﴿وَوَلَّا كَلِمَةً
سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ في التأخير ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ لكان المذاب لزاما. لكنه قدم
وأخر لتسبقك ردوس الآي. قاله ابن عطية.

وجوز الزمخشري عطفه على الضمير في ﴿لَكَانَ﴾ أى لكان الأجل العاجلُ وأجلُ
مسمى لازمين له كما كانا لازمين لعادٍ وثمود، ولم ينفرد الأجل المسمى دون الأجل
العاجل

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ﴾^(٢)، فأخر الفاعل لأجل الفاعلة.
وقوله: ﴿وَرَحْمًا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(٣) أخر الفعل عن المفعول فيها وقدمه فيها قبلها في
قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾^(٤) لتوافق [ردوس] الآي. قاله
أبو البقاء، وهو أجود من قول الزمخشري: قدّم المفعول للاختصاص.

ومنه تأخير الاستمارة عن المباداة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُ وَإِنَّا نَسْتَعِينُ﴾^(٥)
وهي قبل المباداة، وإنما أخرت لأجل فواصل السورة في أحد الأجوبة.

الخامس: إفراد ما أصله أن يجمع كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾^(٦)
قال الفراء^(٧): الأصل «الأنهار»؛ وإنما وحّد لأنه رأس آية، قابل بالتوحيد ردوس

(١) سورة طه ١٢٩

(٢) سورة القصص ٤١

(٣) سورة البقرة ٢

(٤) تسكئة من كتاب «إسلام ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقرارات في جميع القرآن»،
لأبي البقاء عبد الله بن الحسين الكبري. توفي سنة ٦٥٦. (وانظر ترجمته في بنية الوعاة ٢٨١).

(٥) سورة الفاتحة ٥٢

(٦) سورة البقرة ٥٢

(٧) هو يحيى بن زياد الفراء؛ إمام الكوفة في النحو والفقه وصاحب كتاب معاني القرآن. توفي

سنة ٧٠٧. (وانظر ترجمته في ابن خلكان ٢ : ٢٢٨)

الآى . ويقال : النهر الضياء والسمة ، فيخرج من هذا الباب ^(١) .

وقوله : ﴿ وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْغُلَّيْلَيْنِ عَصْدًا ﴾ ^(٢) قال ابن سيده ^(٣) في الحكم : أى أعضداً ، وإنما أفرد ليدل رهوس الآى بالافراد . والعصْدُ : للعين ^(٤) .

السلس جمع ما أصله أن يفرد ، كقوله تعالى : ﴿ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴾ ^(٥) فإن للراد « ولا خلة » بدليل الآية الأخرى ، لكن جمعه لأجل مناسبة رهوس الآى .

السابع ثنية ما أصله أن يفرد ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَلَمِنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ ^(٦) .

قال الفراء : هذا باب مذهب العرب في ثنية البقعة الواحدة وجمعها كقوله : « ديار لها ذرفقتين » ^(٧) وقوله : « بلان للكئين » ^(٨) وأشير بذلك إلى نواحيها ، أو للإشعار بأن لها وجهين ، وأنتك إذا أصلها ونظرت إليها عينا وشملا رأيت في كلتا الناحيتين ما يعلا صنتك قرة ، وصدرك مسرة .

(١) العبارة في كتاب سائر القرآن : « وقوله : ﴿ إِنَّ الْأَمْثَلِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ معناه أنهار ؛ وهو مقعده كقوله : ﴿ صِبْهَهِمْ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ ﴾ ، وزعم الكسائي أنه سمع العرب يقولون : أنها فلاتا ، فكانت في ليله ونهيمه ، فوحدة ومعناه الكثير . ويقال : ﴿ إِنَّ الْأَمْثَلِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ ، في ضياء وسعة .

(٢) سورة الكهف ٥١ .

(٣) مؤلف ابن إسماعيل أبو الحسن الضرير ، المعروف بابن سيده العالم الأندلسي ، صاحب المحكم والمختصر . توفي سنة ٤٤٨ هـ . (إنباء الرواة ٢ : ٢٢٥)

(٤) اللسان (عصد)

(٥) سورة إبراهيم ٣١

(٦) قسمة من بيت زهير ؛ والبيت بتمامه :

(٧) سورة الرحمن ٤٦

ديار لها بالرفقتين كأنها

مراجع وشم في نواشير منقمر

(٨) البيت بتمامه في أمال اللقي ٢ ، ١٤٨ :

قولا لأهل المكتئين تحاشدوا

وسيروا إلى أطام يثرب والنخل

قال : وإنما ثنّاها هنا لأجل الفاصلة ؛ رغبةً لئلا يفتقدوا ما قبلها والتي بعدها على هذا الوزن .
والقوا في محتمل في الزيادة والنقصان ما لا يحتمله سائر الكلام .

وأنكر ذلك ابن قتيبة^(١) عليه وأغلظ وقال : إنما يجوز في رموس الآي زيادة هاء
السكر أو الألف ، أو حذف همزة أو حرف . فأما أن يكون الله وعَد جتين فنصلهما جنة
واحدة من أجل رموس الآي فساد الله . وكيف هذا وهو يصفها بصفات الاثنين ، قال :
﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾^(٢) ، ثم قال فيها : ﴿ فِيهَا ﴾^(٣) . ولو أن قائلًا قال في خزنة النار : إنهم
عشرون ، وإنما جعلهم الله تسعة عشر لرأس الآية^(٤) ما كان هذا القول إلا كقول القراء .
قلت : وكأنّ للمصنف القراء إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَعَى
النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾^(٥) ، وعكس ذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مَا
مِنَ الْجَنَّةِ فِتْنَتِي ﴾^(٦) ؛ على أن هذا قابل للتأويل ؛ فإنا الأنف واللام للعموم ، خصوصاً أنه
يرد على القراء قوله : ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾^(٧) .

الثامن : تأنيث ما أصله أن يذكر ، كقوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ﴾^(٨) ؛ وإنما
عدل إليها للفاصلة .

التاسع كقوله : ﴿ سُبْحَ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾^(٩) ، وقال في الملق : ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ

(١) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ؛ صاحب عيون الأخبار ومثل القرآن وغيرها .
توفي سنة ٢٧٠ . (وانظر ترجمته في إنباء الرواة ٧ : ١٤٣)

(٢) سورة الرحمن ٤٨

(٣) سورة الرحمن ٥٠ ، والآية بتمامها : ﴿ فِيهَا عَيْنَانِ خَضِرَانِ ﴾ .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الدثر ٢٧ - ٣٠ : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَفَرُ . لَا تَنْبَغِي
وَلَا تَذَرُ . لَوَاحِجَةُ للبشر . عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرَ ﴾ .

(٥) سورة طه ١١٧

(٦) سورة التازعات ٤٠ ، ٤١

(٧) سورة الأمل ١

(٨) سورة الدثر ٤

(٩) - برهان - أول

رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ^(١) ، فزاد في الأولى «الأعلى» ، وزاد في الثانية : «خلق» ، مراعاةً لتواصل في السورتين ، وهي في «سُبْح» «الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى^(٢)» وفي «الملك» «خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ^(٣)» .

الناشر : صرف ما أصله ألا ينصرف ؛ كقوله تعالى : «قَوَارِيرا - قَوَارِيرا^(٤)»
صرف الأول لأنه آخر الآية ، وآخر الثاني بالالف ، فَحَسُنَ جملُهُ مُنَوَّنًا لِيُقَابَ تنوينُهُ أَفَاءً ، فيتناسب مع بقية الآي ، كقوله تعالى : «سَلَسِلًا وَأَغْلَالًا^(٥)» فإن «سَلَسِلًا» لما نظم إلى «أَغْلَالًا» وسميرا^(٦) صُرِفَ وَنُونٌ لِّلتناسب ، وبقَى «قَوَارِيرا» الثاني ؛ فإنه وإن لم يكن آخر الآية جاز صرفُهُ ، لأنه لا نون «قَوَارِيرا» الأول ناسب ، أن ينون «قَوَارِيرا» الثاني ليتناسبًا ، ولأجل هذا لم ينون «قَوَارِيرا» الثاني إِلَّا مَنْ ينون «قَوَارِيرا» الأول .
وزعم إمام الحرمين في «البرهان» أن من ذلك صرف ما كان جمعا في القرآن ليناسب رهوس الآي ؛ كقوله تعالى : «سَلَسِلًا وَأَغْلَالًا» .

وهذا مردود ، لأن «سَلَسِلًا» ليس رأس آية ، ولا «قَوَارِيرا» الثاني ، وإنما صرف للتناسب ، واجتماعه مع غيره من المنصرفات ، فورد إلى الأصل ليتناسب معها .
ونظيره في مراعاة للنسبة أن الأنصح أن يقال : «بدأ» ثلاثي ؛ قال الله تعالى : «كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ^(٧)» . وقال تعالى : «كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ^(٨)» ثم قال : «أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ^(٩)» ، فجاء به رُبَاعِيًّا فصيحًا لما حسنه من التناسب بغيره وهو قوله : «يُعِيدُهُ» .

- | | |
|---|--------------------------|
| (١) سورة الملق ١ | (٢) سورة الأمل ٢ |
| (٣) سورة الملق ٢ | (٤) سورة الإنسان ١٥ ، ١٦ |
| (٥) هي قراءة تافع وأبو بكر والكسائي وأبو جعفر ، (وانظر إتحاف فضلاء البشر ص ٤٢٩) . | (٦) سورة الإنسان ٤ |
| (٧) سورة التنبوت ٢٠ | (٨) سورة الأعراف ٢٩ |
| | (٩) سورة التنبوت ١٩ |

الحادى عشر: إمالة ما أصله لا يُمال؛ كما مالة ألف ﴿والضحى. والليل إذا سجى﴾^(١)،
ليشا كل التلفظ بهما التلفظ بما بعدهما .

والإمالة أن تنحو بالالف نحو الياء ، والنرض الأصلى منها هو التناسب ، وعبر عنه
بعضهم بقوله : الإمالة للإمالة . وقد يمال لكونها آخر مجاور ما أميل آخره ؛ كالف «تلا»
فى قوله تعالى : ﴿والنصر إذا تلاها﴾^(٢) ، فأميلت ألف تلاها ليشا كل اللفظ بها اللفظ
الذى بعدهما ، مما أفقه غير ياء ؛ نحو ﴿جلاها﴾ ، و ﴿غشاهما﴾ .

فإن قيل : هلا جملت إمالة ﴿تلاها﴾ لمناسبة ما قبلها ، أغنى ﴿ضحاها﴾ ؟ قيل : لأن ألف
﴿ضحاها﴾ عن واو ، وإنما أميل لمناسبة ما بعده .

الثانى عشر : المدول عن صيغة للفى إلى الاستقبال ، كقوله تعالى : ﴿فريقاً
كذبتم وفريقاً تقتلون﴾^(٣) ؛ حيث لم يقل « وفريقاً قتلتم » كما سوى فيها فى سورة
الأحزاب فقال : ﴿فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً﴾^(٤) ؛ وذلك لأجل أنها هنا رأس آية .

(٢) سورة النسي ٢

(٤) سورة الأحزاب ٢٦

(١) سورة الضحى ٢٠١

(٣) سورة البقرة ٨٧

تفريعات

[ختم مقاطع القواصل بحروف اللدّ واللين]

ثم هنا تفريعات :

الأول : قد كثرت في القرآن الكريم ختمُ كلمةٍ للقطع من الفاصلة بحروف اللدّ واللين والحقّ النون ؛ وحكته وجودُ التمكن من التطريب بذلك .

قال سيديوه رحمه الله : « أما ^(١) إذا ترنّوا فإنهم يُلحِقون الألفَ والواو والياء ؛ [ما ينون وما لا ينون] ^(٢) ؛ لأنهم أرادوا مدّ الصوت ^(٣) .

(١) الكتاب ٢ : ٢٩٨ - ٢٩٩ ، باب وجوه القوا في الإنشاد .

(٢) تسكّه من الكتاب .

(٣) بقية السلام كما في الكتاب : « وذلك قوله :

• قَفَا نَبِكْ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ •

وله في النصب ليزيد بن العفريّة :

فَبَقْنَا تَحِيدُ الْوَحْشُ عَنَّا كَأَنَّا تَعِيلَانِ لَمْ يَعْلَمْ لَنَا النَّاسُ مَعْرَعًا

وله في الرّفع للأعشى :

هَرِيرَةٌ وَدَّعَهَا وَإِنْ لَأَمْ لَا تُؤْمُو •

هنا ما ينون فيه . وما لم ينون فيه قولهم ، لجرير :

• أَقْلَى أَلْوَمٍ عَاذِلٍ وَالْمَتَابَا •

وله في الرّفع لجرير :

مَقَى كَانَ الْخِلَامُ بِهِنَّ ، طُلُوحٌ سَقِيتِ النَّيْثَ أَبْتَهَا الْخِلَامُو ١

وله في الجر لجرير أيضاً .

أُنْهَاتٌ مَنْزِلًا بَنَتِ سُوَيْفَةً كَانَتْ مَبَارَكَةً مِنَ الْأَيْمَى

وإنما ألحقوا هذه اللدة في حروف الروى ، لأن الشعر وضع لفتاء والنغم ، فألحقوا كل حرف القو حركته منه .

« وإذا أنشدوا ولم يترنموا : فأهلُ الحجاز يدعون التوافق على حلما في الترتيم ؛ وناس من بني تميم يبدلون مكان اللدة النون »^(١) . انتهى .
وجاء القرآن على أعذب مقطع ، وأسهل موقف .

[مبنى القواصل على الوقف]

الثاني : إن مبنى القواصل على الوقف ؛ ولهذا شاع مقابلة الرفع بالجرور وبالمكس ، وكذا الفتوح والنصب وغير النون ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ طِينٍ ﴾

(١ - ١) النس كأي الكتاب : « فإذا أنشدوا ولم يترنموا قبل ثلاثة أوجه : أما أهل الحجاز فيدعون هذه القواصل — ماتون منها ومالم ينون — على حلما في الترتيم ، ليعرفوا بينه وبين الكلام الذي لم يوضع للفناء . وأما ناس كثير من بني تميم فإتباعهم يبدلون مكان اللدة النون فيها ينون ؛ ومالم ينون لا لم يريدوا الترتيم أبدلوا مكان اللدة نونا ولفظوا بتمام البناء وما هو منه . كما فعل أهل الحجاز ذلك بحروف اللد ؛ سمعناهم يقولون :

* يَا أَبَتَا عَلِّكَ أَوْ عَاكَرْنِ *

وللمعارج :

* يَا صَاحِبَ مَا هَاجَ الْعِيُونَ الدَّرَقْنَ *

وقال الساج :

* مِنْ طَلَلٍ كَالْأَنْحَمَى أَنْهَجْنَ *

وكذلك الجر والرفع ، وللكسور والفتح والضم في جميع هذا كالمجرور والنصب والرفع . وأما الثالث فأن يجرروا القواصل جراما لو كانت في الكلام ولم تكن قواصيا ؛ جلوه كالسلام حيث لم يترنموا ، وتركوا اللدة لهم أنها في أصل البناء ؛ سمعناهم يقولون لجرير :

* أَقْلَى الْوَمِّ عَادِلَ وَالْمُصَلِّ *

وللاختل :

* وَأَسْأَلُ بِمِصْقَةِ الْبَكْرِى مَافَلَّ *

وكان هذا أخف عليهم . ويقولون :

* قَدْ رَأَيْتُ حَفْصَ فَرْكَ حَفْصَا *

يثبتون الألف لأنها كذلك في الكلام .

لازب^(٣)؛ مع تقدم قوله : ﴿عَذَابٌ وَأَصِيبٌ﴾^(٤) ، و ﴿شِهَابٌ مُنْقَلَبٌ﴾^(٥) .
وكذا ﴿بَعَادَ مِنْهُمْ﴾^(٦) ، و ﴿قَدْ قُدِّرَ﴾^(٧) . وكذا : ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ
وَالٍ﴾^(٨) مع ﴿وَيَنْشِئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ﴾^(٩) .

وعبارة السكاكي^(١٠) قد تطلّى اشتراط كون السجع يشترط فيه للواقعة في الإعراب
لما قبله ؛ على تقدير عدم الوقوف عليه ؛ كما يشترط ذلك في الشعر . وبه صرح ابن
الخشاش^(١١) معترضاً على قول الحريري^(١٢) في المقامة التاسعة والعشرين :

باصارفاً عني المودة والزمان له مَرُوفٌ

ومعني في فَضَحٍ مَنْ جاوزتُ تصنيف المصوف^(١٣)

لا تَلَحِّيَ فيهِ أَتَيْتُ فَإِنِّي بِهِمْ عَرُوفٌ

ولقد نزل بهم ظمُّ أَرْحَمَ يرَاعُونَ الضيوفُ

وبلوتهم فوجدتهم لَمَّا سَبَكْتُمُو زِيُوفُ

ألا ترى أنها إذا أُطْلِقَتْ ظهر الأول والثالث مرفوعين، والرابع والخامس منصوبين،

(٢) سورة الصافات ٩

(٤) سورة القمر ١١

(٦) سورة الرعد ١١

(١) سورة الصافات ١١

(٣) سورة الصافات ١٠

(٥) سورة القمر ١٢

(٧) سورة الرعد ١٢

(٨) هو أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد الخوارزمي المروفي بالسكاكي ، صاحب كتاب
مفتاح العلوم ، توفي سنة ٤٢٥ (بنية الرواة ٤٢٥) .

(٩) هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد الخشاب ؛ النحوي البغدادي ؛ وله رسالة قد فيها مقامات
الحريري ورد عليه ابن بري ؛ طبعت كتابها في ذيل المقامات ، توفي سنة ٥٦٧ (وانظر ترجمته في إنباء
الرواة ٢ : ٩٩) .

(١٠) هو أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري ، صاحب المقامات ، وأحد أئمة الأدب
واللغة والنحو في عصره ، توفي سنة ٥١٦ ، (وانظر ترجمته في إنباء الرواة ٣ : ٢٣) .

(١١) المصوف : الآخذ بقوة .

والثاني مجرورا ، وكذا باقى القصيدة^(١) .

والصواب أن ذلك ليس بشرط لا سبق ؛ ولا شك أن كلمة الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأفعال ، موقوفا عليها ؛ لأن الغرض المجانسة^(٢) بين القرائن والزواجة ؛ ولا يتم ذلك إلا بالوقف^(٣) ، ولو وصلت لم يكن بد من إجراء كل القرائن على ما يقتضيه حكم الإعراب فطلت عمل الساجع وفوت غرضهم .
وإذا رأيتهم يخرجون الكلم عن أوضاعها لنرضى الأزواج ؛ فيقولون : « أتيتك بالندايا والمشايا^(٤) » مع أن فيه ارتكابا لما يخالف اللغة ، فما ظنك بهم فى ذلك !

(١) قال ابن برى فى رده : « لقي ذكره ابن المبررى صحيح ؛ ولا يزم أن يكون إعراب النيد كإعرابه لو أطلق ؛ ألا ترى لى قول امرئ القيس :
إِذَا ذَقْتُ ظَاهَاً قُلْتُ طَعْمُ مُدَامَةٍ مَعْتَقَةٍ مِمَّا تَجِيءُ بِهِ الشَّجَرُ
ثم قال بعده : « جاءت برئت من الظلر » فالظلر فى موضع خفض ، والتجر فى موضع رفع ، وهى طرفة :
* ومن الحب جنون مُسْتَعْمَر *

ثم قال :

* ليس هذا منك مأوى بحر *

فسر فى موضع رفع ، و « حر » فى موضع خفض ، وقال الأعشى :

أَتَيْكَرُ غَانِيَةً أَمْ تَلُمُّ أُمَّ الْحَيْلِ وَاهٍ بِهَا مِنْجَمٍ

فنجد فى موضع رفع ، ثم قال بعده :

وَنَظَرْتُ عَيْنَ عَلَى غُرَّةٍ مَحَلِّ الْخَلِيطِ بِصَحْرَاءَ زَمْ

فزم فى موضع جر ، وهى اسم يترى وهذا نحو كثير جدا فى شعر العرب . (وانظر ص ٢٤ ، من رسالة نقد ابن الخطيب ، ورد ابن برى عليها فى ذيل اللغات) .

(٢) م : « المجاوزة » .

(٣) م : « الوقوف » .

(٤) قال الليث : « الندى : جمع ، مثل الندوات والندى . وقالوا : إني لآتيه بالندايا والمشايا ، والنداء لا جمع على الندايا ؛ ولكمهم كسروه على ذلك ليطلقوا بين لفظه ولفظ المشايا ؛ فإذا أفرده لم يكسروه . (انظر اللسان - غدا .

[المحافظة على التواصل لحسن النظم والتشامه]

الثالث : ذكر الزخشرى في كشفه القديم أنه لا تحسن المحافظة على التواصل لمجردها إلا مع بقاء المعنى على سداها، على النهج الذى يقتضيه حسن النظم والتشامه . كما لا يحسن تغيير الألفاظ الموثقة في السمع ، السلسلة على اللسان ؛ إلا مع مجيئها منقاداً للمعنى الصحيحة المنتظمة ؛ فأمّا أن تُهمل المعنى، ويُهَيَّجَ بتحصين اللفظ وحده، غير منظور فيه إلى مؤاده على بال، فليس من البلاغة في فتحيل أو تغيير . ومع ذلك يكون قوله : ﴿ وَيَا آخِرَةَ ثُمَّ يُوقِنُونَ ﴾ ^(١) وقوله : ﴿ زَيْمًا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ ^(٢) لا يأتى فيه ترك رعاية التناسق في العطف بين الجمل القلبية بإشاراً للقاصلة - لأن ذلك أمرٌ لفظيٌّ لا طائل تحته - وإنما عدل إلى هذا قصد الاختصاص .

[تقسم التواصل باعتبار التماثل والتقارب في الحروف]

الرابع : أن التواصل تنقسم إلى ما عاينت حروفه في المقاطع - وهذا يكون في السجع - وإلى ما تخربت حروفه في المقاطع ولم تماثل ؛ وهذا لا يكون سجعاً . ولا يخلو كل واحد من هذين القسمين ^(٣) : - أعنى التماثل والتقارب - من أن يأتى طوعاً سهلاً تابعاً للمعنى ، أو متكلفاً يبيعه للمنى .

فالقسم الأول هو المحمود المأل على الثقافة وحسن البيان ، والثاني هو اللذوم . فاما القرآن فلم يرد فيه إلا القسم الأول للمؤءة في القصاحة . وقد وردت فواصله مماثلة ومتقاربة .

(٢) سورة البقرة : ٣

(١) سورة البقرة : ٤

(٣) ت ، م ، ه : اللقمةين .

مثال المائدة قوله تعالى : ﴿ وَالطُّورِ . وَكَتَابٍ مُّسْطُورٍ . فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ . وَالْبَيْتِ الْمَمُورِ . وَالسَّعْفِ الرَّفُوعِ ﴾ ^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ طه . مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى . إِلَّا تَذَكُّرٌ لِّمَنْ يَخْشَى . تَزِيلًا لِّمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الثَّلَاثِ . الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ^(٢) .
وقوله تعالى : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا . فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا . فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا . فَأَنْزِلْنَاهُ نَزْلًا . فَوَسَطْنَ بِهِ جَمًّا ﴾ ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ وَالنَّجْمِ . وَلِيَالٍ عَشْرٍ . وَالشَّعْثِ الْوُتْرِ . وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ... ﴾ ^(٤) إلى آخره . وحذفت الياء من ﴿ يَسْرِ ﴾ طلباً للواقة في الفواصل .

وقوله تعالى : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ ^(٥) ؛ وجميع هذه السورة على الازدواج .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُفِ . الْجَوَارِي الْكَُنَافِ . وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ . وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ ^(٦) .

(١) سورة الطور ١-٥ . طور سينين : جبل عظيم ، سمع فيه موسى كلام الله . مسطور : مكتوب . والرق للمنشور : ما يكتب عليه . والبيت للسمور : الكعبة ، والسقف الرفوع هنا : السماء .

(٢) سورة طه ١-٥ .

(٣) سورة العاديات ١-٥ . العاديات : الخيل التي تجري . والنشع : صوت أخطاسها عند الجري . اللوريات : من الإبراء ؛ وهو إخراج الفبار بنحو الزناد . والقدح : الضرب لإخراج النار . وللغيرات : الخيل التي تغير على العدو . والتغ : الفبار . ووسطن : توسطن .

(٤) سورة النجم ١-٤ .

(٥) سورة القمر ١ .

(٦) سورة التكاوير ١٥-١٨ . الخنس الجوارى الكنس : قبل هي الدورى الحنة ؛ وهي عطاردة ، والزهرة والريخ ، والفتى ، وزحل ؛ وذلك لأنها تجري مع الشمس ؛ ثم ترى راجعة حتى تختفي في ضوء الشمس ؛ فربوعها في رأى العين هو خنوسها ، واختفاؤها هو كنوسها . وعسس الليل : أدير .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَا أُفْسِمُ بِالشَّفَقِ . وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ . وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ . لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴾ ^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ . وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ، فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾ ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ . وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ ^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ . وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي النَّفْسِ ثُمَّ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ ^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ . وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ... ﴾ ^(٦) الآية .

وقوله تعالى : ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ بِإِسْمِيبَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيِنَا ، أَوْ لَنَمُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ ^(٧) .

ومثال المتضارب في الحروف قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ^(٨) .

وقوله تعالى : ﴿ قَ . وَالْقُرْآنِ الْجَبَدِ . بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ قَالِ

(١) سورة الانشقاق ١٦ - ١٩ . الشفق : ما بين في الأفق من الحرة ؛ وقيل من الياس ، ووسق : ضم و . والاق القمر : تعامه . ولتركبن طبقا عن طبق ؛ قال الزجاج : لتركبن جالا بعد حال حتى نصيروا إلى الله .

(٢) سورة الضحى ٥ هـ

(٣) سورة الإسراء ١٦

(٤) سورة ن ٣ ، ٤

(٥) سورة الأعراف ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٦) سورة النبا ٢٦ ، ٢٧ . التراقى : جمع قرقرة . والقرقوتان : عظمتان تتحدان بيناً وشمالاً من ثغرة البحر إلى المائق . والراق : اسم فعل ، من رقاد يرقه ، ؛ إذا أجرى له الرقية .

(٨) سورة الفاتحة ٣ ، ٢

(٧) سورة الأعراف ٨٨

الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ .

وهذا لا يسمى سجعاً قطعاً عند القائلين بإطلاق السجع في القرآن ، لأن السجع ما تأملت حروفه .

إذا علمت هذا^(١) ، فاعلم أن فواصل القرآن الكريم لا تخرج عن هذين التسمين ؛ بل تنحصر في التماثلة والتضاربة ، وبهذا يرجعُ منهج الشافعي على مذهب أبي حنيفة في عدِّ الفاعحة سبع آيات مع البسلة ؛ وذلك لأن الشافعي أثبت لها في القرآن قال : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ ﴾ ، الخ السورة آية واحدة ، وأبو حنيفة لما أسقطَ البسلة من الفاعحة قال : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾^(٢) آية ، و ﴿ غَيْرِ الْمَفْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾^(٣) آية . ومنهجه الشافعي أولى ، لأن فاصلة قوله : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ لا تشابه فاصلة الآيات المتضمنة ، ورعاية التشابه في القواصل لازم . وقوله : ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ليس من القسمين فامتنع جملته من المقاطع ؛ وقد اتفق الجميع على أن الفاعحة سبع آيات ؛ لكن الخلاف في كيفية العدد .

[تسمي القواصل باعتبار التوازي والتوازن والطرف]

الخامس : قسم البديعيون السجع والقواصل أيضاً إلى متوازي ، ومطرف ، (ومتوازن)^(٤) . وأشرفها المتوازي ، وهو أن تتفق الكلمتان في الوزن وحروف السجع ؛ كقوله تعالى : ﴿ فِيهَا سُرُورٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْرَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴾^(٥) ، وقوله ﴿ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ . وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ . ﴾

(٢) ت : « ذلك » .

(١) سورة في ١ - ٢

(٣) سورة الفاعحة ٧ .

(٤) زيادة يقتضيها السياق ؛ وانظر الإبان (٢ : ١٠٤) .

(٥) سورة النازية ١٣ ، ١٤ .

(٦) سورة آل عمران ٤٨ ، ٤٩ .

واللطف أن يتقيا في حروف السجع لافي الوزن؛ كقوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ
فِيهِ وَفَارًا. وَقَدْ خَفَّيْتُمْ أَطْوَارًا﴾^(١).

وللتوازن^(٢) أن يرأى في مقاطع الكلام الوزن قط ، كقوله تعالى : ﴿وَتَنَارِقُ
مَصْنُوتَةٌ . وَزَرَانِي مَبْنُوتَةٌ﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ . وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٤).
فقط «الكتاب» و «الصراط» متوازنان^(٥). ونظ «للسنين» و «للسقيم» متوازنان.
وقوله: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَدِيدًا . إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَرْدًا . وَرَأَاهُ قَرِيبًا . يَوْمَ يَكُونُ السَّمَاءُ
كَالْذِئْبِ . وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِزِّ﴾^(٦).

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأُفْلِي . زَكَاةً فَتَأْوِي . تَدْعُو مَنْ أَذْبَرَ وَتَوَلَّى . وَجَمَعَ
قُلُوبَهُ﴾^(٧).

وقوله: ﴿وَالْقِيلَ إِذَا بَنَشَى . وَالتَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى . . .﴾^(٨) إلى آخرها .
وقوله: ﴿وَالضُّحَى . وَالْقِيلَ إِذَا سَجَى . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى . . .﴾^(٩) إلى آخرها .
وقد تكرر في سورة «حمس» في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آفِهِ مِنْ بَعْدِ

(١) سورة توح ١٢ ، ١٣ .

(٢) في الأصول : « التوازن » تحريف .

(٣) سورة النافذة ١٥ ، ١٦ . وتَنَارِقُ : الرسائد . والزَرَانِي : البسط . والمَبْنُوتَةُ : البسطة .

(٤) سورة الصافات ١١٧ : ١١٨ .

(٥) في الأصول : « متوازنان » تحريف .

(٦) للمارج ٩٠ . واللال : مائع الزيت ، أو مائع القز للذباب كالنحاس والحديد والفضة .
والهين : الصوف للصبيغ ألوانا من أصفر وأحمر وأخضر .

(٧) للمارج ١٥ - ١٨ . الفلَى : اسم تار ذات الذهب . والشوى : كل مالم يكن مقلا من الأعضاء
كاليدن والرجلين والأطراف .

(٨) سورة الضحى ١ - ٣ .

(٩) سورة الليل ١ - ٢

مَا مُسْتَجِيبٌ لَهُ ^(١) إلى آخر الآيات السبع؛ فجمع في فواصلها بين « شديد » و « قريب » و « بعيد » و « عزيز » و « نصيب » و « أليم » و « كبير » على هذا الترتيب؛ وهو في القرآن كثير، وفي لفصل خاصة في قصاره .

ومنهم من يذكر بدله الترصيع، وهو أن يكون للتقدم من الفقرتين مؤلفان كلمات مختلفة، والثاني مؤلفان مثلها في ثلاثة أشياء: وهي الوزن والتقيية وتبادل القرائن، قيل: ولم يبح هذا القسم في القرآن العظيم لما فيه من التكلف .

وزعم بعضهم أن منه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ . وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ ^(٢) وليس كذلك، لورود لفظة « إن » و « لني » في كل واحد من الشطرين، وهو مخالف لشرط الترصيع؛ إذ شرطه اختلاف الكلمات في الشطرين جميعا .

وقال بعض اللغاربة: سورة الواقعة من نوع الترصيع، وتليق آخر آياتها بدلا على أن فيها موازنة .



قالوا: وأحسن السجع ما تساوت قرائنه، ليسكون شيئا بالشعر، فإن أياته متساوية؛ كقوله تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ . وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ . وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ ^(٣)؛ وعلته أن السجع أُنِفَ الانتهاء إلى غاية في الخفة بالأولى، فإذا زيد عليها ثقل عنه الزائد، لأنه يكون عند وصولها إلى مقدار الأول كمن توقع الظفر بمقصوده .

ثم ما طالت قرينته الثانية، كقوله: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ ^(٤)، أو الثالثة كقوله تعالى: ﴿خُلُودٌ فَنُلَوِّهُ . ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَوَهُ . ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ

(٢) سورة الاقطار ١٣ ، ١٤

(١) سورة الثوري ١٦ - ٢٢

(٣) سورة الواقعة ٢٨ - ٣٠ . الدر المنضود : القى لاشرك فيه . والطلع : شجر عظيم يكون

بأرض الحجاز من شجر البضاء . والمنضود : للترام الخمر .

(٤) سورة النجم ١ ، ٢

ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه^(١) .

وهو إما قصير كقوله : (والمرسلات عرفاً . فالماضيات عصفاً)^(٢) .

أو طويل كقوله : (إذ يريكم الله في منامك قليلاً ولولا أنكم كنتم كثيراً لفتلتم . ولتتنازعتم في الأمر ، ولكن الله سلم إنه علم بنات الصدور . وإذا يريكموهم إذ التفتيم في أعينكم قليلاً ويملئكم في أعينهم ليقي الله أمراً كان مفعولاً وإلى الله ترجع الأمور)^(٣) .

أو متوسط كقوله : (اقتربت الساعة وانشق القمر . وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر)^(٤) .

[اختلاف الفواصل مع ما يدل عليه الكلام]

السادس : اعلم أن من اللواضع التي يأتي كد فيها إيقاع للناسبة مقاطع الكلام وأواخره ، وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله . فلا بد أن تكون مناسبة للنعى للذكور أولاً ؛ وإلا خرج بعض الكلام عن بعض .

وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك ؛ لكن منه ما يظهر ، ومنه ما يستخرج بالتأمل فيجب .

وهي منحصرة في أربعة أشياء : التكمين ، والتوشيح والإينال والتصدير .

والفرق بينها ؛ أنه إن كان تقدم لفظها بعينه في أول الآية سمي تصديراً . وإن كان في

(١) سورة المائدة ٣٠ - ٣٢ . وغلوه : وضعوه في يديه ورجليه التل . وسلوه : من التولية ؛ وهي حرق الشيء على النار .

(٢) سورة المرسلات ١ ، ٢ . والمرسلات عرفاً : الرياح التي أرسلت متتابعة .

(٣) سورة الأنفال ٤٣ ، ٤٤ .

(٤) سورة القمر ١ ، ٢ .

أثناء الصدر سَمَّى تَوْشِيحاً . وإن أُفادَتْ معنى زائلاً بعد تمام معنى الكلام سَمَّى إِضَالاً ؛ وربما اختلف التوشيح بالتصدير لكون كلٍ منهما صدره يدلُّ على مجزؤه . والفرق بينهما أن دلالة التصدير لفظية ، ودلالة التوشيح معنوية .



الأول: المنكسين؛ وهو أن يُتمهد قبلها تمهيداً تأتي به الفاصلة ممكّنة في مكانها، مستقرة في قرارها ، مطمئنة في موضعها ، غير نافذة ولا قلقة ، متعلّقة معناها بمعنى الكلام كلّهُ تعلّقاً تاماً ؛ بحيث لو طُرِحَتْ اُخْلُتْ للمنى واضطرب التهم .

وهذا الباب يُطلِعُك على سر عظيم من أسرار القرآن ، فاشد يدك به .

ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِظُلْمِهِمْ لَمْ يَأْلُوا خيراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيماً عَزِيزاً ﴾ ^(١) ، فإن الكلام لو اقتصر فيمتلى قوله : ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ لأوهم ذلك بعض الضعفاء مواهقة الكفار في اعتقادهم أن الريح التي حدثت كانت سبب رجوعهم ، ولم يلبثوا ما أرادوا ، وأن ذلك أمر اتفق ، فأخير سبحانه في فاصلة الآية عن نفسه بالقوة والزمرة ليعلم للمؤمنين ، ويزيدهم يقيناً وإيماناً على أنه الغالب للمتنع ، وأن حربه كذلك ، وأن تلك الريح التي هبت ليست اخفاً ؛ بل هي من إرساله سبحانه على أعدائه كعاده ؛ وأنه ينوع النصر للمؤمنين ليزيدهم إيماناً وينصرهم مرة بالقتال كيوم بدر ، ومرة بالريح كيوم الأحزاب ، ومرة بالثعب كبنى النضير ، وطوراً ينصر عليهم كيوم أحد ، تمريقاً لهم أن الكثرة لا تقى شيئاً ، وأن النصر من عنده ، كيوم حنين .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي

مساكنهم إن في ذلك لآياتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ . أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأُخْضِهِمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ^(١) . فانظر إلى قوله في صدر الآية التي للوعظة فيها سمعية : ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ ولم يقل : « أولم يروا » وقال بعد ذكر الموعظة : ﴿ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾ ؛ لأنه قدّم ذكر الكتاب وهو مسموع أو أخبار القروى وهو كما يسمع . وكيف قال في صدر الآية التي موعظتها مرئية : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴾ ، وقال بعدها : ﴿ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ لأن سوق الماء إلى الأرض الجُرُزِ مرئي .

ومنه قوله تعالى : ﴿ قَالُوا : يَا سَمِيعُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَمْيِدُ آبَاؤُنَا وَنُحْشِلَ أَنْ نَعْمَلُ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ ^(٢) ، فإنه لما قدّم ذكر العبادة والتصرف في الأموال كان ذلك تمهيداً تاماً لذكر الحلم والرشد ، لأن الحلم الذي يصح به التكليف والرشد حسن التصرف في الأموال ، فكان آخر الآية مناسباً لأولها مناسبة معنوية ، ويسميه بعضهم ملازمة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ لَا تَذَرِكُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ ؛ فإنه سبحانه لما قدّم تقييد إدراك الأبصار له عطف على ذلك قوله : ﴿ وَهُوَ اللَّطِيفُ ﴾ خطاباً للسامع بما يفهم ؛ إذ المادة أن كل لطيف لاتدركه الأبصار ، ألا ترى أن حاسة البصر إنما تدرك اللون من كل متلون والكون من كل متكون ، فإذا كما إنها هي للتركيبات دون القدرات ، ولذلك لما قال : ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ عطف عليه قوله : ﴿ الْخَبِيرُ ﴾ ، مخصصاً لقائه سبحانه بصفة الكمال ؛ لأنه ليس كل من أدرك شيئاً كان خبيراً بذلك الشيء ، لأن للدرك للشيء قد يدركه لِيَخْبِرَهُ ، ولما كان الأمر كذلك أخبر سبحانه وتعالى

أَن يَدْرِكَ كُلَّ شَيْءٍ مَّعَ الْخَبْرَةِ بِهِ ؛ وَإِنَّمَا خَصَّ الْإِبْصَارَ بِإِدْرَاكِه لِيزِيدَ فِي الْكَلَامِ ضَرْبًا
مِّنَ الْحَاسَنِ يَسْمَى التَّمْطُّفُ ؛ وَلَوْ كَانَ الْكَلَامُ : لَا تَبْصِرُهُ الْأَبْصَارُ ، وَهُوَ يَبْصُرُ الْأَبْصَارَ
لَمْ تَكُنْ لَفَقَلْنَا ﴿اللطيف الخبير﴾ مناسبين لما قبلهما .

«^(١) وَمِنهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَصَبَّحُ الْأَرْضُ نَخْضَةً
إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ . لَهُ مَا السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ ،
إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ رُءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾^(٢) إِنَّمَا فَصَلَ الْأَوَّلِيَّ بِهِ «الطيف خبير» لِأَن ذَلِكَ فِي مَوْضِعِ
الرَّحْمَةِ لَخَلْقِهِ بِإِزَالِ الْغَيْثِ وَإِخْرَاجِ النَّبَاتِ مِنَ الْأَرْضِ ، وَلِأَنَّهُ خَبِيرٌ بِنَفْسِهِمْ وَإِنَّمَا قَوْلُ الثَّانِيَةِ
بِهِ «غنى حميد» لِأَنَّهُ قَالَ : ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ ، أَيْ لَا حَاجَةَ ؛ بَلْ هُوَ
غَنِيٌّ عَنْهُمَا ، جَوَادٌّ بِهِمَا ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ غَنِيٌّ نَافِقًا غَنَاهُ إِلَّا إِذَا جَادَ بِهِ ، وَإِذَا جَادَ وَأَتَمَّ حِدَهُ
لِلنِّعَمِ عَلَيْهِ ، وَاسْتَحَقَّ عَلَيْهِ الْحَمْدُ ؛ فَذَكَرَ «الحمد» عَلَى أَنَّهُ التَّقَى النَّافِعُ بِنِشَاءِ خَلْقِهِ . وَإِنَّمَا
فَصَلَ الثَّلَاثَةَ بِهِ «رءوف رحيم» لِأَنَّهُ لَا عَدَدَ لِلنَّاسِ مَا أَتَمَّ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ تَسْوِغِ مَا فِي الْأَرْضِ
لَهُمْ ، وَإِجْرَاءِ الْفُلْكِ فِي الْبَحْرِ لَهُمْ ، وَتَسْوِغِهِمْ فِي ذَلِكَ الْهَوْلِ الْعَظِيمِ ، وَجَعَلِهِ السَّمَاءَ فَوْقَهُمْ
وَأَمْسَاكِهَا عَنْ الْوُقُوعِ ، حَسَنَ خَتَامِهِ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ . وَتَنْظِيرُهُ هَذِهِ الثَّلَاثَ فَوَاصِلَ مَعَ
اِخْتِلَافِهَا قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ^(٣) : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ ... ﴾ ، الْآيَاتُ^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ
الْحَمِيدُ ﴾^(٥) . قَالَ : «التقى الحميد» لِيُثْبِتَهُ عَلَى أَنَّ مَا لَهُ لَيْسَ لِحَاجَةٍ بَلْ هُوَ غَنِيٌّ عَنْهُ ، جَوَادٌّ بِهِ ،
وَإِذَا جَادَ بِهِ حَمْدُهُ لِلنِّعَمِ عَلَيْهِ . إِذْ «حميد» كَثِيرُ الْحَمْدِ لِلْوَجِيعَةِ تَنْزِيهِهِ عَنِ الْحَاجَةِ وَالْبُخْلِ
وَسَائِرِ النِّقَاصِ ، فَيَكُونُ «غَنِيًّا» مَفْسَّرًا بِالتَّقَى لِلطَّلَقِ ، لَا يَحْتَاجُ فِيهِ لِتَقْدِيرِ «غَنِيٍّ عَنْهُ» .

(٢) سورة الحج ٦٣ - ٦٥

(٤) سورة الحج ٦٤

(١ - ١) ساقط من م

(٣) سورة الأنعام ٩٧

ومنه قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ بِآتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ ^(١) . لما كان سبحانه هو الجاعل للأشياء على الحقيقة ؛ وأضاف إلى منه جعلَ الليل سرمدًا إلى يوم القيامة صار الليل كأنه سرمدٌ بهذا التقدير ، وظرفَ الليلَ ظرفَ مظلم لا ينفذ فيه البصر ، لا سيما وقد أضاف الإتيانَ بالضياء الذى تنفذ فيه الأبصارُ إلى غيره وغيره ليس بفاعل على الحقيقة ؛ فصار النهارُ كأنه معدوم ؛ إذ نسب وجوده إلى غير موجد ؛ والليل كأنه لا موجود سواء ؛ إذ جعلَ سرمدًا منسوبًا إليه سبحانه ، فاقتضت البلاغة أن يقول : ﴿ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ لمناسبة ما بين السماع والظرف اللى الذى يصلح للاستماع ، ولا يصلح للإبصار . وكذلك قال فى الآية التى تليها : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ بِآتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ^(٢) ، لأنه لما أضاف جعلَ النهارِ سرمدًا إليه صار النهارُ كأنه سرمدٌ ، وهو ظرف مفعول تنور فيه الأبصار ، وأضاف الإتيانَ بالليل إلى غيره ، وغيره ليس بفاعل على الحقيقة ، فصار الليل كأنه معدوم ؛ إذ نسب وجوده إلى غير موجد ، والنهار كأنه لا موجود سواء ، إذ جعلَ وجوده سرمدًا منسوبًا إليه ، فاقتضت البلاغة أن يقول : ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ؛ إذ الظرف مفعول صالح للإبصار ، وهذا من دقيق المناسبة للمتنوية .

ومنه قوله تعالى فى أول سورة الجاثية : ﴿ إِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ . وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِنْ دَايَةِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ . وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أُنَزَّلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَعْرِيفِ الرِّيحِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ^(٣) . فإن البلاغة تقتضى أن تكون فاصلة الآية الأولى : ﴿ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، لأنه

سبحانه ذكر العالم بجملة حيث قال : ﴿ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ومعرفة الصانع من الآيات العالة على أن المخترع له قادر عليم حكيم ، وإن دل على وجود صانع غفار لدلائلها على صفاته مرتبة على دلائلها على ذاته ، فلا بد أولاً من التصديق بذاته ؛ حتى تكون هذه الآيات دالة على صفاته ، لتقدم للوصوف وجوداً واعتقاداً على الصفات .

وكذلك قوله في الآية الثانية : ﴿ تَوَمَّلْ يَوْمَ يَوْفُنُونَ ﴾ ، فإن سرَّ الإنسان وتدبر خلقه الحيوان أقرب إليه من الأول ، وتحسَّره في ذلك مما يزيد يقيناً في معتقده الأول .

وكذلك معرفة جزئيات العالم ؛ من اختلاف الليل والنهار ، وإززال الرزق من السماء ، وإحياء الأرض بدموتها ، وتصريف الرياح يقتضى راحة العقل ورماته ؛ لنعلم أن من صنع هذه الجزئيات هو الذى صنع العالم الكلى الذى أجرامه وعوارض عنه . ولا يجوز أن يكون بعضها صنع بعضاً ، فقد قام البرهان على أن العالم الكلى صانعاً مختاراً ، فذلك اقتضت البلاغة أن تكون فاصلة الآية الثالثة : ﴿ تَوَمَّلْ يَوْمَ يَوْفُنُونَ ﴾ ، وإن احتجج إلى العقل فى الجميع ؛ إلا أن ذكره هاهنا أنسب بالمعنى الأول ؛ إذ بعض من يعتقد صانع العالم ربما قال : إن بعض هذه الآثار يصنع بعضاً ، فلا بد إذاً من التدبر بدقيق الفكر وراجع العقل .

ومنه قوله تعالى حكاية عن لقمان : ﴿ يَا بُنَيَّ إِنِّي إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ (١) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُجَاهِدُوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٢) . وللناسبة فيه قوة ؛ لأن من دلت عدوه على عورة نفسه ، وأعطاه سلاحه

(١) سورة لقمان ١٦ .

(٢) سورة البقرة ٨٦ .

ليقتضيه ، فهو جدير بأن يكون مقلوب العقل ؛ فلهذا ختمها بقوله : ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .
ومنه الفاصلة لاتفق إلا في سياق إنكار فعل غير مناسب في العقل ؛ نحو قوله تعالى :
﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْهَوْنَ عَنْهُنَّ أَنْ يُقَرَّبُوا إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ^(١) ؛
لأنَّ فاعل غير المناسب ليس بمائل .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾ ^(٢) ، ختم
بصفة العلم إشارة إلى الإحاطة بأحوالنا وأحوالكم ؛ وما نحن عليه من الحق ، وما أنتم عليه
من الباطل وإذنا كان عالماً بذلك ، فسأله القضاء علينا وعليكم ، بما يعلم منا ومنكم .

فصل

وقد تجتمع فواصل في موضع واحد ويختلف بينها ؛ وذلك في مواضع :
منها في أوائل النحل ، وذلك أنه سبحانه بدأ فيها بذكر الأفلاك قال : ﴿ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ ^(٣) ، ثم ذكر خلق الإنسان قال : ﴿ مِنْ نَفْثَةٍ ﴾ ^(٤) ، وأشار
إلى مجانب الحيوان قال : ﴿ وَالْأَنْعَامِ ﴾ ^(٥) ، ثم مجانب النبات قال : ﴿ هُوَ الَّذِي
أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ . يُنْزِلُ لَكُمْ بِهِ الزَّيْتُ
وَالْأَمْثَقُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ^(٦) .
فجعل مطلع هذه الآية التفكر ^(٧) ، لأنه استدلال بحدوث الأنواع المختلفة من النبات على
وجود الإله القادر الخاطر .

(٢) سورة سبأ ٢٦

(٤) سورة النحل ٤

(٦) م « التفكر »

(١) سورة البقرة ٤٤

(٢) سورة النحل ٢

(٥) سورة النحل ١٠ ، ١١

وهيه جواب عن سؤال مقدّر؛ وهو أنه: لمَّ لا يجوز أن يكون للوثر فيه طبائع التفصيل وحركات الشمس والقمر؟ ولما كان الدليل لا يتم إلا بالجواب عن هذا السؤال؛ لا جرم كان مجال التفكير والنظر والتأمل باقياً. إنه تعالى أجاب عن هذا السؤال من وجهين:

أحدهما أن تغييرات العالم الأسفل مربوطة بأحوال^(١) حركات الأفلاك، فلك الحركات حيث حصلت؛ فإن كان حصولها بسبب أفلاك أخرى لزم التسلسل، وإن كان من الخلق الحكيم فذلك الإقرار بوجود الإله تعالى، وهذا هو المراد بقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنَّجْمُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٢)، فبطل منقطع هذه الآلة العقل، والتقدير كأنه قيل: إن كنت عاقلًا فاعلم أن التسلسل باطل، فوجب انتهاء الحركات إلى حركة يكون موحدًا غير متحرك، وهو الإله القادر المختار.

والثاني أن نسبة الكواكب والطبائع إلى جميع أجزاء الورقة الواحدة والحبّة الواحدة واحدة. ثم إننا نرى الورقة الواحدة من الورد أحد وجهيها في غاية الحرارة، والآخر في غاية السواد، فلو كان للوثر موجباً بالقات لا متنح حصول هذا التفاوت في الآثار، فلما أن اللوثر قادر مختار، وهذا هو المراد من قوله: ﴿وَمَا ذَرَأَا لَكُم فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾^(٣)، كأنه قيل: قد ذكرنا ما يرسخ في عقلك أن اللوجب بالقات والطبع لا يختلف تأثيره، فلما نظرت إلى حصول هذا الاختلاف علمت أن اللوثر ليس هو الطبائع، بل التفاعل المختار، فلماذا جعل منقطع الآية التذكّر.

(١) م: «بمختلف أحوال».

(٢) سورة النحل ٨.

(٣) سورة النحل ١٣.

تسوية

من بدع هذا النوع اختلاف القامتين في موضحين والحديث عنه واحد لنكتة لطيفة.
وذلك قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾^(١)، ثم قال في سورة النحل: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَنَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢).

قال القاضي ناصر الدين بن النير^(٣) في تفسيره الكبير: كأنه يقول: إذا خصلت النعم الكثيرة فانت أخذها وأنا مطلقها: فحصل لك عند أخذها وصفان: كونك ظلوماً، وكونك كفاراً، ولي عند إعطائها وصفان: وهما: أنى غفور رحيم، فأقبل ظلمك بنفرائى وكفرك برحمى، فلا أقبال تصيرك إلا بالتوفير، ولا أجازى جفامك إلا بالوفاء انتهى.

وهو حسن، لكن بقى سؤال آخر، وهو: ما الحكمة في تخصيص آية النحل بوصف لنعم، وآية إبراهيم بوصف المنعم عليه؟ والجواب أن سياق الآية في سورة إبراهيم، في وصف الإنسان وما جُبل عليه؛ فناسب ذكر ذلك عقيب أوصافه. وأما آية النحل فبقيت في وصف الله تعالى، وإثبات ألوهيته، وتحقيق صفاته، فناسب ذكر وصفه سبحانه فأتمل هذه التراكيب، ما أرقاعها في درجة البلاغة!

ونظيره قوله تعالى في سورة الجاثية: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا

(١) سورة إبراهيم ٣٤

(٢) سورة النحل ١٨

(٣) هو القاضي ناصر الدين أبو الباس أحمد بن محمد بن منصور الجلباقى، المعروف بابن النير؛ له تفسير كبير سماه البحر الكبير في تحب تنخير، ومنه قطعة تشتمل على الجزء الثالث في دار الكتب المصرية برقم ٦١ تفسير: وله كتاب الاتصال من الكشاف. توفي سنة ٦٨٣. (وانظر ترجمته في التذليل للذهب لاين فرحون ٧١ - ٧٤).

ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ^(١) . وفي فصلت : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾^(٢)

وحكمة فاصلة الأولى أن قبلها : ﴿ قُلْ الَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾^(٣) ، فناسب الالتئام بفاصلة البعث ؛ لأن قبله وصفهم بإنكاره ، وأما الأخرى فاللتئام بها مناسب ؛ أي لأنه لا يضيغ عملا صالحا ، ولا يزيد على مَنْ عمل شيئا .

ونظيره قوله في سورة النساء : ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ . ختم الآية مرة بقوله : ﴿ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾^(٤) ، ومرة بقوله : ﴿ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾^(٥) ؛ لأن الأول نزل في اليهود ، وهم الذين افترؤا على الله ما ليس في كتابه ، والثاني نزل في الكفار ، ولم يكن لهم كتب ، وكان ضلالهم أشد .

وقوله في اللائدة : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾^(٦) ، فذكرها ثلاث مرات ، وختم الأولى بالكافرين ، والثانية بالظالمين ، والثالثة بالفاسين ؛ قيل : لأن الأولى نزلت في أحكام المسلمين ، والثانية نزلت في أحكام اليهود ، والثالثة نزلت في أحكام النصارى .

وقيل : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ إنكاراً له ، فهو كافر ، ومن لم يحكم بالحق مع اعتقاد الحق وحكم بضده فهو ظالم ، ومن لم يحكم بالحق جهلا وحكم بضده فهو فاسق .

وقيل : للكافر والظالم والفاقد كلها بمعنى واحد ، وهو الكفر ، غير أنه بالفاظ مختلفة ، لزيادة الفائدة واجتناب صورة التكرار . وقيل غير ذلك .

(١) سورة المجاثية ١٥ (٢) سورة فصلت ٤٦ (٣) سورة المجاثية ١٤

(٤) سورة النساء ٤٨ (٥) سورة النساء ١١٦

(٦) سورة اللائدة ٤٤ ، وبهذا : ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ، و ٤٥ ، وبهذا :

﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ، و ٤٧ ، وبهذا : ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

تَنْبِيْهٌ

عكس هذا اتفاق الفاضلين والحذث عنه مختلف ، كقوله تعالى في سورة النور : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ ^(١) إلى قوله : ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ^(٢) . ثم قال : ﴿ وَإِنَّا بَلَّغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ^(٣) .

قال ابن عبد السلام في تيسيره في الأولى : « علم » بمصالح عبادته ، « حكيم » في بيان مراده . وقال في الثانية : « علم » بمصالح الأنام ؛ « حكيم » ببيان الأحكام . ولم يدر مرض للجواب عن حكمة التكرار .

تَنْبِيْهٌ

حق الفاضل في هذا القسم تمكين الملقى للسوق إليه كما بينا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَابْتِغْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ^(١) . ووجه مناسبتها أن يمشي الرسول تولية ؛ والتولية لا تكون إلا من عزيز غالب على ما يريد ، وتعليم الرسول الحكمة لقومه إنما يكون مستنداً إلى حكمة مرسله ؛ لأن الرسول واسطة بين المرسل والمرسل إليه ، فلا بد وأن يكون حكيماً ، فلا جرم كان اقترانها مناسباً .

(١) سورة النور ٥٨

(٢) سورة النور ٥٩

(٣) سورة البقرة ١٢٩ . وزكهم : يعلّمهم من وضر الشرك . والزكاة : التطهير .

وقوله تعالى: ﴿قَدْ خَافَ مِنْ مُوسَى جَنًّا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١). وجهه للنسبة في الحكم محمول على قول مجاهد: إثم من حضر للموسى فرأى منه جَنًّا على الورثة في وصيته مع قهرم، فوعظه في ذلك وأصلح بينه وبينهم حتى رَضُوا، فلا إثم عليه، وهو غفور للموسى إذا ارتدع بقول مَنْ وعظه، فرجع عما به وغفرانه لهذا برحمته لا خفاء به، والإثم للرفوع عن القاتل؛ يحتمل أن يكون إثم التبديل السابق في الآية قبلها في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ بَدَلَهُ بِدَلٍّ مَاتِمْهُ﴾^(٢) يبنى من للموسى، أى لا يكون هذا البديل داخلا تحت وعيد مَنْ بَدَل على السوم؛ لأن تبديل هذا تضمن مصلحة راجعة فلا يكون كغيره. وقد أشكل على ذلك مواضع؛ منها قوله تعالى: ﴿إِنْ تُسَبِّحْهُمْ فَلْيَنْفِرْ لَهُمْ عِبَادُكَ، وَإِنْ تَنْفِرْ لَهُمْ فَأَمَّا أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٣). فإن قوله: ﴿وَإِنْ تَنْفِرْ لَهُمْ﴾ يوم أن الفاصلة «الغفور الرحيم»، وكذا هلتن مصحف أبي رضى الله عنه، وبها قرأ ابن شنيوز. ولكن إذا أفهم النظر علم أنه يجب أن يكون ماعليه التلاوة؛ لأنه لا ينفر لمن يستحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حُكْمه، فهو العزيز؛ لأن العزيز في صفات الله هو الغالب؛ من قولهم: عزه يره عزاً إذا غلبه؛ ووجب أن يوصف بالحكيم أيضاً، لأن الحكيم من يضع الشيء في محله، فالحق تعالى كذلك. إلا إنه قد ينحى وجه الحكمة في بعض أفعاله، فيتوهم الضملاء أنه خارج عن الحكمة، فكان في الوصف بالحكيم احتراص حسن؛ أى وإن تفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض عليك لأحد في ذلك، والحكمة فيما فلتته. وقيل: وقيل لا يجوز «الغفور الرحيم» لأن الله تعالى قطع لهم بالعذاب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾^(٤). وقيل لانه

(١) سورة البقرة ١٨٢. والجنتف: الليل والبدول عن الحق.

(٢) سورة الأثمة ١١٨

(٣) سورة البقرة ١٨١

(٤) سورة النسا ٤٨، ١١٨.

مقام تبرّ، فلم يذكر الصفة للقتضية استمطار الفوهم، وذكر صفة العلل في ذلك بأنه العزيز التّالِب. وقوله: ﴿الحكيم﴾ الذي يضع الأشياء مواضعها فلا يُتَرْضَى عليه إن عفا عنّ يستحق القربة.

وقيل: ليس هو على مسألة الفِقران وإنما هو على معنى تسليم الأمر إلى مَنْ هو أملك لهم، ولو قيل: «فإنك أنت الغفور الرحيم» لأدوم الدعاء بالمنفرة. ولا يسوغ الدعاء بالمنفرة لمن مات على شركه، لالتبّي ولا تبيّره. وأما قوله: ﴿فإنهم عبادك﴾ وهم عباده؛ عذبهم أو لم يذبهم؛ فلأنّ للمنى إن مُذبّهم تذبّ من المادة أن تحكم عليه وذكر العبودية التي هي سبب القدرة كقول رؤبة:

يارب إن أخطأت أو نيتُ فأت لا تنسى ولا تموت^(١)

والله لا يَمُتُ ولا يَمُتُ ولا يموت، أخطأ رؤبة أو أصاب، فكا أنه قال إن أخطأت تجاوزت لعمري وقوتك، وقضى وكالك.

ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة براءة: ﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢) - والجواب ما ذكرناه.

ومثله قوله تعالى في سورة المتحنة: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٣).

ومثله في سورة غافر في قول السادة لللائكة: ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٤).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْغَايَةِ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ. وَلَوْلَا

(١) ديوانه ٢٥. مطلع أرجوزة يمدح فيها سليمان بن عبد الملك.

(٢) سورة التوبة ٧١

(٣) سورة المتحنة ٥

(٤) سورة غافر ٨

فضلُ الله عليكم ورحمتهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ^(١)؛ فَإِنَّ الَّذِي يَظْهَرُ فِي أَوَّلِ النَّظَرِ أَنَّ الفاصلةَ «تَوَّابٌ رَحِيمٌ»، لَأَنَّ الرَّحْمَةَ مُنَاسِبَةٌ لِلتَّوْبَةِ، وَخُصُوصًا مِنْ هَذَا الذَّنْبِ الْعَظِيمِ؛ وَلَكِنْ هَاهُنَا مَعْنَى دَقِيقٍ مِنْ أَجْلِهِ قَالَ: ﴿حَكِيمٌ﴾؛ وَهُوَ أَنَّ يُنْبِئَ عَلَى قَائِدِهِ مَشْرِعِيَةِ الْأَمَانِ^(٢)، وَهِيَ السَّرْعُ عَنْ هَذِهِ الْفَاحِشَةِ الْعَظِيمَةِ؛ وَذَلِكَ مِنْ عَظِيمِ الْحِكْمِ، فَهَذَا كَانَ ﴿حَكِيمٌ﴾، بَلِيغًا فِي هَذَا لِنَقَامِ دُونَ «رَحِيمٌ».

وَمِنْ خَتَمِ هَذَا الضَّرْبِ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ^(٣)».

وَقَوْلُهُ فِي آلِ عِمْرَانَ: ﴿قُلْ إِنَّمَا نَحْنُ مُخْتَفُونَ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ يُبْدُوهُ يَعْصِمُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(٤)»، فَإِنَّ التَّبَادُلَ إِلَى الْفَهْمِ فِي آيَةِ الْبَقَرَةِ الْخَلْقُ بِالْقُدْرَةِ، وَفِي آيَةِ آلِ عِمْرَانَ الْخَلْقُ بِالْعِلْمِ، لَكِنْ إِذَا أُنِيمَ النَّظَرُ عِلْمُ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَا عَلَيْهِ التَّلَاوُفُ فِي الْآيَتَيْنِ؛ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ كَذِبُكَ فَضْلُ رَبِّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ^(٥)»؛ مَعَ أَنَّ ظَاهَرَ الْخُطَابِ «ذُو عِقَابٍ شَدِيدَةٍ»، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ غَفِيًّا لِلإِعْتِرَافِ بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْاجْتِرَاءِ عَلَى مَعْصِيَتِهِ؛ وَذَلِكَ أَيْلُجٌ فِي التَّهْدِيدِ؛ وَمَعْنَاهُ: لَا تَفْتَرُوا بِسَمَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْاجْتِرَاءِ عَلَى مَعْصِيَتِهِ؛ فَإِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ لَا يَرُدُّ عِقَابَهُ عَنْكُمْ.

وَقَرِيبٌ مِنْهُ: ﴿رَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا^(٦)».

(١) سورة التَّوْبَةِ ٩، ١٠

(٢) الْأَمَانُ، مِنْ قَوْمِهِمْ: لِأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا رَأَى لَمَامًا إِذَا قَدْ فَعَلَ أَوْ رَمَاهَا بِرَجُلٍ أَنَّهُ زَنَى بِهَا.

(٣) سورة آلِ عِمْرَانَ ٢٩

(٤) سورة الْبَقَرَةِ ٢٩

(٥) سورة عَم ٣٧

(٦) سورة الْأَنْعَامِ ١٤٧

وأما قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾^(١)؛ فناسبة الجزء. للشرط أنه لا أنتم لتؤمنوا ومن - ثلاثمائة وبضعة عشر - على قتال للمشركين - وهم زُهاء ألف - متوكلين على الله تعالى؛ وقال الناقصون: ﴿ غَرَّ هؤلاء دينهم ﴾ حتى أقدموا على ثلاثة أمثالهم عدداً أو أكثر^(٢)؛ قال الله تعالى رداً على الناقصين وثبिताً للمؤمنين : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾^(٣) في جميع أفعاله .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا نُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾^(٤) . فإن قيل : ما وجه الختام بالحليم والغفرة عقوبت تسييح الأشياء وتنزيهاها ؟ أجاب صاحب القنون^(٥) بثلاثة أوجه :

أحدها : إن قسّرنا التسييح على ما درج في الأشياء من المير ؛ وأنها مسبغات بمعنى مودعات من دلائل المير ودقائق الإنعامات والحكم ما يوجب تسييح المعتبر المتأمل ؛ فكذا نه سبحانه يقول : إنه كان من كبير إغفالكم النظر في دلائل المير مع امتلاء الأشياء بذلك . وموضع العتب قوله : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾^(٦) ؛ كذلك موضع للعتب قوله : ﴿ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾^(٧) . وقد كان ينبغي أن يعرفوا بالتأمل ما يوجب القربة لله ؛ مما أودع مخلوقاته بما يوجب تنزيهه ؛ فهذا موضع حليم وغفران عما جرى في ذلك من الإفراط والإهمال .

الثاني : إن جعلنا التسييح حقيقة في الحيوانات بلغناها فمعناه : الأشياء كلها تسبحة

(١) سورة الأنفال ٤٩

(٢) سورة الإسراء ٤٤

(٣) في ١ : « التنوان » تحريف . وهو كتاب فنون الأفتان في علوم القرآن لابن الجوزي ؛ ذكره

صاحب كشف الظنون ؛ ومنه نسخة خطية في دلو الكتب المصرية برقم ٢٢٢٢ تحبير .

(٤) سورة يوسف ١٠٥

ومحمد ، ولا عصيان في حقها وأنتم نصون ، فالحلم والفران للتذير في الآية ؛ وهو العصيان . وفي الحديث : « لَوْلَا بَهَائِمُ رُحْمٍ ، وشيوخ رُحْمٍ ، وأطفال رُحْمٍ ، لَعَبَّ عَلَيْكُمْ المَذَابُ صَبًا » .

الثالث : أنه سبحانه قال في أولها : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ ^(١) ؛ أي أنه كان لتسبيح السبعين حليما عن تفریطهم ؛ غفورا لذنوبهم ؛ ألا تراه قال في موضع آخر : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ^(٢) ؛ وكأنها اشتملت على ثلاثة معان : إما المغفر عن ترك البحث للؤدى إلى التهم ، لما في الأشياء من العبر ، وأنتم على العصيان . أو يريد بها الأشياء كلها تسبحة ؛ ومنها ما يصيبه وبخالقه ، فيفرغ عصيانهم بتسبيحهم .

تَسْبِيحُهُ

قد تكون الفاصلة لانظير لها في القرآن ؛ كقوله تعالى عقب الأمر بالنض في سورة النور : ﴿ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ ^(٣) . وقوله عقب الأمر بطلب الدعاء والإجابة : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ ^(٤) . وقيل : فيه تعريض بآية القدر ؛ أي لملهم يرشدون إلى معرفتها

(١) سورة الإسراء ٤٤

(٢) سورة النور ٢٠

(٣) سورة النور ٢٠ . والآية بتامها : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَنْضَوْنَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ .

(٤) سورة البقرة ١٨٦ . والآية بتامها : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ، فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ .

وإنما يحتاجون للإرشاد إلى مالا يملكون ؛ فإن هذه الآية الكريمة ذكرت عقب الأمر بالصوم وتنظيم رمضان وتعليمهم الدعاء فيه . وأن أرزق الإجابة فيه ليلة القدر .

الثاني التصدير ، كقوله تعالى : ﴿ لَا تَقْرَؤْا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِذَابٍ وَقَدْ خَلَبَ مِنْ أَعْتَرَى ﴾ ^(١) .

وقوله : ﴿ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَجٍ سَآوَرِيكُمْ آبَانِي فَلَا تَسْتَحْيِلُونَ ﴾ ^(٣) .

وقوله : ﴿ فَمَنْ تَلَبَّ مِنْ بَدَلٍ ظَلَمَ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ﴾ ^(٤) .

وقوله : ﴿ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ ^(٥) .

وقوله : ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُتِحَ بَيْنَهُمْ فَيَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ ^(٦) .

وقوله : ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ ^(٧) ، فجعل

الفاصلة ﴿ يَزِرُونَ ﴾ جناساً ﴿ أَوْزَارِهِمْ ﴾ ؛ وإنما قال : ﴿ عَلَى ظُهُورِهِمْ ﴾ ولم يقل « على رؤوسهم » لأن الظهر أقوى للحمل ؛ فأشار إلى قِلِّ الأوزار .

وقوله : ﴿ قُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ ^(٨) .

(١) سورة طه ٦١ . يستحکم : يتأصلح بالإصلاح .

(٢) سورة الإسراء ٢١ (٣) سورة الأنبياء ٣٧ . من يحمل : أي ركب على العجلة فكان يحملوا

(٤) سورة المائدة ٣٩

(٥) سورة التوبة ٧٠

(٦) سورة يونس ١٩

(٨) سورة توح ١٠

(٧) سورة الأنعام ٣١

- وقوله : ﴿ وَنَحْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ نَحْشَاهُ ﴾ ^(١) .
 وقوله : ﴿ أَرْزَلَهُ بَيْنِيهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ ^(٢) .
 وقوله : ﴿ رَجُلٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ ﴾ ^(٣) .

الثالث التوشيح ، ويسى به لكونه نفس الكلام يذلل على آخره : نزل للمنى منزلة الوشاح ، ونزل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشع . الذين يحول عليهما الوشاح ؛ ولهذا قيل فيه : إن الفاصلة تُعلم قبل ذكرها .

وسماه ابن وكيع ^(٤) للطبيع ؛ لأن صدره مطمع في عجزه ؛ كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنْشَأَ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ ^(٥) .

وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِزْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٦) ؛ فإن معنى اصطفاؤه للذكورين يُعلم منه الفاصلة ؛ إذ للذكورون نوع من جنس العالمين .
 وقوله : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمُ مُظْلِمُونَ ﴾ ^(٧) فإنه من كان حافظاً لهذه السورة ، متيقظاً إلى أن مقاطع فواصلها النون الردفة ؛ وسمع في صدر هذه الآية : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ﴾ علم أن الفاصلة ﴿ مُظْلِمُونَ ﴾ ؛ فإن من انسلخ النهار عن ليله أظلم ما دامت تلك الحال .

(٢) سورة لقمان ١٦٦

(١) سورة الأحزاب ٣٧

(٣) سورة التوبة ١٠٨

(٤) هو القاضي أبو بكر محمد بن خلف القاضي المعروف بوكيع ؛ من أهل التركن واقفقه والنحو والسير ؛ وله معنفات في علوم التركن وأخبار القضاة توفي سنة ٣٠٦ . (إنباء الرواة ٣ : ١٢٤) .

(٥) سورة المؤمنون ١٤

(٦) سورة آل عمران ٣٣ (٧) سورة يس ٣٧ . نسلخ منه النهار ؛ أى نخرج منه النهار

لخرابا لا يبقى منه شيء من ضوء النهار .

وقوله : ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ . فمن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ^(١) . فإن قوله : ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ يدل على التقسيم .

وقوله : ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ . ألا يعلم من خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ^(٢) .

وقوله : ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣) .

الرابع الإيغال ؛ وُتَمَّى به ؛ لأنَّ للتكلم قد تجاوز للشيء الذي هو آخذ فيه ؛ وبلغ إلى زيادة على الحد ؛ يقال : أوغل في الأرض الفلانية ، إذا بلغ منتهىها ؛ فهكذا التكلم إذا تمَّ معناه ثمَّ نداءه بزيادة فيه ، فقد أوغل ؛ كقوله تعالى : ﴿أَحْكُمِ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْنَونَ﴾ . وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ^(٤) ، فإنَّ الكلام تمَّ بقوله : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا﴾ . ثمَّ احتاج إلى فاصلة تناسب القرينة الأولى ؛ فلما أتى بها أفاد معنى زائدا .

وكقوله تعالى : ﴿وَلَا تُسْمِعُ الْعُمْمُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُّوْا مُدْبِرِينَ﴾^(٥) ؛ فإنَّ المعنى قد تمَّ بقوله : ﴿وَلَا تُسْمِعُ الْعُمْمُ الدُّعَاءَ﴾ ، ثمَّ أراد أن يعلم تمام الكلام بالفاصلة فقال : ﴿إِذَا وَلُّوْا مُدْبِرِينَ﴾ .

(١) سورة الزلزلة ٦ - ٨ . يصدُر الناس أَشْتَاتًا : أي يخرج الناس البعث على اختلافهم ؛ شقيهم وسعيدهم عنهم ومسيئهم .

(٢) سورة الملك ١٣ ، ١٤ . ذات الصدور : صاحبها .

(٣) سورة البقرة ٢٠

(٤) سورة النمل ٨٠

(٥) سورة النمل ٨٠

فإن قيل : ما معنى ﴿مُذِيرِينَ﴾ وقد أغنى عنها ﴿وَلَوْ﴾ ؟ قلت : لا يغنى عنها ﴿وَلَوْ﴾ ؛
فإن التولي قد يكون بجانب دون جانب ؛ بدليل قوله : ﴿أَعْرَضَ وَتَأَيَّ بِجَانِبِهِ﴾^(١) ؛
وإن كان ذكر الجانب هنا مجازاً . ولا شك أنه سبحانه لا أخبر عنهم أنهم سم لا يسمعون
أراد تميم للمنى بذكر توليهم في حال الخطاب ، لينفى عنهم أنهم ألقى يحصل من الإشارة ؛
فإن الأصم يفهم بالإشارة ما يفهم السميع بالعبارة . ثم إن التولي قد يكون بجانب ، مع
لما ظله بالجانب الآخر ؛ فيحصل له إدراك بعض الإشارة ؛ فجعل الفاصلة ﴿مُذِيرِينَ﴾ ليتم
أن التولي كان بجميع الجوانب ؛ بحيث صار ما كان مستقبلاً مستتراً ، فاحجب الخطاب
عن الخطاب ، أو صار من ورائه ، فخفيت عن عينه الإشارة ، كما ضم أذنه عن العبارة ؛
فحصلت اللبانة من عدم الإسماع بالكلية . وهذا الكلام وإن بولغ فيه بنى الإسماع
اللبة ؛ فهو من إضال الاحتياط ؛ الذى أدعت فيه للبالغة في نفي الاستماع .

وقد بأت الاحتياط في غير المقاطع من مجموع أجل متفرقة في ضروب من الكلام شتى ،
يحملها معنى واحد ، كقوله تعالى : ﴿قُلْ لَّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ
هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ . .﴾^(٢) الآية .

وقوله : ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾^(٣) .

وقوله : ﴿فَأْتُوا بِمِثْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ﴾^(٤) ، كما يقول الرجل لمن يجهل : ما يصح على درهما
ولا داخا ولا حبة ، ولا كثيراً ولا قليلا . ولو قال : «ما يصح على شيئاً» لأغنى في الظاهر ؛
لكن التفصيل أدل على الاحتياط ، وعلى شدة الاستبعاد في الإنكار .

ومنه قوله تعالى : ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَأْكُلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(٥) فإن المعنى ثم

(١) سورة الإسراء ٨٣

(٢) سورة الإسراء ٨٨

(٣) سورة هود ١٣

(٤) سورة البقرة ٢٣

(٥) سورة يس ٢١

يقوله : ﴿ أجزأ ﴾ ، ثم زاد الفاصلة المناسبة لرموس الآي ؛ فأدخل بها كاترى ؛ حتى أتى بها
تفيد معنى زائداً على معنى الكلام .

فصل

في ضابطه القواصل

ذكره الجبيرى ؛ ولمرقها طريقان : توقيف وقياسى :

الأول التوقيف ، روى أبو داود^(١) عن أم سلمة : لما سئلت عن قراءة رسول الله صلى
الله عليه وسلم قالت : « كان يقطع قراءته آية آية . وقرأت : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾
إلى ﴿ الذين ﴾ ، وقف على كل آية . فبنى « يقطع قراءته آية آية » ؛ أى يقف على كل
آية ؛ وإنما كانت قراءته صلى الله عليه وسلم كذلك ليعلم رموس الآي .

قال : وهم فيه من سماء وقف السنة ، لأن فعله عليه السلام إن كان تمبدا فهو مشروع
لنا ، وإن كان لتبره فلا . فما وقف عليه السلام عليه دائماً تحققتنا أنه فاصلة ، وما وصله دائماً
تحققنا أنه ليس بفاصلة ، وما وقف عليه مرة وتوصله أخرى احتمل الوقف أن يكون لتبريفهما ،
أو لتبريف الوقف التام ، أو للاستراحة . والوصل أن يكون غير فاصلة ، أو فاصلة وصلها
لتقدم تبريفها .

الثانى القياسى ؛ وهو ما ألحق من المحتمل غير للنصوص بالنصوص ، لمناسب . ولا
محذور فى ذلك ؛ لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان ؛ وإنما غايته أنه محل فصل أو وصل . والوقف
على كل كلمة جائز ، ووصل القرآن كله جائز ، فاحتاج القياسى إلى طريق تبرفه ؛ فأقول :
فاصلة الآي كقربة للسجدة فى النثر ، وقافية البيت فى النظم ؛ وما يذكر من عيوب القافية من

(١) سنن أبي داود : ١ ، ١١٠

اختلاف الحذف^(١) والإشباع، والتوجيه، فليس بسبب في الفاعلة، وجزأ الاعتقال في الفاعلة والقرينة وقافية الأرجوزة ؛ من نوع إلى آخر ؛ بخلاف قافية التصيد .

ومن ثم ترى ﴿ يرجعون ﴾ مع ﴿ علم ﴾^(٢) ، و ﴿ اليماد ﴾ مع ﴿ الثواب ﴾^(٣) ، و ﴿ الطارق ﴾ مع ﴿ الثاقب ﴾^(٤) .

والأصل في الفاعلة والقرينة للتجردة في الآلة والسجعة المساواة ؛ ومن ثم أجمع المأذون على ترك عدّ ﴿ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ﴾^(٥) و ﴿ وَلَا لِلْآنَسِكُ الْقُرْيُونَ ﴾^(٦) بالنساء، و ﴿ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ ﴾^(٧) بسبعان ، و ﴿ لَتُبَشِّرَ بِهِ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾^(٨) بحررم ، و ﴿ لَهُمْ يَتَّقُونَ ﴾^(٩)

(١) في الإتيان : « اختلاف الحركة » . والحذف والإشباع والتوجيه من عيوب التافية، التي تندرج تحت ما اصطالحوا على تسميته بالساند ؛ وهو اختلاف ما قبل الروى ، (وهو الذى تبقى عليه قافية القصيدة من الحروف) . وسناد الإشباع : هو اختلاف حركة الحنجل ، مثل كسرة الماء وقصة العين في قولك : « مجاهد وتابع » . وسناد الحذف : اختلاف حركة الحرف الذى قبل الروى المطلق ، مثل ضمة النون وكسرة الكاف في قولك : « سند ، وكذ » . وسناد التوجيه: اختلاف حركة الحرف الذى قبل الروى للقيد ، كفتحة اللام وضمة في قولك : « حلم وحلم » . وانظر مفتاح العلوم ٣٠١ .

(٢) من قوله تعالى : ﴿ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَآكُفُّوا آخِرَهُ لِمَنَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ، مع قوله : ﴿ قُلْ إِنَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ بَيِّنَاتٍ مِّنْ بَيِّنَاتِهِ مَن يَشَأْ وَاللَّهُ وَسِيعُ الْعِلْمِ ﴾ [سورة آل عمران ٧٤ ، ٧٥] .

(٣) من قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْزَنْ نَّأْيُومَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴾ ، مع قوله : ﴿ وَأَقَامَهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ [سورة آل عمران ١٩٤ ، ١٩٥] .

(٤) من قوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ . النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾ ، [سورة الطارق ١ - ٣] .

(٦) سورة النساء ١٧٢

(٨) سورة مريم ٩٧

(٥) سورة النساء ١٣٣

(٧) سورة الإسراء ٥٩

(٩) سورة طه ١٣

بطه ، و ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ ^(١) و ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ^(٢) بالطلاق لم يُشأ كل طرفيه .

وعلى تركعة ﴿أَفَتَدِينُ اللَّهُ مَبْنُوتَ﴾ ^(٣) بآل عمران ، و ﴿أَفَصَحَّكَمُ الْجَاهِلِيَّةُ يَبْنَونَ﴾ ^(٤) بالمائدة ، وعدُّوا نظائرهما للنسبة ، نحو ﴿لأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ ^(٥) بآل عمران ، و ﴿عَلَىٰ أَهْلِ كَذِبًا﴾ ^(٦) بالكهف ، و ﴿وَالسَّوَّى﴾ ^(٧) بطه .

وقد يتوجه الأمران في كلمة فيختلف فيها ؛ ففيها البسلة وقد نزلت بعض آية في الخلل ^(٨) ، وبمضها في أثناء القامعة ^(٩) في بعض الأحرف السبعة .

فنقرأ بحرف نزلت فيه عدها آية ، ولم يحتج إلى إثباتها بالقياس للنص المتقدم ، خلافاً للمأثري . ومن قرأ بحرف لم ينزل منه لم يدها ؛ ولزمه من الإجماع على أنها سبع آيات أن ينشد عوضها . وهو بعد ﴿اهدنا﴾ لقوله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى : « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين » ^(١٠) .

(١) سورة الطلاق ١١	(٢) سورة الطلاق ١٢
(٣) سورة آل عمران ٨٣	(٤) سورة المائدة ٥٠
(٥) سورة آل عمران ١٩٠	(٦) سورة الكهف ١٥
(٧) سورة طه ٨٠	(٨) آية ٣٠
(٩) آية ٢	

(١٠) الصلاة : القامعة ؛ لأن الصلاة لا تصح إلا بها . الحديث كإرواه مسلم في كتابه الماجد وموافق الصلاة عن أبي هريرة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدى ماسأل ؛ فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله تعالى : جددى عبدي ، وإذا قال : الرحمن الرحيم قال الله تعالى : أتيت على عبدي ، وإذا قال : مالك يوم الدين قال : جددى عبدي - وقال مرة فوض إلى عبدي - فإذا قال : إلهي نبي وإلهي نستعين قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبدى ماسأل ، فإذا قال : اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ، قال : هذا لعبدى ولعبدى ماسأل . صحيح مسلم (١٠١ : ٣) .

«أى قراءة الصلاة، تمد منها، ولا للعبد إلا هاتان، و ﴿الستيم﴾ محقق، قسمتا بينهما قسمين؛ فسكانت ﴿عليهم﴾ الأولى؛ وهى مائة فى الروى لما قبلها^(١).

ومنها حروف القواخ؛ فوجهٌ عدّها استقلالها على الرفع والنصب ومناسبة روى والردف. ووجه علمه الاختلاف فى الكية والتعلق على الجزء.

ومنها بالبقرة ﴿عذاب ألم﴾^(٢) و ﴿إنما نحن مُصْلِحُونَ﴾^(٣) فوجه عدّه مناسبة الروى، ووجه علمه تعلقه بتاليه.

ومنها ﴿إلى بنى إسرائيل﴾^(٤) بآل عمران؛ حملا على ملق الأعراف^(٥) والشمر^(٦) والسجدة^(٧) والزخرف^(٨).

ومنها ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ﴾^(٩) بالزمر؛ لتقدير تاليه مفعولا ومبتدأ^(١٠).

ومنها ﴿والطور﴾، و ﴿الرجن﴾، و ﴿الحاقة﴾، و ﴿القارعة﴾، و ﴿والصمر﴾ حملا على ﴿والقبر﴾ و ﴿الضحى﴾ المناسبة، لكن تفاوتت فى الكية.

(١-١) كذا وردت البارة خاصة فى جميع الأصول؛ وفى الجامع لأحكام القرآن ١: ٩٤ ما يأتى، بعد أن أورد الحديث: «قوله سبحانه: «قسمت الصلاة» يريد القاعة؛ وعاما صلاة لأن الصلاة لا تصح إلا بها، فجعل الثلاث الآيات الأول لنفسه، واختص بها تبارك اسمه، ولم يخلف للكون فيها، ثم الآية الرابعة جعلها بينه وبين عبده؛ لأنها تضمنت تذلل العبد وطلب الاستعانة منه، وذلك يتضمن تعظيم الله تعالى، ثم ثلاث آيات، تسعة سبع آيات. وما يدل على أنها ثلاث قوله: «مؤلا لبيدي»، أخرجه مالك، ولم يقل: «هاتان» فهذا يدل على أن أنصت عليهم آية».

(٢) سورة البقرة ١٠ والآية: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بما كانوا يكذبون^(٣).

(٤) آل عمران ٤٩ ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

(٥) آية ١٠٠ ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

(٦) الشعراء ١٧ ﴿أَنْ أَرْسِلَ مَعْتًا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

(٧) السجدة ٢٣ ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

(٨) الزخرف ٥٩ ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

السَّعِيدُ الدَّيْلَمِي فِي جَمْعِ الْوُجُوهِ وَالنَّفَائِرِ

وقد صنف فيه قديماً مقاتل بن سليمان ، وجمع فيه من المتأخرين ابنُ الزاغوني^(١) وأبو الفرج^(٢) بن الجوزي ، والدامغانى^(٣) الواعظ ، وأبو الحسين بن فارس^(٤) ، وسُمي كتابه «الأفراد»^(٥).

فالوجوه اللفظ للترك الذى يستعمل فى عدة معاني ؛ كلفظ « الأمة » ،
والنفاير كالألفاظ للتواخلة .

وقيل : النفاير فى اللفظ ، والوجوه فى المعاني ؛ وضُفَّ لآله لو أريد هذا لكان الجمع فى^(٦) الألفاظ المشتركة ، وهم يذكرون فى تلك الكتب اللفظ الذى معناه واحد فى مواضع كثيرة ؛ فيعملون الوجوه نوعاً لأقسام ، والنفاير نوعاً آخر ، كالأمثال .
وقد جمل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن ؛ حيث كانت للكلمة الواحدة تنصرف إلى عشرين وجهاً أو أكثر أو أقل ؛ ولا يوجد ذلك فى كلام البشر .

(١) هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن نصر الزاغوني الملقب بالبنداقى . منسوب إلى زاغونى من أعمال بغداد . كان شيخ المنايا وأعظم أعيانهم ، توفى سنة ٥٢٢ . (وانظر ترجمته فى شذرات الذهب ٤ : ٨٠)
(٢) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي صاحب كتاب اللغز فى التاريخ . توفى سنة ٥٩٧ . (وانظر ترجمته فى ابن خلكان ١ : ٢٧٩) .

(٣) له قاضى القضاة أبو عبد الله الدامغانى محمد بن علي بن محمد الحنفى : توفى سنة ٤٧٨ . (شذرات الذهب ٣ : ٣٦٢) .

(٤) هو أحمد بن فارس بن زكريا ؛ صاحب المجلد ومقاييس اللغة ، وفقه اللغة وغيره . توفى سنة ٣٩٠ . (وانظر ترجمته فى إنباء الرواة ١ : ٩٣) .

(٥) زاد السيوطى فى الإتقان (١ : ١٤١) محمد بن عبد الصمد المصرى . (٦) ت : م ، « بين » .

وذكر مقاتل في صدر كتابه حديثاً مرفوعاً^(١) : « لا يكون الرجل قبيحاً كل الفقه^(٢) حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة » .

فنه « الهدى » نبيمة حشر حرقاً :

بمعنى البيان ؛ كقوله تعالى : « أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ »^(٣) .

وبمعنى الدين : « إِنَّ الْهُدَى هُدًى اللَّهِ »^(٤) .

وبمعنى الإيمان : « وَزَيَّدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا هُدًى »^(٥) .

وبمعنى الداعي : « وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ »^(٦) . « وَجَعَلْنَاهُمْ أَرْبَعَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا »^(٧) .

وبمعنى الرسل والكتب : « فَلَمَّا يَا تَنبَخُّمُ مَتَى هُدًى »^(٨) .

وبمعنى المعرفة : « وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ »^(٩) .

وبمعنى الرشاد : « اهْتَدِنَا الصِّرَاطَ السَّيِّدَ »^(١٠) .

وبمعنى محمد صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا آتَيْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدًى »^(١١) . « مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدًى »^(١٢) .

وبمعنى القرآن : « وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدًى »^(١٣) .

(١) الحديث 'الرُفُوع' : ما أضيف إلى النبي، صلى الله عليه وسلم خاصة، من فعل أو تفرير؛ سواء كان متصلاً أو متعللاً ؛ لسقوط الصحابي منه أو غيره . (قواعد التحديث ١٠٤) .

(٢) قال السيوطي : أخرجه ابن سعد وغيره عن أبي الدرداء مرفوعاً ، وللفقه « لا يفتنه الرجل كل الفقه » ، وقد فسره بفهم بأن المراد أن يرى النظم الواحد يحتمل معاني متعددة فيجعله عليها إذا كانت غير متضادة ولا يقتصر به على معنى واحد . وانظر الإتيان (١ : ١٤١) .

- | | |
|----------------------|----------------------|
| (٣) سورة البقرة ٥ | (٤) سورة آل عمران ٧٣ |
| (٥) سورة مريم ٧٦ | (٦) سورة الرعد ٧ |
| (٧) سورة الأنبياء ٧٣ | (٨) سورة البقرة ٣٨ |
| (٩) سورة الحل ١٦ | (١٠) سورة الفاتحة ٦ |
| (١١) سورة البقرة ١٥٩ | (١٢) سورة محمد ٣٧ |
| (١٣) سورة النجم ٢٣ | |

وبمعنى التوراة : (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى ^(١)) .
 وبمعنى الاسترجاع : (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ^(٢)) ؛ ونظيرها في القرآن : (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ ^(٣)) أى في المصيبة أنها من عند الله (يَهْدِ قَلْبَهُ ^(٤)) للاسترجاع .
 وبمعنى الحجة : (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ^(٥)) بعد قوله : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ) ، أى لا يهديهم إلى الحجة .
 وبمعنى التوحيد : (إِنْ نَقَبَسَ هُذًى مَعَكَ ^(٦)) .
 وبمعنى السنة : (وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ^(٧)) .
 وبمعنى الإصلاح : (وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ^(٨)) .
 وبمعنى الإلهام : (أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ^(٩)) ، هدى كلاً في مبيته .
 وبمعنى التوبة : (إِنَّا هُذْنَا إِلَيْكَ ^(١٠)) أى تبتنا .
 وهذا كثير الأنواع .

(١) سورة طه ٥٣

(٢) سورة البقرة ١٥٧ ؛ وعليها : (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) .

(٣) سورة التين ١١ والآية بتسا : (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) .

(٤) سورة البقرة ٢٥٨

(٥) سورة القصص ٥٧

(٦) سورة الزمر ٢٢ ، وزاد السيوطي في الإتيان : (فَبَهْدًا لَهُمْ أَفْقَدُوهُ) [الألف ١٠] .

(٧) سورة يوسف ٥٢

(٨) سورة طه ٥٠

(٩) سورة الأعراف ١٥٦

وقال ابن فارس في كتاب « الأفراد » :

كلّ ما في كتاب الله من ذكر « الأسف » فمعناه الحزن ؛ كقوله تعالى في قصة يعقوب عليه السلام : ﴿ يَا أَسْفًا عَلَى يَوْسَفَ ﴾ ^(١) إلا قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا ﴾ ^(٢) . فإن معناه « أغضبونا » ^(٣) ؛ وأما قوله في قصة موسى عليه السلام : ﴿ غَضِبْنَا أَسْفًا ﴾ ^(٤) قال ابن عباس : « متعاطا » .

وكلّ ما في القرآن من ذكر « البروج » فإنها الكواكب ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَالسَّاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾ ^(٥) إلا التي في سورة النساء : ﴿ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي رُجُوعٍ مُّشْتَدٍّ ﴾ ^(٦) ، فإنها القصور الطوال ، للرجعة في السماء ، الحصينة .

وما في القرآن من ذكر « البر » و « البحر » فإنه يراد بالبحر لاء ، وبالبرّ القراب اليابس ، غير واحد في سورة الروم : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ ^(٧) فإنه بمعنى البرية والمران . وقال بعض علمائنا : ﴿ فِي الْبَرِّ ﴾ قتل ابن آدم أخاه ، وفي « البحر » أخذ اللص كلّ سفينيّة غصباً .

والبخس في القرآن النقص ؛ مثل قوله تعالى : ﴿ فَلَا يَخَافُ بُخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾ ^(٨) إلا حرفاً واحداً في سورة يوسف : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ﴾ ^(٩) ؛ فإن أهل التفسير قالوا : بخس : حرام .

وما في القرآن من ذكر البئيل فهو الزوج ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَبَوَّاتُهُنَّ أَهْقُ

(١) يوسف ٨٤

(٢) سورة الزخرف ٥٥

(٤) سورة الأعراف ١٥٠ ، طه ٨٦

(٦) سورة النساء ٧٨

(٧) سورة الروم ٤١

(٩) سورة يوسف ٢٠

(٣) كلما في ت ، ط ، و في م : « تنضبونا »

(٥) سورة البروج ١

(٨) سورة الجن ١٢

يَرْدُّهُنَّ»^(١) إلا حرفاً واحداً في الصافات : ﴿أَعْلَتُونَ بَعْلًا﴾^(٢) ، فإنه أراد حنا .
 وما في القرآن من ذكر البكم فهو انطرس عن الكلام بالإيمان ؛ كقوله : ﴿مُصَّبُكُمْ﴾^(٣) ؛ إنما أراد ﴿بُكُمْ﴾ من الطلق والتوحيد مع صفة ألسنتهم ؛ إلا حرفين :
 أحدهما في سورة بني إسرائيل^(٤) : ﴿عُيَاوُيُكُمَا وَمَا﴾ والثاني في سورة النحل : قوله عز وجل : ﴿أَحْدُمَا أَبُكُمْ﴾^(٥) فإنهما في هذين اللمتين : اللتان لا يقدران على الكلام .
 وكل شيء في القرآن : ﴿جَنِيًّا﴾ غمنا «جميعا» إلا التي في سورة الشريعة^(٦) :
 ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَانِيَةً﴾ فإنه أراد قمتها على ركبتها .

وكل حرف في القرآن «حسبان» فهو من العدد ، غير حرف في سورة الكهف
 ﴿حُسْبَانًا مِنَ الْمَاءِ﴾^(٧) فإنه بمعنى المذاب .

وكل ما في القرآن : «حسرة» فهو الندامة ؛ كقوله عز وجل : ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾^(٨)
 إلا التي في سورة آل عمران : ﴿لِيَجْزَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾^(٩) فإنه يعني
 به «حزنا» .

وكل شيء في القرآن : «الفاخص» و «الفاخص» فمناه الباطل ؛ كقوله :
 ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً﴾^(١٠) ، إلا التي في سورة الصافات : ﴿فَكَانَ مِنَ اللَّذَخِينَ﴾^(١١) .
 وكل حرف في القرآن من «رجز» فهو المذاب ؛ كقوله تعالى في قصة بني إسرائيل :

(١) سورة البقرة ٢٢٨

(٢) سورة الصافات ١٢٥

(٣) هي التي تسمى الإسراء ، آية ٩٧

(٤) هي التي تسمى الجاثية ، آية ٢٨

(٥) سورة يس ٣٠

(٦) سورة التورى ١٦

(٧) سورة الصافات ١٤١ . وكان من اللذخين : أي من النارين .

(٢) سورة البقرة ١٨

(٥) سورة النحل ٧٦

(٧) سورة الكهف ٤٠

(٩) سورة آل عمران ١٥٦

﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ﴾^(١) إلّا في سورة اللّذر: ﴿وَالرِّجْزَ فَاصْبِرْ﴾^(٢) فإنه بمعنى: الصّبر، فاجتنبوا عبادته.

وكل شيء في القرآن من «رب» فهو شك، غير حرف واحد؛ وهو قوله تعالى: ﴿تَتَرَبَّصُّ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾^(٣) فإنه بمعنى حوادث الدهر.

وكل شيء في القرآن: «يَرْجُمُكُمْ» و«يَرْجُوكُمْ» فهو القتل، غير التي في سورة مريم عليها السلام: ﴿لَا رَجُوكَ﴾^(٤) بمعنى لأشتمك.

قلت: وقوله: ﴿رَجِمَا بِالْثَبِيبِ﴾^(٥) أي ظنا. والرجم أيضاً: الطرد والهن؛ ومنه قيل للشيطان: رجم.

وكل شيء في القرآن من «زور» فهو الكذب؛ ويراد به الشرك؛ غير التي في المجادلة: ﴿مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾^(٦)، فإنه كذب غير شرك.

وكل شيء في القرآن من «زكاة» فهو للال، غير التي في سورة مريم: ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً﴾^(٧)؛ فإنه بمعنى «تطفا».

وكل شيء في القرآن من «زاعوا» ولا «تَزُغْ» فإنه من «مالوا» ولا «تل» غير واحد في سورة الأحزاب: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾^(٨) بمعنى «شخصت».

وكل شيء في القرآن من «يَسْعَرُونَ» و«سخرنا» فإنه يراد به الاستهزاء، غير التي في سورة الزخرف: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرَ بِا﴾^(٩)، فإنه أراد^(١٠) أعوانا وخدماً.

وكل سكينه في القرآن طائفة في القلب غير واحد في سورة البقرة: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ

(١) سورة الأعراف ١٤٤	(٢) سورة اللّذر ٥
(٣) سورة الطور ٣٠	(٤) سورة مريم ٤٦
(٥) سورة الكهف ٢٤	(٦) سورة المجادلة ٢
(٧) آية ١٣	(٨) آية ١٠
	(٩) آية ٣٢
	(١٠) ط ٨ حونا

من رَيْسِكُمْ^(١)، فإنه يبنى شيئاً كرأس المرة لما جنحان كانت في التابوت .
 وكل شيء في القرآن من ذكر « السميع » فهو النار والوقود إلا قوله عز وجل :
 ﴿إِنَّ لِلْجَرِيمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُورٍ﴾^(٢)، فإنه الضاد .
 وكل شيء في القرآن من ذكر « شيطان » فإنه إبليس وجنوده وذريته إلا قوله
 تعالى في سورة البقرة : ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾^(٣)؛ فإنه يريد كهنتهم : مثل كعب
 ابن الأشرف وحَيَّ بن أخطب وأبي ياسر أخيه .
 وكل « شهيد » في القرآن غير القتلى في النزود فهم الذين يشهدون على أمور الناس ،
 إلا التي في سورة البقرة قوله عز وجل : ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾^(٤)، فإنه يريد شركاءكم .
 وكل ما في القرآن من « أصحاب النار » فهم أهل النار إلا قوله : ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ
 النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾^(٥) فإنه يريد خزنتها .
 وكل « صلاة » في القرآن فهي عبادة ورحمة إلا قوله تعالى : ﴿وَسَلَوَاتٍ وَمَسَاجِدُ﴾^(٦)
 فإنه يريد بيوت عبادتهم .
 وكل « صم » في القرآن فهو عن الاستماع للإيمان ، غير واحد في بني إسرائيل ، قوله
 عز وجل : ﴿عُمَيَّا وَبُكْنًا وَصَمًا﴾^(٧)، معناه لا يسمعون شيئاً .
 وكل « عذاب » في القرآن فهو التنذيب إلا قوله عز وجل : ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا﴾^(٨)
 فإنه يريد الضرب .

وإِنَّمَا تَنْوَن : للطعمون ، لكن قوله عز وجل في البقرة : ﴿كُلُّ لَهٗ قَاتِنُونَ﴾^(٩)

(١) آية ٢٤٨

(٢) سورة القمر ٤٧

(٣) سورة البقرة ٢٣

(٤) سورة الحج ٤٠

(٥) سورة التور ٢

(٦) سورة البقرة ١٤

(٧) سورة الدثر ٣١

(٨) سورة الإسراء ٩٧

(٩) سورة البقرة ١٦٦

«ماه» مقرون ، وكذلك في سورة الروم: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ شَيْءٍ قَانِتُونَ﴾^(١) ، يعنى مقرون بالمبودية .

وكل «كنز» في القرآن فهو لئال إلا القى في سورة الكهف: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾^(٢) فإنه أورد مصحفاً وعلماً .

وكل «مصباح» في القرآن فهو الكوكب إلا القى في سورة النور: ﴿لِلْمَصْبَاحِ فِي زُجَاجَةٍ﴾^(٣) ، فإنه السراج نفسه .

النكاح في القرآن الزوج ؛ إلا قوله جل ثناؤه: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النُّكَاحَ﴾^(٤) فإنه يعنى الحلم .

النبا والأنباء في القرآن الأخبار ؛ إلا قوله تعالى: ﴿فَصَبِّحْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءَ﴾^(٥) ؛ فإنه يعنى الصحيح .

الورد في القرآن المخول ، إلا في القصص: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾^(٦) ، يعنى هجم عليه ولم يدخله .

وكل شيء في القرآن من ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ هَيْسًا إِلَّا وَُسْمًا﴾^(٧) ؛ يعنى عن العمل إلا القى في سورة النساء^(٨) ﴿إِلَّا مَا آتَاهَا﴾^(٩) يعنى الثقة .

وكل شيء في القرآن من يأس فهو القنوط ، إلا القى في الرعد: ﴿أَعْلَمَ يَبْدُشَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(١٠) أى ألم يعلموا . قال ابن فارس: أنشدنى أبى ، فارس بن زكريا :

- | | |
|---|---|
| (١) سورة الروم ٢٦ | (٢) سورة الكهف ٨٢ |
| (٣) سورة النور ٣٥ | (٤) سورة النساء ٦ |
| (٥) سورة القصص ٦٦ | (٦) سورة القصص ٢٣ |
| (٧) سورة البقرة ٢٧٦ | (٨) حاشية ط: «بوالنصرى» ، وهى سورة الطلاق . |
| (٩) آية ٧: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ هَيْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ . | |
| (١٠) سورة الرعد ٣١ . | |

أقول لهم بالشَّعْبِ إِذْ يَنْسِرُونِي. أَلَمْ تَنْتَسُوا أَنِي ابْنُ فَارِسٍ زَهْدَمٍ^(١)
قال الصاعاني^(٢) : البيت لسجيم بن وثيل اليربوعي .
وكل شيء في القرآن من ذكر « الصبر » محمود، إلا قوله عز وجل : ﴿لَوْلَا أَن صَبَرْنَا
عليها﴾^(٣) ، و ﴿وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ﴾^(٤) . انتهى ما ذكره ابن فارس .

وزاد غيره : كل شيء في القرآن : « لِمَلِكٍ » فهو بمعنى « لسكى » غير واحد في
الشعراء « لِمَلِكٍ تَحْلُدُونَ »^(٥) فإنه للتشبيه ؛ أى كأنكم .
وكل شيء في القرآن « أَقْطُوا » فهو بمعنى المدل، إلا واحد في الجنب : ﴿وَأَمَّا التَّاسِطُونَ
فَكَانُوا لِحَبْلِهِمْ خَبَلًا﴾^(٦) . يعنى المادلين الذين يعدلون به غيره ؛ هذا باعتبار صورة
اللفظ ؛ وإلا فعادة الرباعى تخالف مادة الثلاثى .
وكل « كَفَّ » في القرآن يعنى جانباً من السماء غير واحد، في سورة الروم : ﴿وَيَجْعَلُهُ
كِفًّا﴾^(٧) يعنى السحاب قسماً .

وكل « ماء معين » فالمراد به الماء الجارى ؛ غير الذى في سورة تبارك^(٨) ؛ فإن
المراد به الماء الطاهر الذى تناله الدلاء ؛ وهى زمزم .

(١) زهدم : اسم فارس لسجيم بن وثيل ؛ وقيل إن هذا البيت لابنه حابر وليس له . وانظر اللسان -
بأس - زهدم .

(٢) هو الإمام رضى الله عنهما . وقال الصاعاني - وقال الصاعاني : صاحب تشكيلة على اللسان -
توفى سنة ٦٥٠ (بنى الرطة ٢٢٧)

(٣) سورة الفرقان ٤٢
(٤) سورة الشعراء ١٢٩
(٥) سورة الروم ٤٨
(٦) سورة مريم ٦
(٧) سورة الجنب ١٥

(٨) قوله تبارك : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنِّي أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيَكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ
آية ٣٠ .

وكل شيء في القرآن « ثلثا » فهو بمعنى « كيلا » غير واحد في الحديد : ﴿ ثَلَاثًا يَمْلَأُ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾^(١) ؛ بمعنى لكي يعلم .

وكل شيء في القرآن « من الظلمات إلى النور » فهو بمعنى الكفر والإيمان ؛ غير واحد في أول الأنعام : ﴿ وَجَمَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾^(٢) يعني غلظة الليل ونور النهار .

وكل « صوم » في القرآن فهو الصيام المعروف ، إلا التي في سورة مريم : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ﴾^(٣) يعني صمتًا .

وذكر أبو عمرو الداني في قوله تعالى : ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾^(٤) أن المراد بالحضور هنا الشاهدة . قال : وهو بالظلمة بمعنى للنعم والتعويط ، قال : ولم يأت بهذا المعنى إلا في موضع واحد ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ فَكَانُوا كُنُوزًا الْمَحْفُوظِ ﴾^(٥) .

قيل : وكل شيء في القرآن : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ ﴾ قد أخبرنا به ، وما فيه : ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ ﴾ فلم يخبرنا به ؛ حكاه البخاري رحمه الله في تفسيره . واستدرك بعضهم عليه موضعا ، وهو قوله : ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾^(٦) .

وقيل : الإغراق حيث وقع في القرآن فهو الصدقة ؛ إلا في قوله تعالى : ﴿ فَأَتَوْا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَقْفَوْا ﴾^(٧) فإن المراد به للنهر ؛ وهو صدقة في الأصل ؛ تصدق الله بها على النساء .

(١) سورة الحديد ٢٩

(٢) سورة الأنعام ١٠

(٣) سورة مريم ٢٦

(٤) سورة الأعراف ١٦٣

(٥) سورة هجر ٣١

(٦) سورة التوبة ١٧

(٧) سورة التوبة ١٧

النوع الخامس علم المتشابه

وقد صنف فيه جماعة ، ونظمه السخاوي^(١) وصنف في توجيهه الكرماني^(٢) كتاب
« البرهان » ، والرازي^(٣) كتاب « درة التأويل » وأبو جعفر بن الزبير ، وهو أبسطها في
مجلدين .

وهو إيراد القصة الواحدة في صورٍ شتى وفواصل مختلفة . ويكثر في إيراد القصص
والأنباء ، وحكته التصرف في الكلام وإتيانه على ضروب ؛ ليعلمهم محزم من جميع طرق
ذلك : مبتدأ به ومتكررا ، وأكثر أحكامه ثبت من وجهين ، فلماذا جاء باعتبارين .
وفيه فصول :

الفصل الأول

[للتشابه باعتبار الأفراد]

الأول باعتبار الأفراد ، وهو على أقسام :

-
- (١) هو علم الدين علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي ، صاحب كتاب هداية الراتب في التشابه ؛
وهي منظومة تعرف بالضاوية : توفي سنة ٦٤٣ . (وانظر ترجمته في ابن خلكان ١ : ٣٤٥)
(٢) هو أبو القاسم برهان الدين محمود بن حمزة بن نصر الكرماني الشافعي ، الملقب تاج القراء : توفي
بعد سنة ٥٠٠ ، وكتابه هو البرهان في تشابه القرآن ، منه نسخ خطية في المكتبة التيمورية ، ودار
الكتب ، والأزهر . (وانظر ترجمته في بنية الرحلة ٢٨٧) .
(٣) ت « الحارثي » تحريف ، وهو الإمام غر الدين الرازي - تقدمت ترجمته . واسم كتابه في
كشف القنون : « درة التفريل وغرة التأويل » . ومنه نسخ خطية بدار الكتب المصرية .

الأول أن يكون في موضعٍ على نظمٍ ، وفي آخرٍ على عكسه ، وهو يشبه ردَّ العَجَزِ على الصَّدرِ ^(١) ؛ ووقع في القرآن منه كثير .

في البقرة : ﴿ وَأَدْخُلُوا آلَ الْبَابِ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ ^(٢) ، وفي الأعراف : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَأَدْخُلُوا آلَ الْبَابِ سُجَّدًا ﴾ ^(٣) .

في البقرة : ﴿ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ ﴾ ^(٤) ، وفي الحج : ﴿ وَالصَّابِئِينَ وَالْمَسَارِيَ ﴾ ^(٥) .
في البقرة والأنعام : ﴿ قُلْ إِن هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَى ﴾ ^(٦) ، وفي آل عمران : ﴿ قُلْ إِنَّ الْهَدَى هَدَى اللَّهِ ﴾ ^(٧) .

في البقرة : ﴿ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ ^(٨) ، وفي الحج : ﴿ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ ﴾ ^(٩) .
في البقرة : ﴿ وَمَا أَهْلٌ بِهِ لِنَبِيِّ اللَّهِ ﴾ ^(١٠) ، وباق القرآن : ﴿ لَنَبِيِّ اللَّهِ بِهِ ﴾ ^(١١) .

(١) رد العجز على الصدر يكون في النثر ويكون في النظم ؛ ففي النثر أن يجعل أحد القطعين للكرارين أى للتفريق في اللفظ والمعنى ؛ أو التباين في اللفظ دون المعنى ، وللتعنين بالتجانين ؛ وما اللذان يجمعهما الاشتقاق أو شبه الاشتقاق - في أول الفقرة والآخر في آخرها ؛ نحو قوله تعالى : ﴿ وَتَحْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ . وفي النظم أن يكون أحدهما في آخر البيت والآخر : إما في صدر المصراع الأول ، أو حذوه أو آخره ، أو صدر المصراع الثاني ؛ كقوله :

سريعٌ إلى ابنِ المِمْ يَلْطُمُ وَجْهَهُ وليس إلى داعيِ الندى بسريع

واظن الصناعتين ٣٨٥ - ٣٨٨

(٢) سورة البقرة ٥٨ . وحطه : مصدر « حط » ومناه عند الحسن وقاعدة : « انحط عنا خطايانا » . كذا ذكره الطبري .

- | | | | |
|------|------------------------------------|------|--|
| (١) | سورة البقرة ٦٢ | (٣) | سورة الأعراف ١٦١ |
| (٦) | سورة البقرة ١٢٠ ، وسورة الأنعام ٧١ | (٥) | سورة الحج ١٧ |
| (٨) | سورة البقرة ١٤٣ | (٧) | سورة آل عمران ٧٣ |
| (١٠) | سورة البقرة ١٧٣ | (٩) | سورة الحج ٧٨ |
| | | (١١) | سورة اللأئمة ٣ ، سورة الأنعام ١٤٥ ، سورة النحل ١١٥ |

- في البقرة: ﴿لَا يَتَذَكَّرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ (١)، وفي إبراهيم: ﴿يَمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ (٢).
- في آل عمران: ﴿وَلَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ (٣)، وفي الأنفال: ﴿وَلَتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ (٤).
- في النساء: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ (٥)، وفي المائدة: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ (٦).
- في الأنعام: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (٧)، وفي حمّ للؤمن: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ (٨).
- في الأنعام: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ (٩)، وفي بني إسرائيل: ﴿نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ (١٠).
- في النحل: ﴿وَنَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ﴾ (١١)، وفي طاطر: ﴿فِيهِ مَوَاجِرَ﴾ (١٢).
- في بني إسرائيل: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ (١٣)، وفي السكف: ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ﴾ (١٤).
- في بني إسرائيل: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ (١٥)، وفي العنكبوت: ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ (١٦).

(١) سورة البقرة ٢٦٤	(٢) سورة إبراهيم ١٨
(٣) سورة آل عمران ١٢٦	(٤) سورة الأنفال ١٠
(٥) سورة النساء ١٣٥	(٦) سورة المائدة ٨
(٧) سورة الأنعام ١٠٢	(٨) سورة حمّ للؤمن ٦٢
(٩) سورة الأنعام ١٥١	(١٠) سورة الإسراء ٣١
(١١) سورة النحل ١٤	(١٢) سورة طاطر ١٢
(١٣) سورة الإسراء ٨٩	(١٤) سورة السكف ٥٤
(١٥) سورة الإسراء ٩٦	(١٦) سورة العنكبوت ٥٢

في « المؤمنين » : ﴿ لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ ﴾ ^(١) ، وفي النمل : ﴿ لَقَدْ وَعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ ^(٢) .

في القصص : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْتَعِيذُ ﴾ ^(٣) . وفي يس : ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى ﴾ ^(٤) .

في آل عمران : ﴿ قَالَ رَبِّ أُنْزِلْ لِي غُلَامًا وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ﴾ ^(٥) ، وفي كهيعص : ﴿ وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ ^(٦) .

الثاني ما يشق به الزيادة والتقصان ؛ ففي البقرة : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ ﴾ ^(٧) ، وفي يس : ﴿ وَسَوَاءٌ ﴾ ^(٨) بزيادة « وار » ، لأن ما في البقرة جملة هي خير عن أسم « إن » ، وما في يس جملة عطف بالوار على جملة .

في البقرة : ﴿ فَأَنزَلْنَا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ﴾ ^(٩) ، وفي غيرها يسقط (من) لأنها للتبيين ؛ ولما كانت سورة البقرة سنام القرآن وأوله بعد الفائدة حسن دخول (من) فيها ؛ ليعلم أن التحدي واقع على جميع القرآن من أوله إلى آخره ، بخلاف غيرها من السور ، فإنه لو دخلها (من) لكان التحدي واقعا على بعض السور دون بعض ، ولم يكن ذلك بالسهل .

في البقرة : ﴿ فَسَنَنْبِيعُ هَذَايَ ﴾ ^(١٠) ، وفي طه ^(١١) : ﴿ فَسَنُأْتِيَنَّكَ هَذَايَ ﴾ ، لأجل قوله هناك : ﴿ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ ﴾ ^(١٢) .

(١) سورة المؤمنون ٨٣	(٢) سورة النمل ٦٨
(٣) سورة القصص ٢٠	(٤) سورة يس ٢٠
(٥) سورة آل عمران ٤٠	(٦) سورة مريم ٨
(٧) سورة البقرة ٦	(٨) سورة يس ١٠
(٩) سورة البقرة ٢٣	(١٠) سورة البقرة ٣٨
(١١) سورة طه ١٢٤	(١٢) سورة طه ١٠٨

في البقرة: ﴿يَذَّبَحُونَ﴾^(١)، بنير « واو » على أنه بِلَّاءٌ من ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾^(٢)،
ومثله في الأعراف: ﴿يَقْتُلُونَ﴾^(٣)، وفي إبراهيم: ﴿يَذَّبَحُونَ﴾^(٤) بالواو، لأنه من
كلام موسى عليه السلام، بمدّ الحن عليهم.

في البقرة: ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلُونَ﴾^(٥)، وفي آل عمران: ﴿وَلَكِنْ
أَنْفُسَهُمْ يَظْلُونَ﴾^(٦).

في البقرة: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا﴾^(٧)، ثم قال:
﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا﴾^(٨).

في البقرة: ﴿وَيُكَفِّرْ عَنْكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٩)، وسائر
ما في القرآن بإسقاط (مِنْ).

وفيها: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾^(١٠)، وفي آل عمران:
﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾^(١١).

قالوا: وجميع ما في القرآن من السؤال لم يقع عنه الجواب بالقاء، إلا قوله تعالى في طه:
﴿وَيْسَأَلُوكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا...﴾^(١٢)، الآية؛ لأن الأجوبة في الجميع
كانت بعد السؤال، وفي طه كانت قبل السؤال. وكأنه قيل: إن سئلت عن الجواب قل.
في الأعراف: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾^(١٣)، بنير « واو »، وليس في القرآن غيره.

(٢) سورة الأعراف ٤١

(٤) سورة إبراهيم ٦

(٦) سورة آل عمران ١٧٧

(٨) سورة البقرة ١٩٦

(١٠) سورة البقرة ١٧٤

(١٢) سورة طه ١٠٥

(١) سورة البقرة ٤٩

(٣) سورة الأعراف ١٤١

(٥) سورة البقرة ٥٧

(٧) سورة البقرة ١٨٥

(٩) سورة البقرة ٢٧١

(١١) سورة آل عمران ٧٧

(١٣) سورة الأعراف ٥٩

في البقرة: ﴿وَيَسْكَنُ الَّذِينَ فِيهِ﴾^(١)، وفي الأنفال: ﴿كُلُّهُ فِيهِ﴾^(٢).
 في آل عمران: ﴿أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(٣)، وفي اللائدة: ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(٤).
 في آل عمران: ﴿جَاهِدُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْأُنِيرِ﴾^(٥) بياء واحدة
 إلا في قراءة ابن عامر، وفي فاطر: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْأُنِيرِ﴾^(٦)
 بثلاث باءات.

في آل عمران: ﴿هَٰئِنْتُمْ أُولَٰءِ نَحْبِثُونَهُمْ وَلَا يَحْبِثُونَكُمْ﴾^(٧) وسائر ما في القرآن:
 ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ بإثبات الهاء.

في النساء: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٨) بالواو، وفي ﴿براءة﴾^(٩)
 ﴿ذلك﴾ بغير واو.

في النساء: ﴿فَاسْخُوعُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾^(١٠)، وفي اللائدة بزيادة (منه)^(١١).
 في الأنعام: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ﴾^(١٢) لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ
 لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ، فكرر ﴿لَكُمْ﴾، وقال في هود: ﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾^(١٣)؛ لأنه
 تكرر ﴿لَكُمْ﴾ في قصته أربع مرات فاكثف بذلك.

في الأنعام: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَصِلَ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(١٤)،

-
- | | |
|-----------------------|-----------------------|
| (١) سورة البقرة ١٩٣ | (٢) سورة الأنفال ٣٩ |
| (٣) سورة آل عمران ٦٠ | (٤) سورة اللائدة ١١١ |
| (٥) سورة آل عمران ١٨٤ | (٦) سورة فاطر ٢٥ |
| (٧) سورة آل عمران ١٨٣ | (٨) سورة النساء ١٣ |
| (٩) سورة التوبة | (١٠) سورة النساء ٤٣ |
| (١١) سورة اللائدة ٦ | (١٢) سورة الأنعام ٥٠ |
| (١٣) سورة هود ٣١ | (١٤) سورة الأنعام ١١٧ |

وفي القلم: ﴿يَبْنَ صَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾^(١) بزيادة الباء ولفظ للماضي، وفي النجم: ﴿هُوَ أَعْلَمُ يَبْنَ صَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ يَبْنَ اهْتَدَى﴾^(٢).

في الأنعام: ﴿إِنَّمَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾^(٣)، وفي سورة اللؤمنين بزيادة ﴿تَمُوتُ﴾، وفيها أيضاً: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٤) ليس فيها غيره.

وفيها: ﴿جَلَلَكُمْ خَلَقْتَ أَلْأَرْضِ﴾^(٥)، وفي فاطر: ﴿حَلَّافٌ فِي الْأَرْضِ﴾^(٦)، وإتيان (في).

في الأعراف: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾^(٧)، وفي ص: ﴿أَنْ تَسْجُدَ﴾^(٨)، وفي الحجر: ﴿أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾^(٩) فزاد (لا).

في الأعراف: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾^(١٠) بالقاء، وكذا حيث وقع، إلا في يونس^(١١).

في الأعراف: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾^(١٢) بغير واو، وفي اللؤمنين وهو: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾^(١٣) بالواو.

في الأعراف: ﴿كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾^(١٤) وفي يونس بزيادة ﴿بِهِ﴾^(١٥).

في الأعراف: ﴿يُرِيدُ أَنْ يَمْرُجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾^(١٦)، وفي الشعراء بزيادة ﴿بِسُحْرِهِ﴾^(١٧).

(١) سورة القلم ٧	(٢) سورة النجم ٣٠
(٣) سورة الأنعام ٢٩	(٤) سورة اللؤمنون ٣٧
(٥) سورة الأنعام ١٥٩	(٦) سورة الأنعام ١٦٥
(٧) سورة فاطر ٣٩	(٨) سورة الأعراف ١٢
(٩) سورة ص ٧٥	(١٠) سورة الحجر ٣٢
(١١) سورة الأعراف ٣٤	(١٢) آية ٤٩
(١٣) سورة الأعراف ٥٩	(١٤) سورة هود ٢٥ ، اللؤمنون ٢٣
(١٤) سورة الأعراف ١٠١	(١٥) آية ٧٤
(١٥) سورة الأعراف ١١٠	(١٦) سورة الشعراء ٣٥

في هود: ﴿وَإِنَّا لَنِي شَكَرٍ يَّمَّا نَدْعُونَا﴾^(١)، وفي إبراهيم: ﴿وَإِنَّا لَنِي شَكَرٍ يَّمَّا نَدْعُونَا﴾^(٢).

في يوسف: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٣)، وفي الأنبياء: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾^(٤).

في النحل: ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾^(٥)، وفي العنكبوت: ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾^(٦).

وكذلك حذف «من» من قوله: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾^(٧)، وفي الحج: ﴿مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾^(٨).

في الحج: ﴿كَلِمًا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾^(٩)، وفي السجدة: ﴿مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾^(١٠).

في النمل: ﴿وَأَلْنِي عَصَاكَ﴾^(١١)، وفي القصص: ﴿وَأَنْ أَلْتِي عَصَاكَ﴾^(١٢).

في العنكبوت: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾^(١٣)، وفي هود: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ﴾^(١٤) بغير «أن».

- | | |
|---|-----------------------|
| (١) سورة هود ٦ | (٢) سورة إبراهيم ٩ |
| (٣) سورة يوسف ١٠٩ | (٤) سورة الأنبياء ٧ |
| (٥) سورة النحل ٦٥، وفي حاشية ط: «تقدم في كلامه قريبا أنه في العنكبوت كذلك». | (٦) سورة العنكبوت ٦٣ |
| (٨) سورة الحج ٥ | (٧) سورة النحل ٧٠ |
| (١٠) سورة السجدة ٢٠ | (٩) سورة الحج ٢٢ |
| (١٢) سورة القصص ٢١ | (١١) سورة النمل ١٠ |
| (١٤) سورة هود ٧٧ | (١٣) سورة العنكبوت ٢٢ |

في النكبت : ﴿ فَأَحْيَاهُ الْاَرْضَ مِنْ بَدْدٍ مَوْتِهَا ﴾^(١) زيادة ﴿ مِنْ ﴾ ليس غيره . .
في سورة المؤمن : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ﴾^(٢) ، وفي طه : ﴿ آتِيَةٌ ﴾^(٣) .
في النحل : ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾^(٤) ، وفي الأعراف : ﴿ مِنْ
دُونِهِ ﴾^(٥) .

في المؤمن : ﴿ مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ . إِلَى فِرْعَوْنَ ﴾^(٦) ،
وفي المؤمن يسقط ذكر « الأخ »^(٧) .

في البقرة : ﴿ يَدْعُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾^(٨) وفي سورة إبراهيم : ﴿ يَدْعُونَ ﴾^(٩)
بالواو ؛ ووجهه أنه في سورة إبراهيم قدم ﴿ وَذَكَرْتُمْ يَا أَيُّهَا اللَّهُ ﴾^(١٠) ، وهي أوقات عقوبات
إلى أن قال : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ ، واللائق أن يمدد
امتصانهم تنديدا ليؤذن بصدق الجمع عليه لتكثير اللنة ، ولذلك أتى بالمطف ليؤذن بأن
إسمائهم المذاب مغايرٌ لتذبيح الأبناء وسبي النساء ؛ وهو ما كانوا عليه من التسخير ،
بمخلاف المذكور في البقرة . فإن ما بعد ﴿ يَسُومُونَكُمْ ﴾ تفسير له ، فلم يطف عليه . ولأجل
مطابقة السابق جاء في الأعراف : ﴿ يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾^(١١) ، لطابق : ﴿ سَقَتْلَ أَبْنَاءَهُمْ
وَنَسَجِي نِسَاءَهُمْ ﴾^(١٢) .

الثالث : التقديم والتأخير ، وهو قريب من الأول ، ومنه في البقرة : ﴿ يَقْتُلُوهُمْ عَلَيْهِمُ

- | | |
|-----------------------|-----------------------|
| (١) سورة النكبت ٦٣ | (٢) سورة طاهر ٥٩ |
| (٣) سورة طه ١٥ | (٤) سورة النحل ٢٠ |
| (٥) سورة الأعراف ١٩٧ | (٦) للمؤمنون ٤٥ ، ٤٦ |
| (٧) المؤمن ٢٢٣ | (٨) سورة البقرة ٤٩ |
| (٩) سورة إبراهيم ٦ | (١٠) سورة إبراهيم ٥ |
| (١١) سورة الأعراف ١٤١ | (١٢) سورة الأعراف ١٢٧ |

آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ^(١) مؤخر ، وما سواه : ﴿ يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾^(٢) .

ومنه تقديم « اللب » على « اللهو » في موضحين من سورة الأنعام^(٣) ، وكذلك في القتال^(٤) والحديد^(٥) .

وقدم « اللهو » على اللب » في الأعراف^(٦) والمنكيات^(٧) ، وإنما قدم اللب في الأكثر ، لأن اللب زمان الصبا ، واللهو زمان الشباب ، وزمان الصبا مقدم على زمان اللهو . تنبيه : ما ذكره في الحديد : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ ﴾ ؛ أى كلب الصبيان ، ﴿ ولهو ﴾^(٨) أى كلهو الشباب ، ﴿ وزينة ﴾ كزينة النساء ، ﴿ وتماخر ﴾ كتفاخر الإخوان ، ﴿ وتكاثر ﴾ كتكاثر السلطان . وقريب منه في تقديم اللب على اللهو قوله : ﴿ وما يبدئها ولا عين . لو أردنا أن نتخذ لهم أوقاتاً لاتخذناهم من دنا ﴾^(٩) .

وقدم « اللهو » في الأعراف ؛ لأن ذلك يوم القيامة ، فذكر على ترتيب ما انتهى ، وبدأ بما به الإنسان انتهى من الحالين .

وأما المنكيات فالمراد بذكرها^(١٠) زمان الدنيا ، وأنه سريع الإقضاء قليل البقاء . ﴿ وإن الدار الآخرة لمى الحيوان ﴾^(١١) ؛ أى الحياة التي لا بد لها ولا نهاية لأبدعها ؛ فبدأ بذكر اللهو ، لأنه في زمان الشباب ، وهو أكثر من زمان اللب ؛ وهو زمان الصبا .

(١) سورة البقرة ١٢٩ (٢) سورة الجمعة ٢ .

(٣) سورة الأنعام ٣٢ : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوٌ ﴾ .

(٤) هي سورة القتال ٣٦ : ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوٌ ﴾ .

(٥) سورة الحديد ٢٠ : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوٌ ﴾ .

(٦) سورة الأعراف ٥١ : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَسَتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾

(٧) سورة المنكيات ٦٤ : ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌ وَلَعِبٌ ﴾ .

(٨) سورة الأنبياء ١٦ ، ١٧ (٩) أى اللهو واللعب . (١٠) سورة المنكيات ٦٤

ومنه تقديم لفظ « الضرر » على « النفع » في الأكثر ، لأن المايد يعبد معبوده خوفاً من عقابه أولاً ، ثم طمعا في ثوابه .

وحيث تقدم النفع على الضرر فلتقدم ما يتضمن النفع ؛ وذلك في سبعة مواضع : ثلاثة منها بلفظ الاسم ، وهي في الأعراف والرد وسبأ^(١) ، وأربعة بلفظ الفعل ، وهي في الأنعام : ﴿ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾^(٢) . وفي آخر يونس : ﴿ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾^(٣) ، وفي الأنبياء : ﴿ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾^(٤) ، وفي الفرقان : ﴿ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴾^(٥) .

أما في الأعراف فلتقدم قوله : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ ﴾^(٦) تقدم الهداية على الضلال ، وبعد ذلك : ﴿ لَا سَكَنَ لَكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَى السُّوء ﴾^(٧) تقدم الخير على السوء ، وكذا قدم النفع على الضرر .

أما في الرد فلتقدم « الطوع » في قوله : ﴿ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾^(٨) .

أما في سبأ فلتقدم « البسط » في قوله : ﴿ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾^(٩) . وفي يونس قدم الضرر على الأصل ولمواحة ما قبلها فإن فيها : ﴿ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا

(١) سورة الأعراف ١٨٨ : ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي قَعًا وَلَا ضَرًّا ﴾ سورة الرد ١٦
﴿ قُلْ أَمَّا تَتَذَكَّرُونَ مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ قَعًا وَلَا ضَرًّا ﴾ سورة سبأ ٤٧ :
﴿ قَالِ يَوْمَ لَا يَمْلِكُ لَكُمْ لِعَفْوِ قَعًا وَلَا ضَرًّا ﴾ .

(٢) سورة الأنعام ٧١

(٣) سورة يونس ١٠٦

(٤) سورة الفرقان ٥٥

(٥) سورة الأعراف ١٨٨

(٦) سورة سبأ ٣٦

(٧) سورة الأنبياء ٦٦

(٨) سورة الأعراف ١٧٨

(٩) سورة فصلت ١١

يَنْفَعُهُمْ^(١) وفيها : ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ﴾^(٢) فهكون الآية ثلاث مرات .
وكذلك ما جاء بلفظ الفعل فلما جاء معنى يتضمن ضمًا .

أما الأنعام فيها : ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ، وَإِنْ تَدْعُلْ كُلُّ عِدْلٍ لَّا يُوَاقِدُ مِنْهَا﴾^(٣) ، ثم وصله بقوله : ﴿قُلْ أَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾^(٤) .

وفي يونس تقدم قوله : ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥) ، ثم قال : ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾^(٦) .

وفي الأنبياء ، تقدم قول الكفار لإبراهيم في الجلدة : ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْفِقُونَ . قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾^(٧) .

وفي الفرقان تقدم : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظَّلَّ﴾^(٨) نهاجة في الآيات ، ثم قال : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾^(٩) .

فأتمل هذه الواضع للطرء التي هي أعظم اتساقا من المفرد . ومن أمثله قوله تعالى : ﴿وَاقْتُوا يَوْمًا لَا يَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾^(١٠) .
ثم قال سبحانه في السورة : ﴿وَاقْتُوا يَوْمًا لَا يَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا...﴾^(١١) الآية .

وفيها سؤالان :

(١) سورة يونس ١٢

(٢) سورة الأنعام ٧١

(٣) سورة يونس ١٠٦

(٤) سورة الفرقان ٤٥

(٥) سورة البقرة ٤٨

(١) سورة يونس ١٨

(٢) سورة الأنعام ٧٠

(٣) سورة يونس ١٠٢

(٤) سورة الأنبياء ٦٥ ، ٦٦

(٥) سورة الفرقان ٥٥

(٦) سورة البقرة ١٢٣

أحدهما أنه سبحانه في الأولى قدّم نفي قبول الشفاعة على أخذ المدل، وفي الثاني قدّم نفي قبول المدل على الشفاعة .

السؤال الثاني : أنه سبحانه وتعالى قال في الأولى : ﴿ لَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ﴾ ^(١) وفي الثانية : ﴿ وَلَا تَنْفَعُ شَفَاعَةُ ﴾ ^(٢) فضاير بين اللفظين ، فهل ذلك معنى يترتب عليه ، أو من باب التوسّع في الكلام ، والتقل من أسلوب إلى آخر كما جرت عادة العرب ؟ والجواب : أن القرآن الحكيم وإن اشتمل على النقل من أسلوب إلى آخر لكنه يشتمل مع ذلك على فائدة وحكمة ، قال الله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ ^(٣) ولم يقل « من رحمن ولا رحيم » ، للتخصيص على أنه لا بدّ من الحكمة ، وهاتان الآيتان كلاماً في حق بنى إسرائيل ، وكانوا يقولون : إنهم أبناء الأنبياء وأبناء أنبيائهم ، ويسئفون لنا آباؤنا ، فأعلمهم الله أنه لا تنفعهم الشفاعة ، ولا تجزى نفس عن نفس شيئاً .

وتعلّق بهذه الآية الممتزلة على نفي الشفاعة ، كما ذكره الزمخشري ، وأجاب عنها أهل السنة بأجوبة كثيرة ليس هذا محلّها .

وذكر الله في الآيتين « النفس » متكررة ، ثم أتى بضمير يحتمل رجوعه إلى الأولى أو إلى الثانية ، وإن كانت القاعدة عود الضمير إلى الأقرب ؛ ولكن قد يعود إلى غيره ، كقوله تعالى : ﴿ وَنَزَرُوهُ وَنُفِّرُوهُ وَتُجَسَّوْهُ بُكَرَةً وَأُمِيلاً ﴾ ^(٤) فالضمير في التنزير والتفريق راجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي التيسيع عائد إلى الله تعالى ، وهو متقدم على ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، فساد الضمير على غير الأقرب .

إذا علمت ذلك ، فقوله في الأولى : ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ﴾ ^(٥) الضمير راجع إلى

(١) سورة البقرة ١٢٣

(٤) سورة التفتح ٩

(١) سورة البقرة ٤٨

(٣) سورة هود ٢ .

(٥) سورة البقرة ١٢٣

النفس الأولى وهى الشفاعة لغيرها ، فلما كان المراد فى هذه الآية ذكر الشفاعة للشفوع له
أخير أن الشفاعة غير مقبولة للشفوع احتقاراً له وعدم الاحتفاء به ؛ وهذا الأخير يكون باعثاً
للسامع فى ترك الشفاعة إذا علم أن الشفوع عنده لا يقبل شفاعته ، فيكون التقدير على هذا
التفسير : ﴿ لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ﴾ ^(١) « لو شفعت » ،
يعنى : وهم لا يشفعون ، فيكون ذلك مؤيماً لهم فيما زعموا أن آباءهم الأنبياء يشفونهم من
غير عمل منهم .

وقوله : ﴿ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ إن جملتنا الضمير فى ﴿ مِنْهَا ﴾ راجعاً إلى الشافع
أيضاً فقد جرت العادة أن الشافع إذا أراد أن يدفع إلى الشفوع عنده شيئاً ليكون مؤكداً
لقبول شفاعته فن هذا قدم ذكر الشفاعة على دفع العدل ؛ وإن جملتنا الضمير راجعاً إلى
الشفوع فيه فهو أخرى بالتأخير ليكون الشافع قد أخبره بأن شفاعته قد قبلت ، فتقديم
العدل ليكون ذلك مؤسساً لحصول مقصود الشفاعة ، وهو ثمرتها للشفوع فيه .

وأما الآية الثانية فالضمير فى قوله : ﴿ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ راجع إلى النفس الثانية ، وهى النفس
التي هى صاحبة الجريمة ، فلا يقبل منها عدل ؛ لأن العادة بذل العدل من صاحب الجريمة
يكون مقدماً على الشفاعة فيه ؛ ليكون ذلك أبلغ فى تحصيل مقصوده ، فتناسب ذلك
تقديم العدل الذى هو القدية من الشفوع له على الشفاعة .

ففى هذه الآية بيان أن النفس المطلوبة بجرمها لا يقبل منها عدل عن نفسها ، ولا تنفعها
شفاعة شافع فيها ؛ وقد بذل العدل للحاجة إلى الشفاعة عند من طلب ذلك منه ، ولهذا قال
فى الأولى : ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ﴾ ^(٢) وفى الثانية : ﴿ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ ﴾ ^(٣) ، لأن
الشفاعة إنما تقبل من الشافع ، وتنفع للشفوع له .

(٢) سورة البقرة ٤٨

(١) سورة البقرة ٤٨

(٣) سورة البقرة ١٢٣

وقال الراغب^(١) : إنما كرر ﴿ لا ﴾ فيها على سبيل الإنذار بالواعظ إذا وعظ لأمر فإنه يكرر اللفظ لأجله تعظيها للأمر . قال : وأما تنبيهه النظم فلما كان قبول المدل وأخذه وقبول الشفاعة وضعا متلازمة لم يكن بين اتفاق هذه المبارات واختلافها فرق في المعنى وقال الإمام غفر الدين : لما كان الناس متفاوتين ، فمنهم من يختار أن يشفع فيه مقدما على المدل الذي يخرج به ؛ ومنهم من يختار المدل مقدما على الشفاعة ، ذكر سبحانه وتعالى القسمين ؛ قدم الشفاعة باعتبار طائفة ، وقدم المدل باعتبار أخرى .

قال بعض مشايخنا رحمهم الله تعالى : الظاهر أنه سبحانه وتعالى إنما نفي قبول الشفاعة لا ضمنها ، ونفي أصل المدل الذي هو القداء ، وبدأ بالشفاعة لتيسيرها على الطالب أكثر من تحصيل المدل الذي هو القداء . على ما هو المعروف في دار الدنيا ؛ وفي الآية الثانية أنه لما تقرر زيادة تأكيدها بدأ فيها بالأعظم الذي هو الغلاص بالمدل ، ونفي الشفاعة فقال : ﴿ وَلَا تَنْفَعُ شَفَاعَةُ ﴾^(٢) ولم يقل : لا تقبل منها شفاعة ، وإن كان نفي الشفاعة يستلزم نفي قبولها ، لأن الشفاعة تكون نافعة غير مقبولة ، وتنفع لأغراض : من وعد بخير ، وإبدال للشفوع بغيره ؛ فنفي النفع أعم ، فلم يكن بين نفي القبول ونفي النفع بالشفاعة تلازم ، كما ادعاه الراغب . وكان التقدير بالقداء الذي هو نفي قبول المدل ونفي نفع الشفاعة شيئين مؤكدين لاستقرار ذلك في الآية الثانية .

وعما يدل على أن نفي الشفاعة أمر زائد على نفي قبولها أنه سبحانه لما أخبر عن الشرطين أخبر بنفي النفع لا بنفي القبول فقال : ﴿ فَاتَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ ، وقال : ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ ﴾^(٣) الآية . وفي الحديث الصحيح^(٤) أنهم قالوا : يا رسول الله ، هل نفعت عمك

(١) هو أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني صاحب الفقه والحريّة والحديث والشعر ومؤلف كتاب القردات في غريب القرآن وعناصر الأدباء ، توفي سنة ٣٩٦ (وانظر بنية الرواة ٣٨٦)
(٢) سورة البقرة ١٢٣
(٣) سورة سبأ ٢٣

(٤) قوله البخاري في المائتين ٥٥٢ : « قال له صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه : إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك ؛ فهل ينفعه ذلك ؟ قال نعم ، وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى حضاح - وروى : أنه في حضاح من النار ينقذ منه دماغه . وروى : رأيت أبا طالب في حضاح من النار ؛ ولولا مكاني لكان في حضاحهم » . ثم قال : « هو في الآمل الماء إلى الكمين » ، والطعام : معظم ماء البحر .

أبا طالب؟ قال: «وجدته فنفقته إلى صحضاح من النار». مع علمهم أنه لا يشفع فيه، فلماذا قيل: قد قال في آخر السورة: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خَلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾^(١) ففنى الشفاعة ولم يتف نفسها.

قيل: من باب زيادة التأكيد أيضاً؛ فإنه سبحانه ذكر في هذه الآية الأسباب للنجى في الدنيا وضاعها هناك، وهى إما البيع الذى يتوصل به الإنسان إلى القاصد، أو الخلة التى هى كمال المحبة. وبدأ بنفى المحبة لأنه أعم وقوعاً من الصداقة والخالة، ونفى بنفى الخلة التى هى سبب لنيل الأغراض في الدنيا أيضاً؛ وذكر ثالثاً نفى الشفاعة أصلاً، وهى أبلغ من نفى قبولها؛ فساد الأمر إلى تكرار الجمل في الآيات ليفيد قوة الدلالة.

الرابع: بالتعريف والتذكير، كقوله في البقرة: ﴿وَقَعْلُونَ النَّبِيِّينَ بَغْيٌ حَقٌّ﴾^(٢) وفى آل عمران: ﴿يَغْيِرُ حَقٌّ﴾^(٣).

وقوله في البقرة: ﴿هَذَا بَلَدٌ آمِنٌ﴾^(٤)، وفى سورة إبراهيم: ﴿هَذَا بَلَدٌ آمِنٌ﴾^(٥)؛ لأنه للإشارة إلى قوله: ﴿يَوْمَ لَا يَغْيِرُ ذِي زَرْعٍ﴾^(٦)؛ ويكون ﴿بلداً﴾ هنا مفعول للثانى، و ﴿آمناً﴾ صفته، وفى إبراهيم ﴿البلد﴾ مفعول أول، و ﴿آمناً﴾ الثانى.

وقوله في آل عمران: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾^(٧)، وفى الأنفال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٨).

وقوله في حم السجدة: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٩) وفى الأعراف:

(١) سورة البقرة ٢٥٤

(٢) سورة البقرة ٦١

(٣) سورة البقرة ١٢٦

(٤) سورة إبراهيم ٣٧

(٥) سورة الأنفال ١٠

(٦) سورة آل عمران ١١٢

(٧) سورة إبراهيم ٣٥

(٨) سورة آل عمران ١٢٦

(٩) سورة فصلت ٤٦

﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١)، لأيتها في «حم» مؤكدة بالتكرار بقوله: ﴿وَمَا يُقَامَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾^(٢)؛ فبالغ بالتعريف، وليس هذا في سورة الأعراف، فضاء على الأصل: الخبير عنه معرفة والخبير نكرة.

الخلاص: بالجمع والإفراد، كقوله في سورة البقرة: ﴿لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾^(٣) وفي آل عمران: ﴿مَعْدُودَاتٍ﴾^(٤)؛ لأن الأصل في الجمع إذا كان واحده مذكرا أن يقتصر في الوصف على التأنيث نحو: ﴿سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ. وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ. وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ. وَزُرَّاقِي مَبْنُوتَةٌ﴾^(٥) فضاء في البقرة على الأصل. وفي آل عمران على الفرع^(٦).

السادس: إبدال حرف بحرف غيره، كقوله تعالى في البقرة: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا﴾^(٧) بالواو، وفي الأعراف: ﴿فَكُلَا﴾ بالفاء، وحكمته أن «اسكن» في البقرة من السكون الذي هو الإقامة. فلم يصلح إلا بالواو؛ ولو جاءت الفاء لوجب تأخير الأكل إلى الفراغ من الإقامة. والذي في الأعراف من للسكن وهو اتخاذ الموضع سكنا، فكانت الفاء أولى، لأن اتخاذ للسكن لا يستدعي زمنا متجددا، وزاد في البقرة «رغدا» لقوله: ﴿وَقُلْنَا﴾، بخلاف سورة الأعراف فإن فيها: ﴿قال﴾ وذهب قوم إلى أن مافي الأعراف خطاب لما قبل الفخول، وما في البقرة بعد الفخول.

ومنه قوله تعالى في البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا﴾^(٨) بالفاء، وفي الأعراف^(٩) بالواو.

- (٢) سورة فصلت ٣٥
(٤) سورة آل عمران ٢٤
(٦) ط: «التوع»
(٨) سورة الأعراف ١٩
(١٠) الأعراف ١٦١

- (١) سورة الأعراف ٢٠٠
(٣) سورة البقرة ٨٠
(٥) سورة الناشئة ١٣ - ١٦
(٧) سورة البقرة ٣٥
(٩) سورة البقرة ٥٨

في البقرة: ﴿وَلَمَّا اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بِمَدِّ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾^(١)، ثم قال بعد ذلك: ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ﴾^(٢).

في البقرة: ﴿فَلَا يَخْفُفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾^(٣)، وفي غيرها: ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾^(٤).

في البقرة: ﴿وَمَا أَنْزِلَ إِلَيْنَا﴾^(٥)، وفي آل عمران: ﴿عَلَيْنَا﴾^(٦).
في الأنعام: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا﴾^(٧)، وفي غيرها: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾^(٨).

في الأعراف: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾^(٩) بالواو، وفي غيرها بالقاء.
في الأعراف: ﴿آمَنَتْ بِهِ﴾^(١٠)، وفي الباقي: ﴿آمَنَتْ لَهُ﴾^(١١).
في سورة الرعد: ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^(١٢)، وفي لقمان: ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^(١٣)، لا ثاني له.

في الكهف: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾^(١٤)، وفي السجدة: ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾^(١٥).

في طه: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾^(١٦) بالقاء، وفي السجدة: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾^(١٧).

(١) سورة البقرة ١٢٠	(٢) سورة البقرة ١٤٥
(٣) سورة البقرة ٨٦	(٤) سورة آل عمران ٨٨
(٥) سورة البقرة ١٣٦	(٦) سورة آل عمران ٨١
(٧) سورة الأنعام ١١	(٨) سورة النمل ٦٩
(٩) سورة الأعراف ٨٢	(١٠) سورة الأعراف ١٢٣
(١١) سورة طه ٧١	(١٢) سورة الرعد ٢
(١٣) سورة لقمان ٢٩	(١٤) سورة الكهف ٥٧
(١٥) سورة السجدة ٧٢	(١٦) سورة طه ١٢٨
(١٧) سورة السجدة ٢٦	

في القصص : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ^(١) ، وفي الشورى : ﴿ فَمَا أُوتِيتُمْ ﴾ ^(٢) بالقاء .
في الطور : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ ^(٣) ، و ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ ^(٤) ،
بالواو فيها ؛ وفي الصافات : [﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ ^(٥) ، وفي القلم : ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ
رَبِّكَ ﴾ ^(٦) ، بالقاء فيها] كما أن : ﴿ وَبِئْسَ التَّوَارُثُ ﴾ ^(٧) ، و ﴿ وَيَذَّبَحُونَ ﴾ ^(٨) بالواو
فيها ، في إبراهيم .

في الأعراف : ﴿ سَقَنَّا لِبَلَدٍ مِثِّي ﴾ ^(٩) ، [وفي طاهر ^(١٠) : ﴿ إِلَى بَلَدٍ ﴾] ^(١١) .

السابع : إبدال كلمة بأخرى :

في البقرة : ﴿ مَا أَلْقَيْنَا عَلَيْهِ آيَاتًا ﴾ ^(١٢) ، وفي لقمان : ﴿ وَجَدْنَا ﴾ ^(١٣) .
في البقرة : ﴿ فَانفَجَرَتْ ﴾ ^(١٤) ، وفي الأعراف : ﴿ فَانفَجَسَتْ ﴾ ^(١٥) .
في البقرة : ﴿ فَازْلَهِمُ الشَّيْطَانَ ﴾ ^(١٦) ، وفي الأعراف : ﴿ فَوَسَّوْا لَهَا الشَّيْطَانَ ﴾ ^(١٧) .
في آل عمران : ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ ﴾ ^(١٨) ، وفي مريم : ﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ
لِي غُلَامٌ ﴾ ^(١٩) ، لأنه تقدم ذكره في ﴿ لِأَهْبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾ ^(٢٠) .

(١) سورة القصص ٦٠	(٢) سورة الشورى ٣٦
(٣) سورة الطور ٢٥	(٤) سورة الطور ٤٨
(٥) سورة الصافات ٥٠	(٦) سورة القلم ٤٨
(٧) ما بين الملتين ساقط من الأصول ؛ وهي زيادة يقتضيهما الساق .	
(٨) سورة إبراهيم ٢٩	(٩) سورة إبراهيم ٦
(١٠) سورة الأعراف ٥٢	(١١) آية ٣٥
(١٢) سورة البقرة ١٧٠	(١٣) سورة لقمان ٢١
(١٤) سورة البقرة ٦٠	(١٥) سورة الأعراف ١١٠
(١٦) سورة البقرة ٣٦	(١٧) سورة الأعراف ٢٠
(١٨) سورة آل عمران ٤٧	(١٩) سورة مريم ٢٠
(٢٠) سورة مريم ١٩	

في النساء: ﴿إِنْ تَبْذُؤْا خَيْرًا أَوْ تَحْفَوه﴾^(١)، وفي الأحزاب: ﴿شَيْئًا وَتَحْفَوه﴾^(٢)
في الأنعام: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾^(٣)، والثاني
﴿يُخْرِجُ﴾ بالقمل^(٤).

في الكهف: ﴿وَلَقَدْ رُودَتْ إِلَى رَبِّهِ﴾^(٥)، وفي حم: ﴿وَلَقَدْ رُجِّتُ﴾^(٦).
في طه: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا﴾^(٧)، وفي المل: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾^(٨).
في طه: ﴿وَسَلَّكَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا﴾^(٩)، وفي الزخرف: ﴿وَجَمَلَ لَكُمُ فِيهَا
سُبُلًا﴾^(١٠).

في الأنبياء: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ﴾^(١١)، وفي الشعراء: ﴿من
الرحمن﴾^(١٢).

في المل: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ نَفْعٌ﴾^(١٣)، وفي الزمر: ﴿فَصَاحَ﴾^(١٤).
في الأحزاب: ﴿فِي أُولَئِكَ﴾^(١٥)، وفيها: ﴿بِمَا تَسْلُونُ بَصِيرًا﴾^(١٦)
بعد ﴿وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾^(١٧).

﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(١٨) بعد ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ﴾^(١٩)، و ﴿عَذَابًا مُهِينًا﴾^(٢٠) بعد
﴿يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(٢١).

(٢) سورة الأحزاب ٥٤	(١) سورة النساء ١٢٩
(٤) سورة يونس ٣١	(٣) سورة الأنعام ٩٥
(٦) سورة فصلت ٥٠	(٥) سورة الكهف ٣٦
(٨) سورة المل ٨	(٧) سورة طه ١١
(١٠) سورة الزخرف ١٠	(٩) سورة طه ٥٣
(١٢) سورة الشعراء ٥	(١١) سورة الأنبياء ٢
(١٤) سورة الزمر ٧٨	(١٣) سورة المل ٨٧
(١٦) سورة الأحزاب ٩	(١٥) سورة الأحزاب ٢
(١٨) سورة الأحزاب ٥٧	(١٧) سورة الأحزاب ٨

﴿ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾^(١)] بعد ﴿ تَحِيَّهِمْ يَوْمَ يَكْفُوتَهُ سَلَامٌ ﴾^(٢) ، و ﴿ رِزْقًا كَرِيمًا ﴾^(٣) .
 بعد : ﴿ نُولِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ﴾^(٤)] .

﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ﴾^(٥) موضعان في الأحزاب ، [وفي سورة غافر :
 ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ ﴾^(٦)] .

وفي البقرة : ﴿ وَهَدَىٰ وَبُشِّرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٧) ، وفي النحل : ﴿ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾^(٨)
 في موضعين .

في المائدة : ﴿ قُلْ هَلْ أَنْبَأُكُمْ ﴾^(٩) ، وبالنون في الكهف^(١٠) .

الثامن : الإدغام وتركه .

في النساء والأهـال : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ ﴾^(١) ، وفي الحشر بالإدغام^(٢) .
 في الأنعام : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾^(٣) وفي الأعراف : ﴿ يَضَرَّعُونَ ﴾^(٤)

-
- | | |
|--|-------------------------|
| (١) سورة الأحزاب ٤٤ | (٢) سورة الأحزاب ٣١ |
| (٣) سورة الأحزاب ٣٨ ، ٦٢ | (٤) سورة غافر ٨٥ |
| (٥) سورة البقرة ٩٧ | (٦) سورة النحل ٨٩ ، ١٠٢ |
| (٧) سورة المائدة ٦٠ | (٨) سورة الكهف ١٠٣ |
| (٩) سورة النساء ١١٥ . والأهـال ١٣ : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ . | |
| (١٠) سورة الحشر ٤ | (١١) سورة الأنعام ٤٧ |
| (١٢) سورة الأعراف ٩٤ . | |

الفصل الثاني

ما جاء على حرفين

﴿ لَمَلِكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ في القرآن ، اثنان في البقرة ^(١) .
 ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ ، اثنان في يونس والنمل ^(٢)
 ﴿ أَنْ أَفْلَحَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ في البقرة وفي آل عمران ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ ^(٣) ؛ وأما
 ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ ^(٤) فواحدة في البقرة . وكذلك فيها : ﴿ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ ^(٥) ، وليس غيره .
 ﴿ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ ، حرفان ، في الزخرف وفي القاريات ^(٦) .
 ﴿ قَالُوا لِلَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾ ، اثنان في قصة
 نوح ، في هود والمؤمنون ^(٧) ؛ في السورتين بالقاء .
 ﴿ عَذَابٌ يَوْمَ الْيَمِّ ﴾ اثنان ، في هود والزخرف ^(٨) .
 ﴿ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ﴾ اثنان في المنكيات ^(٩) وسبأ ، وأما الذي في القصص ^(١٠)
 فهو ﴿ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ ﴾ ، وباقي القرآن ﴿ وَيَقْدِرُ ﴾ ^(١١) قط .

(١) سورة البقرة ٢١٩ ، ٢٦٦

(٢) سورة يونس ٦٠ ، النمل ٧٣

(٣) سورة البقرة ٢٣٥ ، آل عمران ١٥٥

(٤) سورة البقرة ٢٢٥

(٥) سورة الزخرف ٨٤ ، القاريات ٣٠

(٦) سورة هود ٢٧ ، المؤمنون ٢٤

(٧) سورة هود ٢٦ ، الزخرف ٦٥

(٨) سورة القصص ٨٢

(٩) سورة المنكيات ٦٢ ، سبأ ٣٩

(١٠) سورة الرعد ٢٦ ، الإسراء ٣٠ ، الروم ٣٧ ، سبأ ٣٦ ، الشورى ١٢

﴿ فَلَمَّا أَنْ ﴾ ، حرفان : في يوسف ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ ﴾^(١) ، وفي القصص ﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ ﴾^(٢) .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى ﴾ بالواو ، حرفان في الأنعام^(٣) . وفي يونس^(٤) ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ ﴾ بالقاء .

﴿ أَعْرَضَ ﴾ حرفان في الكهف وفي السجدة ؛ إلا أن الأول ﴿ فأعرض ﴾^(٥) والثاني ﴿ ثم أعرض ﴾^(٦) .

﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ من غير تكرار « الطاعة » : حرفان ، وهما في آل عمران : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾^(٧) ، و﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾^(٨) .

﴿ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ بغير تاء التأنيث ، حرفان ، وهما في آل عمران^(٩) .

﴿ وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ ﴾ ، حرفان ، في آل عمران ، وفي الأهل^(١٠) .

﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ ﴾ بالقاء ، حرفان في آل عمران ، وفي الأنعام^(١١) .

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ ﴾ حرفان ، وهما في الأنعام^(١٢) .

﴿ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ حرفان ، في التوبة وفي النافقين^(١٣) .

(١) سورة يوسف ٩٦

(٢) سورة القصص ١٩

(٣) سورة الأنعام ٢١ ، ٩٣ ؛ كذا ذكره اللؤاب ؛ وقد ورد أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ في هود ١٨ ، والنسكوت ٦٨ ، والصف ٧ : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾ .

(٤) يونس ١٧ ؛ وا لأمرول « هود » خطأ .

(٥) سورة الكهف ٥٧

(٦) سورة السجدة ٢٢

(٧) سورة آل عمران ٣٢

(٨) سورة آل عمران ٨٦ ، ١٠٥

(٩) سورة آل عمران ٩٢ ، الأهل ٦٠

(١٠) سورة آل عمران ١٨٤ ، الأنعام ١٤٧

(١١) سورة الأنعام ٤٠ ، ٤٧

(١٢) سورة التوبة ٢٤ ، ٨٠ ، وللتاقيون ٦

﴿إِنَّ اللَّهَ تَقْوَىٰ عَزِيزٌ﴾ ، بزيادة اللام ، حرفان [في الحج]^(١) . [فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِعِينَ] حرفان^(٢) في هود^(٣) في قصة صالح وشييب . قال بعض الشايع : ما كان فيه « الصيحة » فهو ﴿ ديارهم ﴾^(٤) على الجمع ، وما كان فيه « الرجفة » فهو ﴿ دارهم ﴾^(٥) بالتوحيد .

﴿وَمَا كَانَ لِمَنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾^(٦) بتكرير «من» حرفان ، هما في هود .
﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ ، حرفان في المنكوبات والزمر^(٧) .
﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ؛ بلفظ التوحيد ، حرفان في الحجر والمنكوبات^(٨) .
﴿تَبِعَ﴾ بإسقاط الألف حرفان ، في البقرة وآل عمران^(٩) .
﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ ، حرفان في الفرقان ، وفي آل عمران^(١٠) .
﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ حرفان ، في لقمان وحمل عسق^(١١) .

(١) ما بين الملامتين زيادة يقتضيها السياق ؛ والآيتان في الحج ٤٠ ، ٧٤

(٢) سورة هود ٦٧ ، ٩٤

(٣) وهي لى آيتى هود السابقتين : ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِعِينَ﴾ .

(٤) كما في الأعراف ٧٨ ، ٩١ والمنكوبات ٣٧ : ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ

جَائِعِينَ﴾ .

(٥) سورة هود ٢٠ ، ١١٣

(٦) سورة المنكوبات ٦٨ ، الزمر ٣٢

(٧) سورة الحجر ٧٧ ، المنكوبات ٤٤

(٨) سورة البقرة ٣٨ : ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ .

وآل عمران ٧٣ : ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ .

(٩) سورة الفرقان ٥٩ ، الحجفة ٤

(١٠) سورة لقمان ٢٩ ، الثورى ١٤

- « اللهم » قبل « القلب » حرفان ، في الأعراف والمنكبات ^(١) .
 (أَوْ لَمْ يَهْدِ) بالواو ، حرفان في الأعراف وآل السجدة ^(٢) .
 (نَمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) حرفان ، في النحل ، والمنكبات ^(٣) .
 (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا) بزيادة (من) حرفان ، في آل عمران والنور ^(٤) .
 (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا) بغير « من » ، حرفان ، في البقرة والنساء ^(٥) .
 (وَهُوَ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) حرفان ، في آل عمران وفي الحديد ^(٦) .
 (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) في الزمر وحَمَّ عَقَق ^(٧) .
 (هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) إخباراً عن الجماعة الغيب ، حرفان في الأعراف وصبا ^(٨) .
 (أَمْوَاتٌ) بالرفع ، في البقرة (أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَا) ^(٩) ، وفي النحل : (أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَا) ^(١٠) .

(١) سورة الأعراف ٥١ : (الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَيْلًا) ، المنكبات : ٦٤
 (وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَيْلٌ) .

(٢) سورة الأعراف ١٠٠ ، السجدة ٢٦

(٣) سورة النحل ٣٧ ، المنكبات ٢٥ : وفي الأصول « الأحزاب والفتح » خطأ .

(٤) سورة آل عمران ٨٩ ، النور ٥ (٥) سورة البقرة ١٦٠ النساء ١٤٦

(٦) سورة آل عمران ١٨٠ ، الحديد ١٠

(٧) سورة الزمر ٦٣ ، الثورى ١٧ . وفي الأصول : « للؤمن » خطأ

(٨) سورة الأعراف ١٤٧ ، صبا ٣٣

(٩) سورة البقرة ١٥٤ (١٠) سورة النحل ٢١

الفصل الثالث

ما جاء على ثلاثة أحرف

- (أَوَّلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ) ثلاثة في القرآن ، في الروم وقاطر وللؤمن^(١) .
 (فَنَجِّنَاهُ) بالفاء ، في يونس والأنبياء والشعراء^(٢) .
 (قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ) ثلاثة في الأعراف والنمل والحاقة^(٣) .
 (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) اثنان في الأعراف ، والثالث في الأقال^(٤) .
 (تَتَذَكَّرُونَ) بتاءين متكررتين ؛ ثلاثة ، في الأنعام وآل السجدة وللؤمن^(٥) .
 (وَمَا يَذْكُرْ إِلَّا أُولَ الْأَلْبَابِ) في البقرة وآل عمران وإبراهيم^(٦) .
 (فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ) ، في النساء والتوبة والصف^(٧) .
 (وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ) بزيادة الباء في أول البقرة ؛ وفي النساء والتوبة ولكن هو فيها بالنفي^(٨) .
 (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ) ، في البقرة وفي اللائدة وفي الصف^(٩) .
 (فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ) في البقرة اثنان ؛ والثالث في التين والزيتون ؛ إلا أنه يستأط
 الماء والليم^(١٠) .

(١) سورة الروم ٩ ، غافر ٤٤ ، غافر (للؤمن) ٢١

(٢) سورة يونس ٧٣ ، الأنبياء ٧٦ ، الشعراء ١٧٠

(٣) سورة الأعراف ٢٦ ، و ٣٠ ، النمل ٦٢ ، الحاقة ٤٢

(٤) سورة الأعراف ٣٠ ، الأقال ٥٧

(٥) سورة الأنعام ٨٠ ، السجدة ٤٤ ، غافر ٥٨

(٦) سورة البقرة ٢٦٩ ، آل عمران ٧ ، وهى في إبراهيم ٥٢ (وَلْيَذْكُرْ أُولَ الْأَلْبَابِ)

(٧) سورة النساء ٦٥ ، التوبة ٢٠ ، وهى في الصف ١١ : (فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ)

(٨) سورة البقرة ٨ ، النساء ٣٨ ، التوبة ٢٩ (٩) سورة البقرة ٥٤ ، اللائدة ٢٠ ، الصف ٥

(١٠) سورة البقرة ٦٢ ، ٢٧٤ ، التين ١٠

- ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ، في هود والرعد والؤمن ^(١) .
- ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ ، في البقرة ويوسف والؤمن ^(٢) .
- ﴿ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ في هود ويوسف والسجدة ^(٣) .
- ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ ﴾ بزيادة « من » ، في الأنعام ، وص ، وآل
- السجدة ؛ لكن بلفظ ﴿ من القرون ﴾ ^(٤) .
- ﴿ أَجْمَعُونَ ﴾ بالواو في الحجر والشعراء وص ^(٥) .
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ، في المائدة والنور والحشر ^(٦) .
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ ، في آل عمران والمائدة لقمان ^(٧) .
- ﴿ وَلَوْ شِئْنَا ﴾ ، في الأعراف والفرقان وآل السجدة ^(٨) .
- ﴿ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾ بزيادة « من » ، في إبراهيم والأحقاف ونوح ^(٩) .
- ﴿ مِيقَاتٍ ﴾ في النور اثنان ، والثالث في الطلاق ^(١٠) .
- ﴿ لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْهِ ﴾ في الرعد اثنان ، والثالث في يونس ^(١١) .
- ﴿ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ في الرعد والتصل وفاطر ^(١٢) .
- ﴿ فَا كَانَ اللَّهُ يُظْلِمُهُمْ ﴾ في الروم ^(١٣) والتوبة ^(١٤) والمنكبات ^(١٥) ، [لكن بالواو]

(١) سورة هود ١٧ الرعد ١٤ ، غافر ٥٩ (٢) سورة البقرة ٢٤٣ ، يوسف ٢٨ ، غافر ٦١

(٣) سورة هود ١٩ ، يوسف ٣٧ ، السجدة ٧ (٤) سورة الأنعام ٦ ، ص ٣ ، السجدة ٢٦

(٥) سورة الحجر ٣٠ ، الشعراء ٩٥ ، ص ٧٣ (٦) سورة المائدة ٨ ، النور ٥٣ ، المفسر ١٨

(٧) سورة آل عمران ١١٩ ، المائدة ٧ ، لقمان ٢٣

(٨) سورة الأعراف ١٧٦ ، الفرقان ٥١ ، السجدة ١٣

(٩) سورة إبراهيم ١٠ ، الأحقاف ٣١ ، نوح ٤

(١٠) سورة البور ٣٤ ، ٤٦ ، الطلاق ١١ (١١) سورة الرعد ٧ ، ٢٧ ، يونس ٢٠

(١٢) سورة الرعد ٢٣ ، التصل ٣١ ، فاطر ٢٣

(١٣) الروم ٩ ، وفي الأصول : « آل عمران » خطأ ، والآية فيها : ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمْ اللَّهُ

وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

(١٤) سورة التوبة ٤٠

(١٥) سورة التوبة ٧٠

(كَلَىٰ) في الحج وسبأ ونون^(١).

(فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ) في سبأ اثنتان ، وفي آخر فاطر^(٢).

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ) يراو ، في البقرة والحجر وص^(٣).

(وَنَزَّلْنَا) ثلاثة أحرف ، في طه والنحل وق^(٤) ، والباقي (وَأَنزَلْنَا).

(فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ) في اللائدة ويونس والتغابن^(٥).

(أَلَمْ يَرَوْا) بنير واو ، في النحل والنمل ويس^(٦).

أمواتا بالنصب ؛ في البقرة : (وَكُنْتُمْ أَمَواتًا ، وآل عمران ، (في سبيل الله

أمواتا) ، وفي للرسالات (أحياء وأمواتا)^(٧).

(أَجَلًا) بالنصب ، في الأنعام وبني إسرائيل واللؤم^(٨).

(أَنذَاكُنَّا تَرَابًا) بنير ذكر « العظام » في الرعد والنمل رق^(٩).

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ) في الرعد والروم واللؤم^(١٠).

(١) سورة الحج ٧٦ : (إِنَّكَ كَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٌ) سبأ ٢٤ : (وَأَنَّا أَزِلَّابًا كُنْ كَلَىٰ

هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) ، ن (الهم) ٤ : (وَأَنَّكَ كَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ).

(٢) سورة سبأ ٣ ، ٢٢ ، طه ٤٤ (٣) سورة البقرة ٣٠ ، الحجر ٢٨ ، ص ٧١

(٤) سورة طه ٨٠ ، ٨٩ ، ق ٩ (٥) سورة اللائدة ٢٩٦ ، يونس ٩٢ ، التغابن ١٢

(٦) سورة النحل ٨٩ ، النمل ٨٦ ، ص ٣١

(٧) سورة البقرة ٢٨ ، آل عمران ١٦٩ ، للرسالات ٢٦

(٨) سورة الأنعام ٢ ، الإسراء ٩٩ ، اللؤم ٦٧ (٩) سورة الرعد ٥ ، النمل ٦٧ ، ق ٣٠

(١٠) سورة الرعد ٣٨ ، الروم ٤٧ ، اللؤم ٧٨

الفصل الرابع

ما جاء على أربعة حروف

(مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ) . بتكرير (مَنْ) في يونس والحج والنمل والزمر^(١) .

(مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) ، في الثلاثة اثنان ، في ص وآخر الزخرف^(٢) (أرسلنا قبلك) بإسقاط « من » في بني إسرائيل والأنبياء والفرقان وسبأ^(٣) . (أهؤلاء) بألف قبل الماء^(٤) ، في الثلاثة والأنعام والأعراف وسبأ^(٥) .

(مِنْ تَحْتِهِمْ) في الأنعام والأعراف ويونس والكهف^(٦) ؛ وأما (تجرى تحتها الأنهار)^(٧) فوضع واحد في براءة .

(أَوْ أَنْ) بهجزة قبل الواو . في هود: (أَوْ أَنْ تَقَمَلْ) ، وفي بني إسرائيل (أَوْ إِنْ يَشَاءُ يَمْدُدْ بِكُمْ) ، وفي طه: (أَوْ أَنْ يَطْلَى) ، وفي المؤمن : (أَوْ أَنْ يَطْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْقَسَادِ)^(٨) .

(١) سورة يونس ٦٦ ، الحج ١٨ ، النمل ٨٧ ، الزمر ٦٨

(٢) سورة الثلاثة ١٧ ، ١٨ ، ص ١٠ ، الزخرف ٧٥

(٣) سورة الإسراء ٧٧ ، الأنبياء ٧ ، الفرقان ٢٠ ، وفي سبأ ٤٤ : (وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَّا نَبِيًّا قَبْلَكَ) .

(٤) ت : « بألف قبل الماء »

(٥) سورة الثلاثة ٥٣ ، الأنعام ٥٣ ، الأعراف ٤٩ ، سبأ ٤٠

(٦) سورة الأنعام ٦ ، الأعراف ٤٣ ، يونس ٩ ، الكهف ٣١

(٧) سورة التوبة ١٠٠ .

(٨) سورة هود ٨٧ ، الإسراء ٥٤ ، طه ٤٥ ، المؤمن ٢٦

- ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ في النساء اثنتان ، وفي الأحزاب ، والإنسان ^(١) .
- ﴿ آبَاؤُكُمْ ﴾ بالرفع ، في البقرة : ﴿ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُكُمْ لَا يَتَّقُونَ شَيْئًا ﴾ .
- [وفي اللائدة : ﴿ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُكُمْ لَا يَتَّقُونَ شَيْئًا ﴾ . وفي هود : ﴿ إِلَّا كَمَا يَمْبَدُّ آبَاؤُكُمْ ﴾ ، وفي يس : ﴿ لَنُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ آبَاؤُكُمْ ﴾ ^(٢)] .
- ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ في الأعراف ، وفي يونس اثنتان منها ، وفي الحج ^(٣) .
- ﴿ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ﴾ في الأنعام ثلاثة ، والرابع في الأعراف ^(٤) .
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ، في اللائدة والأنعام والتقصص والأحقاف ^(٥) .
- ﴿ مَبْدُوكًا ﴾ بالنصب ، في آل عمران ومريم وللمؤمنين ^(٦) .
- ﴿ مَبَارَكٌ ﴾ بالرفع ، في الأنعام اثنتان ، وفي الأنبياء ^(٧) وص .
- ﴿ مَا كَبَبْتُ ﴾ بحذف الباء من أوله ، في البقرة وآل عمران اثنتان ، وفي إبراهيم ^(٨) .
- ﴿ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى ﴾ بإثبات الهزمة قبل الواو ، في آل عمران والنساء والنحل وغافر ^(٩) .
- ﴿ أَلَمْ يَرَوْا ﴾ بغير واو ، في الأنعام والأعراف والنحل ويس ^(١٠) .

(١) سورة النساء ١١ ، ٢٤ ، الأحزاب ١ ، الإنسان ٣٠

(٢) سورة البقرة ١٧١ ، اللائدة ١٠٤ ، هود ١٠٩ ، يس ٦

(٣) سورة الأعراف ١٥٨ ، يونس ١٠٤ ، الحج ٤٩

(٤) سورة الأنعام ٤٦ ، ٦٥ ، ١٠٥ ، الأعراف ٥٨

(٥) سورة اللائدة ٥١ ، الأنعام ١٤٤ ، القصص ٥٠ ، الأحقاف ١٠

(٦) سورة آل عمران ٩٦ ، مريم ٣١ ، المؤمنون ٢٩ ، ق ٩

(٧) سورة الأنعام ٩٢ ، ١٥٥ ، الأنبياء ٥٠ ، ص ٢٩

(٨) سورة البقرة ١٣٤ ، آل عمران ٢٥ ، ٦١ ، إبراهيم ٥١

(٩) سورة آل عمران ١٩٥ ، النساء ١١ ، النحل ٩٧ ، غافر ٤٠

(١٠) سورة الأنعام ٦ ، الأعراف ١٤٨ ، النحل ٨٦ ، يس ٣١

﴿وَلَيْسَ﴾ في البقرة اثنان ، ﴿وَلَيْسَ مَاشِرُوا بِهِ﴾ ، و ﴿لَيْسَ لِلْهَادِ﴾ .
 وفي الحج : ﴿وَلَيْسَ الشَّيْرُ﴾ وفي النور : ﴿وَلَيْسَ الْمَصِيرُ﴾^(١) . وأما ﴿فَلَيْسَ﴾
 بالقاء ، فوضع واحد في النحل : ﴿فَلَيْسَ مَثْوًى لِلتَّكْبِيرِ﴾^(٢) .
 ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ بالرفع ، في النساء ، والتوبة ، وهود ، والكهف^(٣) .
 ﴿أَقْلَمَ سِيرُوا﴾ في يوسف ، وفي الحج ، وفي المؤمن ، وفي القتال^(٤) .
 ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ في الأنعام : ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظَرُوا﴾^(٥)
 وليس في القرآن «ثُمَّ» غيره ، وفي النمل : ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾ ، وكذا
 في المنكوت والروم^(٦) .

﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ بالقاء بعد الهزة ، في مريم ، والشعراء ، والجاثية ، والنجم^(٧) . اللَّب
 قبل اللَّه ، في الأنعام اثنان^(٨) ، وفي القتال^(٩) ، والحديد^(١٠) .
 ﴿لَا يَاتِ قَوْمٌ يَعْقِلُونَ﴾ بلفظ الجمع ، في البقرة ، والرعد ، والروم ، والنحل^(١١) .

(١) سورة البقرة ١٠٢ ، ٢٠٦ ، الحج ١٣ ، النور ٥٧

(٢) سورة النحل ٢٩

(٣) سورة النساء ٦٦ ، التوبة ٢٨ ، هود ٤٠ ، الكهف ٢٢

(٤) سورة يوسف ١٠٩ ، الحج ٤٦ ، المؤمن ٨٢ ، القتال ١٠

(٥) سورة الأنعام ١١١ (٦) سورة النمل ٦٩ ، المنكوت ٢٠ ، الروم ٤٢

(٧) سورة مريم ٧٧ ، الشعراء ٢٠٥ ، الجاثية ٢٣ ، النجم ٣٣

(٨) سورة الأنعام ٢٣ : ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَبِيبٌ وَلَهْوٌ﴾ ، ٧٠ : ﴿وَذَرِ الَّذِينَ
 اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَمِبًا وَلَهْوًا﴾ .

(٩) القتال ٣٦ : ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَمِيبٌ وَلَهْوٌ﴾ .

(١٠) الحديد ٢٠ : ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَمِيبٌ وَلَهْوٌ﴾ .

(١١) سورة البقرة ١٦٤ ، الرعد ٤ ، الروم ٢٤ ، النحل ١٢

﴿ إِن فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ على لفظ الجمع ^(١) في يونس ^(٢) .
 ﴿ آيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ بالتوحيد في النحل كذلك ^(٣) ، وبالجمع في الروم ، وآل
 السجدة ^(٤) .
 ﴿ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ في مريم ، والمنكيات ، ويس ،
 والأحقاف ^(٥) .
 ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُمْ ﴾ في هود ، والنحل اثنان ، وفي الزخرف ^(٦) .
 ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ﴾ في البقرة ، وبني إسرائيل ، والكهف ، وطه ^(٧) .
 والأنبياء والنبئين بغير حق : في آل عمران : ﴿ النَّبِيِّينَ بغيرِ حَقٍّ ﴾ ^(٨) .
 وفيها : ﴿ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بغيرِ حَقٍّ ﴾ ^(٩) . وفيها أيضاً : ﴿ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بغيرِ
 حَقٍّ ﴾ وفي النساء ^(١٠) . فأما القى في البقرة : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بغيرِ الْحَقِّ ﴾ ^(١١) فليس
 له نظير .

-
- (١) ١ : ٥ في لفظ الجمع .
 (٢) سورة يونس : ٦٧ .
 (٣) سورة النحل ٦٥ .
 (٤) سورة الروم ٢٣ ، السجدة ٢٦ .
 (٥) سورة مريم ٧٣ ، المنكيات ١٢ ، يس ٤٧ ، الأحقاف ١١ .
 (٦) سورة هود ١٠١ ، النحل ١١٨ ، الزخرف ٧٦ ، وليس في القرآن غير ذلك ، وأما للوضع الثاني
 في النحل فهو ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُمْ آيَةً ﴾ ٣٣ .
 (٧) سورة البقرة ٣٤ ، الإسراء ٦١ ، الكهف ٥٠ ، طه ١١٦ .
 (٨) سورة آل عمران ٢١ .
 (٩) سورة آل عمران ١٨١ ، النساء ١٥٥ (١١) سورة البقرة ٦١ .

الفصل الخامس

ما جاء على خمسة حروف

- (حَكِيمٌ عَلِيمٌ) في الأنعام ثلاثة ، والرابع في الحجر ، والخامس في النمل ^(١) .
 (مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) في الأفعال اثنان ، وفي الحج ، والنور ، وسبأ ^(٢) .
 الأرض قبل السماء ، في آل عمران ^(٣) ، ويونس ^(٤) ، وإبراهيم ، وطه ^(٥) ،
 والمنكبوت ^(٦) .
 (لَا يَاتِ تَوَاقُوتٌ يَنْفَكُرُونَ) بلفظ الجمع ، في الرعد ، والروم ، والزمر ، والجناتية ^(٨) ،
 ويلفظ التوحيد في النحل ^(٩) .
 (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) بـ تكرير الطاعة ، في النساء ، والمائدة ، والنور ،
 والفتح ، والتين ^(١٠) .

- (١) سورة الأنعام ٨٣ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، الحجر ٢٥ ، النمل ٦ .
 (٢) سورة الأفعال ٧٤ ، ٤٤ ، الحج ٥٠ ، النور ٢٦ . سبأ ٤ . وفي الأصول : «آل عمران والأخفاف
 والأنعام» وموخطأ .
 (٣) سورة آل عمران ٥ : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) .
 (٤) سورة يونس ٦١ : (وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) .
 (٥) سورة إبراهيم ٣٨ : (وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) .
 (٦) سورة طه ٤ : (تَنْزِيلًا لِمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى) .
 (٧) سورة المنكبوت ٢٢ : (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) .
 (٨) سورة الرعد ٣ ، الروم ٢١ ، الزمر ٤٢ ، الجناتية ١٣ .
 (٩) النحل ١١ ، ٦٩ .
 (١٠) سورة النساء ٥٩ ، المائدة ٩٢ ، النور ٥٤ ، الفتح ٣٣ ، التين ١٢ .

﴿وَذَلِكَ هُوَ النَّوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ، منها حرفان بالواو : في التوبة ، ﴿وَذَلِكَ هُوَ النَّوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١) وكذلك في المؤمن ، والباقي بلا واو^(٢) : في يونس ، والدخان ، والحديد .

الفصل السادس

ما جاء على ستة حروف

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ : في الأنعام ، والنحل ، والنمل ، والتكويث والروم ، والزمر^(٣) .

﴿وَذَلِكَ النَّوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ، منها براو ، واحد في النساء : ﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ النَّوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٤) وفي اللائدة : ﴿ذَلِكَ النَّوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ، ومثله في التوبة (موضمان) ، والصف والتvain^(٥) .

﴿فَسَنُزِيلُهَا بِالْقَاءِ﴾ ، في الأنعام (موضمان) ، والأعراف ، ويونس ، والكهف ، والزمر^(٦) .
﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ بالواو ، (ثلاثة) في البقرة ، ويحيى إسرائيل ، والكهف ، وطه^(٧) .
﴿فَبَشِّرْ﴾ بالقاء : في ص (اثنتان) ، وفي الزمر ، وفي غافر ، والزخرف ، والمجادة^(٨) .

(١) سورة التوبة ١١١ ، المؤمن ٩ .

(٢) سورة يونس ٦٤ ، الدخان ٥٧ ، الحديد ١٢ .

(٣) سورة الأنعام ٩٩ ، النحل ٧٩ ، النمل ٨٦ ، التكويث ٢٤ ، الروم ٣٧ ، الزمر ٥٢ .

(٤) سورة النساء ١٣ .

(٥) سورة اللائدة ١١٩ . التوبة ٨٩ ، ١٠٠ . الصف ١٧ . التائين ٩ .

(٦) سورة الأنعام ١٤٤ ، الأعراف ٣٧ . يونس ١٧ . الكهف ١٥ . الزمر ٣٢ .

(٧) سورة البقرة ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ . الإسراء ٨٥ . الكهف ٨٣ . طه ١٠٥ .

(٨) سورة ص ٥٦ ، ٦٠ . الزمر ٧٢ . غافر ٧٦ . الزخرف ٣٨ . المجادلة ٨ .

﴿تَرْكُنَا﴾ بغير واو، في البقرة، والنساء، والأنعام (موضمان)، والحجر، والإنسان^(١).
﴿قُلْ بِأَهْلِ الْكِتَابِ﴾ في آل عمران ثلاثة، وفي اللائدة ثلاثة^(٢).

الفصل السابع

ما جاء على سبعة حروف

﴿لَعَلَّكُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ في البقرة، وإبراهيم، والقصاص، (ثلاثة مواضع)، والزمر^(٣)
والدخان^(٤).

﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ في مريم، والشعراء، والصافات، وص (موضمان)
والزخرف والدخان^(٥).

«المرأة» مكتوبة بالتاء في سبعة مواضع؛ في آل عمران^(٦)، وفي يوسف (موضمان)
﴿امْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾^(٧)، وفي القصص ﴿امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾^(٨)، وفي التحريم (ثلاثة
مواضع)^(٩).

(١) سورة البقرة ٢٣. النساء ٤٧. الأنعام ٧، ١١١. الحجر ٩ الإنسان ٢٣

(٢) سورة آل عمران ٦٤، ٩٩. لائدة ٥٩، ٦٨، ٧٧.

(٣) في الأصول: «للؤن» تصحيف.

(٤) سورة البقرة ٢٢١، إبراهيم ٢٥، القصص ٤٣، ٤٦، ٥١، الزمر ٢٧، الدخان ٥٨.

(٥) سورة مريم ٦٥ الشعراء ٢٤، الصافات ٤٥، ص ١٠، ٦٦، الزخرف ٨٥، الدخان ٧.

(٦) سورة آل عمران ٣٥ ﴿امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾.

(٧) سورة يوسف ٣٠، ٥١.

(٨) سورة القصص ١٩.

(٩) سورة التحريم ١٠ ﴿امْرَأَتُ نُوحٍ﴾، ﴿وَأَمْرَأَتُ لُوطٍ﴾، ١١ ﴿امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾.

الفصل الثامن

ما جاء على ثمانية حروف

النفخ قبل الضر في الأنعام^(١)، والأعراف^(٢)، ويونس^(٣)، والرعد^(٤)، والأنبياء^(٥)،
والفرقان^(٦)، والشعراء^(٧)، وسبأ^(٨).
(يَتَذَكَّرُ) بناء في الرعد، وطه، ولللائكة، وص [والزمر]، وللمؤمن [والتنازعات
والنجم]^(٩).

الفصل التاسع

ما جاء على تسعة حروف

(مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) بغير تكرار «مَنْ» في آل عمران، والرعد، وفي
بنى إسرائيل. ومريم، والأنبياء، والنور، والحمل، والروم، والرحمن^(١٠).

-
- (١) سورة الأنعام ٧١: ﴿قُلْ أَتَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾.
(٢) سورة الأعراف ١٨٨: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ نَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾.
(٣) سورة يونس ١٠٦: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾.
(٤) سورة الرعد ١٦: ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾.
(٥) سورة الأنبياء ٦٦: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾.
(٦) سورة الفرقان ٥٥: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾.
(٧) سورة الشعراء ٧٣: ﴿أَوْ يَتَّبِعُوا نَكُمْ أَوْ يَضُرُّوْنَ﴾.
(٨) سورة سبأ ٤٢: ﴿قَالُوا لَمْ يَمْلِكْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾.
(٩) سورة الرعد ١٩. طه ٤٤. طه ٣٧. مريم ٢٩. الزمر ٩. المؤمن ١٣. التنازعات ٣٥. الفجر ٢٣.
(١٠) سورة آل عمران ٨٣. الرعد ١٦. الإسراء ٥٥. مريم ٩٣. الأنبياء ١٩. النور ٤١.
النمل ٦٥. الروم ٢٦. الرحمن ٢٩.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بالماء والليم . في الأنعام ، والأعراف ، والأفـال ، ويونس ، والقصص (موضمان) ، [والزمر] . والقي في الدخان والطور ^(١) .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ ، من غير نون بعد الكاف : في الأفـال ، والتوبة ، والنحل ، ومريم ، واللؤن (موضمان) . وفي اللذر (موضمان) بالنون في أوله ، وفي التيامة ﴿أَلَمْ يَكُنْ تُطْلَقُ﴾ ^(٢) .

الفصل العاشر

ما جاء على عشرة أحرف

﴿وَلَكَّا﴾ بالواو : في هود وهوسف ^(٣) ، وفي غيرهما بالفاء : في هود ^(٤) أربعة أحرف وفي يوسف ^(٥) ستة .

﴿أَنْ لَا﴾ تكتب في للصحف بالنون منفصلة عشرة : في الأعراف موضمان ، والتوبة ، وفي هود موضمان ، والحج ، ويس ، والدخان ، والمنتحنة ، والقلم ^(٦) .

(١) سورة الأنعام ٢٧ ، الأعراف ١٣١ ، الأقال ٣٤ ، يونس ٥٥ ، القصص ١٣ ، ٥٧ ، والزمر ٤٩ ، الدخان ٣٩ ، الطور ٤٧

(٢) سورة الأفـال ٥٠٣ ، التوبة ٧٤ ، النحل ١٢٠ ، مريم ٦٧ ، اللؤن ٢٨ ، ٨٥ ، اللذر ٤٣ ، ٤٤ ، التيامة ٣٧

(٣) ﴿وَلَكَّا﴾ في هود ، في ثلاث آيات : ٥٨ ، ٧٧ ، ٩٤ ، وفي يوسف : ٢٢ ، ٥٨ ،

٦٥ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٩٤

(٤) الآيات : ٦٦ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٨٢

(٥) الآيات : ١٥ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٥٠ ، ٦٣ ، ٧٠ ، ٨٠ ، ٨٨ ، ٩٦ ، تسعة مواضع .

(٦) سورة الأعراف ١٠٥ ، ١٦٩ . التوبة ١١٨ ، هود ١٤ ، الحج ٢٦ ، الحج ٦٠ ، الدخان

١٩ ، المنتحنة ١٢ ، القلم ٢٤

الفصل الحادي عشر

ماء جاء على أحد عشر حرفاً

أحد عشر ﴿جَنَاتٍ عَذْنٍ﴾ : في التوبة ، والرعد ، والنحل ، والكهف ، ومريم ، وطه ، والملائكة ، وص ، والمؤمن ، والصف ، ولم يكن ^(١) .

﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ : في البقرة ، والنساء ، والأنعام ، ويونس ، والنحل ، والنور ، والمنكوبت ، ولقيان ، والحديد ، والحشر ، والتغابن ^(٢) .

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ : في النساء ثلاثة مواضع ، وللاحدة ، والتوبة (موضان) .
والأحزاب ، والتغابن ، والطلاق ، والجن والبرية ^(٣) .

﴿وَرَبَّكَ﴾ بالواو ، في البقرة ، وآل عمران والأنعام ، وهود ، والكهف ، والشعراء ، والمنكوبت ، والزخرف ، والمجادلة ، والحشر ، والطلاق ^(٤) .

﴿نِعِمَّتَ اللَّهُ﴾ كتبت بالثاء في أحد عشر موضعاً : في البقرة ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ ، وفي آل عمران ، وللاحدة ، وإبراهيم (موضان) ، والنحل (ثلاثة مواضع) ، ولقيان ^(٥) ، وفاطر ، والطور .

(١) سورة التوبة ٧٢ ، الرعد ٢٣ ، النحل ٣١ ، الكهف ٣١ ، مريم ٦١ ، طه ٧٦ ، قاض ٣٣ ، ص ٥٠ ، ظفر ٨ ، الصف ١٢ ، البقرة ٨ .

(٢) سورة البقرة ١١٦ ، النساء ١٧٠ ، الأنعام ١٢ ، يونس ٥٥ ، النحل ٥٢ ، النور ٦٤ ، المنكوبت ٥٢ ، لقيان ٢١ ، الحديد ١ ، الحشر ٢٤ ، التغابن ٤ .

(٣) سورة النساء ٥٧ ، ١٢٢ ، ١٦٩ . للثانية ١١٩ ، التوبة ٢٢ ، ١٠٠ الأحزاب ٦٥ ، التغابن ٩ ، الطلاق ١١ ، الجن ٢٣ ، البرية ٦ .

(٤) سورة البقرة ٢٣٠ ، آل عمران ١٤٠ ، الأنعام ٨٣ ، هود ٥٩ ، الكهف ٥٩ . الشعراء ٢٢ المنكوبت ٤٣ ، الزخرف ٧٢ ، المجادلة ٤ ، الحشر ٣١ ، الطلاق ١ .

(٥) سورة البقرة ٢٣١ . آل عمران ١٠٣ . للثانية ١١ . إبراهيم ٢٨ ، ٣٤ . النحل ٧٢ ، ٨٣ ، ١١٤ . لقيان ٣١ . ظفر ٣ . الطور ٢٩ .

- (في ما) كتبت مفضلة في أحد عشر موضعاً :
- في البقرة : (فِي مَا قُلْنَا فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ مَعْرُوفٍ) ^(١) :
- وفي اللائدة : (لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ) ^(٢) .
- وفي الأنعام : (فِي مَا أَوْحَى إِلَيَّ) ^(٣) . وفيها أيضاً : (لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ) ^(٤) .
- وفي الأنبياء : (وَمَنْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ) ^(٥) .
- وفي النور : (لَسَكُمْ فِي مَا آفَضْتُمْ) ^(٦) .
- وفي الشعراء : (أَتَذْكُرُونَ فِي مَا هَاجَنَا آمِينَ) ^(٧) .
- وفي الروم : (شَرَّكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ) ^(٨) .
- وفي الزمر : (نَحْنُ نَسْأَلُكُمْ فِي مَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) ^(٩) .
- وفيها أيضاً : (أَنْتَ نَحْنُكُمْ بَيْنَ عِبَادِكِ فِي مَا كَانُوا) ^(١٠) .
- وفي الواقعة : (وَنُفِثْكُمْ فِي مَا لَا تُحْسِنُونَ) ^(١١) .

(٢) سورة اللائدة ٤٨

(٤) سورة الأنعام ١٦٥

(٦) سورة النور ١٤

(٨) سورة الروم ٢٨

(١٠) سورة الزمر ٤٦

(١) سورة البقرة ٢٣٤

(٣) سورة الأنعام ١٤٥

(٥) سورة الأنبياء ١٠٢

(٧) سورة الشعراء ١٤٦

(٩) سورة الزمر ٣

(١١) سورة الواقعة ٦٢

الفصل الثاني عشر

ما جاء على خمسة عشر وجهاً

﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ؛ ليس فيها «خالدين» في البقرة (مؤمنان) ، وآل عمران ، وللمائدة ، والرعد ، والنحل ، والحج (مؤمنان) ، والفرقان ، والزمر ، والقتال ، والفتح ، والصف ، والتحریم ، والبروج^(١) .

﴿وَالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ ، بالتوحيد في البقرة ، والأعراف ، ويونس ، والأنبياء ، (مؤمنان) ، وفي الحج ، والنمل (مؤمنان) ، والروم ، وسبأ ، واللحج ، وص ، والدخان ، والقاريات ، والحديد^(٢) .

الفصل الثالث عشر

ما جاء على ثمانية عشر وجهاً

﴿أَنْكُ﴾ ، ﴿نَكَ﴾ ، و ﴿يَكُ﴾ ، و ﴿نَكُ﴾ بحروف للضراعة في أولها ، وضير نون في آخرها .

. في النساء : ﴿وَإِنْ نَكَ حَسَنَةً﴾^(٣) .

(١) سورة البقرة ٢٥ ، ٢٦٦ . آل عمران ١٩٥ . للمائدة ١٢ . الرعد ٣٥ . النحل ٣١ . الحج ١٤ ، ٢٣ . الفرقان ١٠ . الزمر ٢٠ القتال ١٢ . الفتح ٥ . الصف ١٢ . التحریم ٨ ، البروج ١١ .
(٢) سورة البقرة ١٦٤ . الأعراف ٩٦ . يونس ٣١ . الأنبياء ١٦ ، ٤ . الحج ٧٠ . النمل ٦٤ ، ٧٥ . الروم ٢٥ . سبأ ٩ . طه ٣ . ص ٢٧ . الدخان ٢٩ . القاريات ٢٣ . الحديد ٢١ .
(٣) سورة النساء ٤٠ /

والأفعال : ﴿لَمْ يَكُ مَغْفِرًا﴾^(١) .

وفي التوبة : ﴿إِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ﴾^(٢) .

وفي هود موضعان : ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَبْدُؤُا هَؤُلَاءِ﴾ ، ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ﴾^(٣) .

وفي النحل موضعان : ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الشَّرِكَاءِ﴾ ، ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَلَالٍ﴾^(٤) .

وفي حريم : ثلاث مواضع^(٥) ، [وفي لقمان ، وغافر ، أربع مواضع^(٦)] ، وفي المدثر موضعان^(٧) ، وفي القيامة^(٨) .

الفصل الرابع عشر

فيما جاء على عشرين وجهاً

﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ﴾^(٩) على التوحيد : في البقرة ، وآل عمران ، وهود ، والحجر^(١٠) .
وفي النحل خمسة أحرف بالتوحيد . وفي الشعراء ثمانية . وفي النمل ، والمنكيات ، وسبأ .

(١) سورة الأفعال ٥٣ .

(٢) سورة التوبة ٧٤ .

(٣) سورة هود ١٧ ، ١٠٩ .

(٤) سورة النحل ٢٢٠ ، ١٢٧ .

(٥) سورة مريم ٩ : ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ ، ٣٠ : ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ ، ٦٧ : ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ .

(٦) لقمان ١٦ ، غافر ١٦ ، ٢٨ ، (مرتين) ، ٨٥ ، ٥٠ .

(٧) سورة المدثر ٤٣ ، ٤٤ : ﴿قَالُوا لَمْ يَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ . وَلَمْ يَكُ نَظِيمُ الْمُسْكِينِ﴾ .

(٨) سورة القيامة ٣٧ : ﴿أَلَمْ يَكُ نَظِيمًا مِّنْ مَّعِينٍ يَّمْنَى﴾ .

(٩) سورة البقرة ٢٤٨ . آل عمران ٤٩ / هود ١٠٣ . الحجر ٧٧ ، النحل ١١ ، ٦٣ ، ٦٥ .

(١٠) الشعراء ٦٧ ، ٨ ، ٦٧ ، ١٠٣ ، ١٢١ ، ١٣٩ ، ١٥٨ ، ١٧٤ ، ١٩٠ . النمل ٥٢ ، المنكيات ٤٤ . سبأ ٩ .

(١١) في الأصول : « الحبرات » : وهو خطأ .

الفصل الخامس عشر

ما جاء على ثلاثة وعشرين حرفاً

وذلك ﴿ نَزَّلَ ﴾ و ﴿ أُنْزِلَ ﴾ .

في البقرة : ﴿ ذَلِكَ بَأْنِ اللَّهِ نَزَّلَ الْكِتَابَ ﴾ ^(١) .

وفي آل عمران : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ ^(٢) .

وفي النساء موضحاً : ﴿ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ﴾ ^(٣) . ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ ﴾ ^(٤) .

وفي الأنعام : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ ^(٥) .

وفي الأعراف موضحاً : ﴿ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ ^(٦) . ﴿ إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ﴾ ^(٧) .

وفي الحجر : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الدِّكْرُ ﴾ ^(٨) .

وفي النحل : ﴿ لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ ^(٩) .

وفي بني إسرائيل : ﴿ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ ﴾ ^(١٠) .

وفي الفرقان ثلاثة مواضع : أُولَاهَا : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ﴾ ، ﴿ وَنُزِّلَ لِلْعَالَمِينَ نَزِيلًا ﴾ ، ﴿ لَوْلَا نَزَّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ ﴾ ^(١١) .

(٢) سورة آل عمران ٣

(٤) سورة النساء ١٤٠

(٥) سورة الأنعام ٣٧

(٦) سورة الأعراف ٧١

(٨) سورة الحجر ٦

(٩) سورة النحل ١٠٠

(١) سورة البقرة ١٧٦

(٣) سورة النساء ١٣٦

(٥) سورة الأنعام ٣٧

(٦) سورة الأعراف ٧١

(٧) سورة الأعراف ١٩٦

(٩) سورة النحل ٤٤

(١١) سورة الفرقان ١، ٢٠، ٣٧

- وفي الشعراء : ﴿ تَزَلَّجَ فِي الرُّوحِ الْأَمِينُ ﴾ ^(١) :
 وفي التكميات : ﴿ وَلَقَدْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ تَزَلَّجَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنَ
 بَعْدِ مَوْتِهَا ﴾ ^(٢) ؛ وليس في القرآن ﴿ مَنْ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ بزيادة « من » غيره .
 وفي الصافات : ﴿ فَإِذَا تَزَلَّجَ بِسَاحَتِهِمْ ﴾ ^(٣) .
 وفي الزمر : ﴿ اللَّهُ تَزَلَّجَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ﴾ ^(٤) .
 وفي الزخرف موضعان : ﴿ لَوْلَا تَزَلَّجَ هَذَا الْقُرْآنُ ﴾ ^(٥) ، ﴿ وَالَّذِي تَزَلَّجَ مِنَ السَّمَاءِ
 مَاءً بِقَدَرٍ ﴾ ^(٦) .
 وفي القتال موضعان : ﴿ وَأَمَّنُوا بِمَا تَزَلَّجَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﴾ . ﴿ مَا تَزَلَّجَ اللَّهُ سُنْطِيْعَكُمْ ﴾ ^(٧) .
 وفي الحديد : ﴿ مَا تَزَلَّجَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ ^(٨) .
 وفي تبارك : ﴿ مَا تَزَلَّجَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ^(٩) .

(٢) سورة التكميات ٦٣
 (٤) سورة الزمر ٢٣
 (٦) سورة الزخرف ١١
 (٨) سورة القتال ٢٦
 (١٠) سورة الملك ٠٩

(١) سورة الشعراء ١٩٣
 (٣) سورة الصافات ١٧٧
 (٥) سورة الزخرف ٣١
 (٧) سورة القتال ٢
 (٩) سورة الحديد ١٦

السنج السّادس عِلْمُ الْمُبَهَمَاتِ

وقد صَنَّفَ فِيهِ أَبُو الْقَاسِمِ السُّهَيْلِيُّ ^(١) كِتَابَهُ لِلتَّعْرِيفِ وَالْإِعْلَامِ ^(٢) ، وَتَلَاَهُ تَلِيذُهُ ابْنُ عَسَاكِرَ ^(٣) فِي كِتَابِهِ لِلتَّعْرِيفِ وَالْإِعْلَامِ ^(٤)

وَهُوَ لِلْمُبَهَمَاتِ لِلصَّنْفَةِ فِي عُلُومِ الْحَدِيثِ ، وَكَانَ فِي السَّكْفِ مِنْ يُقْبَى بِهِ . قَالَ عِكْرَمَةُ : طَلَبْتُ الَّذِي خَرَجَ فِي بَيْتِهِ مَهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ أَدْرَكَهُ الْوُتُّ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً . إِلَّا أَنَّهُ لَا يَبِيتُ فِيهَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِاسْتِثْنَائِهِ بَطْنَهُ ؛ كَقَوْلِهِ : (وَأَخْرَجَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) ^(٥) وَالْعَجَبُ مِنْ تَجَرُّأِ وَقَالَ : قِيلَ لَهُمْ قُرْطُظَةٌ ، وَقِيلَ : مِنَ الْجَنْ . وَلَهُ أَسْبَابُ :

(١) هُوَ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ السُّهَيْلِيُّ ؛ صَاحِبُ كِتَابِ الرُّوْضِ الْأَقْبَى عَلَى سِيَرَةِ ابْنِ مَعْنٍ ، وَلَدَ بِمَدِينَةِ سَنَةِ ٥٠٨ هـ ، وَتَوَفَّى بِمَرَاكُشَ سَنَةِ ٥٨١ هـ . (وَانْظُرْ تَرْجُمَتَهُ وَمَرَايِسَهَا فِي إِنْشَاءِ الرِّوَاةِ ٢ : ١٦٢) .

(٢) ذَكَرَهُ صَاحِبُ كَشْفِ الظُّنُونِ بِاسْمِهِ : «التَّعْرِيفُ وَالْإِعْلَامُ بِمَا أَهْبَقَ الْفَرَكَانُ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالْأَعْلَامِ» وَمِنْهُ نَسَخَ خَطِيَّةً فِي دَارِ الْكُتُبِ لِلْمَصْرِفَةِ وَاللَّكْتِبَةِ التَّيْمُورِيَّةِ .

(٣) ذَكَرَهُ صَاحِبُ كَشْفِ الظُّنُونِ ؛ وَقَالَ : اسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ الْقَسَافِيِّ الْمَرْوُوفِيِّ عَسَاكِرَ . وَمِنْ كِتَابِهِ نَسَخَ مَصُورَةً بِمَعْدِ الْخَطُوطَاتِ بِالْجَاسَةِ الرَّيَّةِ عَنْ مَكْتَبَةِ شَيْخِ عَلِيٍّ ؛ وَنَسَخَتَانِ خَطِيَّتَانِ أَيْضًا بِدَارِ الْكُتُبِ لِلْمَصْرِفَةِ .

(٤) ذَكَرَهُ صَاحِبُ كَشْفِ الظُّنُونِ أَنَّ شَيْخَ الْإِسْلَامِ الْقَاضِي بَدْرُ الدِّينَ بْنَ جَمَاعَةَ جَمَعَ فِيهَا فِي كِتَابِ سِيَرَةِ التَّيْمَانِ .

الأول : أن يكون أبهم في موضع استثناء^(١) بيانه في آخر في سياق الآية ، كقوله تعالى : ﴿ مَا لِكِ يَوْمَ الدِّينِ ﴾^(٢) بينه بقوله : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾^(٣) الآية . وقوله : ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾^(٤) ، وبينه بقوله : ﴿ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾^(٥) .

وقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾^(٦) ؛ وللمراد آدم ، والسياق بينه .

وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾^(٧) ، وللمراد بهم المهاجرون لقوله في الحشر : ﴿ لِّلْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ﴾^(٨) . وقد احتج بها الصديق على الأنصار يوم السقيفة فقال : نحن الصادقون ، وقد أمركم الله أن تكونوا معنا ، أي تبعنا لنا . وإنما استحقها دونهم لأنه الصديق الأكبر . وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾^(٩) يعني مريم وعيسى ، وقال (آية) ولم يقل آيتين وهما آيتان لأنها قضية واحدة ، وهي ولادتها له من غير ذكر .

والثاني أن يمتنع لاشتهاره ، كقوله : ﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾^(١٠) ولم يقل حواء لأنه ليس غيرها ،

(١) كذا في ت ، ولم : « أن يكون للهم في موضع استثنى بيانه في آخر » .

(٢) سورة القاحمة ٢ (٣) سورة الانطار ١٧

(٤) سورة القاحمة ٧ (٥) سورة النساء ٦٩

(٦) سورة البقرة ٣٠ (٧) سورة التوبة ١١٩

(٨) سورة الحشر ٨ (٩) سورة المؤمن ٥٠

(١٠) سورة البقرة ٣٥

وكتوله : ﴿ أَلَمْ نَرِ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾^(١) ، وللرّاد الشُّرُودُ لآلِه

وقوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ ﴾^(٢) ، وللرّاد العزيز .

وقوله : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ آدَمَ الْخُلُقِ ﴾^(٣) ، وللرّاد قاتيل وهاميل .

وقوله : ﴿ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾^(٤) .

قالوا : وحيثما جاء في القرآن : ﴿ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ فأنزلها النَّصْرُ بنُ الحارث بن كلدة ، وإنما كان يقولها لأنه دخل بلاد فارس ، وتعلم الأخبار ثم جاء ، وكان يقول : أنا أحدثكم أحسن مما يحدثكم محمد ، وإنما يحدثكم أساطير الأولين ، وفيه نزل : ﴿ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلَ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾^(٥) . وقتله النبي صلى الله عليه وسلم صبّرا يوم بدر .

وقوله : ﴿ لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى ﴾^(٦) ، فإنه ترجّح كونه مسجد قُبا ، بقوله : ﴿ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾^(٧) لأنه أسس قبل مسجد المدينة ، وحُدِّسَ هذا بأن اليوم قد يراد به اللدة والوقت ؛ وكلاهما أُسِّسَ على هذا من أول يوم ، أي من أول عام من الهجرة ، وجاء في حديث^(٨) تفسيره بمسجد المدينة . وُجِّعَ بينهما بأن كليهما مراد الآية .

الثالث : قصد الاسترعاليه ، ليكون أبلغ في استعطافه ، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا

(٢) سورة يوسف ٢١

(١) سورة البقرة ٢٥٨

(٤) سورة الأنعام ٢٥

(٣) سورة المائدة ٢٧

(٦) سورة التوبة ١٠٨

(٥) سورة الأنعام ٩٣

(٧) نقله ابن كثير عن أحمد : حدثنا وكيع حدثنا ربيعة بن عثمان التيمي عن عمر بن أبي أنس عن سهل بن سعد الساعدي قال : اختلف رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد الذي أسس على التقوى ، فقال أحدهما : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال الآخر : هو مسجد قُبا ، فأبى النبي صلى الله عليه وسلم فألاه فقال : « هو مسجدى هذا » . ورواه أيضا عن أحمد من طريق آخر (وانظر تخيير ابن كثير ٢ : ٣٨٩ - ٣٩٠) .

بلنه عن قوم ثي: خَلَبَ قَالَ: « ما بال رجال قالوا كذا » ، وهو غالب ما في القرآن كقولته تعالى: ﴿ أَوْ كَلِمَاتٍ عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ ﴾^(١)؛ قيل: هو مالاك بن الصَّيْف^(٢).

وقوله: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى ﴾^(٣) ، والمراد هو رافع بن خزيمة ووهب بن زيد^(٤).

وقوله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُضْجِبُ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾^(٥).

وقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ ﴾^(٦).

[وقوله: ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾]



(١) سورة البقرة ١٠٠

(٢) عن ابن إسحاق: قال مالك بن الصيف حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر لهم ما أخذ عليهم من الليثي وما عهد الله ليهيم فيه: - والله ما عهد إلينا في عهد عهد ، وما أخذ له علينا من ميثاق فأنزله الله فيه: ﴿ أَوْ كَلِمَاتٍ عَاهَدُوا عَهْدًا ٠٠٠ ﴾ (وانظر سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٤ ،

وتفسير القرطبي ٢ : ٤٠) (٣) سورة البقرة ١٠٨

(٤) في ابن هشام ٣ : ١٧٤ : « وقال رافع بن خزيمة ووهب بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، انتن بكتاب تنزله علينا من السماء تقرأه ، ونغير لنا أنهارا تنبجك ونصدقك ، فأُنزل الله تعالى في ذلك من قوماً : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا ... ﴾ ، وقوله ابن كثير في التفسير ١ : ١٥٣ .

(٥) سورة البقرة ٢٠٤ ، قيل نزلت في الأخنس بن شريق ، وكان رجلاً حلو القول والمنظر ، جاءه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأطهر الإسلام وقال : الله يعلم أني صادق ؛ ثم حرب بعد ذلك ، فر بزع القوم من المسلمين ومحرر ، فأحرق الزرع وعقد آخر . وقيل : نزلت في قوم من المنافقين تسلكوا في الدين فتلوا في غزوة الرجيع : عامر بن ثابت ، وخبيب وغيرهم . وتلوا : ورغ هؤلاء القوم : لا تم قعدوا في بيوتهم ، ولا تم أدوا رسالة صاحبهم . فنزلت هذه الآية في صفات المنافقين . (وانظر الجامع لأحكام القرآن ٣ : ١٥٠) .

(٦) سورة النساء ٤٤ . نزلت في ربيعة بن زيد بن النابيت ، من غضاة اليهود؛ كان إذا كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لوى لسانه وقال : أرعنا سلك يا محمد حتى نهبلك . ثم ضمن في الإسلام وعابه . (وانظر سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٩) .

(٧) سورة آل عمران ٧٢ . نزلت في كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وغيرهما ، قالوا لرسول الله من قومهم: آمنوا بآلنا أنزل على الذين آمنوا وجه النهار . (تفسير القرطبي ٢ : ١١) .

الرابع: ألا يكون في تعيينه كثير فائدة؛ كقوله تعالى: ﴿أَوَ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾^(١) والراد بها بيت المقدس .

﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾^(٢) والراد أيلة ، وقيل : طبرية .

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً﴾^(٣) والراد رينوى .

﴿أَتَيْنَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾^(٤) قيل بركة .

فإن قيل ما الفائدة في قوله : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ﴾^(٥) قيل : آزر اسم صنم ؛ وفي الكلام حذف ، أى دع آزر؛ وقيل كلمة زجر ؛ وقيل : بل هو اسم أبيه؛ وعلى هذا الفائدة أن الأب يطلق على الجد ، قال « آزر » لرضع الجاز .

الخامس : التنبيه على التعميم ، وهو غير خاص بخلاف ما لو عيّن كقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٦) ، قال عكرمة : أقت أربع عشرة سنة أسأل عنه عرفته ، هو ضمرة بن العيص ، وكان من المستضعفين بمكة ، وكان مريضاً ، فلما نزلت آية الهجرة خرج منها فأت بالتَّعْنِيمِ^(٧) .

وقوله : ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾^(٨) قيل نزلت في عليّ ، كان معه أربع دواقي ، فتصدق بواحد بالنهار وآخر بالليل وآخر سراً وآخر علانية .

(٢) سورة الأعراف ١٦٣

(٤) سورة الكهف ٧٧

(٧) التَّعْنِيمِ : موضع بمكة .

(١) سورة البقرة ٢٥٩

(٣) سورة يونس ٩٨

(٥) سورة الأنعام ٧٤

(٦) سورة النساء ١٠٠

(٨) سورة البقرة ٢٧٤

وقوله : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾^(١) ، قيل نزلت في دَئِي بن حاتم ، كان له كلاب [خمسة]^(٢) قد سمّاها [بأسماء]^(٣) أعلام .

السادس : تمظييه بالوصف الكامل دون الاسم كقوله : ﴿ وَلَا يَأْتَلِي أُولَئِ الْفَضْلِ مِنْكُمْ ﴾^(٤) ، وللراد الصديق .

وكذلك ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ ﴾^(٥) يعني عمدا ﴿ وَصَدَقَ بِهِ ﴾^(٦) يعني أبا بكر ودخل في الآية كل مصدق ، ولذلك قال : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾^(٧) .

السابع : تحقيره بالوصف الناقص ، كقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا ﴾^(٨) ، وقوله : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾^(٩) وللراد فيها العاصي بن وائل .

وقوله : ﴿ إِنَّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ ﴾^(١٠) وللراد الوليد بن عقبة بن أبي معيط .

وأما قوله : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾^(١١) فذكره هنالك للتنبيه على أن مآله للنار ذات اللهب

تنبيهات

الأول : قد يكون للشخص ايمان ، فيقتصر على أحدها دون الآخر لنسخته ، فنه قوله تعالى في مخاطبة الكتائبين : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾^(١٢) ولم يذكرُوا في القرآن إلا

(١) سورة اللاتمة ٤

(٢) تكملة من تفسير القرطبي ٦ : ٦٦ .

(٣) نزلت في الصديق حين حلف ألا يفتح مسلح بن أئانة بنافعة أبدا بعد ما جال ٦ عائلة ماثل في حديث الإفك . (وانظر تفسير ابن كثير ٣ : ٢٦٨ - ٢٧٦) .

(٤) سورة النساء ٥٦

(٤) سورة الزمر ٣٣

(٥) سورة الحجرات ٦

(٦) سورة الكوثر ٣

(٧) سورة البقرة ٤٠

(٨) سورة الفهب ١١

بهذا ، دون « يا بني يعقوب » . وسره أن القوم لما خُوطبوا بعبادة الله ، ودُكِّروا بدين أسلافهم ؛ موعظة لم ؛ وتنبيهاً من غفلتهم ، سُمِّوا بالاسم الذي فيه تذكرة بالله ، فإن « إسرائيل » اسم مضاف إلى الله سبحانه في التأويل ، ولهذا لما دعا النبي صلى الله عليه وسلم قوماً إلى الإسلام يقال لهم : « بنو عبدالله » ، قال : « يا بني عبدالله ، إن الله قد حسن اسم أبيكم » ، يحرضهم بذلك على ما يقتضيه ^(١) اسمه من العبودية . ولما ذكر موهبته لإبراهيم وتبشيره به قال : يعقوب ، وكان أولى من إسرائيل ، لأنها موهبة تعقب أخرى ، وبشرى عقب بها بشرى ^(٢) قال : « فَبَشِّرْ نَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ » ^(٣) وإن كان ^(٤) اسم يعقوب عبرانيا ؛ لكن لفظه موافق للعربي ، من العقب والتعقب . فانظر مشاكلة الاسمين للعلمين فإنه من الجائز . وكذلك حيث ذكر الله نوحا سماء به ، واسمه عبدالغفار ، للتبنيه على كثرة نوحه على نفسه في طاعة ربه .

ومنه قوله تعالى حاكيا عن عيسى : « وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ » ^(٥) ، ولم يقل « محمد » ، لأنه لم يكن محمداً حتى كان أحمد ، حمد ربه ، فنبأه وشرفه ، فلذلك تقدم على محمد فذكره عيسى به .

ومنه أن مدنيهم هم أصحاب الأيكة ، إلا أنه سبحانه حيث أخبر عن مدني قال : « أخاهم شعيبا » ^(٦) ، وحيث أخبر عن الأيكة ^(٧) لم يقل « أخوهم » . والحكمة فيه

(١) م : « يتنضي » .

(٢) سورة هود ٧١

(٣) الأعراف ٨٥ ، هود ٨٤ ، النكيتون ٣٦ : « وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا » .

(٤) سورة الشعراء ١٧٦ : « كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ » . المجر ٧٨ .

(٥) وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ ، مر ١٣ : « وَنَحْنُ وَنَحْنُ لَوَطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ » . ن ١٤ : « وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَنَحْنُ نُبْعِ » .

أنه لا عرفها بالنسب، وهو أخوم في ذلك النسب ذكره، ولما عرفهم بالأبيكة التي أصابهم فيها المذاب لم يقل أخوم، وأخرجه عنهم.

ومنه ﴿وَذَا الثَّوْنِ﴾^(١)، فأضافه إلى الحوت والمراد يونس، وقال في سورة القلم: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾^(٢)، والإضافة «بنى» أشرف من الإضافة «بصاحب»، ولقط «النون» أشرف من «الحوت»، ولذلك وجد في حروف التهجى، كقوله: ﴿نَ وَالْقَلَمِ﴾^(٣). وقد قيل: إنه قسم وليس في الآخر ما يشرّفه بذلك.

ومنه قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يُدَا ابْنِ كَلْبٍ﴾^(٤)، فقلل عن الاسم إلى السكنية؛ إما لاشتهاره بها، أو لقبه الاسم، فقد كان اسمه عبد المزّى.

واعلم أنه لم يسم الله قبيلة من جميع قبائل العرب باسمها إلا قريشا؛ ستمهم بذلك في القرآن، ليبقى على مَرَّ اليهود ذكرهم، قال تعالى: ﴿لِلْأَيْلَافِ قُرَيْشٍ﴾^(٥).

الثاني: أنه قد بالغ في الصفات للثنية على أنه يريد إنسانا بينه؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلْفٍ مِنْهُمْ. هَمَزَ مَشَاهِدَ بَنِيهِمْ...﴾^(٦) الآية؛ قيل: إنه الأنفس بن شريق. وقوله: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾^(٧)؛ قيل: إنه أمية بن خلف؛ كان يهزم النبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) سورة القلم ٤٨

(١) سورة الأنبياء ٨٧

(٣) سورة القلم ١

(٤-٥) هذه الباء مضافة من م، وهي حاشية؛ وأشار الناصب إلى أنها مضافة من خط المؤلف.

(٦) سورة قريش ١

(٥) سورة الأبي ١

(٧) سورة الحمزة ١

(٧) سورة ن ١٠، ١١

الثالث : قيل : لم يذكر الله تعالى « امرأة » في القرآن وسماها باسمها إلا مريم بنت عمران ، فإنه ذكر اسمها في نحو ثلاثين موضعا ، لحكمة ذكرها بعض الأشياخ قال : إن للوكة والأشراف لا يذكرون حرائرهم ولا يتذلون أسماءهم ، يكتنون عن الزوجة بالترس والحيال والأهل ونحوه ، فلذا ذكروا الإمام لم يكتنوا عنهن . ولم يصنوا أسماءهن عن الذكر والتصريح بها . فلما قالت النصارى في مريم وفي ابها ما قالت صرح الله تعالى باسمها ، ولم يُكَنَّ عنها ؛ تأكيداً لأمر الميودية التي هي صفة لها ، وإجراء للكلام على عادة العرب في ذكر أبنائها ؛ ومع هذا فإن عيسى لأب له ، واعتقاد هذا واجب ، فلذا تكرّر ذكره منسوباً إلى الأم استشمرت القلوب مدحج عليها اعتقاد من نفى الأب عنه ، ونزبه الأم الطاهرة عن مقالة اليهود لمنهم الله .

الرابع : وأما الرجال فذكر منهم كثيراً ؛ وقد قيل في قوله تعالى : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ﴾ ^(١) إنه الوليد بن المغيرة ، وقد سمى الله زيداً في سورة الأحزاب للتصريح بأنه ليس بابن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وأضيف إلى ذلك السجّل ؛ قيل : إنه كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه المراد بقوله تعالى : ﴿ كَتَبَ السَّجِّلَ لِلْكَتُبِ ﴾ ^(٢) .

النوع السابع في أسرار الفواتح والشُّور

اعلم أن سور القرآن العظيم مائة وأربع عشرة سورة ؛ وفيها يُلَفَّزُ فيقال : أى شيء إذا عدده زاد على المائة ؛ وإذا عددت نصفه كان دون العشرين^(١) ؟ .
وقد افتتح سبحانه ونمأى كتابه العزيز بشرة أنواع من الكلام ؛ لا يخرج شيء من الشُّور عنها .

[الاستفتاح بالثناء]

الأول : استفتاحه بالثناء عليه عز وجل . والثناء قسبان : إثبات لصفات المدح ؛ ونفي وتنزيه من صفات النقص .

والإثبات نحو ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ في خمس سور^(٢) ، و ﴿ تَبَارَكَ ﴾ في سورتين^(٣) :
الفرقان : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ﴾ ، [والملك]^(٤) : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي يَبْدَأُ لِلْمَلِكِ ﴾ .

(١) ألف فيه عبد العظيم بن عبد الواحد المعروف بابن أبي الإصبع كتاباً سماه : الحواطر السوانح في أسرار القوافي ؛ ذكره صاحب كشف الظنون ، ونقل عنه السيوطي في الإتقان .

(٢) سورة الفاتحة : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . الأناصم : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ . الكهف : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ .
سبا : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَوْفَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ . همل : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ .

(٣) زيادة بتحقيقها الباق .

والتنزيه نحو : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾^(١)، ﴿سُبْحَانَ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾^(٢)
 ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾^(٣)، ﴿بُسْبُحُ اللَّهِ﴾^(٤)، كلاهما^(٥) في سبع^(٦) سور، فهذه
 أربع عشرة سورة اسْتُفْتِحَتْ بالثناء على الله : نصفها لثبوت صفات الكمال ، ونصفها
 لسلب النقص .

قلت : وهو سرّ عظيم من أسرار الألوهية . قال صاحب المجتبى^(٧) :
 « سبح لله »^(٨) هذه كلمة استأثر الله بها ؛ فبدأ بالمصدر منها في بني إسرائيل لأنه
 الأصل ؛ ثم بالماضي ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ ، في الحديد والحشر والصف ؛ لأنه أسبقُ الزمانين ، ثم
 للمستقبل^(٩) في الجمعة والثاني ، ثم بالأمر في سورة الأعلى استيعاباً لهذه الكلمة من جميع جهاتها ،
 وهي أربع : للصدر ، والماضي ، والمستقبل والأمر المخاطب ، فهذه أمجوبة وبرهان .

[٢ - الاستفتاح بحروف التَّجْوِي]

الثاني : استفتاح السُّور بحروف التَّجْوِي^(١٠) نحو : اَلَمْ ، اَللّٰهُ ، اَللّٰهُمَّ ، اَللّٰهُمَّ ،
 طَسَّ ، طَسْمَ حَمَّ ، حَمَّسَقْ ، قَ ، نَ . وذلك في تسع وعشرين سورة .
 قال الزَّغَنْسَرِي : «^(١١) وإذا تأملت الحروف التي افتتح الله بها السور وجدتُها نصف

(١) سورة الإسراء . (٢) سورة الأعلى .

(٣) سورة الحديد والحشر والصف .

(٤) سورة الجمعة والثاني .

(٥) أي كل من إثبات صفات للدخ والتنزيه عن صفات النقص .

(٦) في الأصول : « خس » ؛ وصوابه من الإتيان ٢ : ١٠٥ .

(٧) هو محمود بن حزة الكرمانى المعروف بجاج القراء ؛ وكتابه «سجّات» في تفسير القرآن؛ ويسمى
 التراتيب والهجاء أيضاً ؛ ذكره صاحب كشف الظنون .

(٨) الإتيان فيما نقل عن الكرمانى : « التَّحِيح » .

(٩) في الإتيان : « المضارع » . (١٠) ت : « للجهاد » .

(١١) الكشف ١ : ١٣ - ١٤ .

أسامي حروف المعجم ، أربعة عشر : الألف ، واللام ، والميم ، والصاد ، والراء ، والكاف ،
والهاء ، والياء ، والمين ، والطاء ، والسين ، والحاء ، والقاف ، والنون . في تسع وعشرين
عدد حروف المعجم . ثم تجلدها مشتتة على أصناف أجناس الحروف : للمهوسة والمجهورة
والشديدة والمطبوقة والمستطوية والمنخفضة وحروف الثقلة . ثم إذا استقرت الكلام تجد
هذه الحروف هي أكثر دورا مما ينبغي ، ودليله أن الألف واللام لما كانت أكثر تداورا
جاءت في معظم هذه القوائم ، فسبحان الذي دقت في كل شيء حكته ^(١) . انتهى .

قيل : وبقي عليه من الأصناف : الشديدة والمنفتحة ^(٢) ، وقد ذكر تعالى نصفها . أما
حروف الصغير فهي ثلاثة ليس لها نصف ؛ فجاء منها السين والصاد ، ولم يبق إلا الزاي .
وكذلك الحروف اللينة ثلاثة ، ذكر منها اثنين : الألف والياء ، أما للكرور هو الراء ، والمهاوى
وهو الألف ، وللتعرف وهو اللام فذكرها ؛ ولم يأت خارجا عن هذا النمط إلا ما بين
الشديدة والرخوة ؛ فإنه ذكر فيه أكثر من النصف . وهذا التداخل موجود في كل قسم
قبله ، ولولا ما انقسمت هذه الأقسام كلها . ووه الزحشرى في عدد حروف الثقلة ؛ إنما
ذكر نصفها ، فإنها خمسة ذكر منها حرفان : القاف والطاء .

(١) كذا قال المؤلف ؛ وفي الكلام اختصار ؛ وعبارة الكشف : « ثم إذا نظرت في هذه
الأربعة عشر وجدت مشتتة على أصناف أجناس الحروف ؛ بيان ذلك : أن فيها من المهوسة نصفها :
الصاد والكاف والهاء والسين والحاء . ومن المجهورة نصفها : الألف واللام والميم والراء والمين والطاء
والقاف والياء والنون . ومن الشديدة نصفها : الألف والكاف والطاء والقاف . ومن الرخوة نصفها : اللام
والميم والراء والصاد والهاء والسين والميم والياء والنون . ومن اللينة نصفها : الصاد والطاء .
ومن المنفتحة نصفها : الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والمين والسين والحاء والقاف والياء والنون .
ومن المستطوية نصفها : القاف والصاد والطاء . ومن المنخفضة نصفها : الألف واللام والميم والراء والكاف
والحاء والياء والمين والسين والحاء والنون . ومن حروف الثقلة نصفها : القاف والطاء . ثم إذا استقرت
الكلم وتراكيبها رأيت الحروف التي ألفت ذكرها من هذه الأجناس المدودة مكتورة بالذكورة منها ؛
فسبحان الذي دقت في كل شيء حكته ! » .

(٢) كذا ذكره المؤلف ؛ وفيه نظر ؛ فقد أورد صاحب الكشف ؛ وانظر المحاشية السابقة .

وقال القاضي أبو بكر : إنما جاءت على نصف حروف اللجم ؛ كأنه قيل : مَنْ زعم أن القرآن ليس بآية فليأخذ للشطر الباقي ، ويركب عليه لقطا معارضة للقرآن . وقد علم ذلك بعض أرباب الحقائق .

واعلم أن الأسماء للتهجئة في أول السور ثمانية وسبعون حرفا ؛ فالكاف والنون كل واحد في مكان واحد ، والميم والياء والماء والقاف كل واحد في مكانين ، والصاد في ثلاثة ، والطاء في أربعة ، والسين في خمسة ، والراء في ستة ، والحاء في سبعة ، والألف واللام في ثلاثة عشر ، والميم في سبعة عشر ، وقد جمع بعضهم ذلك في بيتين هما :

كُنْ وَاحِدٌ عَيْتُ اثْنَانِ ثَلَاثَةُ عَا دُ الطاءُ أَرْبَعَةُ وَالسِّينُ خَمْسُ عَلا
وَالرَّاءُ سِتٌّ وَسَبْعُ الحَاءُ آلٌ وَدَجٌ^(١) وَمِيمُهَا سَبْعُ عَشْرَ تَمْ وَاكْتَمَلَا
وهي في القرآن في تسعة وعشرين سورة ، وجعلها من غير تكرار أربعة عشر حرفا ؛
يجمعها قولك : « نص حكيم قاطع له سر » : وجعلها للمبيل في قوله : « ألم ينطع
بور حق كره » .

وهذا الضابط في لفظه قَل ، وهو غير عذب في السمع ولا في اللفظ ؛ ولو قال :
« لم يكرها نص حق سطح » لكان أعذب .

ومنها من ضبط بقوله : « طرق سمك النصيحة » ، و« صُنْ سرا يقطعك حله » ، و« على
صراط حق يمسكه » . وقيل : « مَنْ حَرَّصَ عَلَى بَلِّهِ كَاسِر » وقيل : « سر حصين قطع كلامه » .
ثم بنيتها^(٢) ثلاثة حروف موحدة : ص ق ن ، وعشرة مثقطة : طه ، طس ، يس ، حم .
واثنا عشر مثقلة الحروف : ألم الر ، طسم ، واثنان حروفها أربعة : للأعر ، للر . واثنان
حروفها خمسة : كهيمص حقق .

وأكثر هذه السور التي ابتدئت بذكر الحروف ذكر منها : ما هو ثلاثة أحرف ،
وما هو أربعة أحرف (سورتان) ، وما ابتدئ بخمسة أحرف (سورتان) .

(١) كلمة : « ودج » نبي العدد ثلاثة عشر بحروف الجبل . (٢) ت : « منها » .

وأما ما بدى بحرف واحد فاختلفوا فيه ، فمنهم من لم يجعل ذلك حرفاً وإنما جملة اسماً لشيء خاص . ومنهم من جملة حرفاً وقال : أراد أن يصدق الحروف مفرداً ومنظوماً . فأما ما ابتدئ بثلاثة أحرف ففيه سر ، وذلك أن الألف إذا بدى بها أولاً كانت همزة ، وهى أول الخارج من أقصى الصدر ، واللام من وسط مخارج الحروف ، وهى أشد الحروف اعتماداً على اللسان ، والميم آخر الحروف ومخرجها من القم . وهذه الثلاثة هى أصل مخارج الحروف ؛ أعنى الحلق واللسان والشفنتين ، وترتبت فى التنزيل من البداية ، إلى الوسط ، إلى النهاية .

فهذه الحروف تعتمد الخارج الثلاثة ، التى يفرع منها ستة عشر مخرجا ؛ ليصير منها تسعة وعشرون حرفاً ؛ عليها مدار كلام الخلق أجمعين ، مع تفتتها سرا عجيباً ، وهو أن الألف للبدية ، واللام للتوسط ، والميم للنهاية ؛ فاشتملت هذه الأحرف الثلاثة على البداية ، والنهاية ، والواسطة بينهما .

وكل سورة استفتحت بهذه الأحرف فهى مشتتة على مبدأ الخلق ونهايته وتوسطه ، مشتتة على خلق العالم وغايته ، وعلى التوسط بين البداية من الشرائع^(١) والأوامر . فتأمل ذلك فى البقرة ، وآل عمران ، وتنزيل السجدة ، وسورة الروم .

وأيضاً فلأن الألف واللام كثرتا فى القوائم دون غيرها من الحروف لكثرتها فى الكلام .

وأيضاً من أسرار علم الحروف أن الهمزة من الرثة فهى أعق الحروف ، واللام مخرجها من طرف اللسان ملصقة بصدر النار الأعلى من القم ؛ فصوتها يملأ ما وراءها من هواء القم ، والميم مطبقة ؛ لأن مخرجها من الشفتين إذا أطبقا ، ويرمز بهن إلى باقى الحروف ؛ كإرمز

صلى الله عليه وسلم بقوله: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»^(١) إلى الإتيان بالشهادتين وغيرهما مما هو من لوازمها .

وتأمل اقتران الطاء بالسين والهاء في القرآن ، فإنَّ الطاء جمعت من صفات الحروف خمس صفات لم يجمعها غيرها؛ وهي الجهر والشدة والاستعلاء والإطباق [والإصابت]. والسين مهموس رخو مستقل صغير منفتح ، فلا يمكن أن يجمع إلى الطاء حرف يقابلها ، كالسين والهاء ؛ فذكر الحرفين اللذين جمعا صفات الحروف .

وتأمل السورة التي اجتمعت على الحروف المفردة : كيف تجمد السورة مبنية على كلمة ذلك الحرف ؛ فن ذلك : ﴿ قَ وَالْقُرْآنَ لِلْجِيدِ ﴾^(٢) فإن السورة مبنية على الكلمات القافية: من ذكر القرآن، ومن ذكر الخلق، وتكرار القول ومراجعتهم مرارا، والتربص من ابن آدم ، وتلقى للمسكين ، وقول العقيد ، وذكر الرقيب ، وذكر السابق، والتربص ، والإلقاء في جهنم ، والتضخم بالوعد ، وذكر المتضيق ، وذكر القلب ، والقرن ، والتفتيق في البلاد ، وذكر القتل مرتين ، وتشقق الأرض ، وإلقاء الراسي فيها ، وبسوق النخل، والرزق، وذكر القوم ، وخوف الوعيد ، وغير ذلك .

وسر آخر وهو أن كل معاني السورة مناسب لما في حرف القاف من الشدة والجهر والقلقة والانفتاح .

وإذا أردت زيادة إيضاح فتأمل ما اشتملت عليه سورة « ص » من الخصومات للتعبدية ؛ فأولها خصومة الكفار مع النبي صلى الله عليه وسلم . وقولهم : ﴿ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ

(١) نقله السيوطي في الجامع الصغير ١ : ١١٠ عن البخاري ومسلم ؛ ونقله : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فإذا قالوا عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » . عن أبي هريرة .

(٢) سورة ق ١

إِلَيْهَا وَاحِدًا ..^(١)، إلى آخر كلامهم، ثم اختصام الخصمين عند داود، ثم تخاضم أهل النار، ثم اختصام للآل الأعلیٰ فی العلم، وهو الدرجات، والكفارات، ثم تخاضم إبليس واعتراضه على ربّه وأمره بالسجود، ثم اختصامه ثانيا في شأن يَلِيهِ وَحِلِّهِ كَيْفُو: بهم أجمعين إلا أهل الإخلاص منهم .

وكذلك سورة ﴿ ن وَالْقَلَم ﴾ ؛ فإن فواصلها كلها على هذا الوزن، مع ما تضمنت من الألفاظ النونية .

وتأمل سورة الأعراف زاد فيها « ص » لأجل قوله : ﴿ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ ﴾^(٢) وشرح فيها قصص آدم فمن بعده من الأنبياء، ولهذا قال بعضهم: معنى ﴿ لِّلنَّاسِ ﴾، ﴿ أَلَمْ تَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾^(٣) . وقيل : معناه للصور ، وقيل : أشار بالميم لحمد ، وبالعاد للصدق؛ وفيه إشارة لمصاحبة الصاد للميم، وأنها تامة لها كصاحبة الصدّيق لحمد ومتابته. وجعل السهل هنا من أسرار القوافي، وزاد في الرعد « راء » لأجل قوله: ﴿ أَفَلَا الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ ﴾^(٤) ولأجل ذكر الرعد والبرق وغيرها .

واعلم أن عادة القرآن العظيم في ذكر هذه الحروف أن يذكر بعدها ما يتعلق بالقرآن كقوله: ﴿ لَا ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾^(٥) وقد جاء بخلاف ذلك في المنكسوت والروم فيسأل عن حكمة ذلك .

تَشْيِيات

ثم لابد من التنبيه على أحكام تخص بهذه القوافي الشريفة :

الأول : أن البصريين لم يمدّوا شيئاً منها آية؛ وأما الكوفيون فنحنها ماعده آية، ومنها

(١) سورة ص ٤

(٢) سورة الأعراف ٢

(٣) سورة الرعد ٣

(٤) سورة البقرة ١ ، ٢

(٥) سورة الانشراح ١

ما لم يبدؤه آية ؛ وهو علم توقيفي لا مجال للقياس فيه ؛ كمرقة السور ؛ أما ﴿آلَمْ﴾ فآية حيث وقعت من الثور للفتحة بها ، وهي ست^(١) ، وكذلك ﴿الْحَسَّ﴾ آية ، و﴿الَّرَّ﴾ لم تُعد آية ، و﴿الَّرَّ﴾ ليست بآية من سورها الخمس ، و﴿طَسَمَ﴾ آية في سورتيها ، و﴿طَلَّ﴾ و﴿يَسَ﴾ آيتان ، و﴿طَسَ﴾ ليست بآية ، و﴿حَمَ﴾ آية في سورها كلها ، و﴿حَمَّ - عَمَّ﴾ آيتان ، و﴿كَيْمَصَ﴾ آية واحدة ، و﴿صَ﴾ و﴿قَ﴾ ؛ و﴿نَ﴾ ، لم تعد واحدة منها آية ؛ وإنما عُدَّ ما هو في حكم كلمة واحدة آية ، كأعدَّ ﴿الرَّحْمَنَ﴾ وحده ، و﴿مُدَاهَمَتَانِ﴾^(٢) وحدهما آيتان على طريق التوقيف .

وقال الواحدي في « البسيط » في أول سورة يوسف : لا يبدئ شيء منها آية إلا في ﴿طَلَّ﴾ ، وسره أن جميعها لا يشاكل ما بعده من رموس الآي ، فلهاذا لم يُعدَّ آية ؛ بخلاف ﴿طَلَّ﴾ ، فإنها تشاكل ما بعدها .

الثاني : هذه القوائم الشريفة على ضربين : أحدها ما لا يأتى فيه إعراب ، نحو ﴿كَيْمَصَ﴾ و﴿آلَمْ﴾ . والثاني ما يأتى فيه ؛ وهو إما أن يكون اسماً مفرداً كص ، وق ، ون ، أو أسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كـ « حَمَّ » ، و « طَسَ » و « يَسَ » فإنها موازنة لقابيل وهاميل وكذلك « طَسَمَ » يتأتى فيها أن تفتح نونها فخصير (ميم) مضمومة إلى « طَسَ » فيجمل اسماء واحداً ككدار انجرد^(٣) . فالنوع الأول محكى ليس إلا ، وأما النوع الثاني فسانع فيه الأمران : الإعراب والحكاية^(٤) .

(١) سورة البقرة ، آل عمران ، التكبوت ، الروم ، لقمان ، الجمعة .

(٢) سورة الرحمن ٦٤

(٣) دلو انجرد : ولاية بنارس (ياقوت) .

(٤) ذكره الخنيسرى في الكشف ١ : ١١ ، ونقله عن سيبويه في باب أسماء السور (٢ : ٣٠-٣١)

الثالث: أنه يوقف على جميعها وقف التمام؛ إن حُجِلَتْ على معنى مستقل غير محتاج إلى ما بعده، وذلك إذا لم نجعل أسماء السور، وينطق^(١) بها كما ينطق بالأصوات؛ أو جُعلَتْ وحدها أخبار ابتداء محذوف؛ كقوله تعالى: ﴿الْم - اللَّهُ﴾^(٢) أى هذه السورة «الْم» ثم ابتداء فقال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾.



الرابع: أنها كتبت في الصحاف الشريفة على صورة الحروف أنفسها، لا على صورة أساميها، وعُلِّ^(٣) ذلك بأن الكلمة لما كانت مركبة من ذوات الحروف، واستقرت العادة متى تُهَجِّت، ومتى قيل للكاتب: اكتب: كَيْتَ وكَيْتَ، أن يلفظ بالأسماء، وتقع في الكتابة الحروف أنفسها؛ فحل على ذلك للشاكلة^(٤) للألوة في كتابة هذه القوائم. وأيضاً فإن شهرة أمرها، وإقامة السنة^(٥) الأحر والأسود لها؛ وأن اللائظ بها غير متبعة لا يبيح بطائل فيها، وأن بعضها مفرد لا يخطر ببال غير ما هو عليه من موردِه أُمِنَتْ وقوع اللبس فيها. وقد اتفقت في خط للصحف أشياء خارجة عن القياسات التي يُبَيِّنُ^(٦) عليها علم الخط والمجاهة؛ ثم ما عاَدَ ذلك بنكير^(٧) ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ، وكان اتباع خط للصحف سنة لا تخالف. أشار إلى هذه الأحكام للذكورة صاحب الكشاف.

وقد اختلف الناس في الحروف للقطعة أوائل السور على قولين:

(١) كذا في ت، ط، و، م: «ينطق»

(٢) سورة آل عمران ١، ٢

(٣) انظر الكشاف ١: ١٢

(٤) الكشاف: «عمل على تلك الشاكلة للألوة»

(٥) الكشاف: «السنة»

(٦) الكشاف: «يبي»

(٧) ط: «بكسر»، والكشاف: «بضم».

أحدهما أن هذا علم مستور ، وسر محجوب استأثر الله به ، ولهذا قال الصديق رضي الله عنه : في كل كتاب سر ، وسره في القرآن أوائلُ السور . قال الشنقي : إنها من التشابه ، تؤمن بظاهرها ، ونسكن العلم فيها إلى الله عز وجل .

قال الإمام الرازي : وقد أنكر المتكلمون هذا القول وقالوا : لا يجوز أن يرد في كتاب الله ما لا يفهمه الخلق ، لأن الله تعالى أمر بتدبره ، والاستنباط منه ، وذلك لا يمكن إلا مع الإحاطة بمعناه ، ولأنه كاجاز التعميد بما لا يعقل معناه في الأنفال ، فلم لا يجوز في الأقوال بأن يأمرنا الله تارة بأن نتكلم بما نقف على معناه ، وتارة بما لا نقف على معناه ، ويكون القصد منه ظهور الاقبياد والتسليم !

القول الثاني أن المراد منها معلوم ، وذكرنا فيه ما يزيد على عشرين وجها ؛ فنها البعيد ، ومنها القريب :

أحدها : ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسماء سبحانه ، فالألف من « الله » ، واللام من « لطيف » ، واليم من « مجيد » ، أو الألف من « آياته » ، واللام من « لطفه » ، واليم من « مجده » . قال ابن فارس : وهذا وجه جيد ، وله في كلام العرب شاهد : * قلنا لها فني قتالت في *
فعبّر عن قولها « وَقَفْتُ » بـ ق .

الثاني : أن الله أقم بهذه الحروف بأن هذا الكتاب الذي يقرؤه ^(١) محمداً والكتاب للبرز لا شك فيه ، وذلك يدل على جلالة قدر هذه الحروف إذ كانت مادة البيان . ومافي كتب ^(٢) الله للزلة باللفات المختلفة ، وهي أصول كلام الأمم ^(٣) بها يتعارفون ، وقد أقم الله تعالى : ﴿ العنبر ﴾ ﴿ والطور ﴾ ؛ فكذلك شأن هذه الحروف في القسم بها .

(١) م : « يقول »

(٢) ت : « وباني كتب الله للزلة »

(٣) ت : « الاسم » ؛ وفوقها الحرف « ط » رمز : « طبق الأصل » .

الثالث : أنها الماثرة من الحروف التسعة والعشرين ؛ فليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسماء عز وجل ، أو آلائه ، أو بلائه ، أو مدة أقوام أو آجالهم ، فالألف سنة واللام ثلاثون سنة ، واليم أربعون ؛ روى عن الربيع بن أنس . قال ابن فارس : وهو قول حسن لطيف ، لأن الله تعالى أنزل على نبيه الفرقان ، فلم يدع نظماً عجيباً ، ولا علماً ناصحاً إلا أودعه إياه ، علم ذلك من علمه ، وجهله من جهله .

الرابع : ويروى عن ابن عباس أيضاً في قوله تعالى : ﴿الْم﴾ . أنا الله أعلم ، وفي ﴿الْم﴾ أنا الله أفصّل ، و ﴿الْم﴾ أنا الله أرى ، ونحوه من دلالة الحرف الواحد على الاسم العام ، والصفة التامة .

الخامس : أنها أسماء للسور في ﴿الْم﴾ اسم لهذه ، و ﴿حَم﴾ اسم لتلك ، وذلك أن الأسماء وضعت للتمييز ؛ فهكذا هذه الحروف وضعت لتمييز هذه السور من غيرها ، وقلة الزمخشري عن الأكثرين ^(١) وأن سيبويه نص عليه في كتابه ^(٢) . وقال الإمام فخر الدين : هو قول أكثر المتكلمين . فإن قيل : قد وجدنا ﴿الْم﴾ افتتح بها عدة سور ، فأين التمييز ؟ قلنا : قد يقع الوافق بين اسمين لشخصين ثم يميّز بسد ذلك بصفة وقعت ، كما يقال : زيد وزيد ، ثم يميّزان بأن يقال : زيد النقيع ، وزيد النحوي . فكذلك إذا قرأ القارئ : ﴿الْم﴾ . ذَلِكَ الْكِتَابُ ^(٣) قد ميّزها عن ﴿الْم﴾ . أَفْهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ^(٤) .

السادس : أن لكل كتاب سرّاً ، وسر القرآن فوائح السور ، قال ابن فارس : وأعلن قاتل ذلك أراد أنه من السر الذي لا يمله إلا الله والراسخون في العلم . واختاره جماعة منهم أبو حاتم بن حبان .

(٣) للكتاب ٢ : ٣٠
(٤) سورة آل عمران ٢ : ٢٠١

(١) الكشاف ١ : ١١
(٢) سورة البقرة ٢ : ٢٠١

قلت : وقد استخرج بعضُ أئمةِ القرب من قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَغْلِبَ أَقْرَبُ ﴾^(١) فتوح بيت المقدس واستنقاذَه من العدو في سنة معيّنة ، وكان كما قال .

السابع : أن العرب كانوا إذا سمعوا القرآن لقّوا فيه ، وقال بعضهم : ﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالنَّوْا فِيهِ ﴾^(٢) فأنزل الله هذا النظم البديع ليجبوا منه ، ويكون تعجبهم سببا لا سماعهم ، واستماعهم له سببا لاستماع ما بعده ، فترق القلوب وتلين الأفتدة .

الثامن : أن هذه الحروف ذكرت لتدل على أن القرآن مؤلف من الحروف التي هي : ا ، ب ، ت ، ث ... فجاء بعضها مقطعا ، وجاء تمامها مؤلفا ، ليدل القوم الذين نزل القرآن بأنهم أنه بالحروف التي يقولونها ، ويبنون كلامهم منها .

التاسع : واختاره ابن فارس وغيره أن تجعل هذه التأويلات كلها تأويلا واحدا : فيقال : إن الله جل وعلا افتتح السور بهذه الحروف إرادة منه للدلالة بكل حرف منها على معانٍ كثيرة ، لا على معنى واحد ، فتكون هذه الحروف جامعة لأن تكون افتتاحا ، وأن يكون كل واحد منها مأخوذاً من اسم من أسماء الله تعالى ، وأن يكون الله عز^(٣) وجل قد وضعها هذا الوضع^(٤) فسمى بها ، وأن كل حرف منها في آجال قوم وأرزاق آخرين ، وهي مع ذلك مأخوذة من صفات الله تعالى في إنشائه وإفضاله وعجله ، وأن الافتتاح بها سبب لأن يسمع القرآن من لم يكن يسمع ، وأن فيها إعلاما للعرب أن القرآن الفال على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بهذه الحروف ، وأن مجزئهم عن الإتيان بمثله مع نزوله بالحروف للتأمل بينهم دليل على كفرهم وعنادهم وجحودهم ، وأن كل عدد منها إذا وقع أول كل سورة فهو اسم لتلك السورة .

قال : وهذا القول الجامع للتأويلات كلها . والله أعلم بما أراد من ذلك .

(٢) سورة فصلت ٢٦

(٤) م : « الوضع » .

(١) سورة الروم ٢١

(٣) ت : « الله تعالى » .

المأثر : أنها كالمهجة لمن سمعها من النصحاء ، وللوقفة لهم الرأفة من البناء لطلب التسايل ، والأخذ في التفاضل ، وهي بمنزلة زجاجة الرعد قبل الناظر في الأعلام لتعرف الأرض فضل النعام ، وتحفظ ما أفيض عليها من الإنعام . وما هذا شأنه خليف بالنظر فيه ، والوقوف على معانيه بسد حفظ مبانيه .

الحادى عشر : التنبيه على أن تمداد هذه الحروف ممن لم يمارس الخط ، ولم يمان الطريقة ، على ما قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّ بِبَيْمِنِكَ إِذَا لَا رَنَابَ لِلْغَيْطُونَ ﴾ ^(١) .

الثانى عشر : انحصارها في نصف أسماء حروف اللجم ، لأنها أربعة عشر حرفاً على ما سبق تفصيله ؛ وهذا واضح على ^(٢) من عدّ حروف اللجم ثمانية وعشرين حرفاً ، وقال « لا » مركبة من اللام والألف ؛ والصحيح أنها تسعة وعشرون حرفاً . والنطق « بلا » في الهجاء كالنطق في « لا رجل في الدار » ، وذلك لأن الواضع جعل كل حرف من حروف اللجم صدر اسمه إلا الألف ، فإنه لم يتمكّن أن يُتقدّأ به لكونه مطبوعاً على السكون فلا يقبل الحركة أصلاً توصل إليه باللام ؛ لأنها شابهته في الاعتداد والانتصاب ، ولعلّك يكتب على صورة الألف إلا إذا اتصل بما بعده .

فإن قلت : قد تقدم اسم الألف في أول حروف الهجاء ا قلت : ذلك اسم الهزمة لوجهين : أحدهما أنه صدره ، والثانى أنها صدر ما تصدر من حروف اللجم لتكون صورته ثلاثاً ؛ وإنما كانت صدره لأن صورتها كالشكورة أربع مرات ؛ لأنها تيسر صورة العين وصورة الألف والواو والياء لا يمرض من الحركة والسكون ، ولذلك أخرّوا ما بهد الطاء

(١) سورة النكيت ٨

(٢) ت : « عدد من قال : إن حروف اللجم ثمانية وعشرون حرفاً » .

والظاء والعين؛ لأن صورتها ليست متكررة. وجوابه على هذا الذنب أن الحرف لا يمكن تنصيفه^(١)، فيعين سقوط حرف لأنه الأليق بالإيجاز.

الثالث عشر: مجيئها في تسع وعشرين سورة بعدد الحروف. فلن قلت: هل روعي صورتها كما روعي عددها؟ قلت: عرض لبعضها الثقل لفظاً فأهمل.

فصل

اعلم أنه لما كانت هذه الحروف ضرورية في النطق، واجبة في المعجزة، لازمة للتقدم في الخط والتطيق - إذ للقرء مقدّم على المركب - قدّمت هذه للقرءات على مركباتها في القرآن، فليس في القرء ما في المركب، بل في المركب ما في القرء وزيادة. ولما كان نزول القرآن في أزمان متطاولة، تزيد على عشرين سنة، وكان باقياً إلى آخر الزمان؛ لأنه ناسخ لما قبله، ولا كتاب بعده، جعل الله تعالى حروفه كاللأم، مبيّنة أن هذه السورة هي من قبيل تلك التي أنزلت من عشر سنين مثلاً، حتى كأنها نعمة لها، وإن كان بينهما مدة. وأما نزول ذلك في مدّة وأزمنة، أو نزول سور خالية عن الحروف فيحسب تلك الوقائع. وأما ترتيب وضيمها في الصحف - أعني السور - فله أسباب مذكورة في النوع الثالث عشر.

وأما زيادة بعض الحروف في بعض السور وتغيير بعضها، فليعلم أن المراد بالإعلام بالحروف قط؛ وذلك أنه متى قرئ الإنسان في بعضها شيئاً، مثل ﴿الأم﴾ السجدة، لزم في مثلها مثله، كأنه لا ميم البقرة؛ فلما لم يجد ذلك الثاني على بطلان الأول، وتحقق أن هذه الحروف هي علامات للكتوب والنطوق. وأما كونها اختصت بسورة البقرة فيجتمعت أن

(١) ت : « تنصفه »

ذلك تنبيه على السور ، وأنها احتوت على جملة النطق به من جهة الدلالة ؛ ولهذا حصلت في تسعة وعشرين سورة بعدد جملة الحروف ولو كان التصدُّ الاحتواء على نصف الكتاب لجاءت في أربع عشرة سورة ؛ وهذا الاحتواء ليس من كل وجه ، بل من وجه يرجع إلى إلى النطق والقصاحة وتركيب ألفاظ اللغة العربية ؛ وما يقتضى أن يقع فيه التمجيز . ويحتمل أن يكون لمجان آخر ، مجدهما مَنْ يفتح الله عليه بالتأمل والنظر ؛ أو هبة من لدنه سبحانه . ولا يمتنع أن يكون في جبهة السور أيضاً كل ذوات الحروف ، بل هذه خصصت بعلامات لقضية وجب من أجلها أن تعلم عليها السور ، لئنبه على فضلها ، وهذا من باب الاحتمال . والأولى أن الأحرف إنما جاءت في تسعة وعشرين سورة لتكون عدة السور دالة لنا على عدة الحروف ، فتكون السور من جهة العدة مؤدية إلى الحروف من جهة العدة ؛ فيعلم أن الأربعة عشر عوض عن تسعة وعشرين .

[٣ - الاستفتاح بالنداء]

النوع الثالث من أنواع استفتاح السور : النداء ؛ نحو : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾^(١) . ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾^(٢) . ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾^(٣) ؛ وذلك في عشر سور^(٤) .

(١) سورة المائدة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ . المجرات : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ . المتحنة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ .

(٢) سورة الأحزاب : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ . الطلاق : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ ... ﴾ المحرم : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ . (٣) سورة المدثر .

(٤) بجنه : في سورة النساء : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ . سورة الحج : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ . الزمل : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ الْإِنشِلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

[٤ - الاستفتاح بالجلل الخيرية]

الرابع : الجلل الخيرية ؛ نحو ﴿ يَأْتُونَكَ مِنَ الْأُنْثَالِ ﴾ . ﴿ بِرَأۡءِ اللَّهِ مِنَ اللَّهِ ﴾^(١) . ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ ﴾^(٢) . ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾^(٣) . ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ . ﴿ سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا ﴾^(٤) . ﴿ نَزِيلُ الْكِتَابِ ﴾^(٥) . ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾^(٦) . ﴿ إِنَّهُ فَتَحَنَا ﴾ . ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ﴾^(٧) . ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ . ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ ﴾^(٨) . ﴿ الْخَاقَةُ ﴾ . ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ ﴾^(٩) . ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا ﴾^(١٠) . ﴿ لَا أَقْسِمُ ﴾ في موضعين^(١١) . ﴿ عَبَسَ ﴾ . ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ ﴾^(١٢) . ﴿ لَمْ يَكُنْ ﴾^(١٣) . ﴿ الْقَارِعَةُ ﴾ . ﴿ أَلْهَا كُفْرُ ﴾^(١٤) . ﴿ إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ ﴾ ؛ فذلك ثلاث وعشرون سورة .

[٥ - الاستفتاح بالقسم]

الخامس : القسم ؛ نحو : ﴿ وَالصَّافَّاتِ ﴾ . ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ﴾ . ﴿ وَالطَّوُّرِ ﴾ . ﴿ وَالنَّجْمِ ﴾ . ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ ﴾ . ﴿ وَالنَّازِعَاتِ ﴾ . ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾ . ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴾ . ﴿ وَالْفَجْرِ ﴾ . ﴿ وَالشَّمْسِ ﴾ . ﴿ وَاللَّيْلِ ﴾ . ﴿ وَالضُّحَى ﴾ . ﴿ وَاللَّيْلِ ﴾ . ﴿ وَالْمَدَادِيحِ ﴾ . ﴿ وَالْعَصْرِ ﴾ ؛ فذلك خمس عشرة سورة .

- | | |
|-------------------------------|---------------------|
| (١) سورة التوبة . | (٢) سورة النجم . |
| (٣) سورة الأنبياء . | (٤) سورة النور . |
| (٥) سورة الزمر . | (٦) سورة العنكبوت . |
| (٧) سورة القصص . | (٨) سورة المجادلة . |
| (٩) سورة المعارج . | (١٠) سورة نوح . |
| (١١) سورتا القيامة ، والبلد . | (١٢) سورة القمر . |
| (١٣) سورة البقرة . | (١٤) سورة التكاثر . |

[٦ - الاستفتاح بالشرط]

السادس : الشرط ؛ نحو ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾ . ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَاقِقُونَ ﴾ . ﴿ إِذَا
لِلشَّمْسِ كُوْرَتْ ﴾ . ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴾ . ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ . ﴿ إِذَا زُلْزِلَتْ ﴾ .
﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ ، فذلك سبع سور .

[٧ - الاستفتاح بالأمر]

السابع : الاستفتاح بالأمر ؛ في ست سور : ﴿ قُلْ أُوْحِيْ ﴾ . ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ .
﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ . ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ . ﴿ قُلْ أَعُوذُ ﴾ في سورتين .

[٨ - الاستفتاح بالاستفهام]

الثامن : لفظ الاستفهام في : ﴿ هَلْ أَتَى ﴾ ^(١) . ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ . ﴿ هَلْ أَتَاكَ ﴾ ^(٢) .
﴿ أَلَمْ تَشْرَحْ ﴾ . ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ . ﴿ أَرَأَيْتَ ﴾ ^(٣) ، فذلك ست سور .

[٩ - الاستفتاح بالدعاء]

التاسع : الدعاء في ثلاث سور : ﴿ وَيَلِلُ اللَّطْفَيْنِ ﴾ . ﴿ وَيَلِلُ لِكُلِّ هَمَزَةٍ ﴾ .
﴿ تَبَّتْ بَدَا أَيْ لَهَبٍ ﴾ .

[١٠ - الاستفتاح بالتطليل]

العاشر : التطليل ، في موضع واحد ؛ نحو : ﴿ لِإِيلَافٍ قُرَيْشٍ ﴾ .
هكذا جمع الشيخ شهاب الدين أبو شامة لتقدمي ^(٤) ؛ قال : وما ذكرناه في قسم

(٢) سورة النازية .

(١) سورة البعر .

(٣) سورة الماعون .

(٤) هو العلامة عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان الشافعي القندسي ، المعروف بأبي شامة ؛ شارح
الناحية ؛ وماحب كتاب التليل على الروضتين . توفي سنة ٦٦٥ هـ . (شعرات الذهب ٥ : ٣١٨) .

الدعاء يجوز أن يذكر مع الخير ؛ وكذا الثناء على الله سبحانه وتعالى كله خير إلا (سُبْحَ
اسم رَبِّكَ الْأَعْلَى) فإنه يدخل أيضاً في قسم الأمر ، و (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِمِثْرِهِ) .
يحتل الأمر والخير ؛ ونظم ذلك في بيتين قال :

أَتَى عَلَى قِسْمِ سُبْحَانِهِ بَيُّو تِ الدُّنَى وَالسُّبْحِ لَا اسْتَفْتَحَ السُّورَا
وَالْأَمْرُ شَرْطُ النَّدَا التَّمْلِيلُ وَالْقَسَمُ السَّدَا حُرُوفُ التَّهَجِّي اسْتَفْهِمُ الْغِيْرَا

السُّورَةُ الثَّامِنُ فِي خَوَاتِمِ السُّورِ

وهي مثل الفوايح في الحسن : لأنها آخر ما يقرعُ الأسماع ؛ فلها جات متضمنة للمعاني البديعة ؛ مع إيمان السامع بانتهاء الكلام حتى يرتفع معه تشوق النفس إلى ما يذكر بعد .

ومن أوضحه خاتمة سورة إبراهيم : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ ﴾ ^(١) . وخاتمة سورة الأحقاف : ﴿ بَلَاغٌ ؛ فَبَلِّغْهُمْ إِلَهُ الْقَوْمِ الْفَاسِقُونَ ﴾ ^(٢) ؛ ولأنها بين أدعية ووصايا وفرائض ومواعظ وتعميد وتهليل ، ووعد ووعد ؛ إلى غير ذلك . كتفصيل جملة المطلوب في خاتمة فاتحة الكتاب ؛ إذ المطلوبُ الأعلى الإيمان المحفوظ من المصاعب للسببية لنصب الله والضلal ؛ فضل جملة ذلك بقوله : ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(٣) ؛ وللرأد المؤمنين ؛ وللك إطلاق الإنعام ولم يقيد به ليتناول كل إنعام ؛ لأن من أنعم عليه بنعمة الإيمان صد أنعم عليه بكل نعمة ؛ لأن نعمة الإيمان مستتمة لجميع النعم ؛ ثم وصفهم بقوله : ﴿ غَيْرِ النَّصُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ^(٤) يعني أنهم جمعو بين النعم المطلقة وهي نعمة الإيمان وبين السلامة من غضب الله والضلال للسايقين عن معاصيه وتمدَّى حدوده .

(٢) سورة الأحقاف ٢٥

(١) سورة إبراهيم ٢

(٣) فاتحة الكتاب ٧

(٤) سورة الفاتحة ٧

وكالعماء الذي اشتملت عليه الآياتان من آخر سورة البقرة^(١) .
 وكالوصايا التي خُتِمَتْ بها سورة آل عمران^(٢) ، بالصبر على تكاليف الدين ، والصابرة
 لأعداء الله في الجهاد ومعاقبتهم ، والصبر على شدائد الحرب والرابطة في النزول والخضوض
 عليها بقوله : ﴿ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾^(٣) ، والتفوى
 للوعود عليها بالتوفيق في المضائق وسهولة الرزق في قوله : ﴿ وَمَنْ يَقْنُتْ لِلَّهِ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا
 وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْسِبُ ﴾^(٤) . وبالفلاح لأن ﴿ لِّلَّهِ مِنْ اللَّهِ وَاجِبَةٌ ..
 وكالوصايا والفرائض التي ختمت بها سورة النساء^(٥) وحسن الخلق بها لأنها آخر ما نزل
 من الأحكام عام حجة الوداع .

والتبجيل والتعظيم الذي ختمت به اللائدة : ﴿ قُلْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا
 فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(٦) ، ولإرادة اللبالة في التعظيم أخبرت « ما » على
 « مَنْ » لإفادة العموم ، فيتناول الأجناس كلها .

وكالوعد والوعيد الذي ختمت به سورة الأنعام بقوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ بِرِيعِ الْعِقَابِ
 وَإِنَّهُ لَنَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾^(٧) وقلبك أورد على وجه اللبالة في وصف العقاب بالسرعة وتوكيد
 الرحمة بالكلام المفيد لتحقيق الوقوع .

(١) وذلك قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ ٢٨٥ ، ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا
 أَوْ أَخْطَاْنَا ... ﴾ ٢٨٦ .

(٢) وذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ
 لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ٣٠٠

(٤) سورة الطلاق ٢ ، ٣

(٣) سورة الأنفال ٦٠

(٥) وذلك قوله تعالى : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ أَمْرُهُ هَلَكَ

لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ ... ﴾ ١٧٦ .

(٧) سورة الأنعام ١٦٥

(٦) سورة اللائمة ١٢٠

وكانت تحريض على المباداة بوصف حال اللائكة التي خُفِيت به سورة الأعراف^(١).
والخض على الجهاد وصلة الأرحام التي حتم به الأخال^(٢).
ووصف الرسول ومدحه والاعتداد على الأمم به وتسلميه ووصيته والتحليل التي
خُفِيت به براءة^(٣).
وتسلميته عليه الصلاة والسلام التي حتم بها سورة يونس^(٤). ومثلها خاتمة هود^(٥).
ووصف القرآن ومدحه التي حتم به سورة يوسف^(٦).
والرد على مَنْ كَذَّبَ الرسول التي حتم به الرعد^(٧).

-
- (١) وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ
وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾، آية ٢٠٦
(٢) وذلك قوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، آية ٧٥
(٣) وذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ
وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، آية ١٢٩
(٤) وذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمِيزْ حَتَّىٰ يَمُوتَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْخَالِكِينَ﴾، آية ١٠٩
(٥) وذلك قوله تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِفَاعِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، آية ١٢٣
(٦) وذلك قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ
وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، آية ١١١
(٧) وذلك قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا
بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ...﴾، آية ٤٣

ومدح القرآن وذكر قاعدته والدة في أنه إله واحد الذي ختمت به إبراهيم^(١).
ووصيته الرسول التي ختم بها الحجر^(٢).
وتسليّة الرسول بطأ نيته ووعده سبحانه الذي ختمت به النحل^(٣). والصعيد الذي
ختمت به سيجان^(٤).
ومحضيض الرسول على البلاغ والإقرار بالتنزيه ، والأمر بالتروحيد الذي ختمت به
الكهف^(٥).
وقد أتينا على نصف القرآن ليكون مثالا لمن نظر في بقيقته .

فصل

[في مناسبة فوائح السور وخواتمها]

ومن أسرارها مناسبة فوائح السور وخواتمها . وتأمل سورة القصص وبنائها بقصة
مبدأ أمر موسى ونصرته ، وقوله : ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾^(١) وخروجه من
وطنه ونصرته وإسعافه بالمكالة ، وختمها بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالآلا يكون ظهيرا

(١) وذلك قوله تعالى : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ . . . ﴾ ، آية ٥٢

(٢) وذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ ، آية ١١

(٣) وذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ ، آية ١٢٨

(٤) وذلك قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ

فِي الْمُلْكِ . . . ﴾ ، آية ١١١

(٥) وذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَا إِلَهُكُمْ إِلَهُ

وَاحِدٌ . . . ﴾ ، آية ١١٠

(٦) سورة القصص ١٧

للكافرين، وتسليته بخروجه من مكة والوعد بعوده إليها بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَادٍ﴾^(١).

قال الزمخشري: وقد جعل الله فاتحة سورة المؤمنين ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٢) وأورد في خاتمتها: ﴿إِنَّهُ لَا يُمْسِكُ الْكَافِرُونَ﴾^(٣)، فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة!

فصل

[في مناسبة فاتحة السورة بخاتمة التي قبلها]

ومن أسرارها مناسبة فاتحة السورة بخاتمة التي قبلها؛ حتى إن منها ما يظهر تعلّقها به فظاً كما قيل في: ﴿فَجَمَلَهُمْ كَعِصْفٍ مَا أَكُولُ﴾^(١)، ﴿لَا يَلْفِ قَرِيشٌ﴾^(٢). وفي الكواشي^(٣) لا ختم سورة النساء أمراً بالتوحيد والعدل بين العباد، أكد ذلك بقوله في أول سورة الأئمة: ﴿بِأَيِّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾^(٤).

(٢) سورة المؤمنين ٢

(٤) سورة القيل ٥

(١) سورة القصص ٨٥

(٣) سورة المؤمنين ١١٧

(٥) سورة قريش ١

(٦) هو أحمد بن يوسف بن حسن بن رافع موفق الدين الكواشي اللوملي الشافعي؛ توفي سنة ١٨٠ وله كتابان في التفسير أحدهما التبصرة والثاني التلخيص؛ ذكرهما صاحب كشف الظنون.

(٧) سورة الأئمة ١

الفصل التاسع معرفة المكي والمدني

وما نزل بمكة والمدينة وترتيب ذلك

ومن فوائده معرفة الناسخ والنسخ ، ولكي أكثر من اللحن .

اعلم أن الناس في ذلك ثلاثة اصطلاحات :

أحدها أن للكي ما نزل بمكة ، والمدني ما نزل بالمدينة^(١) .

والثاني - وهو المشهور - أن للكي ما نزل قبل الهجرة ، وإن كان بالمدينة ، والمدني

ما نزل بعد الهجرة ، وإن كان بمكة .

والثالث أن للكي ما وقع خطاباً لأهل مكة ، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة ؛
وعليه يحمل قول ابن مسعود الآتي ؛ لأن الثالب على أهل مكة الكفر فخطبوا ؛ « يأيها
الناس » وإن كان غيرهم داخلًا فيهم ، وكان الثالب على أهل المدينة الإيمان فخطبوا
؛ « يأيها الذين آمنوا » وإن كان غيرهم داخلًا فيهم .

وذكر للوردى^(٢) أن البقرة مدنية في قول الجميع إلا آية ، وهي : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ

فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾^(٣) فلما نزلت يوم النحر في حجة الوداع بمنى . انتهى .

(١) قال السيوطي في الإيضاح (١ : ٩) : « يدخل في مكة شواحيها ؛ كالنيل بمنى وعرفت والمدينة ؛

وفي المدينة شواحيها كالنيل ببيدر وأحد وسليح » .

(٢) هو الإمام أبو الحسن علي بن حبيب الشافعي ؛ صاحب كتاب أدب الدنيا والدين ؛ والمناوي ،

والنفي ؛ وكتاب الأحكام السلطانية ؛ توفي سنة ٤٥٠ . (شذرات الذهب ٣ : ٢٨٥ - ٢٨٦) .

(٣) سورة البقرة ٢٨١

وتزولها هناك لا يخرجها عن المدني بلاصلاح الثاني أن ما نزل بعد الهجرة مدني سواء كان بالمدينة أو بغيرها .

وقال للآوردى في سورة النساء : هي مدنية إلا آية واحدة نزلت في مكة في عثمان ابن طلحة حين أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يأخذ منه مفاتيح الكعبة^(١) ويسلمها إلى العباس ، فنزلت : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾^(٢) والكلام فيه كما تقدم .

ومن جملة علاماته أن كل سورة فيها « بآيها الناس » وليس فيها « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » فهي مكية ، وفي الحج اختلاف . وكل سورة فيها « كَلَّا » فهي مكية ، وكل سورة فيها حروف اللجم فهي مكية إلا البقرة وآل عمران ، وفي الرعد خلاف . وكل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية سوى البقرة . وكل سورة فيها ذكر للناقض فمدنية سوى المنكحوت .

وقال هشام^(٣) عن أبيه : كل سورة ذكرت فيها الحدود والقرائن فهي مدنية ، وكل ما كان فيه ذكر القرون الماضية فهي مكية .

وذكر أبو عمرو عثمان بن سعيد النخعي^(٤) بإسناده إلى يحيى بن سلام^(٥) قال : ما نزل بمكة وما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فهو من المكّي

(١) ت : « البيت » .

(٢) سورة النساء ٥٨

(٣) هو هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبي صاحب السير والقبض توفي سنة ٢٠٤ . (معجم الأدباء

١٩ : ٢٨٧)

(٤) ل : م : « الهادي » تحريف : وهو صاحب السنن الكبير : أخذ الفقه عن البويطي والمريعي عن ابن الأعرابي والمحدث عن ابن اللطيف . توفي سنة ٢٨٠ (حفرات الذهب ٢ : ١٧٦)

(٥) هو أبو زكريا البصري يحيى بن سلام صاحب التفسير ، سمع بصراً ، ثم سكن إفريقية وتوفي سنة ٢٠٠

(طبقات الفراء ٣ : ٣٧٣)

وما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم في أسفاره بدماقديم المدينة فهو من اللدني ، وما كان من القرآن « يا أيها الذين آمنوا » فهو مدني ، وما كان « يا أيها الناس » فهو مكّي .

وذكر أيضاً بإسناده إلى عروة بن الزبير^(١) قال : ما كان من حد أو فريضة فإنه أنزل بالمدينة ، وما كان من ذكر الأم والخطاب فإنه أنزل بمكة .

وقال الجعفي : لمعرفة للكدني واللدني طريقان : سماعي وقياسي . فالسماعي ما وصل إلينا زوله بأحدهما ، والقياسي ، قال علقمة^(٢) عن عبد الله : كل سورة فيها « يا أيها الناس » قط أو « كلاً » أو أولها حروف تهج سوى الزهراوين^(٣) والعد في وجهه ، أو فيها قصة آدم وإبليس سوى الطولي^(٤) فهي مكّيّة ؛ وكل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكّيّة ، وكل سورة فيها فريضة أو حد فهي مدنيّة . انتهى .

وذكر ابن أبي شيبة^(٥) في مصنفه في كتاب فضائل القرآن : حدثنا وكيع عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال : كل شيء نزل فيه « يا أيها الناس » فهو بمكة ، وكل شيء نزل فيه « يا أيها الذين آمنوا » فهو بالمدينة ؛ وهذا مرسل قد أسند عن عبد الله بن مسعود .

(١) هو أبو محمد عروة بن الزبير بن العوام الأسدي أحد فقهاء المدينة البهاة ؛ توفي سنة ٩٤ (شذوان الذهب ١ : ١٠٣ - ١٠٤)

(٢) هو علقمة بن قيس النضلي الكوفي ؛ يروي عن أبي بكر وعمر وعطاء وعلي وعبد الله بن مسعود وحذيفة ، توفي سنة ٦٢ (الملازمة ٢٣٩) .

(٣) سورة البقرة وآل عمران ؛ وقرأ في ضمير القرطبي ٤ : ٣ سبب النسبة .

(٤) هي سورة البقرة ؛ أطول سورة في القرآن .

(٥) هو الحافظ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ؛ صاحب تصنيف المروني باسمه . توفي سنة ٢٣٥

(شذوان الذهب ٢ : ٨٥ ، وتهذيب التهذيب)

ورواه الحاكم^(١) في مستدركه في آخر كتاب الهجرة عن يحيى بن معين، قال: حدثنا وكيع عن أبيه عن الأعمش وعن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود .
ورواه البيهقي^(٢) في أواخر دلائل النبوة ، وكذا رواه البزار^(٣) في مسنده ثم قال:
وهذا يرويه غير قيس عن علقمة مرسلًا ، ولا نعلم أحداً أسنده إلا قيس . انتهى .

ورواه ابن مردويه^(٤) في تفسيره في سورة الحج عن علقمة عن أبيه ، وذكر في آخر الكتاب عن عروة بن الزبير نحوه . وقد^(٥) نص على هذا القول جماعة من الأئمة منهم أحمد بن حنبل وغيره ، وبه قال كثير من المفسرين ، ونقله عن ابن عباس .

وهذا القول إن أخذ على إطلاقه قبيح فخر ، فإن سورة البقرة مدنية ، وفيها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾^(٦) وفيها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِن ثَمَرِ الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾^(٧) .
وسورة النساء مدنية ، وفيها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾^(٨) ، وفيها: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾^(٩) أيها الناس . وسورة الحج مكية ، وفيها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾^(١٠) : فإن أراد المفسرون أنَّ الغالب ذلك فهو صحيح ، ولنا قال مكى^(١١) : هذا

(١) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، المعروف بالحاكم ؛ صاحب المستدرک علی الصحیحین : توفي سنة ٤٠٥ .

(٢) هو الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله البيهقي ؛ صاحب كتاب الدين و دلائل النبوة وغيرها . توفي سنة ٤٥٨ (طبقات الشافعية ٣ : ٣ - ٥) .

(٣) هو أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري ؛ صاحب اللند الكبير ؛ ذكره الذهبي في وفيات سنة ٢٩٢ .

(٤) هو الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني ؛ صاحب التفسير وكتاب المستخرج على صحيح البخاري ، توفي سنة ٤١٠ (شذرات الذهب ٣ : ١٩٠) . وانظر كشف الظنون) .

(٥) ت : « وعن قيس » (٦) سورة البقرة ٢١

(٧) سورة البقرة ١٦٨ (٨) سورة النساء ١

(٩) سورة النساء ٣٣ (١٠) سورة الحج ٢٧

(١١) هو مكى بن حوث بن محمد بن مختار القيسي القرشي ؛ صاحب كتاب الرعية ، في تجويد القرآن ، وتحقيق لفظ الخلاوة ، توفي بقرطبة سنة ٢٣٧ (ابن خلكان ٢ : ١٢٠) .

إنما هو في الأقل كثير وليس بعام، وفي كثير من السور للكية: (يُأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) . انتهى .
وللأقرب تنزيل قول مَنْ قال : مكِّي ومدني ؛ على أَنَّهُ خطابٌ للقصود به أو جلَّ
للقصود به أهل مكة « يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » كذلك بالنسبة إلى أهل المدينة .
وفي تفسير الرازي ^١ عن علقمة والحسن : أن ما في القرآن « يَأَيُّهَا النَّاسُ » مكِّي ،
وما كان « يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » ^(٢) فبالمدينة ، وأن القاضي قال : إن كان الرجوع في هذا إلى
النقل فسلم ، وإن كان السبب فيه حصول المؤمنين ^(٣) بالمدينة على الكثرة دون مكة فضعيف
إذ يجوز خطاب المؤمنين بصفتهم واسمهم وجنسهم ، ويؤمر غير المؤمنين ^(٤) بالعبادة كما
يؤمر المؤمنون بالاستمرار عليها والازدياد منها . انتهى .

فصل

ويقع السؤال : أنه هل نص النبي صلى الله عليه وسلم على بيان ذلك؟ قال القاضي أبو بكر
في الانتصار : إنما هذا يرجع لحفظ الصحابة وتابيحهم ، كما أنه لا بد في العادة من معرفة معظيهم
العالم والخليفة ، وأهل الحرص على حفظ كلامه ومعرفة كتبه ومصنفاته من أن يعرفوا ما صنعت
أولاً وآخر ، وحال القرآن في ذلك أمثل ، والحرص عليه أشد ، غير أنه لم يكن من النبي صلى الله
عليه وسلم في ذلك قول ، ولا ورد عنه أنه قال : اعملوا أن قدّر ما نزل بمكة كذا وبالمدينة
كذا ، وفصله لهم . ولو كان ذلك منه لظهر واشتد ، وإنا لم نفعله لأنه لم يؤمر به ، ولم يحمل
الله علم ذلك من فرائض الأمة ، وإن وجب في بعضه على أهل العلم معرفة تاريخ الناسخ
والمنسوخ ، ليعرف الحكم الذي تضمنهما ، فقد يُعرف ذلك بفيز نص الرسول بعينه ، وقوله

(١ - ١) ساقط من ت .

(٢) حاشية ط : « عبارة الإمام الرازي : « المؤمن » بالإفراد ؛ وخضع المصنف بمجتل ؛ لكن الرازي
أفرد « المؤمن » أولاً فقال : ويؤمر غير المؤمن بالعبادة كما يؤمر المؤمنون . وفي خط الركني المجمع أولاً .

هذه هو الأول المكي، وهذا هو الآخر المدني. وكذلك الصحابة والتابعون من بعدهم لما لم يثبتوا أن من فرائض الدين تفصيل جميع المكي والمدني مما لا يسوغ الجهل به، لم تتوفر الدواعي على إخبارهم به، ومواصلة ذكره على ألسانهم، وأخذهم بمرفقه. وإذا كان كذلك ساغ أن يختلف في بعض القرآن هل هو مكي أو مدني، وأن يملوا في القول بذلك ضرباً من الرأي والاجتهاد، وحينئذ فلم يلزم النقل عنهم ذكر المكي والمدني، ولم يجب على من دخل في الإسلام بعد الهجرة أن يرف كل آية أُنزلت قبل إسلامه : مكية أو مدنية. فيجوز أن يقف في ذلك أو يطلب على ظنه أحد الأمرين؛ وإذا كان كذلك بطل ما توهموه من وجوب نقل هذا أو شهرته في الناس؛ ولزوم العلم به لهم، ووجوب ارتفاع الخلاف فيه.

فصل

قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري في كتاب « التنبية على فضل علوم القرآن » : من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته وترتيب ما نزل بمكة ابتداءً ووسطاً وانتهاءً، وترتيب ما نزل بالمدينة كذلك، ثم ما نزل بمكة وحكمه مدني، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي، وما نزل بمكة في أهل المدينة، وما نزل بالمدينة في أهل مكة، ثم ما يشبه نزول المكي في المدني، وما يشبه نزول المدني في المكي، ثم ما نزل بالبحفة، وما نزل ببيت المقدس، وما نزل بالطائف وما نزل بالمدينة ثم ما نزل ليلاً، وما نزل نهاراً، وما نزل مشياً، وما نزل مفرداً، ثم الآيات المدنية في السور المكية، والآيات المكية في السور المدنية، ثم ما حُل من مكة إلى المدينة، وما حُل من المدينة إلى مكة، وما حُل من المدينة إلى أرض الحبشة، ثم ما نزل مجعلاً، وما نزل مفسراً، وما نزل مرموزاً، ثم ما اختلفوا فيه، فقال بعضهم : مدني. هذه خمسة وعشرون ونجماً؛ من لم يرفها ويميز بينها لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله تعالى.

واختلفوا في آخر ما نزل بمكة، قال ابن عباس: المنكيات. وقال الضحاك وعطاء: للؤمنون، وقال مجاهد: ﴿ويل للطفقين﴾. فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بمكة، وعليه استقرت الرواية من الثقات، وهي خمس وعثمانون سورة.

ذكر ترتيب ما نزل بالمدينة

وهو تسع وعشرون سورة

فأول ما نزل فيها: سورة البقرة، ثم الأنفال، ثم آل عمران، ثم الأحزاب، ثم الممتحنة، ثم النساء، ثم ﴿إذا زلزلت﴾، ثم الحديد، ثم محمد، ثم الرعد، ثم الرحمن، ثم ﴿هل أتى﴾، ثم الطلاق، ثم ﴿لم يكن﴾، ثم الحشر، ثم ﴿إذا جاء نصر الله﴾، ثم النور، ثم الحج، ثم للتافهون، ثم المجادلة، ثم الحجرات، ثم ﴿يا أيها النبي لم تحرم﴾، ثم الصف، ثم الجمعة، ثم التين، ثم الفتح، ثم التوبة، ثم المائدة.

ومنهم من يقدّم المائدة على التوبة، وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم للمائدة في خطبة حجة الوداع وقال: «يأيها الناس، إن آخر القرآن نزولا سورة المائدة، فأحلوا حلها، وحرموا حرامها».

فهذا ترتيب ما نزل بالمدينة. وأما ما اختلفوا فيه: فتأمة الكتاب، قال ابن عباس والضحاك ومقاتل وعطاء: إنها مكية. وقال مجاهد: مدنية؛ واختلفوا في ﴿ويل للطفقين﴾ فقال ابن عباس: مدنية؛ وقال عطاء: هي آخر ما نزل بمكة، فنجع ما نزل بمكة خمس وعثمانون سورة، وجميع ما نزل بالمدينة تسع وعشرون سورة، على اختلاف الروايات.

ذكر ما نزل بمكة وحكمه مدني

منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ...﴾^(١) الآية، ولها قصة يطول بذكرها الكتاب^(٢) ونزولها بمكة يوم ضحى، وهي مدنية لأنها نزلت بعد الهجرة.

ومنها قوله في المائدة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(٣) إلى قوله: ﴿الْخَالِصِينَ﴾^(٤) نزلت يوم الجمعة والناس وقوف برفات، فبركت ناقة النبي صلى الله عليه وسلم من هيبة القرآن. وهي مدنية لنزولها بعد الهجرة، وهي عدة آيات يطول ذكرها.

ذكر ما نزل بالمدينة وحكمه مكّي

منه المتصححة إلى آخرها؛ وهي قصة حاطب بن أبي بلتعة وسارة، والكتاب الذي دفعة إليها - وقصتها^(٥) مشهورة - يخاطب بها أهل مكة.

ومنها قوله تعالى في سورة النحل: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَلَدٍ مَا غُلِبُوا...﴾^(٦) إلى آخر السورة، مدنيات يخاطب بها أهل مكة.

ومنها سورة الرعد يخاطب بها أهل مكة، وهي مدنية.

(١) سورة الحجرات ١٣

(٢) انظر تفصيل القصة في (سيرة ابن هشام ٢ : ٣١ ، ٣٢)

(٣) سورة المائدة ٣ (٤) سورة المائدة ٥

(٥) وذلك حينما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم للسير إلى مكة : وكتب حاطب بن أبي بلتعة كتابه إلى قريش يخبرها بما جرى عليه رسول الله من الأمر بالسير إليهم . وانظر عميل الخبر في (ابن هشام ١٦ : ١٧)

(٦) سورة النحل ٤١ .

ومن أول براءة إلى قوله : ﴿ إِنَّا لِلشُّرْكَوْنَ نَجَسٌ ﴾^(١) خطاب لشركى مكة ؛
وهى مدنية .

فهذا من جملة ما نزل بمكة فى أهل المدينة وحكه^(٢) مدنى ، وما أنزل فى أهل مكة^(٣)
وحكه مكى .

ما يشبه تنزيل المدينة فى السور المكية

من ذلك قوله تعالى فى النجم : ﴿ الَّذِينَ يَحْتَفِيُونَ كَبَاثِرَ الْأَنْثَمِ ﴾^(٤)
يعنى كل ذنب عاقبه النار ، ﴿ والقواش ﴾ يعنى كل ذنب فيه حد ﴿ إلا اللثم ﴾ ، وهو بين
الحدين من الذنوب، نزلت فى نهبان وللرأة التى راودها عن نفسها فأبت ؛ والقصة مشهورة
واستقرت الرواية بما قلنا ؛ والدليل على صحته أنه لم يكن بمكة حد ولا غزو .

ومها قوله تعالى فى هود : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ ... ﴾^(٥) الآية، نزلت فى أبى مقبل
الحسين بن عمر بن قيس^(٦) والمرأة التى اشترت منه التمر ، فراودها .

ما يشبه تنزيل مكة فى السور المدنية

من ذلك قوله تعالى فى الأنبياء : ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوْاً لَا نَخَذُهَا مِنْ لَدُنَّا ﴾^(٧) ،
نزلت فى نصارى نجران [ومنهم] السيد والمقاب .

(١) سورة التوبة ٢٨

(٢) كذا فى ط ، م ، و ، ق : « أو حكه » وفى حشبة ط : « فى خط الصنف : إنبات » أو ،
فى قوله : « أو حكه » فى اللوحين .

(٣) سورة النجم ٣٢

(٤) سورة هود ١١٤

(٥) فى نسخة القرطبي (٩ : ١١٠ - ١١١) أنها نزلت فى رجل من الأنصار اسمه أبو اليسر بن عمرو ؛
ثم ذكر تفصيل الخبر والخلاف الوارد فيه .

(٦) سورة الأنبياء ١٧

ومنها سورة ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾^(١) في رواية الحسين بن واقد ، وقصتها مشهورة .
ومنها قوله تعالى في الأنفال : ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ ...﴾^(٢) الآية .

ما نزل بالجلفة^(٣)

قوله عز وجل في سورة القصص : ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾^(٤) نزلت بالجلفة والنبي صلى الله عليه وسلم مهاجر .

ما نزل ببيت للقدس

قوله تعالى في الزخرف : ﴿وَاسْأَلْ مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾^(٥) ، نزلت عليه ليلة أُسري به .

ما نزل بالطائف

قوله تعالى في الفرقان : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظَّلَّ ...﴾^(٦) الآية ، ولفظ قصة مجيبة .

وقوله في : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ : ﴿يَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ . والله أعلم بما يُوعُونَ فَبَشِّرْهُمْ بِذَابِ أَلِيمٍ﴾^(٧) يعني كفار مكة .

ما نزل بالمدينية

قوله تعالى في الرعد : ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالرَّحْمَنِ﴾^(٨) نزلت بالمدينية حين صالح النبي صلى الله عليه وسلم أهل مكة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئى : اكتب :

(٢) سورة الأفعال ٣٢

(١) سورة العاديات ١

(٣) الجلفة : قرية على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل .

(٥) سورة الزخرف ٤٥ (٦) الفرقان ٤٥

(٤) سورة القصص ٨٥

(٨) سورة الرعد ٣٠

(٧) سورة الانشقاق ٢٢ - ٢٤

﴿يَسْمِ اللَّهَ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾ ، قال سهيل بن عمرو : ما نعرف الرحمن الرحيم ؛ ولو نعلم أنك رسول الله لتابناك ، فأنزل الله تعالى : ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالرَّحْمَنِ﴾ إلى قوله ﴿مَتَاب﴾ .

ما نزل ليلاً

قوله تعالى في أول سورة الحج : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾^(١) ، نزلت ليلاً في غزوة بني المصطلق ، وهم حتى من غزاة والناس يسرون . وقوله تعالى في اللأمة : ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٢) ، نزلت في بعض غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُحْرَسُ كُلَّ لَيْلَةٍ . قال عبد الله بن عامر بن ربيعة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَنْ يَحْرُسُنَا اللَّيْلَةَ؟» ، فَأَنَاهُ حَدِيثُهُ وَسَمِعَ فِي آخِرِينَ مَعَهُمُ الْحَجَفَ^(٣) وَالسَّيْفَ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خِيَمَةٍ مِنْ أَدَمَ ، فَبَاتُوا عَلَى بَابِ الْخِيَمَةِ ، فَلَمَّا أَنْ كَانَ بَدْءُ هَزِيعٍ مِنَ اللَّيْلِ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْآيَةَ ، فَأَخْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ مِنَ الْخِيَمَةِ فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، انصَرَفُوا هَذَا عَصَمَنِي اللَّهُ .

ومنها قوله : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ . . .﴾^(٤) الآية ، قالت عائشة رضي الله عنها : نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا معه في الحاف . ونزل عليه أكثر القرآن نهراً^(٥) .

(١) سورة الحج ١

(٢) سورة المائدة ٦٧

(٣) « ط ٤ : » يوم الجمعة والسوق « تحريف صوابه في ت . والحجف : التروس .

(٤) سورة القصص ٥٦

(٥) حاشية ط : « ترك المؤلف ما نزل في الصيف وما نزل في الشتاء » وقد ذكر العلماء أن آية السكينة

التي في أول سورة النساء نزلت في الشتاء ، وأن الآية التي في آخرها نزلت في الصيف « والله السيوطي عن الواحد في الإقنان .

ما نزل مشيئاً

سورة الأنعام نزلت مرة واحدة شيئها سبعون ألف ملك ، طبقوا ما بين السموات والأرض ، لم زجل بالصبح ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سبحان الله ! » وخرّ ساجداً .

قلت : ذكر أبو عمرو بن الصلاح ^(١) في « ضاويہ » أن الظاهر للذکور جاء من حديث أبي ابن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وفي إسناده ضعف ، ولم نزله إسناداً صحيحاً ، وقد روى ما يخالفه ، فروى أنها لم ينزل جملة واحدة بل نزل منها آيات بالدينة ؛ اختلفوا في عددها فقيل : ثلاث ؛ هي قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا . . . ﴾ ^(٢) الخ الآيات ، وقيل : ست وقيل : غير ذلك ، وسائرهما نزل بمكة .

وفاتحة الكتاب نزلت ومثها ثمانون ألف ملك .

وآية الكرسي نزلت ومعها ثلاثون ألف ملك .

وسورة يونس نزلت ومعها ثلاثون ألف ملك .

﴿ وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا ﴾ ^(٣) نزلت ومعها عشرون ألف ملك .

وسائر القرآن نزل به جبريل بلا تشييع .

الآيات للدينات في السور السكية

منها سورة الأنعام ، وهي كلها مكية خلاست آيات ؛ واستقرت بذلك الروايات .

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ ^(٤) نزلت هذه في مالک بن الصيف ، إلى آخر الآية ،

والثانية والثالثة .

(١) هو أبو عمرو بن عبد الرحمن الصهرزوري الشافعي ، المتوفى سنة ٦٤٣ ؛ وضاويہ جمبا بمنى للجنة ؛ وهو الكمال إسحاق المزي الشافعي ؛ جلد كثير القوائد (كشف الظنون) .

(٢) سورة الأنعام ١٥١

(٣) سورة الزخرف ٤٥

(٤) سورة الأنعام ٩١

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾^(١) نزلت في عبد الله بن أبي سرح، أخى عثمان من الرضاة، حين قال: ﴿سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾^(٢)، وذلك أنه كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله جل ذكره: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾^(٣)، فأملأها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما بلغ قوله: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾^(٤) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اكتب ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ...﴾ النخ الآية، قال: إن كنت نبياً فأنا نبي؛ لأنه خطر بيالي ما أملت على فلحق كافراً.

وأما قوله: ﴿أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾^(٥)، فإنه نزل في مسيلة الكذاب، حين زعم أن الله سبحانه أوحى إليه. وثلاث آيات من آخرها: ﴿قُلْ تَعَالَوْا^(٦)﴾ إلى قوله ﴿تَتَّقُونَ﴾.

سورة الأعراف مكية إلا ثلاث آيات: ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ﴾^(٧) إلى قوله: ﴿وَإِذْ نَفَقْنَا الْجَبَلِ﴾^(٨).

سورة إبراهيم مكية، غير آيتين نزلتا في قتي بن ملحان ﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةً اللَّهُ كَفَرًا...﴾^(٩) النخ الآيتين.

سورة النحل، مكية إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَدِلٍ مَا ظَلَمُوا﴾^(١٠) والباقي مدني.

- | | |
|----------------------------|----------------------------|
| (١) سورة الأنعام ٩٣ | (٢) سورة المؤمنون ١٢ |
| (٣) سورة المؤمنون ١٤ | (٤) سورة الأنعام ٩٣ |
| (٥) سورة الأنعام ١٥١ - ١٥٣ | (٦) سورة الأعراف ١٦٣ - ١٧١ |
| (٧) سورة إبراهيم ٢٨ ، ٢٩ | (٨) سورة النحل ٤١ |

سورة بنى إسرائيل مكية غير قوله : ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوتِيتَ﴾^(١) إلى ﴿إِنَّكَ﴾^(٢) بنى قنينا ، وله قصة^(٣) .

سورة الكهف مكية ، غير قوله : ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾^(٤) نزلت في سلمان الفارسي وله قصة^(٥) .

سورة القصص مكية ، غير آية : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾^(٦) - بنى الإجميل - ﴿مَنْ قَبْلَهُمْ يَبُوءُ مِنْهُمْ﴾^(٧) بنى الفرقان . نزلت في أربعين رجلا من مؤمنى أهل الكتاب

(١) سورة الإسراء ٧٣

(٧) في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩ : ٢٩٩ : « نزلت في وفد تقيف ، أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فألوه شططا وقالوا : مشتينا بآلهتنا حتى تأخذ ما يهدى لها ؛ فإذا أخذناه كسرناها وأسلنا ؛ وحرمتنا وادينا كما حرمت مكة ؛ حتى تعرف العرب فضلنا عليهم ؛ فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطيعهم ذلك ؛ فنزلت هذه الآية » .

(٣) سورة الكهف ٢٨

(٤) عن سلمان الفارسي قال : جاءت للوفدة القلوب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : عبيدة بن حصن ، والأقرع بن حابس ، وذووم ، فقالوا : يا رسول الله ؛ إنك لو جلست في صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم - بنون سلمان وأبناؤ ، وقراء المسلمين ، وكانت عليهم جباب الصوف لم يكن عليهم غيرها - جلنا إليك ولدتناك وأخذنا عنك ، فأقر الله : ﴿وَأَنْزِلْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ يَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلتَحَدًا﴾ . وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ۖ ﴿٠٠٠﴾ : فقام النبي صلى الله عليه وسلم يلتمسهم حتى إذا أمابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله تعالى ، قال : « الحمد لله الذي يمتحنني حتى أمرني بأصبر نفسي مع رجال من أمي ، معكم المحيا ومعكم الممات » ، (أسباب النزول لواحدى ٢٢٥) .

(٥) سورة القصص ٥٢

قدموا من الحبشة مع جعفر بن أبي طالب فأسلموا ، ولم تَصْص (١) .
سورة الزمر مكية ، غير قوله : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى
أَنْفُسِهِمْ ۖ ﴾ (٣) الآية .
الحواميم كلها مكيات ، غير آية في الأحقاف نزلت في عبد الله بن سلام (٣) : ﴿ قُلْ
أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ ﴾ (١) .

الآيات للكية في السور للدينة

منها قوله تعالى في الأخال : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُذِيبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ۖ ﴾ (٥) الآية :
بني أهل مكة حتى يخرجك من بين أظهرهم . استقرت به الرواية .
سورة التوبة مدنية ، غير آيتين : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ ﴾ (١) الخ السورة .
سورة الرعد مدنية ، غير قوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ﴾ إلى قوله : ﴿ حَجِيمًا ﴾ (٣)
سورة الحج مدنية ، وفيها أربع آيات مكيات : قوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ

(١) في تفسير ابن كثير ٣ : ٣٩٤ ، عن ابن إسحاق : « قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريب من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة ، فوجدوه في المسجد ، فجلسوا إليه وكلموه وسألوه ورجال من قريش في أئديتهم حول الكعبة ، فلما فرغوا من ساءلته عما أرادوا دعاهم إلى الله تعالى ، وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا لله وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره ، فلما ظموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في قعر من قريش : فقالوا لهم : خيكم الله تعالى من ركب ! يشك من وراءكم من أهل دينكم يرتادونهم لتأثروهم بخير الرجل فلم تطلن بحالكم عندم حتى ظمتم دينكم وصدقوه فيما قال : ما ظنم ركباً أحق منكم ! فقالوا لهم : سلام عليكم لا نجاهلكم ! لنا مانع من عليه ولكم ما أم من عليه ، لم نأل أهنأ خيراً . . . »

(٢) الزمر ٥٣

(٣) في هذا خلاف ، ذكره ابن كثير في التفسير ٤ : ١٥٦

(٥) سورة الأخال ٣٣

(٤) سورة الأحقاف ١٠

(٧) سورة الرعد ٣١

(٦) سورة التوبة ١٢٨

رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَعِيَ ﴿١﴾ إِلَى قَوْلِهِ : (عَقِيمٌ) ^(١) وله قصة .
سورة ﴿أَرَأَيْتَ﴾ مَكِّيَّةٌ إِلَّا قَوْلَهُ : ﴿قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ ^(٢) إِلَى آخِرِهَا فَإِنَّهَا مَدَنِيَّةٌ ؛
كَذَا قَالَ مَقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ .

ما محل من مكة إلى المدينة

أول سورة حملت من مكة إلى المدينة سورة يوسف ، انطلق بها عوف بن غفراء في
الثمانية الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، فعرض عليهم الإسلام فأسلموا ؛
وهم أول من أسلم من الأنصار ، قرأها على أهل المدينة في بني زريق ، فأسلم يومئذ يوتعن
الأنصار . روى ذلك يزيد بن رومان عن عطاء عن ابن يسار عن ابن عباس ؛ ثم حل
بمدها : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ...﴾ ^(٣) إِلَى آخِرِهَا . ثم حل بمدها الآية التي في الأعراف : ﴿قُلْ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ ^(٤) إِلَى قَوْلِهِ ﴿سَتَقْدُونَ﴾ ^(٥) فأسلم عليها
طوائف من أهل المدينة ، وله قصة .

ما حل من المدينة إلى مكة

من ذلك الأفعال التي في البقرة . ﴿يَا أَلُونَاكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ فَتَالِ فِيهِ ...﴾ ^(٦)
الآية ، وذلك حين أورد عبد الله بن جحش كتاب مُسْلِي مكة على رسول الله صلى الله
عليه وسلم : بأن للشركين عيوننا قتل ابن الحضرمي وأخذ الأموال والأسارى في الشهر

(١) سورة الحج ٥٢ - ٥٥ وانظر الجلباح لأحكام القرآن للقرطبي ٢ : ص ٨٠ وما بعدها .

(٢) سورة الماعون ٤

(٣) سورة الإخلاص ٣

(٤) سورة الأعراف ١٥٨

(٥) سورة البقرة ٢١٧

الحرام . فكتبَ بذلكَ عبدُ الله بن جَحْشٍ إلى مسلمي مكة : إن عيروكم فعيروهم بما صنعوا بكم^(١) .

ثم حلت آية الربا من المدينة إلى مكة في حضور هَيْف وبنو النخيلة إلى عتاب بن أسيد عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة ، قرأ عتاب عليهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾^(٢) فأقروا بحريمه ، وتابوا وأخذوا رهوس الأموال ، ثم حلت مع الآيات من أول سورة براءة من المدينة إلى مكة ، قرأهن على بن أبي طالب رضي الله عنه يوم النحر على الناس ، وفي ترتيبها قصة^(٣) .

ثم حلت من المدينة إلى مكة ، الآية التي في النساء : ﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ ﴾^(٤) إلى قوله : ﴿ عَفْوَاً غَفُوراً ﴾^(٥) فلا تاتبعهم على تخلفهم عن الهجرة ؛ فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بها إلى مسلمي مكة ، قال جَنْدُبُ بْنُ صُمْرَةَ اللَيْثِيُّ ، ثم الجندبُ بنُ لبنة - وكان شيخاً كبيراً : أَلَسْتُ مِنَ السُّتُغْفِينَ وَأَنْى لَا أَهْتَدِي إِلَى الطَّرِيقِ إِخْلَعُ بَنُوهُ عَلَى سِرِّرِهِ مَتَوَجِّهًا إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَاتَّ بِالنَّعِيمِ^(٦) ، فبلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم موته فقالوا : لَوْ لَحِقَ بَنَّا لَكَانَ أَكْلَ لَأَجْرِهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى^(٧) : ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾^(٨) إلى قوله ﴿ غَفُوراً رَحِيماً ﴾^(٩) .

(١) انظر تفسير ابن جرير الطبري : (٢ : ٢٩٩ - ٣١٥) ، وغيره القرطبي : (٣ : ٤٢ - ٤٣)

(٢) سورة البقرة ٢٧٨

(٣) انظر تفسير القرطبي ٣ : ٣٦٣ - ٣٦٤

(٤) سورة النساء ٩٩

(٥) سورة النساء ٩٨

(٦) التميم : موضع على طريق المدينة يحرم منه للكفون بالعمرة (ياقوت)

(٧) سورة النساء ١٠٠

(٨) انظر تفسير القرطبي (٥ : ٣٤٩)

ماحل من المدينة إلى الحبشة

هي ست آيات ، بمت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جعفر بن أبي طالب في
 خصومة الرهبان والقسيسين : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا
 وَبَيْنَكُمْ ﴾^(١) ، قرأها جعفر بن أبي طالب عليهم عند النجاشي ، فلما بلغ قوله : ﴿ مَا كَانَ
 إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ﴾^(٢) قال النجاشي : صدقوا ، ما كانت اليهودية والنصرانية
 إلا من بعده ، ثم قرأ جعفر : ﴿ إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ... ﴾^(٣) الآية
 قال النجاشي : اللهم إني ولي لأولياء إبراهيم ، وقال : صدقوا والسيح ، ثم أسلم النجاشي
 وأسلموا

(١) سورة آل عمران ٦٤

(٢) سورة آل عمران ٦٧

(٣) سورة آل عمران ٦٨

الفتح العاشد معرفة أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل

فأما أوله ففي صحيح البخارى فى حديث بدء الوحي ما يقتضى أن أول ما نزل^(١) عليه صلى الله عليه وسلم ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾^(٢) ثم للدثر^(٣).

وأخرجه الحاكم فى مستدركه من حديث عائشة رضى الله عنها صريحاً وقال : صحيح الإسناد

ولفظ منظم : « أول ما نزل من القرآن ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ إلى قوله : ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ » .

ووقع فى صحيح البخارى إلى قوله : ﴿وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾^(٤) ؛ وهو مختصر ، وفى الأول زيادة ، وهى من الثقة مقبولة .

وقد جاء ما يعارض هذا ، فى صحيح مسلم عن جابر : « أول ما نزل من القرآن سورة للدثر »^(٥).

وجمع بعضهم بينهما بأن جابراً سمع النبىء صلى الله عليه وسلم يذكر قصة بدء الوحي ، فسمع آخرها ، ولم يسمع أولها ، فتوهم أنها أول ما نزلت ؛ وليس كذلك ، نعم هى أول ما نزل بعد سورة ﴿اقْرَأْ﴾ وفترة الوحي ؛ لما ثبت فى الصحيحين^(٦) أيضاً عن جابر

(١) ت : « أنزل »

(٢) سورة الطق ١ - ٥

(٣) صحيح البخارى (١ : ٦ - ٧) بسنده عن عائشة .

(٤) صحيح مسلم (١ : ١٤٤) بسنده عن يحيى .

(٥) صحيح البخارى (١ : ٢٢٨) ، وصحيح مسلم (١ : ١٤٣) ، عن أبي خزيمة بن عبد الرحمن

عن جابر بن عبد الله الأنصارى .

رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحدث عن فترة الوحي، قال في حديثه: «بيننا»^(١) أنا أمشي، سمعت صوتاً من السماء؛ فرفست رأسي، فإذا لك الذي جاني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فحيث^(٢) منه [قَرَأًا]^(٣) فرجمت، قلت: زملوني، زملوني، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُمُوا فَانْذِرُوا﴾.

فقد أخبر في هذا الحديث عن لك الذي جاء بحراء قبل هذه المرة، وأخبر في حديث عائشة أن نزول: ﴿اقْرَأْ﴾ كان في غار حراء، وهو أول وحي، ثم قرء بعد ذلك - وأخبر في حديث جابر أن الوحي تنابع بعد نزول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُمُوا فَانْذِرُوا﴾ فلم يزل ذلك أن ﴿اقْرَأْ﴾ أول ما نزل مطلقاً، وأن سورة للدثر بعده؛ وكذلك قال ابن حبان في صحيحه: لا تضاد بين الحديثين؛ بل أول ما نزل: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ بنار حراء، فلارجع إلى خديجة رضي الله عنها وصبت عليه الماء البارد، أنزل الله عليه في بيت خديجة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُمُوا فَانْذِرُوا﴾ فظهر أنه لا نزل عليه ﴿اقْرَأْ﴾ رجع فندثر، فأنزل عليه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُمُوا فَانْذِرُوا﴾.

وقيل: أول ما نزل سورة الفاتحة، روى ذلك من طريق أبي إسحاق عن أبي ميسرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمع الصوت نطق هاربا، وذكر نزول لك عليه وقوله قل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤) إلى آخرها.

وقال: القاضي أبو بكر في «الاتصار»: وهذا الخبر منقطع؛ وأثبت الأقاويل ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾، ويليه في القوة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُمُوا فَانْذِرُوا﴾. وطريق الجمع بين الأقاويل أن أول ما نزل من الآيات ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾، وأول ما نزل من أوامر التبليغ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُمُوا فَانْذِرُوا﴾، وأول ما نزل

(١) صحيح مسلم: «بيننا»

(٢) حيث: فرجت، وفي صحيح البخاري: «فرجت منه».

(٣) من صحيح مسلم.

(٤) فاتحة الكتاب ٢

من السور سورة الفاتحة . وهذا كما ورد في الحديث « أول ما يحاسب به العبد الصلاة »^(١) ، و « أول ما يقضى فيه الدعاء »^(٢) وجمع بينهما بأن أول ما يحكم فيه من الظالم التي بين العباد الدعاء ، وأول ما يحاسب به العبد من الفرائض البدنية الصلاة .

وقيل : أول ما نزل للرسالة : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ، وللنبوة : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ ، فإن العلماء قالوا : قوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ دال على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن النبوة عبارة عن الوحي إلى الشخص على لسان الملك بتكليف خاص ، وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ دليل على رسالته صلى الله عليه وسلم ؛ لأنها عبارة عن الوحي إلى الشخص على لسان الملك بتكليف عام .

وذكر القاضى فى « الاقتصار » رواية : ثم نزل بمسورة ﴿ اقْرَأْ ﴾ ثلاث آيات من أول نوح ، وثلاث آيات من أول المدثر .

وعن مجاهد قال : أول سورة أنزلت « اقْرَأْ » ، ثم نوح .

وذكر الحاكم فى « الإكلیل » أن أول آية أنزلت فى الإذن بالقتال قوله تعالى : ﴿ إِنْ أَتَىكَ الْمُشْرِكُونَ فَأَتْبَعْهُمْ وَأَقْبَلْ لَهُمْ دَارَ الْجَنَّةِ ﴾^(٣) .

وروى فى المستدرک عن ابن عباس : أول آية أنزلت فيه : ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ ... ﴾^(٤) الآية .

• • •

(١) نقله السيوطى فى الجامع المنير ١ : ١٩٣ عن الطبرانى ، ونقله : « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة : فإن صلحت قطع له سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله »

(٢) رواه البخارى فى كتاب الوضوء (١٨٦ : ٢) ، ونقله : « أول ما يقضى بين الناس فى الدعاء »

(٣) الحج : ٣٩

(٤) التوبة : ١١١

وأما آخره فاختلقوا فيه ، فمن ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ ^(١) .
وعن عائشة سورة المائدة . وقيل : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ ^(٢) .
وقال السدي : آخر ما نزل : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ
تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ^(٣) . وفي «صحيح البخاري» في تفسير سورة براءة
عن البراء بن عازب رضي الله عنهما : آخر آية نزلت : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ
فِي الْكَلَالَةِ ﴾ ^(٤) ، وآخر سورة نزلت براءة .
وفي رواية غيره : آخر سورة أنزلت كاملة سورة براءة ، وآخر آية نزلت خاتمة النساء .
وذكر ^(٥) ابن الأنباري عن أبي إسحاق عن البراء ، قال : آخر آية نزلت من القرآن :
﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴾ ، ثم قال : وأخطأ أبو إسحاق ، ثم ساق
سنده من طرق إلى ابن عباس : آخر آية أنزلت : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى
اللَّهِ ﴾ ، وكان بين نزولها ووفاته النبي صلى الله عليه وسلم أحدٌ وثمانون يوماً ، وقيل : تسع
ليال . انتهى .

وفي مستدرك الحاكم عن شعبة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس
عن أبي بن كعب رضي الله عنه ، أنه قال : آخر آية نزلت على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ ^(٦) ثم قرأها إلى آخر السورة . ورواه أحمد
في السنن عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب رضي الله عنه ، قال : آخر آية
نزلت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ ثم قرأ إلى
﴿ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ^(٧) قال : هذا آخر ما نزل من القرآن ، فخم بما فتح به ، بالآية

(٢) سورة البقرة ٢٨١

(١) سورة العنكبوت ١

(٤) سورة النساء ١٧٦

(٣) سورة التوبة ١٢٩

(٦) سورة التوبة ١٢٨ ، ١٢٩

(٥) ت : « وروى »

لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (١).

وقال بعضهم: روى البخارى: آخر ما نزل آية الريا.

وروى مسلم: آخر سورة نزلت جميعا: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾.

قال القاضى أبو بكر فى «الانتصار»: وهذه الأقوال ليس فى شىء منها ما رُفع إلى النهى صلى الله عليه وسلم. ويجوز أن يكون قائله قائله بضرب من الاجتهاد، وتقليب الظن وليس العلم بذلك من فرائض الدين، حتى يلزم ما ظن به الطاعنون من عدم الضبط. ويحتمل أن كلاً منهم أخبر عن آخر ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اليوم الذى مات فيه، أو قبل مرضه بقليل، وغيره سمع منه بعد ذلك، وإن لم يسمعه هو لفارقه له، ونزول الوحي عليه بقرآن بعده.

ويحتمل أيضاً أن تنزل الآية، التى هى آخر آية تلاها الرسول صلى الله عليه وسلم مع آيات نزلت معها، فيؤمر برسم ما نزل معها وتلاوتها عليهم بعد رسم ما نزل آخرها وتلاوته، فيظن سامع ذلك أنه آخر ما نزل فى الترتيب.

النوع الحادي عشر معرفة على كم لغة نزل

ثبت في الصحيحين^(١) من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أقرأني جبريلُ على حرف فراجعتُه، ثم لم أزل^(٢) أستزيده فيزيدي، حتى انتهى إلى سبعة أحرف» - زاد مسلم: قال ابن شهاب: يلتقي أن تلك السبعة إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال ولا حرام.

وأخرجنا أيضاً من حديث عمر بن الخطاب قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها - وفي رواية: على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم -^(٣) قلت: يا رسول الله، إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأنيها؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرسله، اقرأ»، قرأ القراءة التي سمعت يقرأ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هكذا أنزلت»، ثم قال لي: «اقرأ»، قرأت، فقال: «هكذا أنزلت»، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف؛ فاقربوا ما تيسر منه.

وأخرج مسلم نحوه عن أبي بن كعب، وفيه: قال النبي صلى الله عليه وسلم «فإني أرسل إلي أن اقرأ القرآن على حرفٍ، فرددتُ إليه: أن هوِّنَ على أمتي، فردَّ إلي الثانية:

(١) صحيح البخاري (٣ : ٢٢٦)، وصحيح مسلم (١ : ٥٦١) بسند عامين عيشة بن عبد الله بن حبة.

(٢) انقضى في الصحيحين: «ثم لم أزل».

(٣) البخاري: «فكلمت أساوره في الصلاة، فصبرت حتى سلم، فليحه برداه، قلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: كذبت، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت؛ فاعظمت أنه أقرط لي رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: ...».

أقرأه على حرفين ، فرددت إليه : أن هوّن على أمّتي ؛ فردّ إلى الثالثة : أقرأه على سبعة أحرف ، ولك^(١) بكل ردّة ردّدتكم ما سألتكم تسألونها ، قلت : اللهم اغفر لأمتي . وأخرت الثالثة ليوم يرّغب إلى الخلق كلّهم ، حتى إبراهيم عليه السلام .

وأخرج قاسم بن أصبغ^(٢) في مصنفه من حديث القيّريّ عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فأقرّوا ولا حرج ، ولكن لا تغمضوا ذكر رحمة بنّاب ، ولا ذكر عذاب برّحة » .

وأما ما رواه الحاكم في المستدرّك عن ثمرّة يرضه : « أنزل القرآن على ثلاثة أحرف » قال أبو عبيد : تواترت الأخبار بالسبعة إلا هذا الحديث .

قال أبو شامة : يحتمل أن يكون مناه : إن بضه أنزل على ثلاثة أحرف ، كعذّره والرهب والصدق ؛ فقرأ كل واحد على ثلاثة أوجه في هذا القراء للشهورة . أو أراد أنزل ابتداء على ثلاثة ، ثم زيد إلى سبعة . ومعنى جميع ذلك أنه نزل منه ما يقرأ على حرفين ، وعلى ثلاثة ، وأكثر ، إلى سبعة أحرف ، توسّمة على المبدأ ، باعتبار اختلاف اللغات والألفاظ للتأدّقة وما يقارب منهاها .

وقال ابن العربي : لم يأت في معنى هذا السبع نص ولا أثر ، واختلف الناس في تعيينها .

وقال الحافظ أبو حاتم بن حبان^(٣) البسقي : اختلف الناس فيها على خمسة وثلاثين قولاً . وقال وقت منها على كثير ؛ فذهب بعضهم إلى أن المراد التوسمة على القارئ ولم يقصده الحصر . والأكثر على أنه محصور في سبعة ؛ ثم اختلفوا : هل هي باقية إلى الآن قرؤها؟

(١) في صحيح مسلم (١ : ٥٦٢) : « ذلك » .

(٢) هو أبو محمد طاهر بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح البياضي الأندلسي ، الحافظ ؛ أحد أئمة الحديث بالأندلس . مات بخرطبة سنة ٣٠٤ . (جفوة للقبس ٣١١-٣١٢)

(٣) هو أبو حاتم محمد بن حبان البجلي صاحب الصحيح ؛ توفي سنة ٣٥٤ . (هفتوات الذهب ١٦ : ٢)

أم كان ذلك أولاً؟ ثم استقرّ الحال بعده على قولين .
وقال القرطبي^(١) : إن القائلين بالثاني - وهو أن الأمر كان كذلك ، ثم استقرّ على ما هو الآن - هم أكثر العلماء ، منهم سفيان بن عيينة ، وابن وهب ، والطبري ، والطحاوي . ثم اختلفوا : هل استقرّ في حياته صلى الله عليه وسلم ، أم بعد وفاته ؟ والأكثر على الأول ، واختاره القاضي أبو بكر بن الطيب ، وابن عبد البر ، وابن العربي ، وغيرهم ؛ ورأوا أن ضرورة اختلاف لغات العرب ومشقة تعلّمهم بنير لغتهم اقتضت التوسعة عليهم في أول الأمر فأذن لكلّ منهم أن يقرأ على حرفه ، أي على طريقته في اللغة ؛ إلى أن انضبط الأمر في آخر العهد وتدرّج الألسن ، وتعمّكن الناس من الاختصار على الطريقة الواحدة ؛ فعارض جبريلُ النبي صلى الله عليه وسلم القرآنَ مرتين في السنة الآخرة ، واستقرّ على ما هو عليه الآن ، فتسخّ الله سبحانه تلك القراءة للأذن فيها بما أوجبه من الاختصار على هذه القراءة التي تلقّاها الناس . ويشهد لهذا الحديثُ الآتي ، من مراعاة التذخيف على الجوز والشيخ الكبير ، ومن التعرّيج في بعضها ، بأنّ ذلك مثل هلمّ ، ونال .

[القول في القراءات السبع]

والقائلون بأنها كانت سبعاً اختلفوا على أقوال :
أحدُها : أنه من للشكل الذي لا يُدرى معناه ؛ لأن العرب نَسِيَتِ الكلمة للنظومة حرفاً ، وتسمى التصديدة بأسرها كلمة ، والحرف يقع على المقطوع من الحروف للجمعة ، والحرف أيضاً للمنى والجمعة . قاله أبو جعفر محمد بن سعدان النحوي^(٢) .

(١) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي ، صاحب كتاب الجوامع لأحكام القرآن في التفسير . توفي سنة ٦٧١ . (هداية المذهب ٣١٧) .
(٢) أحد القراء ؛ كان يقرأ بقراءة حمزة ؛ ثم اختار لنفسه قراءة نسبت إليه . توفي سنة ٢٣١ . (إنباه الرواة ٣ : ١٤٠) .

والثاني - وهو أضعفها - أن المراد سبع قراءات ؛ وحكى عن الخليل بن أحمد - والحرف ما هنا القراءة ، وقد بين الطبري في كتاب « البيان »^(١) وغيره أن اختلاف القراءات لم يعم كل حرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ، وهو الحرف الذي كتب عثمان عليه المصحف .

وحكى ابن عبد البر^(٢) عن بعض المتأخرين من أهل العلم بالقرآن أنه قال : تدبروا وجه الاختلاف في القرآن فوجدتها سبعة :

منها ما تغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته ، مثل : ﴿ عَنْ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾^(٣) و ﴿ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾^(٤) ﴿ وَيَصِيقُ صَدْرِي ﴾^(٥) ﴿ وَيَصِيقُ صَدْرِي ﴾^(٦) .

ومنها ما تغير معناه وزول بالإعراب ، ولا تغير صورته كقوله : ﴿ رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾^(٧) و ﴿ رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾^(٨) .

ومنهما ما تغير معناه بالحروف واختلافها ولا تغير صورته ، كقوله : ﴿ كَيْفَ نُنْشِرُهَا ﴾^(٩) و ﴿ نُنْشِرُهَا ﴾ .

(١) انظر تفسير الطبري ١ : ٥٧ وما بعدها .

(٢) هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر بن حاتم النوري القرطبي ، صاحب كتاب الاستيعاب وغيره . توفي سنة ٤٦٣ . (شذرات الذهب ٣ : ٣١٤) .

(٣) سورة هود ٧٨ . وقراءة عامة القراء بالرفع ، وقرأ الحسن وعيسى بن عمر بالنصب على الحال ، (القرطبي ٩ : ٧٦) .

(٤) سورة الشعراء ١٢ . قرأ يعقوب بنصب الفلق عطفا على ﴿ أَنْ يُكْذَّبُونَ ﴾ فيها ، وقرأ الباقون بالرفع على الاستئناف . (إتحاف فضلاء البشر ٣٣١) .

(٥) سورة صبا ١٩ ؛ والأولى قراءة يعقوب ، والثانية قراءة الباقيين (إتحاف فضلاء البشر ٣٥٩)

(٦) سورة البقرة ٢٥٩ . قرأ ابن حاتم وطعم وحزة والكسائي وخلف بالزاي ، من النسخ وهو الارتفاع . والباقيون بالراء للهبة ؛ من أنصر الله للوق : أحياهم ؛ ومث : ﴿ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴾ . وعن الحسن فتح التون وضم العين ، من « نصر » (إتحاف فضلاء البشر ١٦٧) .

ومنها ما تنفخ صورته ولا يتغير معناه : ﴿ كَالْمِثْقَالِ النَّفْثِ ﴾^(١) و « الصوف النفوس » .
ومنها ما يتغير صورته ومعناه ، مثل : ﴿ طَلَحَ مَنْصُودٌ ﴾^(٢) و « طلع » .
ومنها بالتقديم والتأخير كـ : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةٌ لِلَّذِينَ هَلَقُوا ﴾^(٣) ، و « سكرة
الحق بالموت » .

ومنها الزيادة والنقصان ، مثل : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الرَّسُولِ ﴾^(٤) وصلاة
المصر . وقراءة ابن مسعود : ﴿ تَسْمَعُ وَيَسْمَعُونَ نَجْمَةً ﴾^(٥) أتى . « وأما التلام فكان أبواه
مؤمنين »^(٦) ، وكان كافراً . قال أبو عمرو : وهذا وجه حسن من وجوه معنى الحديث .
وقال بعض المتأخرين : هذا هو المختار . قال : والأئمة على أن مصحف عثمان أحد الحروف
السبعة ، والآخر مثل قراءة ابن مسعود وأبي برداء : ﴿ والذكر والأنتى ﴾^(٧) كما يجتنب
الصحيحين ، ومثل قراءة ابن مسعود : ﴿ إِنْ تُدَبِّهِمْ فَلَهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَنْفِرْ لَهُمْ فَلَا يَكُ
أَنْتَ النَّفُورُ الرَّخِيمُ ﴾^(٨) . وقراءة عمر : ﴿ فامضوا إلى ذكر الله ﴾^(٩) ؛ والكل حق ،
وللمصنف للفقول بالتواتر مصحف عثمان ، ورسم الحروف واحد إلا ما تنوعت فيه المصاحف ؛
وهو بضمة عشر حرفاً ، مثل « الله النفور » و « إن الله هو النفور » .

- | | |
|--|---------------------|
| (١) سورة الفارعة ٥ | (٢) سورة الواقعة ٢٩ |
| (٣) سورة ق ١٩ | (٤) سورة البقرة ٢٣٨ |
| (٥) سورة ص ٢٣ | (٦) سورة الكهف ٨٠ |
| (٧) سورة الليل ٣ ، وقراءة الجمهور : ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴾ وانظر ضمير القرطبي | |
| ٢٠ : ٨١ ، وأحكام القرآن لابن عربي ٢ : ٣٠٩ | |
| (٨) سورة اللامة ١١٨ ، وقراءة الجمهور : ﴿ قَالَتْ أَنْتَ الْمَرْبُوحُ الْحَكِيمُ ﴾ . | |
| (٩) سورة البقرة ٩ : وهي قراءة عمر ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وقراءة الباقين « فامضوا
إلى ذكر الله » . | |

والثالث : سبعة أنواع ، كل نوع منها جزء من أجزاء القرآن بخلاف غيره من أنعائه ، فبعضها أمر ونهى ، ووعد ووعد ، وقصص ، وحلال وحرام ، ومحكم ومقشابه ، وأمثال ، وغيره .

^١ قال ابن عبد البر : وفي ذلك حديث رواه ابن مسعود مرفوعاً قال : « كان الكتاب الأول نزل من باب واحد على وجه واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف : زاجر ، وأمر ، وحلال ، وحرام ، ومحكم ، ومقشابه ، وأمثال ، فأجلوا حلاله وحرّموا حرامه ، واعتبروا بأمثاله ، وآمنوا بمقشابه ^(١) ، وقولوا : ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ ^(٢) . قال : وهو حديث عند أهل العلم لا يثبت ، وهو يجمع على ضغفه .

وذكره القاضي أبو بكر بن الطيب وقال : هذا ^(٣) التفسير منه صلى الله عليه وسلم للأحرف السبعة ، ولكن ليست هذه التي أجاز لهم القراءة بها على اختلافها ، وإنما الحرف ^(٤) في هذه بمعنى الجبهة والطريقة كقوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾ ^(٥) .

وقال ابن عبد البر : قد رده قوم من أهل النظر منهم أحد بن أبي عمران قال : من أوله بهذا فهو فاسد ، لأنه محال أن يكون الحرف منها حراماً لا ماسواً ^(٦) أو يكون حلالاً لا ماسواً ^(٧) ؛ لأنه لا يجوز أن يكون القرآن يُقرأ على أنه حلال كلّه ، أو حرام كلّه ، أو أمثال كلّه . حكاه الطحاوي عنه أنه سمعه منه ، وقال : هو كما قاله .

وقال ابن عطية : هذا القول ضيف ؛ لأن هذه لا تسمى أحرفاً ، وأيضاً فالإجماع على

(١) انظر مقدمة التفسير لابن عطية ٢٦٦ (٢) سورة آل عمران ٧

(٣) ابن عطية فيما علل عن ابن الطيب « فهذا خسر »

(٤) ابن عطية : « الحروف » (٥) سورة الحج ١١

(٦ - ٧) ساقط من م

أن التوسعة لم تقع في تحريم حلال ولا تحليل حرام ، ولا في تغيير شيء من المعاني للذكورة^(١) .

ونال للوردى : هذا القول خطأ ، لأنه صلى الله عليه وسلم أشار إلى جواز القراءة بكل واحد من الحروف وإبدال حرف بحرف ، وقد أجمع اللغويون على تحريم إبدال آية أمثال بآية أحكام .

وقال البيهقي في «الدخل» : وقد روى هذا عن أبي سلفة بن عبد الرحمن عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : هذا مرسل جيد ، وأبو سلفة لم يدرك ابن مسعود ، ثم ساقه بإسقاط ابن مسعود ، ثم قال : فإن صح هذا فمعنى قوله : «سبعة أحرف» أى سبعة أوجه ، وليس المراد به ما ورد في الحديث الآخر من نزول القرآن على سبعة أحرف ؛ ولكن المراد به اللغات التى أُنشئت القراءة عليها ، وهذا المراد به الأنواع التى نزل القرآن عليها .

والرابع : أن المراد سبع لغات لسبع قبائل من العرب ؛ وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه ؛ هذا ما لم يُسمع قط ، أى نزل على سبع لغات متفرقة في القرآن ، فبعضه نزل بلغة قريش ،^(٢) وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة تميم . وبعضه بلغة أزد وريمة^(٣) ، وبعضه بلغة هوازن وسد بن بكر ، وكذلك سائر اللغات ؛ ومعانيها في هذا كله واحدة . وإلى هذا ذهب أبو عبيد القاسم بن سلام وأحمد بن يحيى ثعلب ؛ وحكاها ابن دريد^(٤) عن أبي حاتم السجستاني^(٥) ، وحكاها بعضهم عن القاضى أبى بكر .

(١) مقدمة التفسير ٢٤١

(٢ - ٣) ساقط من م

(٣) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد : صاحب كتاب الجهرة في اللغة ونظم القصيدة ؛ تولى بغداد سنة ٣٢١ . (إنباه الرواة ٣ : ٩٢) .

(٤) هو أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني ، صاحب اللبرد ، مات بالبحر سنة ٢٥٥ . (إنباه الرواة ٢ : ٥٨) .

وقال الأزهري^(١) في « التهذيب » : إنه المختار ، واحتج بقول عثمان حين أمرهم بكتب
 للمصاحف : وما اختلتم أنتم وزيد فاكتبوه بلفظة قریش ؛ فإنه أكثر ما نزل بلسانهم .
 وقال البيهقي في « شعب الإيمان » : إنه الصحيح ، أي أن المراد اللغات السبع ، التي
 هي شائعة في القرآن . واحتج بقول ابن مسعود : سمعتُ القراء فوجدتهم متقاربين ،
 اقرءوا كما علمتم ، وإياكم والتنطع ، فإنما هو كقول أحدهم : هلم ، وتعال ، وأقبل . قال :
 وكذلك قال ابن سيرين^(٢) : قال : لكن إنما تجوز قراءته على الحروف التي هي مثبتة
 في المصحف التي هو الإمام بإجماع الصحابة ، وحلواها عنهم دون غيرها من الحروف ،
 وإن كانت جائزة في اللغة ؛ وكأنه يشير إلى أن ذلك كان عند إتراله ، ثم استقر الأمر
 على ما أجمعوا عليه في الإمامة .

وأنكر ابن قتيبة وغيره هذا القول ، وقالوا : لم ينزل القرآن إلا بلفظة قریش ؛ لقوله
 تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ ﴾^(٣) .
 قال ابن قتيبة : ولا نعرف في القرآن حرفاً واحداً قرأ على سبعة أوجه . وغلط ابن
 الأباري بحروف منها : ﴿ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾^(٤) ، وقوله : ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَزْتَعْ
 وَيُكَلِّمُ ﴾^(٥) . وقوله : ﴿ بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾^(٦) وقوله : ﴿ يَذَّابِ بَنِيْسِ ﴾^(٧)
 وغير ذلك .

(١) هو أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري ، صاحب كتاب التهذيب في اللغة ، توفي
 سنة ٣٧٠ (الباب ١ : ٣٨)
 (٢) هو أبو بكر محمد بن سيرين البصري ، أحد فقهاء البصرة . توفي سنة ١١٠ . (ابن خلكان
 ٣٥٤ : ١)

(٣) سورة إبراهيم ٤

(٤) سورة المائدة ٦٠ ؛ وانظر إتحاف فضلاء البشر ٢٠١

(٥) سورة يوسف ١٢ ؛ وانظر إتحاف فضلاء البشر ٢٦٢

(٦) سورة سبأ ١٩ ؛ وانظر إتحاف فضلاء البشر ٣٥٩

(٧) سورة الأعراف ١٦٥ ؛ وانظر إتحاف فضلاء البشر ٢٣٢

وقال ابن عبد البر : قد أنكر أهل العلم أن يكون معنى سبعة أحرف سبع لغات ؛ لأنه لو كان كذلك لم ينكر القوم بعضهم على بعض في أول الأمر ؛ لأن ذلك من لنته التي طبع عليها . وأيضا فإن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم كلاهما قرشي ، وقد اختلفت قراءتهما ، ومحال أن ينكر عليه عمر لنته .

ثم اختلف القائلون بهذا في تعيين السبع فأكثروا . وقال بعضهم : أصل ذلك وقاعدته قریش ، ثم بنو سمد بن بكر ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم استرضع فيهم ، ونشأ وترعرع ، وهو خاطل في اللسان ككنانة ، وهذيل ، وقيس ، وخزاعة ، وأسدا وضبة وأقافا^(١) ، فربهم من مكة وتكرارهم عليها ، ثم من بعد هذه تميما وقيسا ، ومن انضاف إليهم وسكن جزيرة العرب .

قال قاسم بن ثابت^(٢) : إن قلنا من الأحرف قریش ، ومنها لكنانة ولأسد^(٣) وهذيل وميم وضبة وأقافا ، وقيس ، لكان قد أتى على قبائل مضر في قراءات سبع تستوعب اللغات التي نزل بها القرآن . وهذه الجملة هي التي انتهت إليها الفصاحة ، وسكت لغاتها من الدخ^(٤) ، ويسرها الله لذلك ؛ ليظهر أنه نبأه بسجها عن معارضة ما أنزل عليه . وبُيِّنَت سلامتها أنها في وسط جزيرة العرب في الحجاز ونجد وتهامة ، فلم تفرقها الأمم .

وقيل : هذه اللغات السبع كلها في مضر ، واحتجوا بقول عيان : نزل القرآن بلسان مضر . قالوا : وجائز أن يكون منها قریش ، ومنها لكنانة ، ومنها لأسد ، ومنها لهذيل ، ومنها لضبة ، ولطابخة ، فهذه قبائل مضر تستوعب سبع لغات وتزيد .

قال أبو عمر بن عبد البر : وأنكر آخرون كون كل لغات مضر في القرآن ؛ لأن

(١) ت : « وأقافا »

(٢) هو قاسم بن ثابت بن عبد العزيز الأنصلي ، صاحب كتاب الدلائل في شرح غريب الحديث ومسانيه . (جذوة القليب ٣١٢ ، وإنباء الرواة ١ : ٣٦٢)

(٣) ت : « وأسد »

(٤) الدخ هنا : الصاد الطاري على اللفظ .

فيها شواذ لا يقرأ بها ، مثل كَشَكَشَتِ قَيْس ، وَعَنْتَمَنَ تَيْم . فكشكشة قيس يحملون كاف اللزث شينا ، فيقولون في : ﴿ جَلَّ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾^(١) : « رَبُّشِ تَحْتَشِ » ؛ وعنتمة تيم وقلول في « أن » « عن » ، فيقروون ﴿ فَمَسَى اللَّهُ « عَنْ » يَأْتِي بِالْفَتْحِ ﴾^(٢) . وبعضهم يُبَدِّلُ السين تاء ، فيقول في « الناس » : « النلت » . وهذه لئلت يُرْغَب بالقرآن عنها . وما قل عن عثمان معارض بما سبق أنه نَزَلَ بلفظة قريش ؛ وهذا أثبتُّ عنه ؛ لأنه من رواية ثقات أهل المدينة .

وقد يُشْكِلُ هذا القول على بعض الناس فيقول : هل كان جبريل عليه السلام يلفظ باللفظ الواحد سبع مرات ؟ فيقال له : إنما يلزم هذا إن قلنا : إن السبعة الأحرف تجتمع في حرف واحد ، ونحن قلنا : كان جبريل يأتي في كل عَرَضَةٍ بحرف إلى أن تمرَّ سبعة . وقال الكلبي : خمسة منها لهوازن ، وثمان لسائر الناس .

والخامس : للراد سبعة أوجه من اللماي للثقة ، بالألفاظ المختلفة ، نحو أقبل ، وهلم ، ونعال ، ومجل ، وأسرع ، وأنظر ، وأخر ، وأمهل ونحوه . وكاللفات التي في « أف » ونحو ذلك . قال ابن عبد البر : وعلى هذا القول أكثر أهل العلم ؛ وأنكروا على مَنْ قال : إنها لئلت ؛ لأنَّ العرب لا تَرْكَبُ^(٣) لفة بعضها بعضا ، ومحال أن يقرئ النبي صلى الله عليه وسلم أحدا بغير لفته . وأسند عن أبي بن كعب أنه كان يقرأ : ﴿ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَنَورٌ فِيهِ ﴾^(٤) « سَمَوْا فِيهِ »^(٥) . قال : فهذا معنى السَّيِّمَةِ الأحرف المذكورة في الأحاديث عند جمهور أهل اللغة والحديث ؛ منهم سفيان بن عيينة ، وابن وهب ، وعبد بن جرير الطبري ، والطحاوي وغيرهم . وفي مصحف عثمان الذي بأيدي الناس منها حرف واحد .

(٢) سورة للائمة ٥٢

(١) سورة مروج ٢٤

(٤) سورة البقرة ٢٠

(٣) ت : « تَرْكَبُ »

(٥) في الإتيان ١ : ٤٧ « مروا فيه معوا فيه »

وقال الزُّهْرِيُّ: إنما هذه الأحرف في الأمر الواحد؛ وليست تختلف في حلال ولا حرام.

واحتج ابنُ عبد البرِّ بحديث سلمان بن مُرد عن أبي بن كعب قال: قرأ أبي آية، وقرأ ابن مسعود آيةً خلافها، وقرأ رجل آخر خلافها، فأتيتُ النبي صلى الله عليه وسلم قلت: ألم تقرأ آيةً كذا؟ وقال ابن مسعود: ألم تقرأ آيةً كذا؟ فقال: كلكم محسن مجمل. وقال: «يا أباي»، إني أقرئت القرآن قلت: على حرف أو حرفين؟ قال لي: لك على حرفين، قلت: على حرفين أو ثلاثة؟ قال: على ثلاثة؛ هكذا حتى يبلغ سبعة أحرف، ليس فيها إلا شافٍ. قلتُ غفوراً رحيمًا، أو قلتُ ميمًا حكيمًا، أو قلتُ عليا حكيمًا، أو قلتُ عزيرًا حكيمًا، أي ذلك قلت فإنه كذلك.

قال أبو عمر: إنما أراد بهذا ضربَ اللُّثْل للتعريف بالحروف التي نزل القرآن عليها أنها معاني متفق مفهومها، مختلف نسموعها، لا يكون في شيء منها معنى وضده، ولا وجهٌ يخالف معنى وجهٍ خلافاً ينفيه ويضاده، كالرجحة التي هي خلاف المذاب وضده.

وكذلك حديث أبي بكرٍ قال: جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: اقرأ على حرف، قال ميكائيل: استزده، قال: على حرفين، قال ميكائيل: استزده، حتى بلغ إلى سبعة أحرف، قال: اقرأه، فكلُّ شافٍ كافٍ، إلا أن تخطَّ آيةَ رجحة بآية عذاب، وآية عذاب بآية رجحة، نحو هلم، وتعال، وأقبل، وأذهب وأسرع، ومجمل.

وروى ذلك عن ابن مسعود وأبي بن كعب أنه كان يقرأ: (لَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا) ^(١): «أهلونا، آخرونا، ارقبونا» و(كُلُّا أَسَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ) ^(٢) «مروا فيه، سموافيه». قال أبو عمر: إلا أن مصحف عثمان الذي بأيدي الناس اليوم هو فيها حرف واحد، وعلى هذا أهل العلم.

قال : وذكر ابن وهب ^(١) في كتاب الترغيب من « جامع » ، قال : قيل للمالك : أترى أن تقرأ مثل ما قرأ عمر بن الخطاب : ﴿ فامضوا إلى ذكر الله ﴾ ^(٢) ، قال : جائز ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنزل القرآن على سبعة أحرف فافهموا ما تيسر منه » ، ومثل « يملون » ، و « تملون » ؟ قال مالك : لا أرى باختلافهم بأسا ، وقد كان الناس ولم مصاحف . قال ابن وهب : سألت مالكا عن مصحف عثمان ؛ فقال لي : ذهب . وأخبرني مالك قال : أقرأ عبد الله بن مسعود رجلا : ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴾ ^(٣) ، فقبل الرجل يقول : « طعام اليتيم » ، قال : « طعام الفاجر » ، قلت للمالك : أترى أن يقرأ بذلك ؟ قال : نعم ، أرى أن ذلك واسعا .

قال أبو عمر : معناه عندي أن يُقرأ به في غير الصلاة ؛ وإنما لم تجز القراءة به في الصلاة ؛ لأن ما عدا مصحف عثمان لا يقطع عليه ؛ وإنما يجري مجرى خبر ^(٤) الآحاد ؛ لكنه لا يقدم أحد على القطع في رده .

وقال مالك رحمه الله فيمن قرأ في صلاة بقراءة ابن مسعود وغيره من الصحابة ؛ مما يخالف للمصنف : لم يصل وراءه .

قال : وعلماء مسكنيون يجمعون على ذلك إلا شذوذا لا يمرج عليهم إلا عثمان . وهذا كله يدل على أن السبعة الأحرف التي أشير إليها في الحديث ليس بأيدي الناس منها إلا حرف زيد بن ثابت التي جمع عثمان عليه للمصنف .

(١) هو عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي ، صاحب الإمام مالك ، توفي بصر ١٩٧ (ابن خلكان ٢٤٩ : ١) .

(٢) سورة النجم ٩ وانظر ص ٢١٥ خاتمة ٩ من هذا الجزء .

(٣) البخاري ٤٣ ، ٤٤ . وقوله الزقومي في الكشف ٢ : ٣٦٢ - ٣٦٣ عن أبي البرداء أنه كل يقرئ رجلا فكان يقول : « طعام اليتيم » ، قال : قل : « طعام الفاجر » .

(٤) ت : « أختار الآحاد » .

السادس : أن ذلك راجع إلى بعض الآيات ، مثل قوله : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ لَكُمْ ﴾ ^(١) ؛ فهذا على سبعة أوجه بالنصب والجزم والرفع ؛ وكلُّ وجه : التثنية وغيره . وسأبسط الجزم .
ومثل قوله : ﴿ نَسْفِطُ عَلَيْكَ ﴾ ^(٢) ؛ ونحوه ، ويحتمل في القرآن نعمة أوجه ، ولا يوجد ذلك في عامة الآيات .

قال ابن عبد البر : وأجمعوا على أن القرآن لا يجوز في حروفه وكلاته وآياته كلها أن تقرأ على سبعة أحرف ؛ ولا شيء منها ، ولا يمكن ذلك فيها ، بل لا يوجد في القرآن كلمة تحتمل أن تقرأ على سبعة أوجه إلا قليل ؛ مثل ﴿ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ ^(٣) و ﴿ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ﴾ ^(٤) و ﴿ عَذَابٌ بَئِيسٌ ﴾ ^(٥) ونحوه ، وذلك ليس هنا .

وقال الشيخ شهاب الدين أبو شامة : وهذا المجموع في المصحف : هل هو جميع الأحرف السبعة التي أقيمت القراءة عليها ؟ أو حرف واحد منها ؟ مِثْلُ التفاضي أبي بكر إلى أنه جميعها ، وصرح أبو جعفر الطبري والأكثر من بعده بأنه حرف منها ، ومال الشيخ الشاطبي إلى قول القاضي فيما جمعه أبو بكر ، وإلى قول الطبري فيما جمعه عثمان رضي الله عنه .

والسابع : اختاره القاضي أبو بكر ، وقال : الصحيح أن هذه الأحرف السبعة ظهرت واستفاضت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وضبطها عنه الأئمة ، وأثبتها عثمان والمصنف في المصحف

(٢) سورة مريم ٢٥

(١) سورة الأنبياء ٦٧

(٣) سورة المائدة ٦٠

(٤) سورة البقرة ٦٠

(٥) سورة الأعراف ١٦٥

وأخبروا بصحتها ؛ وإنما حذفوا منها ما لم يثبت متواترا ، وأن هذه الأحرف تختلف مابينها تارة ، وألقاها أخرى ، وليست متضادة ولا منافية .



والثامن : قول الطحاوى ، أن ذلك كان في وقت خاص لضرورة دعت إليه ؛ لأن كل ذى لغة كان يشق عليه أن يتحول عن لفته ، ثم لما كثر الناس والكتّاب ارتفعت تلك الضرورة ، فارتفع حكم الأحرف السبعة ، وعاد ما يقرأ به إلى حرف واحد .



والتاسع : أن المراد عِلْمُ القرآن يشتمل على سبعة أشياء : علم الإنبات والإيجاد ، كقوله تعالى : ﴿ إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ^(١) .

وعلم التوحيد ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ^(٢) . ﴿ وَالْهَكْمُ إِلَهُ وَاحِدٌ ﴾ ^(٣) .

وعلم التنزيه ، كقوله : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾ ^(٤) . ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ^(٥) .

وعلم صفات الذات ، كقوله : ﴿ وَفِيهِ الْعِزَّةُ ﴾ ^(٦) . ﴿ أَلَمَلِكِ الْقُدُّوسِ ﴾ ^(٧) .
وعلم صفات الفعل ، كقوله : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ ^(٨) . ﴿ وَاقُوا اللَّهَ ﴾ ^(٩) . ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ ^(١٠) ، ﴿ لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا ﴾ ^(١١) .

(٢) سورة الإخلاص ١

(٤) سورة النحل ١٧

(٦) سورة النافقون ٨

(٨) سورة النساء ٣٦

(١٠) سورة البقرة ٤٣

(١) سورة آل عمران ١٩٠

(٣) سورة البقرة ١٦٣

(٥) سورة العنكبوت ١١

(٧) سورة النجم ١

(٩) سورة النساء ١

(١١) آل عمران ١٣٠

وعلم الغر والمذاب ، كقوله : ﴿ وَمَنْ يَفْضُرْ الْقُتُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ^(١) . ﴿ نَبِيَّ عِبَادِي أَتَى أَنَا الْقَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْمَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ ^(٢) .
وعلم الحشر والحساب ؛ كقوله : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ﴾ ^(٣) . ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ ^(٤) .
وعلم النبوات كقوله : ﴿ رَسُولًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ ^(٥) . ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ ﴾ ^(٦) .
والإمامات كقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ^(٧) . ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ ﴾ ^(٨) . ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ ^(٩) .

والعاشر أن المراد به سبعة أشياء : المطلق والقيد ، والمأم والخاص ، والنص واللزوم ، والتامع ، والنسخ ، والجمل والفسر ، والاستثناء ، وأقسامه ، حكاه أبو المالئ بسنده عن أئمة الفقهاء .

والحادى عشر ، حكاه عن أهل اللغة ، أن المراد الحذف والصلة ، والتقديم والتأخير ، والقلب والاستعارة ، والتكرار ، والكناية والحقيقة والجاز ، والجمل والفسر ، والظاهر والظريف .

والثاني عشر ، وحكاه عن النحاة ، أنها التذكير والتأنيث ، والشرط والجزاء ، والتصريف

(١) آل عمران ١٣٥

(٢) سورة الحجر ٤٩ ، ٥٠

(٣) سورة طه ٩٩

(٤) سورة الإسراء ١٤

(٥) سورة النساء ١٦٥

(٦) سورة إبراهيم ٤

(٧) سورة النساء ٥٩

(٨) سورة النساء ١١٥

(٩) سورة آل عمران ١١٠

(١٠) - برهان - أول

والإعراب ، والأقسام وجوابها ، والجمع والتفريق ، والتصغير والتضميم ، واختلاف الأدوات
ما يختلف فيها بمعنى ، وما لا يختلف في الأداء والنطق جميعا .

والثالث عشر ، حكاية عن القراء أنها من طريق التلاوة وكيفية النطق بها : من
إظهار ، وإدغام ، وتنعيم ، وترقيق ، وإمالة وإشباع ، ومد وقصر ، وتخفيف وتلين ، وتشديد .

والرابع عشر ، وحكاية عن الصوفية أنه يشتمل على سبعة أنواع من اللبالات ،
وللماملات ، وهي الزهد والتقناعة مع اليقين ، والحزم والخلمة مع الحياء ، والكرم والفتوة
مع الفقر ، والمجاهدة والمراقبة مع الخوف ، والرجاء والتضرع والاستغفار مع الرضا ، والشكر
والصبر مع المحاسبة والمحبة ، والشوق مع للشاهدة .

وقال ابن حبان : قيل أقرب الأقوال إلى الصحة أن المراد به سبع لفات ، والترف
إنزاله على سبع لفات تسهيله على الناس لقوله : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾ ^(١) ،
فلو كان تعالى أنزله على حرف واحد لا نكس المقصود . قال : وهذه السبعة التي تتناولها
اليوم غير تلك ، بل هذه حروف من تلك الأحرف السبعة كانت مشهورة ؛ وذكر حديث
عمر مع هشام بن حكيم ؛ لكن لما خافت الصحابة من اختلاف القرآن رأوا جمعه على
حرف واحد من تلك الحروف السبعة ؛ ولم يثبت من وجه صحيح تعيين كل حرف من هذه
الأحرف ؛ ولم يكلفنا الله ذلك ؛ غير أن هذه القراءة الآن غير خارجة عن الأحرف السبعة .
وقال بعض المتأخرين : الأشبه بظواهر الأحاديث أن المراد بهذه الأحرف اللغات ؛
وهو أن يقرأ كل قوم من العرب بلهجتهم وما جرت عليه عادتهم ؛ من الإظهار والإدغام

والإمالة والتضخيم والإشمام والهمز والتلين واللد ، وغير ذلك من وجوه القنات إلى سبعة أوجه منها في الكلمة الواحدة ؛ فإن الحرف هو الطرف والوجه ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّبِعُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾ ^(١) ، أى على وجه واحد ؛ وهو أن يبيده في السراء دون الضراء ؛ وهذه الوجوه هي القراءات السبع التي قرأها القراء السبعة ؛ فإنها كلها صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي جمع عليه عثمان المصحف ، وهذه للقراءات السبع اختيارات أولئك القراء ؛ فإن كل واحد اختار فيما روى وعلم وجهه من القراءة ما هو الأحسن عنده والأولى ، ولزم طريقة منها ورداها وقرأ بها ، واشتهرت عنه ونُسبت إليه ؛ قيل : حرف نافع ، وحرف ابن كثير . ولم يمنع واحد منهم حرف الآخر ولا أنكره ، بل سوفه وحسنه ؛ وكل واحد من هؤلاء السبعة روى عنه اختاران وأكثر ؛ وكل صحيح .

وقد أجمع المسلمون في هذه الأعصار على الاعتماد على ما صح عنهم ، وكان الإنزال على الأحرف السبعة توسعة من الله ورحمة على الأمة ؛ إذ لو كُلف كل فريق منهم ترك لفته والعدل عن عادة نشئوا عليها ؛ من الإمالة ، والهمز والتلين ، واللد ، وغيره لشق عليهم . ويشهد لذلك ما رواه الترمذى عن أبي بن كعب أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل قال : « يا جبريل ، إني بُعِثْتُ إلى أمة أميين ؛ منهم العجوز ، والشيخ الكبير ، والنلام ، والجارية ، والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط ؛ قال : يا محمد ، إن القرآن أنزل على سبعة أحرف » . وقال : حسن صحيح .

النوع الثاني عشر في كيفية الإنزال

قال تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ ^(١) ، وقال سبحانه : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ ^(٢) .

واختلف في كيفية الإنزال على ثلاثة أقوال :

١ / أحدهما أنه نزل إلى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة ، ثم نزل بعد ذلك متجماً في عشرين سنة أو في ثلاث وعشرين ، أو خمس وعشرين ، على حسب الاختلاف في مدة إقامته بمكة بعد النبوة .

٢ / والقول الثاني : أنه نزل إلى سماء الدنيا في عشرين ليلة قَدَرٍ من عشرين سنة ، وقيل : في ثلاث وعشرين ليلة قَدَرٍ من ثلاث وعشرين سنة . وقيل : في خمس وعشرين ليلة قَدَرٍ من خمس وعشرين سنة ، في كل ليلة ما يقدّر الله سبحانه إنزاله في كل سنة ، ثم ينزل بعد ذلك مُتَجَمِّاً في جميع السنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣ / والقول الثالث : أنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر ، ثم نزل بعد ذلك متجماً في أوقات مختلفة من سائر الأوقات .

والقول الأول أشهر وأصح ، وإليه ذهب الأكثرون ؛ ويؤيده ما رواه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس قال : أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر ، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة . قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين .

وأخرج النسائي في التفسير من جهة حسان عن حميد بن جبير عن ابن عباس قال :
فُصل القرآن من الله كُر فوضع في بيت المزة من السماء الدنيا ، فجعل جبريل ينزل به على
النبي صلى الله عليه وسلم . وإسناده صحيح ، وحسان هو ابن أبي الأثرس ، وثقه النسائي وغيره .
وبالثاني قال مقاتل والإمام أبو عبد الله الحلي ^(١) في «النهاج» وللاوردى في «تفسيره» .
وبالثالث قال الشعبي وغيره .

واعلم أنه اتفق أهل السنة على أن كلام الله منزل ، واختلوا في معنى الإنزال ،
ف قيل : معناه إظهار القرآن ، وقيل : إن الله أفهم كلامه جبريل وهو في السماء ، وهو عال
من المكان وعلمه قراءته ، ثم جبريل أذاه في الأرض وهو يهبط في المكان .

والتنزيل له طريقان : أحدهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انخلع من صورة
البشرية إلى صورة لللائكة ^(٢) وأخذَه من جبريل . والثاني أن الملك انخلع إلى البشرية
حتى يأخذ الرسول منه ؛ والأول أصعب الخالين .

وقل بعضهم عن السمرقندي حكاية ثلاثة أقوال في النزول على النبي صلى الله
عليه وسلم ما هو :

أحدها : أنه اللفظ والمعنى ، وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به .
وذكر بعضهم أن أحرف القرآن في اللوح المحفوظ ؛ كل حرف منها بقدر جبل قاف ، وأن
تحت كل حرف معان لا يحيط بها إلا الله عز وجل ، وهذا معنى قول الترمذی : إن هذه
الأحرف هجرة لمعانيه .

(١) هو أبو عبد الله حسين بن الحسن الحلي الجرجاني المتوفى سنة ٤٠٣ هـ ؛ وكتابه للنهاج فيه أحكام
كثيرة ؛ ومائل فطرية مما يتعلق بأصول الإيمان ، وربه على سبعة وسبعين بابا على أن للإيمان تسعا وسبعين
هبة . (كشف الظنون ١ : ١٨٧) .
(٢) ط : م : « لللكية » .

والثاني أنه لما نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم بالمعاني خاصة، وأنه صلى الله عليه وسلم علم تلك المعاني وعبر عنها بلفظ العرب؛ ولما تمسكوا^(١) بقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾^(٢).

والثالث أن جبريل صلى الله عليه وسلم إنما أتى عليه للمعنى، وأنه^(٣) عبر بهذه الألفاظ بلفظ العرب، وأن أهل السماء يقرءونه بالعربية، ثم إنه أنزل به كذلك بعد ذلك.

فإن قيل: ما السر في إزاله جملة إلى السماء؟ قيل: فيه تضمين لأمره، وأمر من نزل عليه؛ وذلك بإعلان^(٤) سكان السموات السبع أن هذا آخر الكتب للنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم؛ ولقد صرفناه إليهم لينزله عليهم. ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت نزوله منجما بسبب الوقائع لأهبطه إلى الأرض جملة.

فإن قيل: في أي زمان نزل جملة إلى سماء الدنيا؟ بعد ظهور نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أم قبلها؟ قلت: قال الشيخ أبو شامة: الظاهر أنه قبلها، وكلاما محتمل؛ فإن كان بعدها فوجه التضمين منه ما ذكرناه، وإن كان قبلها فتأيدته أظهر وأكثر.

فإن قلت: قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(٥)، من جملة القرآن الذي نزل جملة أم لا؟ فإن لم يكن منه فما نزل جملة؟ وإن كان منه فما وجه صحة هذه العبارة؟ قلت: ذكر فيه وجهين: أحدهما أن يكون معنى الكلام: ما حكمنا بإنزاله في القدر وقضائه وقدّرناه في الأزل ونحو ذلك. والثاني أن نقله لفظ للماضي ومعناه الاستقبال، أي ينزل جملة في ليلة مباركة هي ليلة القدر، واختير لفظ للماضي؛ إما لتحققه وكونه لا بد منه؛ وإما لأنه حال اتصاله بالنزل عليه يكون للمضي في معناه محققا؛ لأن نزوله منجما كان بعد نزوله جملة.

(١) الإيمان ١: ٤٣: «وتمسك قائل هذا بظاهر قوله تعالى:»

(٢) سورة الشعراء ١٩٣

(٣) ط، م: «وإما»

(٤) ط: «ياعلم»

(٥) سورة القدر ١

فإن قلت : ما السر في نزوله إلى الأرض متجها ؟ وهلا نزل جملة كساثر الكتب ؟ قلت : هذا سؤال قد تولى الله سبحانه جوابه ؛ فقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾ ^(١) ، يمتنون : كما أنزل على من قبله من الرسل . فأجابهم الله بقوله : ﴿ كَذَلِكَ ﴾ ، أى أنزلناه كذلك مفرقا ﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ، أَيْ لِنَقْوَى بِعَقْلِكَ ؛ فَإِنَّ الْوَحْيَ إِذَا كَانَ يَجْعَدُ فِي كُلِّ حَادِثَةٍ كَانَ أَقْوَى لِلْقَلْبِ ، وَأَشَدَّ عناية بالمرسل إليه ؛ ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه ، وتجديد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجانب المرزى ، فحدث له من السرور ما تقصر عنه السبارة ؛ ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة نزول جبريل عليه السلام .

وقيل : معنى ﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ لنصفه ، فإنه عليه السلام كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ؛ فُرق عليه ليسر ^(٢) عليه حفظه ؛ بخلاف غيره من الأنبياء ؛ فإنه كان كاتباً قارئاً فيمكنه حفظ الجميع إذا نزل جملة .

فإن قلت : كان في القُدرة إذا نزل جملة أن يحفظه النبي صلى الله عليه وسلم دفعة . قلت : ليس كل تمكن لازم الوقوع ؛ وأيضاً في القرآن أجوبة عن أسئلة ؛ فهو سبب من أسباب تفرق النزول ؛ ولأن بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ، ولا يتأتى ذلك إلا فيما أنزل مفرقا . وقال ابن فورك ^(٣) : قيل أنزلت التوارة جملة ، لأنها نزلت على نبي يقرأ ويكتب وهو موسى . وأنزل القرآن مفرقا لأنه أنزل غير مكتوب على نبي أمي . وقيل مما لم ينزل لأجله جملة واحدة أن منه الناسخ والنسخ ، ومنه ما هو جواب لمن يسأل عن أمور ، ومنه ما هو إنكار لما كان . انتهى .

(١) سورة الفرقان ٣٢

(٢) م ، ط ، ع : « ليثبت عليه » .

(٣) هو أبو بكر محمد بن الحسين فورك الأديب للتكلم الأصولي ؛ روي أنه بلغت تصانيفه في أصول الدين وأصول الفقه ومبادئ القرآن قرىبا من المائة . توفي سنة ٤٠٦ هـ . وفورك بالغاه المصنوعة والروايات الساكنة والرافعة للفتوح والكاف . ١ : ١٠١ : الرواة ٣ : ١١٠ ، تبين كذب القنري ٢٣٢ ، الناجح فرك .

وكان بين أول نزول القرآن وآخره عشرون أو ثلاث وعشرون أو خمس وعشرون سنة؛ وهو مَبْنِيٌّ عَلَى الْخِلَافِ فِي مَدَّةِ إِقَامَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ بَعْدَ النَّبُوَّةِ ؛ قَبِيلَ عَشْرٍ ، وَقَبِيلَ ثَلَاثِ عَشْرَةٍ ، وَقَبِيلَ خَمْسِ عَشْرَةٍ . وَلَمْ يَخْتَلَفْ فِي مَدَّةِ إِقَامَتِهِ بِالْمَدِينَةِ أَنَّهُا عَشْرٌ . وَكَانَ كُلُّمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ أَمَرَ بِكِتَابَتِهِ وَيَقُولُ : فِي مَفْرَقَاتِ الْآيَاتِ « ضَعُوا هَذِهِ فِي سُورَةِ كَذَا » ، وَكَانَ يَرْضَاهُ جَبْرِيلُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ كُلِّ عَامٍ مَرَّةً ، وَعَلِمَ مَاتَ مَرَّتَيْنِ . وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ : قَالَ مَسْرُوقٌ عَنْ عَائِشَةَ عَنْ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَمَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى « أَنْ جَبْرِيلُ كَانَ يَمَارِضُنِي بِالْقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ وَأَنَّهُ عَارِضُنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ ، وَلَا أَرَاهُ إِلَّا حَضُورَ أَجَلٍ » . وَأَسْنَدُهُ الْبُخَارِيُّ فِي مَوَاضِعَ . وَقَدْ كَرَّرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْإِعْتِكَافَ فَاعْتَكَفَ عَشْرِينَ يَوْمًا أَن كَانَ يَتَكَلَّفُ عَشْرًا .

السُّعْيُ الثَّالِثُ عَشَرَ فِي بَيَانِ جَمِيعَةِ مَنْ خُفِّضَ مِنَ الصَّحَابَةِ رُضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

[جمع القرآن على عهد أبي بكر]

روى البخاري في صحيحه^(١) : من زيد بن ثابت قال : أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة^(٢) ، فإذا عمر [بن الخطاب]^(٣) عنده ، قال أبو بكر : إن عمر أتاني قال : إن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقرء القرآن ؛ وإني أخشى أن يستحرّ القتل بالوطن^(٤) ، فيذهب كثير من القرآن ؛ وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن . قلت لسمر : كيف فعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال عمر : والله إن هنا خير^(٥) . فلم يزل عمر يراجني حتى شرح الله صدرى لذلك ؛ وقد رأيت^(٦) في ذلك الذي رأى عمر . قال زيد : وقال أبو بكر : إنك رجل شلب عاقل لا أتهمك^(٧) ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتبع القرآن واجمه . قال زيد : فوالله لو كلفني^(٨) نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن ، قلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : هو والله خير ، فلم يزل أبو بكر يراجني حتى شرح الله صدرى للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر ، فتتبع القرآن أجفئه من السُّب^(٩) والخاف^(١٠) وصدور

(١) في كتاب فضائل القرآن .

(٢) فيها استشهد من الصحابة نحو أربعمائة وخمسين ، وجلة القتل من المسلمين نحو ألف ؛ وانظر تاريخ

(٣) من صحيح البخاري

الطبري حوادث سنة ١١ ، ١٢

(٤) في الصحيح : « بالقراءة في للوطن » .

(٥) في الصحيح : « هذا والله خير » .

(٦) في الصحيح : « لآتهمك » .

(٧) في الصحيح : « لو كلفوني » .

(٨) في الصحيح : « لو كلفوني » .

(٩) الخاف : حجارة يمش عريضة رطاب ، واجمعها الخفة .

الرجال ، حتى وجدت آخر التوبة (لَقَدْ جَاءَكُمْ^(١)) مع أبي خزعة الأنصارى الذى جل
النبي صلى الله عليه وسلم شهادة رجلين ، لم أجدهما مع أحد غيره فالتفتها في سورتها ،
فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حتى قبض ، ثم عند حفصة
بنت عمر .

وفي رواية قال ابن شهاب^(٢) : وأخبرني خارجة بن زيد سمع زيد بن ثابت يقول :
قَدَّتْ آيَةٌ مِنَ الْأَحْزَابِ حِينَ نَسَخْنَا لِلصَّحَفِ ؛ قَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَقْرَأُ بِهَا ، لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ إِلَّا مَعَ خَزِيعَةَ الْأَنْصَارِيِّ (مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا
مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ^(٣)) فَالْتَمَعْنَا فِي سَوْرَتِهَا . وَخَزِيعَةُ الْأَنْصَارِيُّ شَهِيدَتُهُ بِشَهَادَتَيْنِ .
وقول زيد : « لم أجدها إلا مع خزعة » ليس فيه إثبات القرآن بخبر الواحد ؛ لأن ،
زيدا كان قد سمعها وعلم موضعها في سورة الأحزاب بتعليم النبي صلى الله عليه وسلم ،
وكذلك غيره من الصحابة ثم نسخها ، فلما سمع ذكره . وتبعه للرجال كان للاستظهار ،
لا لاستحداث العلم . وسيأتي أن الذين كانوا يحفظون القرآن من الصعابة على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم أربعة ؛ والمراد : أن هؤلاء كانوا اشتروا به ، قد ثبت أن غيرهم حفظه ،
وثبت أن القرآن مجموعة محفوظ كله في صدور الرجال أيام حياة النبي صل الله عليه وسلم ،
مؤلفا على هذا التأليف ، إلا سورة براءة . .

قال ابن عباس : قلت لعناب : ما حملكم أن مدهم إلى الأقال وهي من المثاني ، وإلى
براءة وهي من المثني ؛ فترتم بينهما ، ولم تكتبوا بينهما سطر (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ؟
قال عثمان : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتي عليه الزمان وتنزل عليه السور ،
وكان إذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتبه فقال : ضعوا هذه الآيات في السورة

(١) سورة التوبة ١٢٨

(٢) سورة الأحزاب ٢٣ .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب فضائل القرآن

التي يذكر فيها كذا ، وكذا ، وكانت « الأنفال » من أوائل ما نزل من المدينة ، وكانت « براءة » من آخر القرآن ؛ وكانت قصتها شبيهة بقصتها قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها ؛ فمن أجل ذلك قرنت بينهما ، ولم أكتب بينهما سطر ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، ثم كتبت . فثبت أن القرآن كان على هذا التأليف والجمع في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما ترك جمعه في مصحف واحد ؛ لأن النسخ كان يرد على بعض^(١) ، فلو جمعه ثم رفعت تلاوة بعض^(٢) لأدى إلى الاختلاف واختلاط الدين ، فحفظه الله في القلوب إلى اضمحاء زمان النسخ ، ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدين .

[نسخ القرآن في المصاحف]

واعلم أنه قد اشتهر أن عثمان هو أول من جمع للمصاحف ؛ وليس كذلك لا يتناه ، بل أول من جمعا في مصحف واحد الصديق^(٣) ، ثم أمر عثمان حين خاف الاختلاف في القراءة بصحوله منها إلى المصاحف ؛ هكذا نقله البيهقي .

قال : وقد روينا عن زيد بن ثابت أن التأليف كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وروينا عنه أن الجمع في المصحف كان في زمن أبي بكر والنسخ في المصاحف في زمن عثمان ، وكان ما يجمعون وينسخون معلوما لهم ، بما كان مثبثا في صدور الرجال ، وذلك كله بمشورة من حضره من الصحابة وارتضاه على بن أبي طالب ، وحيد أثره فيه .

وذكر غيره أن القى استبد به عثمان جمع الناس على قراءة محصورة ، وللنعم من غير ذلك ، قال القاضي أبو بكر في « الاقتصار » : لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نسخ القرآن بين لوحيين ؛ وإنما قصد جمعهم على القراءات الناتجة للمروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم وإنهاء ما ليس كذلك ، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ، ولا تأويل أثبت

(١) ت ، ط « عليه » .

(٢) ت ، ط : « بنيه » .

مع تنزيل . ومنسوخ تلاوته كُتِبَ مع مثبت رسمه ومفروض قراءته وحفظه ، خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد . انتهى .

وقد روى البخارى فى صحيحه^(١) عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدّم على عثمان ، وكان ينازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم فى التراءة وقال [^(٢) حذيفة] لثمان : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا [فى الكتاب ^(٣)] اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة : أن أرسلى إلينا الصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك ؛ فأرسلت بها إليه ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف . قال عثمان للرمط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ؛ فلما نزل بلسانهم . فعلوا حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصة ، وأرسل فى كل أقرى بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق .

وفى هذه إثبات ظاهر أنّ الصحابة جموا بين القارئ القرآن للنزول من غير زيادة ولا نقص . والذى حملهم على جمعه ما جاء فى الحديث أنّه كان مفرقا فى السبب والخلاف وصُدور الرجال ، فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظه فجموه وكتبوه كما سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم ، من غير أن قدّموا شيئا أو أخرّوا . وهذا الترتيب كان منه صلى الله عليه وسلم بتوقيف لم على ذلك ؛ وأن هذه الآية عقب تلك الآية ، فثبت أن سعى الصحابة فى جمعه فى موضع واحد ، لا فى ترتيب ؛ فإن القرآن مكتوب فى الألواح المحتفظ على هذا الترتيب الذى هو فى مصاحفنا الآن ، أنزله الله جملة واحدة إلى سماء الدنيا

(١) فى كتاب فضائل القرآن .

(٢) من صحيح البخارى .

كما قال الله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾^(١) وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾^(٢) ، ثم كان ينزل مفرقاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته عند الحاجة ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَوَرَأَيْنَا فَتَنَاءَ لِقَاءِ إِبْرَاهِيمَ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكُتِّهِ وَأَنْزَلْنَاهُ نَزْلِيلًا ﴾^(٣) فترتيب النزول غير ترتيب التلاوة ؛ وكان هذا الاتفاق من الصعابة سبباً لبقاء القرآن في الأمة ، ورحمة من الله على عباده ، وتسهيلاً وتحقيقاً لوعده بحفظه ؛ كما قل تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(٤) وزال بذلك الاختلاف ، واتفتت الكلمة .

قال أبو عبد الرحمن السلمي : كانت قراءة أبي بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت والمهاجرين والأنصار واحدة ، كانوا يقرءون القراءة العامة ، وهى القراءة التى قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبريل مرتين فى العام التى قبض فيه ، وكان زيد قد شهد المرأة الأخيرة ، وكان يقرئ الناس بها حتى مات ، ولعلك اعتمدته الصديق فى جمعه ، وولاه عثمان كتابة للصحف .

وقال أبو الحسين بن فارس فى « المسائل العلى » : جمع القرآن على ضربين : أحدهما تأليف السور ، كتقديم السبع الطوال وتلقيها بالمئين ؛ فهذا الضرب هو الذى تولته الصعابة وأما الجمع الآخر - وهو جمع الآيات فى السور - فهو توقيفى تولاه النبى صلى الله عليه وسلم وقال الحاكم فى المستدرک : وقد روى حديث عبد الرحمن بن شمس عن زيد بن ثابت قال : كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤلف القرآن من الرقاق ... الحديث ، قال : وفيه البيان الواضح أن جمع القرآن لم يكن مرة واحدة ، فقد جمع بعضه بمحضرة النبى

(١) سورة البقرة ١٨٥

(٢) سورة البقرة ١٨٥

(٣) سورة الحجر ٩

(٤) سورة الإسراء ١٠٦

صلى الله عليه وسلم ، ثم جمع بحضرة المديني ؛ والجمع الثالث وهو ترتيب السور كان في خلافة عثمان .

وقال الإمام أبو عبد الله الحارث بن أسد الجعفي^(١) في كتاب « فهم السنن » :
كتابة القرآن ليست محدثة فإنه صلى الله عليه وسلم كان يأمر بكتابه ، ولكنه كان مفترقاً
الرقاع والأكتاف والمُسب ؛ وإنما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان ، وكان ذلك
بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيها القرآن منقشر ، فجمعها
جامع ، وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء .

فإن قيل : كيف وقعت الثقة بأصحاب الرقاع وصدور الرجال ؟ قيل : لأنهم كانوا
يُبدون عن تأليف مُعجز ونظم معروف ، وقد شاهدوا تلاوته من النبي صلى الله عليه وسلم
عشرين سنة ، فكان تزويد ما ليس منه مأموناً ؛ وإنما كان الخوف من ذهاب شيء من
صحيحه .

فإن قيل : كيف لم يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ؟ قيل : لأن الله تعالى
كان قد أمّنه من النسيان بقوله : ﴿ سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنسَى . إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾^(٢) أن يرفع
حكمه بالنسخ ، فحين وقع الخوف من نسيان الخلق حدث ما لم يكن ، فأحدث بضبطه ما لم
يُحتج إليه قبل ذلك .

وفي قول زيد بن ثابت : « فجمعت من الرقاع والأكتاف وصدور الرجال » ما أوم
بعض الناس أن أحداً لم يجمع القرآن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وأن من قال
إنه جمع القرآن أبي بن كعب وزيد ليس بمحفوظ . وليس الأمر على ما أوم ؛ وإنما
طُلب القرآن متفرقاً ليمارض بالجميع عند من بقي ممن جمع القرآن ليشترك الجميع في علم ما جمع

(١) أحد رجال الصوفية ؛ ذكره ابن الجوزي في كتاب صفوة الصفوة (٢ : ٢٠٧) ؛ وقال : إنه

توفي سنة ٢٤٣

(٢) سورة الأعلى ٦ ، ٧

فلا ينسب عن جمع القرآن أحد عنده من شيء ، ولا يرتاب أحد فيا يودع للصحف ، ولا يشك في أنه جمع عن ملاء منهم .

فأما قوله : « وجدت آخر براءة مع خزعة بن ثابت ، ولم أجدها مع غيره » ؛ يعني ممن كانوا في طبقة خزعة ممن لم يجمع القرآن .

وأما أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل ؛ فبغير شك جمعوا القرآن ، والدلائل عليه ^(١) متظاهرة ، قال : ولهذا للمنى لم يجمعوا السنن في كتاب ، إذ لم يمكن ضبطها كما ضبط القرآن . قال : ومن الدليل على ذلك أن تلك المصاحف التي كتب منها القرآن كانت عند الصديق لتكون إماما ولم تفارق الصديق في حياته ، ولا عمر أيامه . ثم كانت عند حفصة لاتسكن منها ، ولما احتيج إلى جمع الناس على قراءة واحدة ، وقع الاختيار عليها في أيام عثمان ؛ فأخذ ذلك الإمام ، ونسخ في المصاحف التي بث بها إلى الكوفة ، وكان الناس متروكين على قراءة ما يحفظون ^(٢) من قراءتهم المختلفة ، حتى خيف الفساد فجمعوا على القراءة التي نحن عليها . قال : وللشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان رضى الله عنه ، وليس كذلك ؛ إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين من شهد به من المهاجرين والأنصار لما خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات والقرآن . وأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات الطلقات على الحروف السبعة التي أنزل بها القرآن ؛ فأما السابق إلى جمع الجملته فهو الصديق ؛ روى عن علي أنه قال : رحم الله أبا بكر ! هو أول من جمع بين القومين ، ولم يحتج الصحابة في أيام أبي بكر وعمر إلى تجمه على وجه ما جمعه عثمان ؛ لأنه لم يحدث في أيامها من الخلاف فيه ما حدث في زمن عثمان ؛ ولقد وثق لأمر عظيم ، وورع الاختلاف ، وجمع الكلمة ، وأراح الأمة .

(٢) م : « يحفظونه » .

(١) م : « ذلك »

وأما فلق الروافض بأن عثمان أحرق المصاحف فإنه جهل منهم وعي ، فإن هذا من فضائله وعلمه ؛ فإنه أصلح ، ولم الشُّم ، وكان ذلك واجباً عليه ، ولو تركه لعمى ، لما فيه من التضيق ؛ وحاشاه من ذلك . وقولهم : إنه سبق إلى ذلك ممنوع لما بيناه أنه كُتِب في زمن النبي صلى الله عليه وسلم في الرقاع والأكتاف ؛ وأنه في زمن الصديق بحمه في حرف واحد .

قال : وأما قولهم : إنه أحرق للمصاحف ؛ فإنه غير ثابت ، ولو ثبت لوجب حمله على أنه أحرق مصاحف قد أودعت ما لا يحل قراءته .

وفي الجملة إنه إمام عدل غير معاند ولا طاعن في التنزيل ، ولم يحرق إلّا ما يجب^(١) إحراقه ، ولهذا لم ينكر عليه أحد ذلك ، بل رضوه وعدّوه من مناقبه ، حتى قال عليّ : لو وليت ما ولي عثمان لعلت بالمصاحف ما عمل . انتهى ملخصاً .

مُتَابَعَةٌ

[في عدد مصاحف عثمان]

قال أبو عمرو الهادي في « اللقن » : أكثر العلماء على أن عثمان لما كتب المصاحف جعله على أربع نسخ ؛ وبث إلى كل ناحية واحداً ؛ الكوفة والبصرة والشام ، وترك واحداً عنده . وقد قيل : إنه جعل سبع نسخ ، وزاد : إلى مكة وإلى اليمن وإلى البحرين . قال : والأول أصح وعليه الأئمة .

(١) م « وجب » .

فصل

في بيان من جمع القرآن حفظًا

[من الصحابة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم]

حفظه في حياته جماعة من الصحابة ، وكلُّ قطعة منه كان يحفظها جماعة كثيرة أقلمهم بالفون حدّ التواتر ، وجاء في ذلك أخبار ثابتة في الترمذى والسندك وغيرهما من حديث ابن عباس قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يأتي عليه الزمانُ وهو ينزلُ عليه السُّورُ ذواتُ المدد ، فكان إذا نزل عليه شيء دعا بعضَ مَنْ كان يكتب فيقول : « ضمو هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا » ، قال الترمذى : هذا حديث حسن . وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وفي البخارى عن قتادة قال : سألت أنس بن مالك : مَنْ جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أربعة كلهم من الأنصار : أبى بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد ابن ثابت ، وأبو زيد . وفي رواية : مات النهي صلى الله عليه وسلم ولم يجمع القرآن غير أربعة أبو الدرداء ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد . قال الحافظ البيهقي في كتاب « الدخل » : الرواية الأولى أصح ، ثم أسند عن ابن سيرين قال : جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة لا يختلف فيهم : معاذ بن جبل ، وأبى بن كعب ، وزيد ، وأبو زيد ، واختلفوا في رجلين من ثلاثة : أبو الدرداء وعثمان ، وقيل : عثمان وتميم الدارى .

وعن الشعبي ، جمعة : أبى ، وزيد ، ومعاذ ، وأبو الدرداء ، وسعد بن عبيد ، وأبو زيد . ومجمع بن جارية قد أخذهُ إلا سورتين أو ثلاثة . قال : ولم يجمعه أحدٌ من الخلفاء من أصحاب محمد غير عثمان .

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة : وقد أشيع القاضى أبو بكر محمد بن الطيب فى كتاب «الاتصار» الكلام فى حجة القرآن فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، وأقام الأدلة على أنهم كانوا أضعاف هذه المدة للذكورة وأن العادة تحيل خلاف ذلك ؛ ويشهد لصحة ذلك كثرة القراء المقتولين يوم مسيلة باليمامة ؛ وذلك فى أول خلافة أبى بكر ، ومافى الصحيحين : قتل سبعون من الأنصار يوم بئر معونة ؛ كانوا يُسمون القراء . ثم أول القاضى الأحاديث السابقة بوجوه منها : اضطرابها ، وبين وجه الاضطراب فى التدد وإن خُرِجَتْ فى الصحيحين ، مع أنه ليس منها شيء مرفوع إلى النبى صلى الله عليه وسلم . ومنها بتقرير سلامتها ؛ فالغنى : لم يجمع على جميع الأوجه والأحرف والقراءات التى نزل بها إلّا أولئك نفر . ومنها أنه لم يجمع ما نسخ منه وأزيل رسمه بعد تلاوته مع ما ثبت رسمه وبقي فرض حفظه وتلاوته إلّا تلك الجماعة . ومنها أنه لم يجمع جميع القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ من فيه تلقيا غير تلك الجماعة ، وغير ذلك .

قال للوردى : وكيف يمكن الإحاطة بأنه لم يكله سوى أربعة ، والصحابة متفرون فى البلاد ! وإن لم يكله سوى أربعة فقد حفظ جميع أجزائه متون لا يحصون .

قال الشيخ : وقد سعى الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام القراء من الصحابة فى أول كتاب القراءات له ، فسي عددا كثيرا .

قلت : وذكر الحافظ شمس الدين القهبي^(١) فى كتاب « معرفة القراء^(٢) » ما يبين ذلك ، وأن هذا المدهم الذين عرضوه على النبى صلى الله عليه وسلم ، واتصلت بنا أسانيدهم ، وأما عن جمعه منهم ، ولم يتصل بنا فكثير فقال : ذكر الذين عرضوا على النبى

(١) هو الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركمانى القهبي ؛ ولد سنة ٦٧٣ وتوفى سنة ٧٤٨ .
(الدور الكاشفة ٢ : ٢٩٨) .

(٢) هو كتاب طبقات القراء ؛ ومنه نسخة مصورة بدار الكتب المصرى رقم ١٥٣٧ تاريخ - عن نسخة كبرى رقم ١١١٦ ؛ وهذا النص موجود فى أول مقدمة الكتاب ، وقوله الزركشى باختصار وتصرف .

صلى الله عليه وسلم القرآن وهم سبعة : عثمان بن عفان ، وعلى بن أبي طالب - وقال الشعبي :
لم يجمع القرآن أحدٌ من الخلفاء الأربعة إلا عثمان ؛ ثم رَدَّ على الشعبي قوله : بأن
عامراً قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي عن عليّ - وأبي بن كعب - وهو أقرأ من أبي بكر
وقد قال : يؤمُّ القومَ أقرؤهم لكتاب الله وهو مشكل - . وعبد الله بن مسعود ، وأبي ،
وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعري ، وأبو الهرداء .

قال ، وقد جمع القرآن غيرهم من الصحابة ، كما ذكرنا من قبل ، وأبي زيد ، وسالم مولى
أبي حذيفة ، وعبد الله بن عمر ، وعقبة بن عامر ؛ ولكن لم تفصل بنا قراءتهم ، قال : وقرأ
على أبي جماعة من الصحابة ؛ منهم أبو هريرة ، وابن عباس ، وعبد الله بن السائب .

السُّورَةُ الرَّابِعَةُ عَشْرُ مَعْرِفَةُ تَقْسِيمِهَا بِحَسَبِ سُورَةٍ وَتَرْتِيبِ السُّورِ وَالْآيَاتِ وَعَدِّهَا

[تَقْسِيمُ الْقُرْآنِ بِحَسَبِ سُورَةٍ]

قال العلماء رضي الله عنهم : القرآن العزيز أربعة أقسام : الطُّوْلُ ، وَلِلثَوْنِ ، وَلِلثَانِي ، وَلِلْفَصْلِ .
وقد جاء ذلك في حديث مرفوع أخرجه أبو عبيد من جهة سعيد بن بشر عن قتادة عن
أبي الليح ، عن واثلة بن الأسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « أُعْطِيَ السَّبْعُ الطُّوْلُ
مَكَانَ التَّوْرَةِ ، وَأُعْطِيَ الثَّانِي مَكَانَ الْإِنْجِيلِ ، وَأُعْطِيَ الثَّانِي مَكَانَ الزَّبُورِ ، وَفُضِّلَتْ بِالْفَصْلِ » .
وهو حديث غريب ، وسعيد بن بشر فيه لين . وأخرجه أبو داود الطيالسي في
مسنده عن عمران عن قتادة به .

فالسَّبْعُ الطُّوْلُ أولها البقرة ، وآخرها براءة ؛ لأنهم كانوا يمدّون الأشغال وبراءة سورة
واحدة ، ولذلك لم يَفْصَلُوا بينهما ؛ لأنهما نزلتا جميعا في مفازي رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وسميت طَوْلًا لَطَوَّلَهَا . وحكى عن سعيد بن جبير أنه عدَّ السَّبْعَ الطُّوْلُ : البقرة ، وآل عمران
والنساء ، واللائحة - والأنعام ، والأعراف ، ويونس .
والطُّوْلُ ، بضم : الطاء جمع طَوْلَى ، كالكُتُبِ جمع كُتُبَى . قال أبو حيان التوحيدى :
وكسر الطاء مردول .

ولِلثَوْنِ : ما ولي السَّبْعَ الطُّوْلُ ؛ سميت بذلك لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية
أو قاربها .

والثاني: ما ولى اللتين؛ وقد تسمى سور القرآن كلها مثاني، ومنه قوله تعالى: ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ﴾^(١)، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ التَّائِي﴾^(٢).

وإنما سمي القرآن كله مثاني لأن الأنبياء والتقصص تُنقى فيه . ويقال: إن الثاني في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ التَّائِي﴾^(٣) هي آيات سورة الحمد، سماها مثاني لأنها تُنقى في كل ركعة.

والفصل: ما يلي الثاني من قصار السور؛ يُسمى مفصلاً لكثرة التوصل التي بين السور
ببسم الله الرحمن الرحيم . وقيل: لقلة للنسوخ فيه . وآخره: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾،
وفي أوله اثنا عشر قولاً:
أحدها الجاثية .

ثانيها، القتال؛ وعزاه الماوردي للأكثرين .
ثالثها: الحجرات .

رابعها: ق؛ قيل: وهي أوله في مصحف عثمان رضي الله عنه . وفيه حديث ذكره
الخطابي في غريبه، يرويه عيسى بن يونس قال: حدثنا عبد الرحمن بن يعلى الطائفي
قال: حدثني عمر بن عبد الله بن أوس بن حذيفة عن جده أنه وفد على رسول الله صلى
الله عليه وسلم في وفد ثقيف فسمع [من] أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يحزب
القرآن . قال: وحزب الفصل من «ق» . وقيل: إن أحمد رواه في المسند . وقال الماوردي
في تفسيره: حكاه عيسى بن عمر عن كثير من الصحابة؛ للحديث المذكور .

الخامس: الصافات .

السادس: الصف .

السابع : تبارك . حكى هذه الثلاثة ابن أبي الصيف الميمى في : « نُكْتِ التَّنبِيهِ »^(١) .

الثامن : « إنا فضعناك » ؛ حكاه البزمارى في شرح « التنبيه » للمسى : « رفع التمجويه »^(٢) .

التاسع : « الرحمن » ، حكاه ابن السِّدِّى في أماليه على « الموطأ » وقال : إنه كذلك في مصحف ابن مسعود . قلت : رواه أحمد في مسنده كذلك .

العاشر : « هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر » .

الحادى عشر : « سَمِّح » ؛ حكاه ابن الفركاح^(٣) في تعليقه عن الرزوق .

الثانى عشر : « والضحي » ، وعزاه للآوردى لابن عباس ؛ حكاه الخطابى في غريبه ، ووجهه بأن القارئ يفصل بين هذه السور بالتكبير . قال : وهو مذهب ابن عباس وقراء مكة .

والصحيح عند أهل الأثر أن أوله « ق » ، قال أبو داود في سننه في باب تحزيب القرآن : حدثنا مسدد ، حدثنا جرار بن تمام . ح . وحدثنا عبد الله بن سعيد أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خالد سليمان بن حيان - وهذا لفظه - عن عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلب عن عثمان بن عبد الله بن أوس ، عن جده أوس ، قال عبد الله بن سعيد في حديث أوس بن حذيفة قال : قلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم : [في]^(٤) وقد تقيف ، قال : فنزلت الأحلاف على للنيرة بن شعبة ، وأتزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بفو مالك في قبة له قال مسدد : وكان في الوفد الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) ذكره صاحب كشف القنون ٤٩٣ ؛ وهو نكت على كتاب التنبيه في فروع الشافعية لأبي إسحاق الشيرازى .

(٢) ذكره صاحب كشف القنون : ص ٤٩٠ .

(٣) ذكره صاحب كشف القنون ٤٨٩ .

(٤) من ابن ماجه .

من تخيف - قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ليلة بعد الشاء
يحدثنا - قال أبو سعيد : قائماً على راحلته - ثم يقول : « لا سوء ، كنا مستضعفين »
مستذلين - قال مسدد : بمكة - فلما خرجنا إلى المدينة كانت سجال الحرب بيننا وبينهم ؛
نذال عليهم ويدلون علينا ، فلما كانت ليلة ، أبطلنا عن الوقت الذي كان يأتينا فيه ، قلت :
لقد أبطلنا علينا الليلة ، قال : « إنه طرأ على حزبي من القرآن ، فكرهت أن أجي
حق أمه »

قال أوس : ف سألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف تحزبون القرآن ؟
قالوا : ثلاث ، وخمس ، وسبع ، وتسع ، وإحدى عشرة ، وثلاث عشرة ، وحزب
للقصص وحده .

رواه ابن ماجه^(١) عن أبي بكر بن شيبة عن أبي خالد الأحمر به . ورواه أحمد
في مسنده عن عبد الرحمن بن مهدي وأبو يعلى الطائفي به .

وحينئذ فإذا عددت ثمانياً وأربعين سورة كانت التي بعدهن سورة « ق »

بيانه : ثلاث : البقرة ، وآل عمران ، والنساء . وخمس : المائدة ، والأنعام ، والأعراف
والأنفال ، وبراءة . وسبع : يونس ، وهود ، ويوسف ، والرعد ، وإبراهيم ، والحجر ، والنحل .
وتسع : سبحان ، والكهف ، ومريم ، وطه ، والأنبياء ، والحج ، ولؤمنون ، والنور ،
والفرقان . وإحدى عشرة : الشعراء ، والنمل ، والقصاص ، والمنكبات ، والروم ، ولهمان ،
وآل السجدة ، والأحراب ، وسبأ ، وقاطر ، وبس . وثلاث عشرة : الصافات ، وص ، والزمر
وغافر ، وحم السجدة ، وحم عسق ، والزخرف ، والدخان ، والجاثية ، والأحقاف ، والقتال ،

(١ - ١) لفظ في ابن ماجه : « فكان يأتينا كل ليلة بعد الشاء فيحدثنا قائماً على رجله حتى يراوح
بين رجله ، وأكثر ما يحدثنا ما لقي من قومه من قریش ويقول : ولا سوء ، كنا مستضعفين مستذلين » .
(٢) سنن ابن ماجه كتاب الإمامة ١ : ٢٢٧ - ٢٢٨ ، باب في كم يستحب يتم القرآن .

والفتح ، والحجرات ، ثم بعد ذلك حزب للفصل - وأوله سورة « ق » وأما آل حاميم فإنه يقال : إن حم اسم من أسماء الله تعالى ، أضيفت هذه السورة إليه ؛ كما قيل سور الله لتفصلها وشرفها ، وكما قيل بيت الله ، قال الكهيت :

وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حَمِ آيَةً تَأْوِلُهَا مِنَّا تَنِي وَمُغْرِبٌ^(١)

وقد يجعل اسماء السورة ويدخل الإعراب عليها ويصرف. ومن قال هذا قال في الجمع : الحواميم ؛ كما يقال : طس والطواسين . وكريه بعض السلف - منهم محمد بن سيرين - أن يقال : الحواميم ؛ وإنما يقال : آل حم .

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : آل حم ديباج القرآن .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : إن لكل شئ لباباً وللباب القرآن حم - أو قال : الحواميم .

وقال مسعر بن كدام . كان يقال لمن العرائس ؛ ذكر ذلك كله أبو عبيد في فضائل القرآن .

وقال الحفيد بن زنجويه : ثنا عبد الله ، ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن أبي عبد الله قال : إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد منزلاً ، فرباً بأثر غيث ؛ فبينما هو يسير فيه ويشجبه منه إذ هبط على روضات دمنات ؛ فقال : عجبت من النيث الأول ، فهذا أعجب وأعجب ؛ قيل له : إن مثل النيث الأول مثل عظم القرآن ؛ وإن مثل هؤلاء الروضات مثل « حم » في القرآن .
أورده البغوى .

(١) الهاشميات ؛ من قصيدته المشهورة التي مطلعها :

طَرِبْتُ وما شوقاً إلى البيضِ أطربُ وَلَا لَمِياً متى ودَّو الشوقِ يلمبُ

فصل

في عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه

قال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران القرني: عددُ سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة . وقال: بمث الحجاج بن يوسف إلى قراء البصرة ، فجمعهم واختار منهم الحسن البصري ، وأبا العالية، ونضر بن عاصم، وعاصم الجعدي ، ومالك بن دينار رحمة الله عليهم . وقال : عدّوا حروف القرآن ؛ فبقوا أربعة أشهر يمدّون بالشعر ، فأجمعوا على أن كلماته سبع وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة ، وأجمعوا على أن عدد حروفه ثلاثمائة ألف وثلاثة وعشرون ألفاً وخمسة عشر حرفاً . انتهى .

وقال غيره: أجمعوا على أن عدد آيات القرآن ستة آلاف آية؛ ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك على أقوال: فمنهم من لم يزد على ذلك، ومنهم من قال: ومائتا آية وأربع آيات . وقيل: وأربع عشرة آية . وقيل: مائتان وتسع عشرة آية . وقيل: مائتان وخمس وعشرون آية وست وعشرون آية . وقيل: مائتان وست وثلاثون . حكى ذلك أبو عمرو الداني في كتاب «البيان» . وأما كلماته فقال: الفضيل بن شاذان عن عطاء بن يسار: سبع وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة .

وأما حروفه، فقال عبد الله بن جبير عن مجاهد: ثلاثمائة ألف حرف وأحد وعشرون ألف حرف . وقال سلام أبو عمدة الخاني: إن الحجاج جمع القراء والحفاظوا الكتاب فقال: أخبروني عن القرآن كله، كم من حرف هو؟ قال: نحسبناه، فأجمعوا على أنه ثلاثمائة ألف . وأربعمون ألف وسبعمائة وأربعمون حرفاً . قال: فأخبروني عن نصفه؛ فإذا هو إلى الغاء من قوله

في الكهف: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾^(١). وثلثة الأول عند رأس مائة من براءة، والثاني على رأس مائة أو إحدى ومائة من الشراء. والثالث إلى آخره. وسبعة الأول إلى الدال. في قوله: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ﴾^(٢) والسبع الثاني إلى التامعن قوله في الأعراف: ﴿حَبِطَتِ أَعْيُنُهُمْ﴾^(٣)، والثالث إلى الألف الثانية من قوله في الرعد: ﴿أَكْهَلًا﴾^(٤)، والرابع إلى الألف في الحج من قوله: ﴿جَعَلْنَا مَنَسْكَ﴾^(٥)، والخامس إلى الهاء من قوله في الأحزاب: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾^(٦)، والسادس إلى الواو من قوله في الفتح: ﴿الْفَائِزِينَ بِاللَّهِ عَلَى السَّوَاءِ﴾^(٧) والسابع إلى آخر القرآن.

قال سلام: علمنا ذلك في أربعة أشهر.

قالوا: وكان الحجاج يقرأ في كل ليلة ربع القرآن، فالأول إلى آخر الأنعام، والثاني إلى ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ من سورة الكهف، والثالث إلى آخر التؤمن، والرابع إلى آخر القرآن. وحكى الشيخ أبو عمرو الداني في كتاب «البيان» خلافاً في هذا كله.

وأما التحزيب والتجزئة فقد اشتهرت الأجزاء من ثلاثين كافي الربعات بالمدارس وغيرها. وقد أخرج أحمد في مسنده وأبو دلود وابن ماجه عن أوس بن حذيفة أنه سأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته: كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة. وحزب المفصل من «ق» حتى ينجم. أسند الزبيدي في كتاب الطبقات عن الليث بن سعد أول من قطف للمصحف أبو الأسود الدؤلي. وذكر أيضاً أن ابن سيرين كان له مصحف قطفه له يحيى بن يمر. وذكر أبو الفرج:

(٢) سورة النساء ٥٥

(٤) سورة الرعد ٣٥

(٦) سورة الأحزاب ٣٦

(١) سورة الكهف ١٩

(٣) سورة الأعراف ١٤٧

(٥) سورة الحج ٣٤ ، ٦٧

(٧) سورة الفتح ٦

أن زياد بن أبي سفيان أمر أبا الأسود أن ينقط للمصاحف . وذكر الجاحظ في كتاب « الأمصار » أن نصر بن عاصم أول من نقط للمصاحف ، وكان يقال له : نصر الحروف . وأما وضع الأعشار ؛ فعيل : إن للأمون المباسي أمر بذلك . وقيل : إن الجراح فعل ذلك .

واعلم أن عدد سور القرآن العظيم باثني عشر ألفاً وأربع مائة وعشرة سورة ؛ كما هي في المصحف العثماني ، وأولها الفاتحة وآخرها الناس . وقال مجاهد : وثلاث عشرة بمجلد الأنفال والتوبة سورة واحدة لاشتباه الطرفين وعدم البسلة . ويردّه تسمية النبي صلى الله عليه وسلم كلاً منهما . وكان في مصحف ابن مسعود اثنا عشر لم يكن فيها للموذنان ؛ لشبهة الرهنية ؛ وجوابه رجوعه إليهم ، وما كتب الكل . وفي مصحف أبي ست عشرة ؛ وكان دعاء الاستفتاح والقنوت في آخره كالسورتين . ولا دليل فيه لمواضعهم ؛ وهو دعاء كُتِبَ بعد الخُتْمَةِ .

وعدد آياته في قول علي رضي الله عنه : ستة آلاف ومائتان وثمان عشرة . وعطاء : ستة آلاف ومائة وسبع وسبعون . وحيد : ستة آلاف ومائتان واثنتا عشرة . وراشد : ستة آلاف ومائتان وأربع .

وقال حميد الأعرج ^(١) : نصفه (مِئَتَيْ صَبْرٍ) ^(٢) في الكهف ، وقيل : عِشْرِينَ (تَسْتَعْلِمُ) ^(٣) ، وقيل : ثَانِي لَامِي (وَلْيَتَلَطَّفْ) ^(٤) :

واعلم أن سبب اختلاف العلماء في عدد الآي والكلم والحروف أن النبي صلى الله عليه

(١) هو حميد بن ليس الأعرج ؛ أبو صفوان للكنى الفارسي ، توفي سنة ١٣٠ . (طبقات القراء

لابن الجزري ١ : ٢٦٥) .

(٢) سورة الكهف ، ٦٧

(٣) سورة الكهف ، ١٩

وسلم ، كان يقف على رموس الآى للتوقيف ؛ فإذا علم محلها وصل قلمها ؛ فيحسب السامع أنها ليست فاصلة .

وأيا البسلة نزلت مع السورة في بعض الأحرف السبعة ؛ فمن قرأ بحرف نزلت فيه عدتها ، ومن قرأ بنير ذلك لم يدها .

وسبب الاختلاف في الكلمة أن الكلمة لها حقيقة ومجاز ، ودرسم ؛ واعتبار كل منها جائز . وكل من العلماء اعتبر أحد الجوانز .

وأطول سورة في القرآن هي البقرة ، وأقصرها الكوثر .

وأطول آية فيه آية الدين^(١) ، مائة وثمانية وعشرون كلمة ، وخمسة وأربعون حرفا . وأقصر آية فيه (والضحى) ، ثم (والفجر) ؛ كل كلمة خمسة أحرف تقديرا ثم لفظا ، ستة رسما ؛ لا (مدهامتان)^(٢) لأنها سبعة أحرف لفظا ورسما ، وثمانية تقديرا ، ولا (ثم نقر)^(٣) لأنها كلمتان ، خمسة أحرف رسما وكتابة ، وستة أحرف تقديرا ؛ خلافا لبعضهم .

وأطول كلمة فيه لفظا وكتابة بلا زيادة (فأسقيناكموه)^(٤) أحد عشر لفظا ، ثم (اقتربتكموها)^(٥) عشرة ، وكذا (أنزلنكموها)^(٦) (والمستضعفين)^(٧) ثم (ليستخلفنهم)^(٨) تسعة لفظا ، وعشرة تقديرا .

وأقصرها نحو باء الجر ، حرف واحد ؛ لا أنها حرفان ؛ خلافا للمائى فيها .

(٢) سورة الرحمن ٦٤

(٤) سورة الحجر ٢٢

(٦) سورة هود ٢٨

(٨) سورة التور ٥٥

(١) سورة البقرة ٢٨٢

(٣) سورة المدثر ٢١

(٥) سورة التوبة ٢٤

(٧) سورة النساء ٧٥

فصل

[أنصاف القرآن ثمانية]

قال بعض القراء : إن القرآن العظيم له ثمانية أنصاف باعتبار آية .
فنصفه بالحروف : « النون » من قوله : ﴿ نُكْرًا ﴾ في سورة الكهف ، والكاف من نصفه
الثاني .

ونصفه بالكلمات « المال » من قوله : ﴿ والجلود ﴾ ^(١) في سورة الحج ، وقوله تعالى :
﴿ وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ ^(٢) من نصفه الثاني .
ونصفه بالآيات ﴿ يَأْفِكُونَ ﴾ ^(٣) من سورة الشعراء ، وقوله تعالى : ﴿ فَأَتَى السَّحْرَةَ ﴾ ^(٤)
من نصفه الثاني .
ونصفه على عدد السور ، فالأول الحديد ، والثاني من المجادلة .

فائدة

سئل ابن مجاهد : كم في القرآن من قوله : ﴿ إِلَّا غُرُورًا ﴾ ^(٥) فأجاب في أربعة
مواضع : من النساء وَصَبْحَانَ وَالْأَحْزَابِ وَقَاطِر .
وسئل الكسائي : كم في القرآن آية أولها شين ؟ فأجاب أربع آيات : ﴿ شَهْرُ
رَمَضَانَ ﴾ ^(٦) ، ﴿ شَهِدَ اللَّهُ ﴾ ^(٧) ، ﴿ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ ﴾ ^(٨) ، ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ

(٢) سورة الحج ٢١

(٤) سورة الشعراء ٤٦

(٥) قطر ٢٠

(٧) سورة آل عمران ١٨

(١) سورة الحج ٢٠

(٣) سورة الشعراء ٤٥

(٦) سورة النساء ١٢٠ ، الإسراء ٦٤ ، الأحزاب ١٢ ، قطر ٢٠

(٧) سورة البقرة ١٨٥

(٨) سورة الحديد ١٢١

الَّذِينَ^(١)]. وسئل: كم آية آخرها شين؟ [فأجاب]: اثنان: ﴿كَالْمِئِينَ لِلنَّفُوسِ﴾^(٢)، ﴿لِلْإِبِلَافِ قَرْنَيْنِ﴾^(٣).

وسئل آخر: كم ﴿حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾^(٤)؟ قال: خمسة؛ ثلاثة في الأنعام، وفي الحجر واحد، وفي النحل واحد.



أكثر ما اجتمع في كتاب الله من الحروف المتحركة ثمانية؛ وذلك في موضعين من سورة يوسف: أحدهما: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾^(٥)، فبين واو «كوكبا» وياء «رأيت» ثمانية أحرف، كلهن متحرك، والثاني قوله: ﴿حَتَّى يَأْتِيَ إِلَى أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾^(٦) على قراءة من حرك الياء في قوله ﴿لِي﴾، و﴿أَبِي﴾. ومثل هذين للوضعين ﴿سَتَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾^(٧).

وفي القرآن سور متواليات كل سورة تجمع حروف اللجيم؛ وهو من أول: ﴿الْمَ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾^(٨) إلى آخر القرآن.

وآية واحدة تجمع حروف اللجيم قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ...﴾^(٩) الآية. وسورة، كل آية منها فيها اسمه تعالى، وهي سورة المجادلة.

وفي الحج ستة آيات متواليات، في آخر كل واحدة منهن اسمان من أسماء الله تعالى، وهي قوله: ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ﴾^(١٠).

(٢) سورة الفارعة ٥

(١) سورة النورى ١٣

(٣) قرئى ١

(٤) سورة الأنعام ٨٣، ١٢٨، ١٣٩، الحج ٢٥، انمل ٦

(٥) سورة يوسف ٥

(٦) سورة يوسف ٨٠

(٧) سورة القصص ٣٥

(٨) سورة الانشراح ١

(٩) سورة الفتح ٢٩

(١٠) سورة الحج ٥٩

وفي القرآن آيات أولها : ﴿ قُلْ بَيِّنَاتٍ ﴾ ثلاث : ﴿ قُلْ بَيِّنَاتٍ النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي ﴾ ^(١) ، ﴿ قُلْ بَيِّنَاتٍ الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ ﴾ ^(٢) ، ﴿ قُلْ بَيِّنَاتٍ الْكَافِرُونَ ﴾ ^(٣) .

وفيه : ﴿ بَيِّنَاتٍ الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ ^(٤) ﴿ بَيِّنَاتٍ الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ ﴾ ^(٥) .

آية في القرآن فيها ستة عشر ميا، وهي : ﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ ... ﴾ ^(٦) الآية . وآية فيها ثلاث وثلاثون ميا : ﴿ بَيِّنَاتٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْسْتُمْ ﴾ ^(٧) .

سورة تزيد على مائة آية ليس فيها ذكر الجنة ولا نار ، سورة يوسف .

آية فيها (الجنة) مرتان : ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْعَابُ النَّارِ وَأَصْعَابُ الْجَنَّةِ أَصْعَابُ الْجَنَّةِ ﴾ ^(٨) .

ثلاث آيات متواليات : الأولى ردّ على للشبهة ، والأخرى ردّ على الجبهة ، والأخرى ردّ على للرجئة : قوله : ﴿ إِذْ نُسَوِّبُكُمْ رَبِّ الْمَالَيْنِ ﴾ ^(٩) ردّ على للشبهة ، ﴿ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴾ ^(١٠) ردّ على الجبهة ، ﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴾ ^(١١) ردّ على للرجئة .

ليس في القرآن « حاء » بعدها « حاء » لا حاجز بينهما إلا في موضعين في البقرة ﴿ عَقْدَةُ النَّكَاحِ حَتَّى ﴾ ^(١٢) ، وفي الكهف ﴿ لَا أُبْرِحُ حَتَّى ﴾ ^(١٣) .

- | | |
|---------------------|---------------------------|
| (٢) سورة الجمعة ٦ | (١) سورة يونس ١٠٤ |
| (٤) سورة الانشقاق ٦ | (٣) سورة الكافرون ١ |
| (٦) سورة هود ٤٨ | (٥) سورة الانشقاق ٦ |
| (٨) سورة المفسر ٢٠ | (٧) سورة البقرة ٢٨٢ |
| (١١) سورة الكهف ٦٠ | (٩) سورة الشعراء ٩٨ - ١٠٠ |
| | (١٠) سورة البقرة ٢٣٥ |

ليس فيه كآفة في كلمة واحدة لا حرف بينهما إلا في موضعين : في البقرة ﴿مَتَّاعِيكُمْ﴾^(١) ، وفي الدثر ﴿مَسَلَّكُمْ فِي سَفَرٍ﴾^(٢) .

وأما ما يتعلق بترتيبه ؛ فأما الآيات في كل سورة ووضع البسلة أوائلها فترتيبها توقيفي بلا شك ، ولا خلاف فيه ، ولهذا لا يجوز تمكيسها .

قال مكي وغيره : ترتيب الآيات في السور هو من النبي صلى الله عليه وسلم ، ولما لم يأمر بذلك في أول براءة تركت بلا بسلة .

وقال القاضي أبو بكر : ترتيب الآيات أمر واجب وحكم لازم ، فقد كان جبريل يقول : ضوا آية كذا في موضع كذا .

وأُسند البيهقي في كتاب «الدخل والدلائل» عن زيد بن ثابت قال : كنا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن إذ قال : «طوبى للشام» ، فقيل له : ولم ؟ قال : «لأن ملائكة الرحمن بأسطة أجنحتها عليه» . زاد في الدلائل : «نؤلف القرآن في الرقاع» . قال : وهذا يشبه أن يكون المراد به تأليف ما نزل من الآيات المتفرقة في سورها وجمعها فيها بإشارة النبي صلى الله عليه وسلم .

وأخرجه الحاكم في المستدرک ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقال : فيه البيان الواضح أن جمع القرآن لم يكن مرة واحدة ، قد جمع بعضه بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم جمع بحضرة أبي بكر الصديق ، والجمع الثالث - وهو ترتيب السور - كان بحضرة عثمان ؛ واختلف في الحرف الذي كتب عثمان عليه للمصحف ، فقيل : حرف زيد بن ثابت ، وقيل : حرف أبي بن كعب ؛ لأنه المرصاة الأخيرة التي قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعلى الأول أكثر الرواة . ومعنى حرف زيد ، أي قرأته وطريقته .

وفي كتاب « فضائل القرآن » لأبي عبيد عن أبي وائل، قيل لابن مسعود: إن فلانا يقرأ القرآن منكوساً، فقال: ذاك منكوس القلب . رواه البيهقي .
وأما ترتيب السور على ما هو عليه الآن فاختلف: هل هو توقيف من النبي صلى الله عليه وسلم، أو من فعل الصحابة، أو بفصل؟ في ذلك ثلاثة أقوال:

مذهب جمهور العلماء؛ منهم مالك، والقاضي أبو بكر بن الطيب، فيما اعتمدوا واستقر عليه رأيهم من [أحد] قولي - إلى الثاني، وأنه صلى الله عليه وسلم فوض ذلك إلى أمته بعده. وذهبت طائفة إلى الأول؛ والخلاف يرجع إلى إلفظ، لأن القائل بالثاني يقول: إنه رمز إليهم بذلك لهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته؛ ولهذا قال الإمام مالك: إنما ألغوا القرآن على ما كانوا يسمونه من النبي صلى الله عليه وسلم مع قوله بأن ترتيب السور اجتهاد منهم، فآل الخلاف إلى أنه: هل ذلك بتوقيف قول أم بمجرد استقراء فعل، وبحيث بقي لهم فيه مجال للنظر. فإن قيل: فإذا كانوا قد سمعوه منه، كما استقر عليه ترتيبه ففي ماذا اعلوا الأفكار؟ وأى مجال بقي لهم بعدهذا الاعتبار؟ قيل: قد روى مسلم في صحيحه عن حذيفة قال: «صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح سورة البقرة، قلت: يركع عند المائة، ثم مضى قلت: يصل بها في ركعة، فمضى، قلت: يركع بها. ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران...» الحديث. فلما كان النبي صلى الله عليه وسلم وبما فعل هذا إرادة للتوسعة على الأمة، وتبiana بالجليل تلك النعمة كان محلاً للتوقف، حتى استقر النظر على رأي ما كان من فعله الأكثر. فهذا محل اجتهادهم في المسألة.

والقول الثالث، مال إليه القاضي أبو محمد بن عطية: أن كثير من السور كان قد عُلِمَ ترتيبها في حياته صلى الله عليه وسلم كالسبع الطوال والحواميم والمفصل، وأشاروا إلى أن ما سوى ذلك يمكن أن يكون فوض الأمر فيه إلى الأمة بعده.

وقال أبو جعفر بن الزبير : الآثار تشهد بأكثر مما نصّ عليه ابن عطية ، ويبقى منها قليل يمكن أن يجري فيه الخلاف ، كتوبه : « اقرءوا الزهراوين : البقرة وآل عمران » . رواه مسلم . ولحديث سميد بن خالد : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبع الطوال في ركعة . رواه ابن أبي شيبة في مصنفه . وفيه أنه عليه الصلاة والسلام كان يجمع للفصل في ركعة . وروى البخاري عن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء : إنهن من العتاق الأول ؛ وهنّ من تلادى ؛ فذكرها نسفاً كما استقر ترتيبها . وفي صحيح البخاري أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ، ثم نَفَثَ فِيهَا قَرَأَ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ^(١) وللمؤدّتين .

وقال أبو جعفر النحاس : المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى ذلك عن علي بن أبي طالب ، ثم ساق بإسناده إلى أبي داود والطيالسي : حدثنا عمران القطان عن قتادة عن أبي الليث المفلح عن وائلة بن الأسقع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أُعْطِيَ مَكَانَ التَّوْرَةِ السَّبْعُ الطُّوَلُ ، وَأُعْطِيَ مَكَانُ الزَّبُورِ اللَّثْنِ ، وَأُعْطِيَ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ اللَّثْنَانِ ، وَفُضِّلَ بِالْفَصْلِ » .

قال أبو جعفر : وهذا الحديث يدل على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه مؤلف من ذلك الوقت ، وإنما جُمِعَ في الصحف على شيء واحد ؛ لأنه قد جاء هذا الحديث بلفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم على تأليف القرآن . وفيه أيضاً دليل على أن سورة الأنفال سورةٌ على حدة ، وليست من براءة .

قال أبو الحسين أحمد بن فارس في كتاب « المسائل الخس » : جُمِعَ الْقُرْآنُ عَلَى ضَرَبَيْنِ : أَحَدُهُمَا تَأْلِيفُ السُّورِ ، كَتَقْدِيمِ السَّبْعِ الطُّوَلِ وَتَقْيِيمِهَا بِالْمَثْنِ ؛ فَهَذَا الضَّرْبُ هُوَ

الذى تولاه الصحابة رضوان الله عليهم . وأما الجمع الآخر فضم الآى بعضها إلى بعض ، وتمييز القصة بالقصة ، فذلك شئ . تولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما أخبر بمجبريل عن أمر ربه عز وجل . وكذا قال : الكيرمانى فى البرهان : ترتيب السور هكذا هو عند الله وفى اللوح المحفوظ ، وهو على هذا الترتيب كان يرضى عليه السلام على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه ، وعرض عليه فى السنة التى توفى فيها مرتين .

وذهب جماعة من المفسرين إلى أن قوله تعالى : ﴿ فَأَتُوا بِشَرِّ سُوْرٍ ﴾^(١) معناه مثل البقرة إلى سورة هود ، وهى العاشرة . ومعلوم أن سورة هود مكية ، وأن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأفثال والتوبة مدنيات نزلت بعدها .

وفسر بعضهم قوله : ﴿ وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيْلًا ﴾^(٢) أى اقرأه على هذا الترتيب من غير تقديم ولا تأخير . وجاء النكير على من قرأه معكوسا . ولو حلف أن يقرأ القرآن على الترتيب لم يُلْزَم إلا على هذا الترتيب . ولو نزل القرآن جملة واحدة كما اقترحوا عليه لنزل على هذا الترتيب ؛ وإنما تفرقت سوره وآياته نزولا ، لحاجة الناس إليها حالة بعد حالة ؛ ولأن فيه الناسخ والنسخ ، ولم يكن ليجمعا نزولا . وأبلغ الحكم فى تفرقه ما قال سبحانه : ﴿ وَقُرْآنًا تَارِقْنَاهُ لِنُقَرِّأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْتَبٍ ﴾^(٣) وهذا أصل بُنى عليه مسائل كثيرة .

وقال القاضى أبو بكر بن الطيب : فإن قيل : قد اختلف السلف فى ترتيب القرآن ، فمنهم من كتب فى المصحف السور على تاريخ نزولها ، وقدم للسكى على اللذى . ومنهم جعل من أوله : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾^(٤) ؛ وهو أول مصحف على ، وأمام مصحف ابن مسعود ، فأوله ﴿ مَا لِكِ يَوْمَ الدِّينِ ﴾^(٥) ثم البقرة ، ثم النساء على ترتيب مختلف . وفى مصحف أبى كان أوله الحمد ،

(٢) سورة الزمل ٤

(٤) سورة الطق ١

(١) سورة هود ١٣

(٣) سورة الإسراء ١٠٦

(٥) سورة الفاتحة ٢

ثم النساء ، ثم آل عمران ، ثم الأنعام ، ثم الأعراف ، ثم المائدة ، على اختلاف شديد . فالجواب أنه يحتمل أن يكون ترتيب السور على ما هي عليه اليوم على وجه الاجتهاد من الصحابة رضی الله عنهم . وذكر ذلك مكي في سورة براءة ، وأن وضع البسملة في الأول هو من النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال أبو بكر بن الأنباري : أنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا ، ثم فرق في بضع وعشرين ، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث ، والآية جوابا لمستعبر ؛ ويقف جبريل النبي صلى الله عليه وسلم على موضع السورة والآية . فأتساق السور كانتساق الآيات والحروف ، كله عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم الآيات . قال القاضي أبو بكر : ومن نظم السور على السكي وللدي لم يدرك أين يضع القاعمة ، لاختلافهم في موضع نزولها ، ويضطر إلى تأخير الآية في رأس خمس وثلاثين ومائتين من البقرة إلى رأس الأربعين ، ومن أفسد نظم القرآن فقد كفر به .

تنبيه

[ترتيب وضع السور في المصحف]

لترتيب وضع السور في المصحف أسباب تطلع على أنه توقيفي صادر عن حكيم : أحدها بحسب الحروف ، كما في الحواميم . وثيها نالمواقة أول السورة لآخر ما قبلها ، كآخر الحمد في المعى وأول البقرة . وثالثها للوزن في اللفظ ، كآخر « نبت » وأول الإخلاص . ورابعها لمشابهة جملة السورة لجملة الأخرى مثل « والضحي » و « ألم نشرح » . قال بعض الأئمة : وسورة القاعمة تضمنت الإقرار بالربوبية ، والالتجاء إليه في دين الإسلام ، والصيانة عن دين اليهودية والنصرانية .

وسورة البقرة تضمنت قواعد الدين، وآل عمران مكلمة لتصودها؛ فالبقرة بمنزلة إقامة الدليل على الحكم، وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم؛ ولهذا قرن فيها ذكر التشابه منها بظهور الحجة والبيان؛ فإنه نزل أولها في آخر الأمر لما قدم وفد بجران النصارى، وآخرها يملق بيوم أحد. والنصارى تمسكوا بالتشابه، فأجيبوا عن شبههم بالبيان. ويوم أحد تمسك الكفار بالقتال قوبلوا بالبيان، وبه يعلم الجواب لمن تتبع التشابه من القول والفعل. وأوجب الحجج في آل عمران، وأما في البقرة فذكر أنه مشروع وأمر بتامه بعد الشروع فيه، ولهذا ذكر البيت والصفا واللوة. وكان خطاب النصارى في آل عمران أكثر، كما أن خطاب اليهود في البقرة أكثر؛ لأن التوراة أصل والإعجيل فرع لما، والنبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة دعا اليهود وجاهدهم، وكان جهاده للنصارى في آخر الأمر؛ كما كان دعاؤه لأهل الشرك قبل أهل الكتاب؛ ولهذا كانت السور المسكية فيها الدين الذي اتفق عليه الأنبياء، فغوطب بها جميع الناس والسور المدنية فيها خطاب من أقر بالأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين، فغوطبوا؛ بأهل الكتاب، يا بني إسرائيل. وأما سورة النساء فتضمنت جميع أحكام الأسباب التي بين الناس؛ وهي نوعان: مخلوقة لله تعالى، ومقدورة لهم؛ كالنسب والمهر، ولهذا افتتحها الله بقوله: ﴿رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾^(١) ثم قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾؛ وبين الذين يتساهلون ويتماقدون فيما بينهم؛ وما تعلق بذلك من أحكام الأموال والفروج والموارث. ومنها اليهود التي حصلت بالرسالة، والتي أخذها الله على الرسل.

وأما المائدة فسورة العقود، وبين تمام الشرائع؛ قالوا: وبها تم الدين، فهي سورة

التكليف . بها ذكر الوسائل كما في الأنفاس والأعراف ذكر المقاصد ، كالتحليل والتحرير ؛ كتحريم الدماء والأموال وعقوبة المتدين . وتحريم الخمر من تمام حفظ العقل والدين . وتحريم اللبنة والدم وللنخعة ، وتحريم الصيد على الحرم من تمام الإحرام . وإحلال الطيبات من تمام عبادة الله . ولهذا ذكر فيها ما يختص بشرية محمد صلى الله عليه وسلم كالوضوء والحكم بالقرآن ، قال تعالى : ﴿ لِكُلِّ جَمَلْنَا مِنْكُمْ شِرْقَةً وَمِنْهَا جَاءَ ﴾^(١) وذكر أنه من ارتد عوض الله بخير منه . ولا يزال هذا الدين كاملاً ؛ ولهذا قيل : إنها آخر القرآن نزولاً ، فأجلوا حلالها ، وحرّموا حرامها .

وهذا الترتيب بين هذه السور الأربع للدينيات : البقرة وآل عمران والنساء والمائدة من أحسن الترتيب ؛ وهو ترتيب للمصحف المثاني ، وإن كان مصحف عبد الله بن مسعود قلعت فيه سورة النساء على آل عمران ؛ وترتيب بعضها بعد بعض ليس هو أمراً أوجبه الله ، بل أمر راجع إلى اجتهداهم واختيارهم ، ولهذا كان لكل مصحف ترتيب ، ولكن ترتيب المصحف المثاني أكمل ؛ وإنما لم يكتب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم مصحف لثلاث يُغضى إلى تغييره كل وقت ، فلها تأخرت كتابته إلى أن كل نزول القرآن بموته صلى الله عليه وسلم ، فكتب أبو بكر والصحابة بعده ، ثم نسخ عثمان المصاحف التي بث بها إلى الأنصار .

فائدة

[سبب سقوط البسمة أول براءة]

اختلف في السبب في سقوط البسمة أول براءة ؛ قيل : كان من شأن العرب في الجاهلية إذا كان بينهم وبين قوم عهدٌ وأرادوا قضهً كتبوا لهم كتاباً ، ولم يكتبوا فيه

البسمة ؛ فلما نزلت « براءة » بنقض العهد الذي كان للكفار، قرأها عليهم على ولم يُبَسَل على ما جرت به عادتهم . ولكن في صحيح الحاكم أن عثمان رضى الله عنه قال : كانت الأقال من أوائل ما نزل وبراءة من آخره، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، وقضى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها، وظننا أنها منها، ثم فرقت بينهما، ولم أكتب بينهما البسمة . وعن مالك : أن أولها لما سقط سقطت البسمة .

وقد قيل : إنها كانت تمثل البقرة لظولها .

وقيل : لأنه لما كتبوا المصاحف في زمن عثمان اختلفوا : هل هما سورتان، أو الأقال سورة وبراءة سورة تركت البسمة بينهما ؟

وفي مستدرك الحاكم أيضا عن ابن عباس : سألت عليا عن ذلك فقال : لأن البسمة أمان ، وبراءة نزلت بالسيف ليس فيها أمان .

قال القشيري : والصحيح أن البسمة لم تكن فيها ؛ لأن جبريل عليه السلام ما نزل بها فيها .

فائدة

[في بيان لفظ السورة لفظ واصطلاحا]

قال القتيبي : السورة، تهمز ولا تهمز، فمن هزها جعلها من « أسارت »، أي أفضلت من الشؤر، وهو ما بقي من الشراب في الإناء كأنها قطعة من القرآن، ومن لم يهزها جعلها من اللفظ المتقدم ومهل هزتها .

ومنهم من شبهها بسور البناء، أي القطعة منه، أي منزلة بعد منزلة .

وقيل : من سُورِ المدينة لإحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع البيوت بالسُور ؛ ومنه السُّور لإحاطته بالساعد ؛ وعلى هذا قالوا وأصلية .

ويمحتمل أن تكون من السورة بمعنى المرتبة ؛ لأن الآيات مرتبة في كل سورة ترتيباً مناسباً ؛ وفي ذلك حجة لمن تنقيح الآيات بالمناسبات .

وقال ابن جنى في شرح منهوكه أبى نواس : إنما سميت سورة لارتفاع قلورها ؛ لأنها كلامُ الله تعالى ؛ وفيها معرفة الحلال والحرام ؛ ومنه رجل سَوَّار ، أى معرب ؛ لأنه يملو بفعله ويشط . ويقال : أصلها من السَّوْرَة وهى الوثبة ، قول : سُرْتُ إليه وثرْتُ إليه . وجمع سُورَة القرآن سُورٌ بفتح الواو ، وجمع سورة البناء سُورٌ بسكونها . وقيل : هو بمعنى العلو ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ إِذْ تَسَوَّرُوا لِلْحِرَابِ ﴾ ^(١) نزلوا عليهم علو ، فسميت القراءة به لتركب بعضها ^(٢) على بعض . وقيل : لعلو شأنه وشأن قارئه . ثم كره بعضهم أن يقال : سورة كذا ، والصحيح جوازُه . ومنه قول ابن مسعود : هذا مقام الذى أنزلت عليه سورة البقرة .

وأما فى الاصطلاح قال الجبهرى : حدَّ السورة قرآن يشتمل على آي ذوات فائحة وخاتمة . وأقلها ثلاث آيات . فإن قيل : فما الحكمة فى تقطيع القرآن سُوراً ؟ قلت : هى الحكمة فى تقطيع السور آيات معدودات ؛ لكل آية حدٌ ومطلع ؛ حتى تكون كل سورة بل كل آية فائحة مستقلة وقراءة متميزة ، وفى تسوير السورة تحقيق لكون السورة بمجردها معجزة وآية من آيات الله تعالى . وسُوِّرَت السُّور طويلاً وقصاراً وأسطاً ؛ تنبيهاً على أن الطول ليس من شرط الإيجاز ؛ فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات وهى معجزةٌ إيجازاً سورة البقرة . ثم ظهرت لذلك حكمةٌ فى التلخيص ، وتدرج الأطفال من السُّور القصار إلى

ما غرقها يسيراً يسيراً ، تيسيراً من الله على عباده لحفظ كتابه ، فترى القليل فرح بإتمام السورة فَرَحَ مَنْ حصل على حصةٍ معتبر . وكذلك للطَّيْل في التلاوة يرتاح عند ختم كل سورة ارتياح السافر إلى قطع للراحيل للسماة مرحلة بعد مرحلة أخرى ؛ إلى أن كل سورة تَمُتُ مُستقل ، فسورة يوسف تترجم عن قصته ، وسورة براءة تترجم عن أحوال الناقين وكامن أسرارهم ، وغير ذلك .

فإن قلت : فهلا كانت الكتب السابقة كذلك ؟ قلت : لوجهين : أحدهما أنها لم تكن معجزاتٍ من ناحية النظم والترتيب ، والآخر أنها لم تيسر للحفظ .

وقال الزمخشري : الفوائد في تفصيل القرآن وتعليمه سوراً كثيرة - وكذلك أنزل الله التوراة والإنجيل والزابور ، وما أوحاه إلى أنبيائه مسورة ، ويروى للصنفون في كتبهم أبواباً موشحة الصدور بالتراجيم : منها أن الجلس إذا انطوت تحته أنواع وأصناف كان أحسن وأنعم من أن يكون باباً واحداً . ومنها أن القارئ إذا ختم سورة أو باباً من الكتاب ثم أخذ في آخره كان أنشطه ، وأبست على التحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ، ومثله للسافر إذا قطع ميلاً أو فرسخاً وانتهى إلى رأس برية نفس ذلك منه ونشطه للسير ؛ ومن ثمة جزي القرآن أجزاء وأخاسا . ومنها أن الحافظ إذا حذق السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طاقةً معتقة فيعلم عنده ما حفظه . ومنه حديث أنس : كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جَلَّ فينا . ومن ثم كانت القراءة في الصلاة بسورة أفضل . ومنها أن التفصيل يُسبِّب تلاحق الأشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض ، وبذلك تتلاحظ للماني والنظم ؛ إلى غير ذلك من الفوائد .

فائدة

[في بيان معنى الآية لغة واصطلاحاً]

أما الآية فلها في اللغة ثلاثة معان :

أحدها - جماعة الحروف ، قال أبو عمرو الشيباني : قول العرب : خرج القوم بآيتهم أى بجماعتهم .

ثانيها - الآية : المعجب ، قول الرب : فلان آية في العلم وفي الجمال ، قال الشاعر :
آية في الجمال ليس له في الله حسن شبه وما له من نظير
فكان كل آية محجب في نظمها ، وللماني للودعة فيها .

ثالثها - العلامة ، قول العرب : خربت دار فلان وما بقي فيها آية ، أى علامة ؛ فكان كل آية في القرآن علامة ودلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

واختلف في وزنها قال سيبويه : « فَعْلَة » بفتح الميم ، وأصلها « أَيْيَة » تحركت الياء واختص ما قبلها فجاءت آية . وقال الكسائي : أصلها « آيِيَة » على وزن « فاعلة » ، حذفت الياء الأولى مخافة أن يلتزم فيها من الإدغام ما لم يذم في دابة .

وأما في الاصطلاح فقال الجبيري في كتاب « للفردي معرفة المبدء » : حدّ الآية قرآن مركب من جمل ولو تخذيرا ، ذو مبدأ ومقطع متدرج في سورة ؛ وأصلها العلامة ، ومنه : (إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ)^(١) لأنها علامة للفضل والصدق ، أو الجماعة ، لأنها جماعة كلمة .

وقال غيره : الآية طائفة من القرآن متقطعة عما قبلها وما بعدها ليس بينها شبه بما سواها .

وقيل : هي الواحدة من المدونات في السور ، سميت به لأنها علامة على صدق مَنْ أتى بها ، وعلى عَجَزِ المتحدّي بها .

وقيل : لأنها علامة إقطاع ما قبلها من الكلام وإقطاعها^(١) عما بعدها . قال الواحدى : وبعض أصحابنا يجوزُ على هذا القول تسمية أقل من الآية آية ، فلا أن التوقيف ورد بما هي عليه الآن .

وقال ابن النّير في البحر : ليس في القرآن كلمة واحدة آية إلا ﴿ مُدْهَمَاتَانِ ﴾^(٢) وقال بعضهم : الصحيح أنها إنما تُسمّى جوقيف من الشارع ، لا بحال للقياس فيه كمرّة السورة ، فالآية طائفة بحروف من القرآن ، عُلِمَ بالتوقيف إقطاعها معنى عن الكلام الذى بعدها في أول القرآن ، وعن الكلام الذى قبلها في آخر القرآن ، وعن الكلام الذى قبلها والذى بعدها في غيرها ، غير مشتمل على مثل ذلك . قال : وبهذا التّيد خرجت السورة . وقال الزّغشري : الآيات علم توقيف لا بحال للقياس فيه ، فدلوا ﴿ آلم ﴾ آية حيث وقعت من السورة للفتح بها ، وهي سِت^(٣) ، وكذلك ﴿ لَّس ﴾^(٤) آية ، و ﴿ لِّلرَّ ﴾^(٥) لم تعد آية ، و ﴿ الرَّ ﴾^(٦) ليست بآية في سورها الخس . و ﴿ طس ﴾^(٧) آية في سورتيها ، و ﴿ طه ﴾ و ﴿ يس ﴾ آيتان ، و ﴿ طس ﴾^(٨) ليست بآية ، و ﴿ حم ﴾^(٩) آية في سورها كلها و ﴿ حم عسق ﴾^(١٠) آيتان ، و ﴿ كهيمص ﴾^(١١) آية واحدة ، و ﴿ من ﴾ و ﴿ ق ﴾ و ﴿ ن ﴾ ثلاثها لم تعد آية : هذا مذهب الكوفيين ، ومنّ عظام لم يذوّا شيئا منها آية .

(١) ت : د وإقطاعه . (٢) سورة الرحمن ٦٤

(٣) البقرة ، آل عمران ، النّكيت ، الروم ، لقمان ، البقرة .

(٤) سورة الأعراف . (٥) سورة الرعد .

(٦) يونس ، هود ، يوسف ، إبراهيم ، الحجر .

(٧) الشعراء ، القصص . (٨) سورة النمل .

(٩) غافر ، فصلت ، التّورى ، الزخرف ، الحديد ، الجنّ ، الأحقاف .

(١٠) سورة التّورى . (١١) سورة مريم .

وقال بعضهم : إنما عدّوا ﴿يَس﴾ آية ولم يدّوا ﴿طَس﴾ لأن ﴿طَس﴾ تشبه المفرد ، كتأثيل في الزنة والحروف ، و ﴿يَس﴾ تشبه الجملة من جهة أن أوله ياء ، وليس لنا مفرد أوله ياء .

وقال القاضي أبو بكر بن العربي : ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن الفاتحة سبع آيات وسورة للثلاث ثلاثون آية ، وصح أنه قرأ العشر الآيات الخواتيم من سورة آل عمران . قال : وتزيد الآي من مفصلات القرآن ؛ ومن آياته طويل وقصير ، ومنه ما ينقطع ، ومنه ما ينضم إلى تمام الكلام ، ومنه ما يكون في أثناؤه ، كقوله : ﴿أَنصَتَ عَلَيَّهِمْ﴾^(١) على مذنب أهل المدينة ، فإنهم يدّونها آية . وينبغي أن يعول في ذلك على فصل السلف .



وأما الكلمة ، فهي القفظة الواحدة ، وقد تكون على حرفين مثل «ما» و «لى» و «له» و «لك» . وقد تكون أكثر . وأكثر ما تكون عشرة أحرف ، مثل : ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ﴾^(٢) ، و ﴿أَنزِلْ مَكُوهَا﴾^(٣) : و ﴿فَأَسْقِنَا كُوه﴾^(٤) : وقد تكون الكلمة آية مثل : ﴿وَالْفَجْرِ﴾ ، ﴿وَالضُّحَى﴾ ، ﴿وَالْمَصْرِ﴾ ، و كذلك ﴿آلَم﴾ ، و ﴿طَه﴾ ، و ﴿يَس﴾ ، و ﴿حَم﴾ في قول الكوفيين . و ﴿حَم عَسَق﴾ عندهم كلمتان ، وغيرهم لا يسمى هذه آيات بل يقول : هذه فواتح لسور .

وقال أبو عمرو الداني : لا أعلم كلمة هي وحدها آية إلا قوله : ﴿مُدْهَامَتَانِ﴾^(٥) في سورة الرحمن .

(٢) سورة النور ٥٥

(٤) سورة الحجر ٢٢

(١) الفاتحة ٦

(٣) سورة هود ٢٨

(٥) سورة الرحمن ٦٤

خاتمة

[في تعدد أسماء السور]

فقد يكون للسورة اسم وهو كثير وقد يكون لها اسمان، كسورة البقرة يقال لها : فسطاط القرآن لعظمها وبهائها . وآل عمران يقال اسمها في التوراة طيبة ، حكاه النقاش^(١) . والنحل تسمى سورة التعم لما عتد الله فيها من التعم على عباده . وسورة (حم عسق) ، وتسمى الشورى . وسورة الجاثية وتسمى الشريعة . وحورة محمد صلى الله عليه وسلم وتسمى القتال .

وقد يكون لها ثلاثة أسماء ، كسورة المائدة، والقصود، والنفقة . وروى ابن عطية حديثاً^(٢) ، وكسورة غافر ، والطلول ، والمؤمن ، لقوله : (وَقَالَ رَبُّهُمُ)^(٣) .

وقد يكون لها أكثر من ذلك ؛ كسورة براءة، والتوبة، والفاضحة ، والخافرة، لأنها خفرت عن قلوب المنافقين . قال ابن عباس : ما زال يزل (وَسَنُفِمْ) حتى ظننا أنه لا يبقى أحدٌ إلَّا ذُكِرَ فيها . وقال حذيفة : هي سورة العذاب . وقال ابن عمر : كنا ندعوها المشتقة . وقال الحارث بن يزيد : كانت تدعى المبعثرة . ويقال لها : السورة ، ويقال لها : البحوث^(٤) .

وكسورة الفاتحة ذكر بعضهم لها بضعة وعشرين اسماً : الفاتحة - وثبت في الصحيحين - وأم الكتاب وأم القرآن - وثبتا في صحيح مسلم - وحكى ابن عطية : كراهية تسميتها عن قوم ، والسبع المثاني ، والصلاة ثبتا في صحيح مسلم ، والحمد ، رواه الدارقطني .

(١) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن زياد القرطبي اللؤلؤي النقاش، صنف في التفسير والقراءات؛ وتولى سنة ٣٥١ (الكتاب ٣ : ٢٣٥) .

(٢) قوله عليه السلام : «سورة المائدة تدعى ملكوت الله للنفقة، تنفذ، صاحبها من أيدي ملائكة العذاب» . نقله القرطبي في التفسير ٦ : ٣٠ .

(٣) سورة غافر ٢٨

(٤) قال القرطبي : « لأنها تبحث عن أسرار المنافقين ، والمبعثرة : البحث » .

ومعيت مثنى لأنها تنفي الصلاة، أو أنزلت مرتين، والوافية بالقاء لأن تبييضها لا يجوز، ولا شملها على المعاني التي في القرآنت، والكنز لما ذكرنا، والشافية، والشفاء، والكافية، والأساس.

وينبغي البحث عن تعداد الأسامي : هل هو توقيفي أو بما يظهر من للناسبات ؟ فإن كان الثاني فلن يندم القطن أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسمائها^(١) وهو بعيد.

خاتمة أخرى

[في اختصاص كل سورة بما سميت^(٢)]

ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به ، ولا شك أن العرب تراعى في الكثير من المستيات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه ، أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى . ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها ، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز ؛ فكسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقريظة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة فيها . وسميت سورة النساء بهذا الاسم لما تردد فيها من كثير من أحكام النساء ، وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها ، وإن كان قد ورد لفظ الأنعام في غيرها ؛ إلا أن التفصيل الوارد في قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ ... ﴾^(٣) إلى قوله : ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ ﴾^(٤) لم يرد في غيرها ؛

(١) ت : هـ احتمالها • تحريف .

(٢) سورة الأنعام ١٤٢

(٣) هذه الخاتمة ساقطة من ت ، ط .

(٤) سورة الأنعام ١٤٤

كما ورد ذكرُ النساءِ في سُورَةٍ ؛ إلا أن ماتكرر ويُسَط من أحكامهن لم يرد في غير سورة النساء . وكذا سورة اللّائدة لم يرد ذكر اللّائدة في غيرها فسميت بما يخصّها .

فإن قيل : قد ورد في سورة هود ذكرُ نوح وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام ، فلم تختص باسم هود وحده ؟ وما وجه تسميتها به ؟ وقصة نوح فيها أطول وأوعب . قيل : تكررت هذه القصص في سورة الأعراف وسورة هود والشعراء بأوْعَب مما وردت في غيرها ، ولم يتكرر في واحدة من هذه السور الثلاث اسم هود عليه السلام كتكرره في هذه السورة ؛ فإنه تكرر فيها عند ذكر قصته في أربعة مواضع ، والتكرار من أقوى الأسباب التي ذكرنا .

وإن قيل : قد تكرر اسم نوح في هذه السورة في ست مواضع فيها ، وذلك أكثر من تكرار اسم هود . قيل : لما جُرِّدَت لذكر نوح وقصته مع قومه سورة برأسها فلم يقع فيها غير ذلك كانت أولى بأن تسمى باسمه عليه السلام من سورة تضمنت قصته وقصة غيره ، وإن تكرر اسمه فيها ؛ أما هود فكانت أولى السور بأن تسمى باسمه عليه السلام .

واعلم أن تسمية سائر سور القرآن يجرى فيها من رَغِي التسمية ما ذكرنا . وانظر سورة ﴿ ق ﴾ لما تكرّر فيها من ذكر الكلمات بلفظ التاف . ومن ذلك السور للفتحة بالحروف للقطعة ، ووجه اختصاص كل واحدة بما وليته ، حتى لم تكن لترد ﴿ آلم ﴾ في موضع ﴿ آل ﴾ ، ولا ﴿ حم ﴾ في موضع ﴿ طس ﴾ ؛ لاسيما إذا قلنا : إنها أعلام لما وأسماء عليها .

وكذا وقع في كل سورة منها ما كثر تردده فيها يتركب من كلماتها ؛ ويوضحه أنك إذا نظرت سورة منها بما يماثلها في عدد كلماتها وحروفها وجدت الحروف المفتحة بها تلك السورة لأفرادا وتركيبا أكثر عددا في كلماتها منها في نظيرتها وبعائلتها في عدد كلماتها وحروفها ؛ فإن لم تجد بسورة منها ما يماثلها في عدد كلماتها ففي أطراد ذلك في الثلاث بما

يوجد له التظير ما يشر بأن هذه لو وجد ما يماثلها جرى على ما ذكرت لك . وقد اطرّد
هذا في أكثرها حتى لكل سورة منها ألا يناسبها غير الوارد فيها؛ فلو وضع موضع ﴿ق﴾
من سورة ﴿ن﴾ لم يمكن لعدم التناسب الواجب مراعاته في كلام الله تعالى . وقد تكررت في
سورة يونس من الكلم الواقع فيها ﴿الر﴾ مائتا كلمة وعشرون أو نحوها، فلهذا افتتحت
بـ ﴿الر﴾ . وأقرب السور إليها بما يماثلها بعضها من غير الفتحة بالحروف للقطعة سورة النحل
وهي أطول منها مما يركب على ﴿الر﴾ . من كلمها مائتا كلمة، مع زيادتها في الطول عليها،
فذلك وردت الحروف للقطعة في أولها ﴿الر﴾ .

السُّبُوحُ الْمُشْتَمِلُ مَعْرِفَةَ أَسْمَاءِ وَاسْتِقْفَاتِهَا

[أسماء القرآن]

وقد صنف في ذلك الحرالي جزءاً وأنهى أصاحيه إلى نيف ونمين .
وقال القاضي أبو للمال عزيزي بن عبد لك رحه الله : اعلم أن الله تعالى سَمَّى القرآن
مُحْصَةً وخسین اسماً :

- سماء كتاباً فقال : ﴿ حَمِّ . وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ ^(١) .
وسماء قرآناً فقال : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ... ﴾ ^(٢) الآية .
وسماء كلاماً فقال : ﴿ حَقِّ يَسَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ ^(٣) .
وسماء نوراً فقال : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً ﴾ ^(٤) .
وسماء هدى فقال : ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(٥) .
وسماء رحمة فقال : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ ^(٦) .
وسماء فرقاناً فقال : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ... ﴾ ^(٧) الآية .
وسماء شفاءً فقال : ﴿ وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ ﴾ ^(٨) .
وسماء موعظةً فقال : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ ^(٩) .

- (٢) سورة الواقعة ٧٧
(٤) سورة النساء ١٧٢
(٦) سورة يونس ٥٨
(٨) سورة الإسراء ٨٢

- (١) سورة البخل ١ ، ٢
(٣) سورة التوبة ٦
(٥) سورة لقمان ٣
(٧) سورة الفرقان ١
(٩) سورة يونس ٥٧

- وسماه ذكرًا قال: ﴿وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ﴾^(١).
- وسماه كريمًا قال: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾^(٢).
- وسماه عليًا قال: ﴿وَأَنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّ حَكِيمٌ﴾^(٣).
- وسماه حكمة قال: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾^(٤).
- وسماه حكيمًا قال: ﴿الرَّ . ثَلَاثُ آيَاتِ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾^(٥).
- وسماه مهيمنًا قال: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾^(٦).
- وسماه مباركًا قال: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ . . .﴾^(٧) الآية .
- وسماه حبلًا قال: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾^(٨).
- وسماه الصراط للستقيم قال: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾^(٩).
- وسماه القم قال: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا . قِيمًا﴾^(١٠).
- وسماه فصلًا قال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾^(١١).
- وسماه نبأ عظيمًا قال: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ . عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾^(١٢).
- وسماه أحسن الحديث قال: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ . . .﴾^(١٣) الآية .
- وسماه تنزيلًا قال: ﴿وَأَنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ السَّالِمِينَ﴾^(١٤).
- وسماه رُوحًا قال: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾^(١٥).

(١) سورة الأنبياء ٥٠	(٢) سورة الواقعة ٢٧
(٣) سورة الزخرف ٢١	(٤) سورة القمر ٥
(٥) سورة يونس ٢٤١	(٦) سورة الواقعة ٢٨
(٨) سورة آل عمران ١٠٣	(٩) سورة الأنعام ١٥٣
(١٠) سورة الكهف ٢٤١	(١١) سورة الطارق ١٣
(١٢) سورة النبأ ٢٤١	(١٣) سورة الزمر ٢
(١٤) سورة الشعراء ١٩٢	(١٥) سورة الشورى ٥٢

- وسماه وخيا قال : ﴿ إِنَّا أَنْذِرُكُمْ بِالرُّوحِ ﴾ ^(١) .
وسماه للثاني قال : ﴿ وَقَدْ آتَيْنَاكَ سُبْحًا مِنَ الثَّانِي ﴾ ^(٢) .
وسماه عربياً قال : ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ ^(٣) ، قال ابن عباس : غير مخلوق .
وسماه قولاً قال : ﴿ وَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ ﴾ ^(٤) .
وسماه بصائر قال : ﴿ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ ﴾ ^(٥) .
وسماه بياناً قال : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ ^(٦) .
وسماه علماً قال : ﴿ وَلَئِنْ أَنْبِئْتَ أَهْوَائَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ ^(٧) .
وسماه حقاً قال : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ ^(٨) .
وسماه الهدى قال : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي ﴾ ^(٩) .
وسماه مجباً قال : ﴿ قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي ﴾ ^(١٠) .
وسماه تذكرة قال : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَذْكُرَةٌ ﴾ ^(١١) .
وسماه بالعروة الوثقى قال : ﴿ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ ^(١٢) .
وسماه مثلاً قال : ﴿ كِتَابًا مَثَلًا ﴾ ^(١٣) .
وسماه صدقاً قال : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ ﴾ ^(١٤) أى بالقرآن .
وسماه عدلاً قال : ﴿ وَنَمَتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ ^(١٥) .

(١) سورة الأنبياء ٥٥	(٢) سورة الحجر ٨٧
(٣) سورة الزمر ٢٨	(٤) سورة القصص ٥١
(٥) سورة البقرة ٢٠	(٦) سورة النساء ١٣٨
(٧) سورة الرعد ٣٧	(٨) سورة آل عمران ٦٢
(٩) سورة الإسراء ٩	(١٠) سورة الجن ٢٩
(١١) سورة الدھر ٥٤	(١٢) لقمان ٢٢
(١٣) سورة الزمر ٢٣ ، ٢٣	(١٤) سورة الأنعام ١١٥

وسماه إماماً قال : ﴿ سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ ﴾^(١) .
 وسماه أمراً قال : ﴿ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ ﴾^(٢) .
 وسماه بشري قال : ﴿ هُدًى وَبُشْرَى ﴾^(٣) .
 وسماه مجيداً قال : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴾^(٤) .
 وسماه زبوراً قال : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ ... ﴾^(٥) الآية .
 وسماه مبيناً قال : ﴿ الرَّ . تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾^(٦) .
 وسماه بشيراً ونذيراً قال : ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ ﴾^(٧) .
 وسماه عزيزاً قال : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾^(٨) .
 وسماه بلاغاً قال : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ ﴾^(٩) .
 وسماه قصصاً قال : ﴿ أَخَصَنَ الْقَصَصِ ﴾^(١٠) .
 وسماه أربة أسامى في آية واحدة قال : ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ . مَرْفُوعَةٍ
 مُّطَهَّرَةٍ ﴾^(١١) . انتهى .

تفسير هذه الأسامى

فأما الكتاب ؛ فهو مصدر كَتَبَ يكتب كتابةً ، وأصلها الجمع ، وسميت الكتابة
 لجمعها الحروف ؛ فاشتق الكتاب لذلك ؛ لأنه يجمع أنواعاً من القصص والآيات والأحكام
 والأخبار على أوجه مخصوصة . ويسمى للكتوب كتاباً مجازاً ، قال الله تعالى : ﴿ فِي كِتَابٍ

- | | |
|-----------------------|---------------------|
| (١) سورة آل عمران ١٩٣ | (٢) سورة الطلاق ٥ |
| (٣) سورة النمل ٢ | (٤) سورة الدروج ٢١ |
| (٥) سورة الأنبياء ١٠٥ | (٦) سورة يوسف ٢ ، ١ |
| (٧) سورة فصلت ٤ | (٨) سورة فصلت ٤١ |
| (٩) سورة إبراهيم ٥٢ | (١٠) سورة يوسف ٣ |
| (١١) سورة عبس ١٣ ، ١٤ | |

مَكْتُوبِينَ^(١) ، أى اللوح المحفوظ . والكتابة حركات قوم بحمل قدرة الكاتب ، خطوط موضوعة مجتمعة تدل على المعنى المقصود ؛ وقد يخط الكاتب فلا تدل على شئ . وأما القرآن فقد اختلفوا فيه ؛ فقليل : هو اسم غير مشتق من شئ ؛ بل هو اسم خاص بكلام الله ؛ وقيل : مشتق من الترمي ، وهو الجمع ؛ ومنه قرئت للملقى الخوض أى جمته ؛ قاله الجمهورى وغيره^(٢) .

وقال الراغب : لا يقال لكل جمع قرآن ولا يجمع كل كلام قرآن ؛ ولعل مراده بذلك في العرف والاستعمال لا أصل اللفظة .

وقال المروى : كل شئ جمته قد قرأته .

وقال أبو عبيد : سمي القرآن قرآناً ؛ لأنه يجمع السور بعضها إلى بعض .

وقال الراغب : سمي قرآناً لكونه يجمع ثمرات الكتب للنزلة الساجدة .

وقيل : لأنه يجمع أنواع العلوم كلها بجمان ؛ كما قال تعالى : ﴿ مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾^(٣) .

وقال بعض المتأخرين : لا يكون القرآن و « قرأ » مادته بمعنى جمع^(٤) ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَلَيْنَا بَعْثَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾^(٥) فباير بينهما ؛ وإنما مادته « قرأ » بمعنى أظهر وبين ؛ والقارئ يظهر القرآن ويخرجه ، والقرء : الدم ، لظهوره وخروجه . والقرء : الوقت ؛ فإن التوقيت لا يكون إلا بما يظهر .

وقيل : سمي قرآناً لأن القراءة عنه والتلاوة منه ؛ وقد قرئت بعضها عن بعض .

وفى تاريخ بغداد للخطيب في ترجمة الشافعي قال^(٦) : « وَقَرَأْتُ الْقُرْآنَ عَلَى إِسْمَاعِيلَ

(١) إلهان (قرأ)

(٢) م : « الجمع »

(٣) تاريخ بغداد ٢ : ٦٢

(١) سورة الواقعة ٧٨

(٢) سورة الأنعام ٣٨

(٣) سورة القيامة ١٧

ابن قسطنطين وكان يقول : القرآن اسم وليس مهموزا ؛ ولم يؤخذ من « قرأت » ؛ ولو أخذ من « قرأت » لكان كل ما قرئ [قرأنا]^(١) ولكنه اسم للقرآن ؛ مثل التوراة والإنجيل ، يهمز قرأت ، ولا يهمز القرآن .

وقال الواحدى : كان ابن كثير يقرأ بنير هز ، وهى قراءة الشافعى أيضا . قال البيهقى : كان الشافعى يهمز « قرأت » ولا يهمز القرآن ؛ ويقول : هو اسم لكتاب الله غير مهموز . قال الواحدى : قول الشافعى هو اسم لكتاب الله ، يبنى أنه اسم علم غير مشتق ، كما قاله جماعة من الأئمة .

وقال : وذهب آخرون إلى أنه مشتق من قرئتُ الشيء بالشيء إذا ضمته إليه فسى بذلك قرآن السور والآيات والحروف فيه ، ومنه قيل للجمع بين الحج والعمرة قرآن ، قال : وإلى هذا المعنى ذهب الأشعرى .

وقال القرطبى : القرآن بنير هز مأخوذ من القرائن ؛ لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضا ؛ ويشابه بعضها بعضا ، فهى حينئذ قرائن .

قال الزجاج : وهذا القول سهو ، والصحيح أن ترك الهمز فيه من باب التخفيف ؛ ونقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ؛ وهذا ما أشار إليه الفارسى^(٢) فى « الحلييات » ؛ وقوله : ﴿ إِنَّا عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ ﴾^(٣) أى جمعه فى قلبك حفظا ، وعلى لسانك تلاوة ، وفى سمعك فهمها وعلمها . ولهذا قال بعض أصحابنا : إن عند قراءة التارىئ تسمع قراءته المحلولة ، وينهم منها كلام الله القديم ؛ وهذا معنى قوله : ﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ ﴾^(٤) ، أى

(١) تكله من تاريخ بغداد .

(٢) هو الحسن بن أحمد بن عبد القنار ؛ أبو على الفارسى ؛ توفى سنة ٣٧٧ ينداد ؛ والحلييات أحد كتبه التى أجمعها المسائل الحلييات (إنباء الرواة ١ : ٢٧٣) .

(٣) سورة النجم ١٧

(٤) سورة فصلت ٢٦

لا تهموا ولا تمقوا لأن السمع الطبيعي يحصل للسامع شاء أو أبى .
وأما الكلام ففتق من التأثير ، يقال : كلمه إذا أثر فيه بالجرح ، فسئ الكلام
كلاما لأنه يؤثر في ذهن السامع فائدة لم تكن عنده .

وأما النور ؟ فلائه بدرك به غوامض الحلال والحرام .
وأما تسميته « هدى » فلأن فيه دلالة يئنه إلى الحق ، وتفرقا بينه وبين الباطل .
وأما تسميته « ذكرا » فلما فيه من اللواظ والتحذير وأخبار الأمم للآسية؛ وهو مصدر
ذكرت ذكرا ، والذكر : الشرف ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ
ذِكْرٌ لَكُمْ ﴾ ^(١) أى شرفكم .

وأما تسميته « نبيانا » فلائه بين فيه أنواع الحق وكشف أدلته .
أما تسميته « بلاغا » فلائه لم يصل إليهم حال أخبار النبي صلى الله عليه وسلم
وإبلاغه إليهم إلا به .

وأما تسميته « ميينا » فلائه أبان وفرق بين الحق والباطل .
وأما تسميته « بشيرا ونذيرا » فلائه بشر بالجنة وأنذر من النار .
وأما تسميته « عزيزا » أى مجز ويمز على من يروم أن يأتى بمثل فيتم ذلك عليه؛
قوله تعالى : ﴿ قُلْ لئنِ اجتمعتِ الأنسُ والجنُ ... ﴾ ^(٢) الآية ، والتقديم لا يكون له
مثل ؛ إنما المراد أن يأتوا بمثل هذا الإخبار والقراءة بالوضع البديع . وقيل للراد
بالعزى نقى الهامة عن قارنه إذا عمل به .

وأما تسميته «فرغانا» فلا تفرق بين الحق والباطل ، وللمسلم والكافر ، ولؤمن ولنافق ،
وبه سى عمر بن الخطاب القارق .

وأما تسميته «مثنى» فلا تفرق فيه بيان قصص الكتب للضية ، فيكون البيان ثانيا
الأول الذى تقدمه فبين الأول الثانى . وقيل سى «مثنى» لتكرار الحكم والقصص
وللواعظ فيه . وقيل : إنا اسم القامحة وحدها .

وأما تسميته «وحيا» ومعناه تعريف الشيء خفية ، سواء كان بالكلام ؛ كالأنبياء
وللائكة ، أو بإلهام كالتعل وإشارة التل ؛ فهو مشتق من الوحى والسجلة ، لأن فيه
إلهاما بسرعة وخفية .

وأما تسميته «حكيا» فلا تفرق آياته أحكت بذكر الحلال والحرام ، فأحكمت من الإتيان
بمثلا ؛ ومن حكته أن علامته : مَنْ علمه وعمل به ارتدع عن القواش^(١) .

وأما تسميته «مصدقا» فإنه صدق الأنبياء للماضين أو كتبهم قبل أن تنير وتبدل
وأما تسميته «مهيئا» فلا تفرق الشاهد للكتب للتقدمة بأنها من عند الله .

وأما تسميته «بلاغاً»^(٢) فلا تفرق كان فى الإعلام والإبلاغ وأداء الرسالة .

وأما تسميته «شفاء» فلا تفرق من آمن به كان له شفاء من سقم الكفر ، ومن علمه
وعمل به كان له شفاء من سقم الجهل .

وأما تسميته «رحمة» فإن مَنْ فهمه وعقله كان رحمة له .

وأما تسميته «قصصا» فلا تفرق فيه قصص الأمم للماضين وأخبارهم .

وأما تسميته «مجيدا» والمجيد الشريف ، فمن شرفه أنه حفظ عن التفسير والتبديل

(٢) سبق تحليل هذه التسمية فى الصفحة السابقة

(١) ت : « أن يدع القواش »

والزيادة والنقصان ، وجعله معجزاً في نفسه عن أن يؤتى بمثله .

وأما تسميته « تنزيلاً » فلا أنه مصدر نزَّلته ؛ لأنه منزلٌ من عند الله على لسان جبريل ، لأن الله تعالى أسمع جبريل كلامه وفهمه إياه كما شاء من غير وصف ولا كيفية نزل به على نبيه ، فأداهه هو كما فهمه وعلمه .

وأما تسميته « بصائر » فلا أنه مشتق من البصر والبصيرة ، وهو جامع لمعانى أغراض المؤمنين ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ ﴾^(١) .

وأما تسميته ذكرى فلا أنه ذكر للمؤمنين ؛ ما فطرهم الله عليه من التوحيد . وأما قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ﴾^(٢) فالمراد بالزبور هنا جميع الكتب المنزلة من السماء لا يختص بزبور داود ، والذكر أم الكتاب الذي من عند الله تعالى . وذكر الشيخ شبيب الدين أبو شامة في « للرشد الوجيز » قوله تعالى : ﴿ وَرَزَقْ رَبُّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾^(٣) قال : يبنى القرآن . وقال السخاوي : يبنى ما رزقك الله من القرآن خير مما رزقهم من الدنيا .

ملاحظة

ذكر المفسري^(٤) في تاريخه . لا جامع أبو بكر القرآن قال : سمّوه ، فقال بعضهم :

(١) سورة الأنعام ٥٩

(٢) سورة الأنبياء ١٠٥

(٣) سورة إبراهيم ٥٢

(٤) هو القاضي شهاب الدين إبراهيم بن عبد الله

بن أبي الدم الحنوي ؛ المتوفى سنة ٦٣٢ ؛ وتاريخه اختص بلغة الإسلامية . (كشف الظنون) .

سموه إنجيلا ، فكرهوه ، وقال بعضهم : سموه السَّفر ، فكرهوه من يهود . قال ابن مسعود : رأيت للعبث كتابا يدعو له المصحف فسموه به .

فائدة

قال الحافظ أبو طاهر السلفي^(١) : سمعت أبا الكرم النحوي ببغداد ؛ ومثله : كل كتاب له ترجمة ، فإترجمة كتاب الله ؟ قال : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ ﴾^(٢) .

(١) هو أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي الحافظ ، توفي سنة ٥٧٦ هـ (ابن خلكان ٣١:١)

(٢) سورة إبراهيم ٥٢

السَّيْحُ السَّادِسُ عَشَرَ
معرفة ما وقع فيه من غير لغة أهل البحار
من قبائل العرب

قد تقدم في النوع الحادى عشر^(١) الإشارة إلى اختلاف في ذلك ، والمعروف أنه بلغة قريش . وحكى عن أبى الأسود الدَّيْلَى أنه نزل بلسان الكسبيين : كَعْب بن لؤى جد قريش ، وكَعْب بن عمرو ، جد خُرَاعة ، قال له خالد بن سلمة : إنما نزل بلسان قريش ولسان خُرَاعة ؛ وذلك أن اللار كانت واحدة .

وقال أبو عبيد في كتاب « فضائل القرآن » عن ابن عباس رضى الله عنهما : نزل بلغة الكسبيين : كعب قريش ، وكعب خُرَاعة ؛ قيل : وكيف ذلك ؟ قال : لأن اللار واحدة . قال أبو عبيد : يعنى أن خُرَاعة جيران قريش ، فأخذوا بلهجتهم .

وأما الكَلْبَى فإنه روى عن أبى صالح عن ابن عباس قال : نزل القرآن على سبع لغات ؛ منها خمس بلغة العَجَز من هوازن^(٢) . قال أبو عبيد : السَّجَزُ هم سعد بن بكر ، وجشم [ابن بكر]^(٣) ، ونصر بن معاوية ، وقيف ، وهذه القبائل هى التى يقال لها عُلَيا هوازن^(٤) وهم الذين قال فيهم أبو عمرو بن العلاء : أفصح العرب عليا هوازن وسُفلى تميم ؛ فهذه عُلَيا هوازن ، وأما سفلى تميم فينبو دارم .

وقال أبو ميسرة : بكل لسان . وقيل : إن فيه من كل لغات العرب ؛ ولهذا قيل الشافى

(١) ص ٢١٩ - ٢٢١

(٢) نقله ابن فارس في الصحاح ص ٢٨

(٣) من كتاب الصحاح

(٤) ونقل ابن فارس عن أبى عبيد : « وأحب

أفصح هؤلاء بنو سعد بن بكر ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أفصح العرب ، يدأتني من قريش ، وأتى ثقات في بنى سعد بن بكر » ، وكان مسترضا فيهم .

في « الرسالة »^(١) : لا نملهُ يَحيَيطُ باللغة إلا نبيّ .

قال الصيرفي : يريد من بُثّ بلسان جماعة العرب حتى يخاطبها به .

قال : وقد فضّل الفراء لغة قريش على سائر اللغات ؛ وزعم أنهم يسمون كلامَ العرب فيخارون من كل لغة أحسنها ، فصفا كلامهم . وذَكَرَ قَبِيحٌ^(٢) عتمة تميم ، وكسكة^(٣) ربيعة ، وعجرفة قيس^(٤) . وذكر أن عمر رضى الله عنه قال : يا رسول الله ؛ إنك تأتينا بكلام من كلام العرب وما نعرفه ، ولنحنُ العربُ حقاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن ربي علمني فضلت ، وأدبني فأدبت » .

قال الصيرفي : ولست أعرف إسنادَ هذا الحديث ، وإن صحَّ فقد دلّ على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد عرف ألسنة العرب .

وقال أبو عمر بن عبد البر في « التمهيد »^(٥) : قولُ من قال : نزل بِلغة قريش ، معناه عندي : في الأغلب ، لأن لغة غير قريش موجودة في جميع القرآن من تحقيق المعزة ونحوها ، وقريش لا تهجز . وقد روى الأعمش عن أبي صالح عن ابن عباس قال : أنزل القرآن على صيغة أحرف صار في عَجَزِ هوازن منها خمسة .

وقال أبو حاتم : خصّ هؤلاء دون ربيعة وسائر العرب ، قرب جوارهم من مولد

(١) هي رسالة القاضي في الفقه على مذهب ؛ رواها جماعة وتناقصوا في شرحها ؛ ومنهم أبو بكر محمد بن عبد الله الصيرفي الثاني ؛ التوفى سنة ٣٣٠ (وانظر كشف الظنون ٨٧٣ ، وشفوات القعب ٢ : ٣٢٥)
(٢) عتمة تميم ، هي طلبهم المعزة في بعض كلامهم عينا ؛ يقولون : سمعت عن فلان قال كذا ، يريدون « أن » . وروى في حديث قيلة : تحب « عني » نائمة ؛ أرادت تحب « أني » الصاحي ٢٤
(٣) الكسكة في ربيعة : هي أن يصلوا بالكاف سينا ؛ فيقولون : « علكس » . الصاحي ٢٤
(٤) في الصاحي : « عجرفة قيس » وفي اللسان : « والعجرفة والعجرفة : الجفوة في السلام » .
(٥) هو كتاب التمهيد لا في اللوطا من اللطاني والأسانيد ؛ ذكره صاحب كشف الظنون .

النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنزل الوحي ؛ وإتاريسة ومضر أخوان . قال : وأحب الأقطار والقبائل إلينا أن تقرأ بها لسان قريش ، ثم أدام من بطون مضر .

وقال الشيخ جمال الدين بن مالك ^(١) : أنزل الله القرآن بلغة الحجازيين إلا قليلا فإنه نزل بلغة التميميين ؛ فن التليل إدغام : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ ﴾ ^(٢) في الحشر ، ﴿ وَمَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ﴾ ^(٣) في قراءة غير نافع ^(٤) وابن عامر ^(٥) ؛ فإن الإدغام في الجزوم والاسم للضعاف لغة تميم ولهذا قل ، والفك لغة أهل الحجاز ولهذا كثر ، نحو : ﴿ وَمَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ﴾ ^(٦) ، ﴿ وَلِيُمْلِكْ وَلِيَهُ ﴾ ^(٧) ، و ﴿ يُخَيِّبُكُمْ اللَّهُ ﴾ ^(٨) ، ﴿ وَيُؤَدِّدْكُمْ ﴾ ^(٩) ، ﴿ وَمَنْ يُشَاقِّقِ ﴾ ^(١٠) في النساء والأفعال ، ﴿ وَمَنْ يُحَادِّدِ اللَّهَ ﴾ ^(١١) ، ﴿ فَلْيَسُدِّدْ ﴾ ^(١٢) ، ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً ﴾ ^(١٣) ، و ﴿ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴾ ^(١٤) ، ﴿ وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي ﴾ ^(١٥) .

قال : وأجمع القراء على نصب ﴿ إِلَّا اتَّبَعَ الظَّنُّ ﴾ ^(١٦) لأن لغة الحجازيين

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك جمال الدين الطائي الشافعي ، صاحب الخلاصة ولامية الأصول ، وإكمال الأعلام ثلث الكلام ، وغيرها من كتب النحو والفقه . توفي سنة ٦٧٢ . (طبقات الشافعية : ٥ : ٢٨) .

(٢) سورة المفسر ٤ (٤) سورة البقرة ٢١٧

(٤) هو تميم بن عبد الرحمن بن أبي نعيم ، أبو عبد الرحمن البجلي ، أحد القراء الجعة . توفي سنة ١٦٩ (طبقات القراء لابن الجزري ٢ : ٣٣٣ - ٣٣٤) .

(٥) هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم الجعفي إمام أهل الشام القراء ، توفي بدمشق سنة ١١٨ (طبقات القراء لابن الجزري ١ : ٣٢٣) .

(٦) سورة البقرة ٢١٧ (٧) سورة البقرة ٢٨٢

(٨) سورة آل عمران ٣١ (٩) سورة توح ١٢

(١٠) سورة النساء ١١٥ ، الأفعال ١٣٠ (١١) سورة التوبة ٦٣

(١٢) سورة الحج ١٥ (١٣) سورة طه ٢٧

(١٤) سورة طه ٣١ (١٥) سورة طه ٨١

(١٦) سورة النساء ١٥٩

الزمام النصب في اللقطع ، وإن كان بنو تميم يقيمون ؛ كما أجمعوا على نصب ﴿ مَا هَذَا
بَشَرًا ﴾^(١) لأن القرآن نزل بلسة الحجازيين .
وزعم الزمخشري أن قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ
إِلَّا اللَّهُ ﴾^(٢) أنه استثناء منقطع ، جاء على لغة بني تميم ، ثم نازعه في ذلك .

(١) سورة يوسف ٣١

(٢) سورة النحل ٦٥

السنج الساب عشر

معرفة ما فيهم من غير لغة العرب

اعلم أن القرآن أنزله الله بلغة العرب ، فلا يجوز قراءته وتلاوته إلا بها ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾^(١) ، وقوله : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا . . . ﴾^(٢) الآية يدل على أنه ليس فيه غير العربي ؛ لأن الله تعالى جعله معجزة شاهدة لنبية عليه الصلاة والسلام ، ودلالة قاطعة لصدقه ، وليتحدثي الركب العرباء به ، وبمخاض البناء والنصحاء والشعراء بآياته ؛ فلو اشتغل على غير لغة العرب لم تكن له فائدة ؛ هذا مذهب الشافعي وهو قول جمهور العلماء ؛ منهم أبو عبيدة ، ومحمد بن جرير الطبري ، والقاضي أبو بكر بن العليب في كتاب « التقريب » ، وأبو الحسين بن فارس العمري وغيرهم .

وقال الشافعي في « الرسالة »^(٣) في باب البيان الخامس ما نصه : « وقد تكلم في العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه لكان الإمساك أولى به ، [وأقرب من السلامة له]^(٤) ، قال قائل منهم : إن في القرآن عربياً وأجمعياً ، والقرآن يدل على أنه ليس في كتاب الله شيء إلا بلسان العرب ، ووجد^(٥) قائل هذا القول من قيل ذلك منه خليفا له ، وتركا للسألة [له]^(٦) عن حجته ومسألة غيره ممن خالفه ؛ وبالتقليد أغفل من أغفل منهم ، والله يفر لنا ولهم » . هذا كلامه .

وقال أبو عبيدة فيما حكاه ابن فارس : « إِنَّا أَنْزَلَ الْقُرْآنَ لِسَانَ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول^(٧) ، ومن زعم أن كذا بالنبطية فقد أكبر القول . قال :

(١) سورة يوسف ٣

(٢) سورة فصلت ٤٤

(٣) الرسالة ص ٤١ تحقيق الأستاذ أحمد عبد شاكر ، طبعة مطبعي المجلد سنة ١٩٤٠

(٤) تشكلا من الرسالة .

(٥) في الأصول « وجدنا » ؛ وما انتهى عن الرسالة .

(٦) نقله الجوزي في اللغ ٤ « عن أبي عبيد الله : سمعت أبا عبيدة يقول : من زعم أن في القرآن

لسانا سوى العربية فقد أعظم على الله القول » .

ومعناه أى بأمر عظيم؛ وذلك أن القرآن لو كان فيه من غير لغة العرب شىء لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله؛ لأنه أى بلغات لا يرفونها، وفى ذلك ما فيه. وإن كان كذلك فلا وجه لقول من يُبَيِّرُ القراءة فى الصلاة بالفارسية؛ لأنها ترجمة غير معجزة، وإذا جاز ذلك لجازت الصلاة بكتب التفسير، وهذا لا يقول به أحد. انتهى.

ومن نقل عنه جواز القراءة بالفارسية أبو حنيفة؛ لكن صح رجوعه عن ذلك. ومذهب ابن عباس وعكرمة وغيرهما أنه وقع فى القرآن ما ليس من لغتهم.

فمن ذلك «الطور»: جبل بالسريانية. و«حلقا» أى قصدا بالرومية. والقسط والقسطاس: المئد بالرومية. ﴿إِنَّا هَذَا إِلَيْكَ﴾^(١): تبنا بالعبرانية. والسجل [الكتاب]^(٢) بالفارسية. والرقم: اللوح بالرومية. ولؤلؤ: عكر الزيت بلسان أهل الغرب. والسندس: الرقيق من الستر بالهندية. والإستبرق: الغليظ بالفارسية بحذف التاء^(٣). السرى: النهر الصغير باليونانية. طه: أى طأ يارجل بالعبرانية. يُصَمَّر: أى يَنْضَج بلسان أهل الغرب. سينين^(٤): الحسَن بالنبطية. للشكاة: الكوة بالحِشْيَة وقيل الزجاجة نرسج. الدرى: اللضى بالحِشْيَة. الأليم: اللؤلؤ بالعبرانية. ﴿نَاطِرِينَ إِنَاهُ﴾^(٥): أى نضجه بلسان أهل الغرب. ﴿لِللَّهِ الْآخِرَةُ﴾^(٦): أى الأولى بالنبطية، والقطب بسمون الآخرة الأولى، والأولى الآخرة. ﴿وَرَاءَهُمْ مَّكَ﴾^(٧): أى أمامهم

(١) سورة الأعراف ١٥٦

(٢) من كتاب الإتهان ١: ١٣٨، وفى الغرب ١٩٤: قوله تعالى: ﴿كِتَابُ السَّجِّدِ لِلْكِتَابِ﴾؛

فيل: السجل لغة الحبشة الرجل؛ وقيل كاتب لقي عليه اللام... قال أبو بكر سجل: كتاب، واهة أعلم.

(٣) فى الغرب ١٥: «الإستبرق: غليظ الديباج، فارسى مرب، وأصله: (استبره)».

(٤) الكلمة عرفة فى الأصول، والتصويب من الإتهان ١: ١٣٩، وفى الغرب ١٩٨: وفيه: وقيل:

حاروك؛ وقيل: هو الجبل الذى لاقى الله منه موسى.

(٥) سورة م ٧

(٥) سورة الأحزاب ٥٣

(٧) سورة السجدة ٧٩

بالتبعية . اليم : البحر ، بالتبعية . بطائنها^(١) : ظواهرها ، بالتبعية . الأب : الحشيش ، بلغة أهل الغرب . ﴿ إِنَّا نَكْشِئُ اللَّيْلَ ﴾^(٢) قال ابن عباس : نشأ بلغة الحبشة : قام من الليل . ﴿ كِفَايَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾^(٣) قال أبو موسى الأشعري رضى الله عنه : « ضِمْنَيْنِ » بلغة الحبشة . الصورة : الأسد بلغة الحبشة .

واختار الزجاجي أن التوراة والإنجيل أعجميان ، ورجح ذلك بقراءة « الأنجيل » بالفتح ، ثم اختلفوا ، قال الطبري : هذه الأمثلة للنسوبة إلى سائر اللغات إنما اتفق فيها أن تتوارد اللغات ، فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد . وحكاها ابن فارس عن أبي عبيد .

وقال ابن عطية^(٤) : « بل كان للعرب^(٥) العاربة التي نزل القرآن بلفظهم^(٦) بعض مخالطة^(٧) لسائر الألسن بصفات ، وبرزلحق قرش ، وبسر مسافرين ، كسر أي عمرو إلى الشام ، وسفر عمرو بن الخطاب ، وكسر عمرو بن الماص وعمارة بن الوليد إلى أرض الحبشة ، وكسر الأعشى إلى الحيرة ، وصحبتة [لنصاراها]^(٨) مع كونه حجة في اللغة ، فسلقت العرب بهذا كله ألفاظا أعجمية ، غيرت بعضها بالنقص من حروفها ، وجرت في تخفيف ثقل الصيغة ، واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها ، حتى جرت مجرى الرئي النصيح ، ووقع بها البيان . وعلى هذا الحد نزل بها القرآن ، فإن جهلها عربي فكسجه الصريح بما في لغة غيره ، وكالم يعرف ابن عباس معنى « فاطر » ، إلى غير ذلك . قال : خفية العبارة عن هذه الألفاظ أنها في الأصل أعجمية ، لكن استعملتها العرب وعربت بها فعى عربية بهذا الوجه .

(١) من قوله تعالى في سورة الرحمن ٤٠ : ﴿ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ .

(٢) سورة الزمل ٦

(٣) سورة الحديد ٢٨

(٤) من مقدمة كتابه في التفسير ص ٢٧٧

(٥) المقدمة : « فإنه قد كان » .

(٦) المقدمة : « مخالطة » تصحيف .

(٧) المقدمة : « بلاتها » .

(٨) من المقدمة .

قال : « وما ذهب إليه الطبري من أن اللتين اتفقتا في لفظة ^(١) فذلك بعيد ؛ بل إحداها أصل والأخرى فرع في الأكثر ، لأننا لا ندفع أيضا جواز الانقاعات ^(٢) إلا قليلا شاذا . » وقال القاضي أبو المالح عزري بن عبد الملك : إنما وجدت هذه في كلام العرب ؛ لأنها أوسع اللغات وأكثرها ألفاظا ، ويجوز أن يكون العرب قد سبقها غيرهم إلى هذه الألفاظ ، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى كافة الخلق ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ ﴾ ^(٣) .

وحكى ابن فارس عن أبي عبيد القاسم بن سلام أنه حكى الخلاف في ذلك ، ونسب القول بوقوعه إلى الفقهاء ، وللحق إلى أهل العربية . ثم قال أبو عبيد ^(٤) : « والصواب عندى مذهب فيه تصديق القولين جميعا ؛ وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعمجية كما قال الفقهاء ، إلا أنها سقطت إلى العرب فمربها بالسنها ، وحوّلها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية ، ثم زل القرآن ، وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب ، فمن قال إنها عربية فهو صادق ، ومن قال أعمجية فصادق » . قال : « وإنما فسر هذا لثلاثي يقدم أحد على الفقهاء فينسبهم إلى الجهل ، ويتوهم عليهم أنهم أقدموا على كتاب الله بغير ما أَرَادَهُ [الله جلّ وعز] ^(٥) ، فهم كانوا أعلم بالتأويل وأشدّ تعظيما للقرآن » .

قال ابن فارس ^(٦) : « وليس كل من خالف قائلا في مقاله ينسب ^(٧) إلى الجهل ؛ فقد اختلف الصدر الأول في تأويل [آي من] ^(٨) القرآن » ^(٩) .

قال : « فالتقول إذن ما قاله أبو عبيد ، وإن كان قوم من الأوائل قد ذهبوا إلى غيره » .

(١) المقدمة : « لفظة لفظة » .

(٢) المقدمة : « الاتفاق » .

(٣) سورة إبراهيم ٤

(٤) قال ابن فارس في الصحاح ٢٩

(٥) من كتاب الصحاح .

(٦) المصدر نفسه .

(٧) الصحاح : « فقد نيه » .

(٨) الصحاح : « وذلك أن الصدر » .

(٩) تنبيه الكلام : « يخالف بعضهم بعضا ، ثم خلف من يدم خلف ، فأخذ بعضهم يقول ، وأخذ

بعض يقول ، حسب اجتهدهم وما دلتهم الدلالة عليه » .

النوع الثامن عشر معرفة غريب

وهو معرفة للدلول ؛ وقد صنف فيه جماعة ؛ منهم أبو عبيدة كتاب « المجاز » ،
وأبو عمر غلام ثعلب^(١) : « ياقوتة الصراط » . ومن أشهرها كتاب ابن عَزَّيْر^(٢) ،
و « الغريبين »^(٣) لهروبي . ومن أحسنها كتاب « للفردات » لراغب .

وهو يتصيد للماني من السياق ؛ لأن مدلولات الألفاظ خاصة . قال الشيخ أبو عمرو
ابن الصلاح : وحيث رأيت في كتب التفسير : « قال أهل الماني » فالمراد به مصنفو الكتب
في معاني القرآن ، كالزجاج ومن قبله .. وفي بعض كلام الواحدي : « أكثر أهل الماني :
القراء والزجاج وابن الأنباري قالوا كذا » . انتهى .

ويحتاج الكاشف عن ذلك إلى معرفة علم اللغة : اسما وقصلا وحرفا ؛ فالحروف تلتها
تكلم النحاة على معانيها ؛ فيؤخذ ذلك من كتبهم .

وأما الأسماء والأفعال فيؤخذ ذلك من كتب اللغة . وأكثر الموضوعات في علم اللغة
كتاب ابن سيّد^(٤) ؛ فإن الحافظ أبا محمد على بن أحمد الفارسي ذكر أنه في مائة سفر ؛ بدأ

(١) هو أبو عمر محمد بن عبد الواحد المعروف بالزاهد ، توفي سنة ٣٥٥ . (إنباه الرواة ٣ : ١٧١)

(٢) هو محمد بن عزيز الغزيري السجستاني ، صاحب كتاب غريب القرآن : قال السيوطي في الإحسان

١ : ١١٣ : « أهم في تأليفه بحر رموعه وخبثه أبو بكر بن الأنباري » ؛ وتوفي سنة ٣٣٠ . (ضية الوعاة ٧٢)

(٣) هو غريب القرآن والحديث لأحمد بن محمد الهروي التوفي سنة ٤٠١ . (نشرة المجلس الأعلى للثقافة
الإسلامية ، جعقيق الأستاذ محمود الطنحلي) .

(٤) في الأصل : « ابن السيد » تصحيف ؛ وهو أحمد بن أبيان بن سيد القرطبي ، توفي سنة ٣٨٢ ؛ وكتابه

هو : « المالم في اللغة » مرتب على الأجناس ؛ ذكره القسطلاني وياقوت ، (واظنر معجم الأدباء ٢ : ٢٠٣ ،

وإنباه الرواة ١ : ٣٠) .

بالفلك وختم بالقرّة . ومن الكتب للطوّلة كتاب الأزهري و « اللوعب »^(١) لابن التّياني و « الحكم » لابن سيده^(٢) ، وكتاب « الجامع » لقتاز^(٣) ، و « الصحاح » للجوهري^(٤) ، و « البارع » لأبي علي القتالي^(٥) ، وجمع « البحرين » للصاغاني^(٦) .

ومن الموضوعات في الأفعال كتاب ابن القوطية^(٧) ، وكتاب ابن طريف^(٨) ، وكتاب السّرّسطلّي المنبوز بالحمار^(٩) ، ومن أجمعها كتاب ابن القطّاع^(١٠) .

ومعرفة هذا الفن للمفسّر ضروري ، وإلا فلا يحلّ له الإقدام على كتاب الله تعالى . قال يحيى بن فضالة الديني : سمعتُ مالك بن أنس يقول : لا أوتي برجل يفسّر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا .

وقال مجاهد : لا يحلّ لأحدٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن

عالمًا بلغات العرب

(١) في الأصول « للتعريب » ؛ وصوابه من التاج (بين) ، جاء فيه : « هو أبو غالب تمام بن غالب ابن عمرو للرسي التّياني » صاحب اللوعب وشارح القصص .

(٢) هو علي بن إسماعيل بن سيده الضريبر ، صاحب الخصص والحكم ؛ توفي سنة ٤٤٨ . (إنباه الرواة ٢ : ٢٢٥) .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن جعفر القيرواني القزاز ؛ من شيوخ المغرب ؛ توفي سنة ٤١٢ . (بنية الوعاة)

(٤) هو إسماعيل بن حماد أبو نصر ؛ إمام اللغة والأدب في عصره ، توفي سنة ٣٩٣ (بنية الوعاة ١٩٥) .

(٥) هو إسماعيل بن القاسم بن عيذون البغدادي للمروف بالقالي ؛ صاحب الأمالي والناوادر والبارع ، توفي سنة ٣٥٦ (بنية الوعاة ١٩٨) .

(٦) هو الإمام حسن بن محمد الصغاني ، للتوفى سنة ٦٥٠ ؛ جمع في كتابه بين كتاب تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ، وبين كتاب التكملة والقبيل والصلة من تأليفه (كشف الظنون ١٥٩ : ١٥٩) .

(٧) هو محمد بن عمر بن عبد العزيز القرطبي للمروف بابن القوطية ؛ صاحب كتاب تصانيف الأفعال وغيرها . توفي سنة ٣٦٧ (بنية الوعاة ٨٤) .

(٨) هو عبد الملك بن طريف الأنطلسي ؛ أخذ عن أبي بكر بن القوطية ، وتوفى في حدود سنة ٤٠٠ ، (بنية الوعاة ٣١٣) .

(٩) هو أبو عثمان سعيد بن محمد السّرّسطلّي المنبوز بالحمار ؛ ذكره صاحب كشف الظنون ١٣٣ .

(١٠) هو علي بن جعفر بن علي السمدى الصقلّي للمروف بابن القطّاع ؛ صاحب كتاب الهدى المخططة في شعر أهل الجزيرة ؛ وكتاب تهذيب الأفعال . توفي بمصر سنة ٥١٥ (إنباه الرواة ٢ : ٢٣٨) .

وروى عكرمة عن ابن عباس قال : اذا سألتوني عن غريب الله فاعلموه في الشرع ؛
فلان الشر ديوان العرب .

وعنه في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلُ وَمَا وَصَّى ﴾ ^(١) قال : « ما جمع » ، وأشد :
إِنَّ لَنَا قَلَامًا حَسَنًا مستوفات لويحدهن ساقا ^(٢)

وقال : ما كنت أدرى ما قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ
خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ ^(٣) ، حتى سمعت ابنة ذى يَزَنَ الحميري وهي تقول : أفتحك ، بفتح الفاء ،
وفي سورة السجدة : ﴿ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ^(٤) بفتح متى هذا الفتح ،
وقوله : ﴿ وَهُوَ الْفَتْحُ الْعَلِيمُ ﴾ ^(٥) وقوله : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ ^(٦) .
وقال أيضا : ما كنت أدرى ما فطر السموات والأرض حتى أتاني أعريان مضمعان
في بئر ، قال أحدهما : أنا فطرتهما ؛ بفتح الباء .

وجاءه رجل من هذيل ، قال له ابن عباس : ما فعل فلان ؟ قال : مات وترك أربعة
من الولد وثلاثة من الورا ، قال ابن عباس : ﴿ فَبَشِّرْهُنَّ بِمَا يَسْعَاكُ وَمَنْ ذَاكِ
يَعْقُوبُ ﴾ ^(٧) . قال : ولد الولد .

ومسائل نافع ^(٨) له عن مواضع من القرآن واستشهد ابن عباس في كل جواب

(١) الانشقاق ١٧	(٢) اللسان (وصي) ولبه للي السجاء .
(٣) سورة الأعراف ٨٩	(٤) سورة السجدة ٢٨
(٦) سورة الفتح ١	(٥) سورة سبأ ٢٦
	(٧) سورة هود ٧١

(٨) قلها السيوطي في الإحسان ١ : ١٢٠ - ١٣٣ ، وجاء في صدرها : « بينا عبد الله بن عباس جالس
ببناء الكعبة قد اكتشفه الناس بألوهة عن تفسير القرآن ؛ فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر : قم بنا إلى
هذا الذي يجترى على تفسير القرآن بما لا عليه ، فقاما إليه فقالا : إنا نريد أن نأفك عن أشياء من كتاب الله
نفسر ما لنا وتأتينا بمصادقة من كلام العرب ؛ فلما سمعنا أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، فقال ابن عباس :
سلاني عما بدا لكما ، فقال نافع : أخبرني عن قول الله تعالى : ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ عِزِّينَ ﴾ ،
فقال : المزون : حتى الرقعة قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عبيد بن الأبرس وهو يقول :
فلجأوا يهرعون إليه حتى يَكُونُوا حول منبره عِزِّينَا

ثم يسأل بقية المسائل . . .

يت ذكرها الأبارى في كتاب «الوقف والابتداء» بإسناده ، وقال : فيه دلالة على بطلان قول من أنكر على النحويين احتجاجهم على القرآن بالشعر ، وأنهم جعلوا الشعر أصلاً للقرآن ، وليس كذلك ، وإنما أراد النحويون أن يثبتوا الحرف القريب من القرآن بالشعر ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ ^(١) ، وقال تعالى : ﴿ يَلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ ^(٢) .

وقال ابن عباس : الشعر ديوان العرب ، فإذا خفي عليهم الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغتهم رجسوا إلى ديوانهم ، فالتبسوا معرفة ذلك . ثم إن كان ما تضمنته ألفاظها يوجب العلم دون العلم كفى فيه الاستشهاد بالبيت والبيتين ، وإن كان ما يوجب العلم لا يكف ذلك ، بل لا بد من أن يستفيض ذلك اللفظ ، وتكثر شواهد من الشعر .

وينبغي العناية بتدبر الألفاظ كي لا يقع الخطأ ، كما وقع لجماعة من السكبار ، فروى الخطابي عن أبي المالية أنه سئل عن معنى قوله : ﴿ الَّذِينَ نُمَّ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ ^(٣) قال : هو الذي ينصرف عن صلاته ولا يدرى عن شفع أو وتر ، قال الحسن : مَهْ يَا أَبَا المالية ! ليس هكذا ، بل الذين سهوا عن ميقاتهم حتى تفوتهم ، ألا ترى قوله : ﴿ عَنْ صَلَاتِهِمْ ﴾ ! فلما لم يتدبر أبو المالية حرف « في » و « عن » تنبه له الحسن ، إذ لو كان المراد ما فهم أبو المالية فقال : « في صلاتهم » ، فلما قال : « عن صلاتهم » دل على أن المراد به النعاس عن الوقت ، ولذلك قال ابن قتيبة في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَمَسُّ مِنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ ﴾ ^(٤) أنه من عَشَوْتُ أعشعشوا : إذا نظرت ، وغلظت في ذلك ، وإنما معناه يمرض ، وإنما غلط لأنه لم يفرق بين عشوت إلى الشيء وعشوت عنه .

(٢) سورة الشعراء ١٩٥

(٤) سورة الزخرف ٣٦

(١) سورة يوسف ٢

(٣) سورة المؤمن ٥

وقال أبو عبيدة في قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ قُودًا لِّمُوسَىٰ قَارِعًا ۖ ﴾^(١) قال : قارعا من الحزن ، لعلها أنه لم يفرق ؛ ومنه ؛ « دم فراغ » ، أي لا قود فيه ولا دية .
وقال بعض الأدباء : أخطأ أبو عبيدة في المعنى ؛ لو كان قلبها قارعا من الحزن عليه للمقال : ﴿ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا هَلَّىٰ قَلْبَهَا ۖ ﴾^(٢) لأنها كادت تبدى به .

وهذا الباب عظيم الخطر ؛ ومن هنا سبب كثير من السلف تفسير القرآن ، وتركوا القول فيه حذرا أن يزولوا فيذهبوا عن المراد ؛ وإن كانوا علماء باللسان قهها في الدين . . . وكان الأصمعي وهو إمام اللغة لا يفسر شيئا من غريب القرآن ، وحكى عنه أنه سئل عن قوله تعالى : ﴿ شَفَّهْنَا حَبًّا ۖ ﴾^(٣) فسكت وقال : هذا في القرآن ، ثم ذكر قولا لبعض العرب في جارية قوم أرادوا بيعها : أتبيعونها وهي نكح شفافا ولم يرد على هذا . ولهذا حدث النبي صلى الله عليه وسلم على تعلم إعراب القرآن وطلب معاني العربية .

واعلم أنه ليس لغیر العالم بمقائق اللغة وموضوعاتها تفسير شيء من كلام الله ، ولا يمكن في حق تعلم السير منها ، قد يكون اللفظ مشتركا وهو يعلم أحد المعنيين والمراد للمعنى الآخر ، وهذا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما من أفصح قريش ، سئل أبو بكر عن « الأب » قال : أبو بكر : أي سماء تظلي ، وأي أرض تظلي إذا قلت في كلام الله مالا أعلم وأقرأ عرسورة « عبس » ، فلما بلغ « الأب »^(٤) قال : الفاكهة قد عرفناها ، فإنا « الأب » ؟ ثم قال : لعمرك يا ابن الخطاب إن هذا هو التكلف . وروى عنه أيضا أنه قال : ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۖ ﴾^(٥) وفي رواية قال : فإنا « الأب » ؟ ثم قال : ما كلفنا ، أو ما أمرنا بهذا .

وما ذاك يجمل منها لمعنى « الأب » ؛ وإنما يعمل والله أعلم أن « الأب » من الألفاظ المشتركة في لغتهما أوفى لغات ، فحشا إن فسرها بمعنى من معانيه أن يكون المراد غيره ، ولهذا اختلف

(١) سورة يوسف ٣٠

(٢) سورة آل عمران ٧

(٣) سورة القصص ١٠

(٤) سورة عبس ٣١

الفسرون في معنى «الأب» على سبعة أقوال، قيل: ما رعاها البهائم، وأما ما يأكله الآدمي فالحصيد. والثاني: التبن خاصة. والثالث: كل ما نبت على وجه الأرض. والرابع: مسوى الفاكهة. والخامس: الثمار الرطبة، وفيه بُد، لأن الفاكهة تدخل في الثمار الرطبة، ولا يقال: أفردت للتفضيل، إذ لو أريد ذلك لتأخر ذكرها نحو: «فاكهة ونخل ورمان». والسادس: أن رطب الثمار هو الفاكهة ويابسها هو الأب. والسابع أنه للانعام كالفاكهة للنس.

ويحتمل قول عمر غير ما سبق وجهين: أحدهما أن يكون خفي عليه معناه وإن شهر، كما خفي على ابن عباس معنى «فاطر السموات». والثاني تخويف غيره من التمرض للتفسير بما لا يعلم؛ كما كان يقول: أفلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا شريككم، يريد الاحتراز، فإن من احترز قلت روايته.

السُّعُ الثَّاسِعُ عَشَرَ مَعْرِفَةُ التَّصْرِيفِ

—

وهو ما يلحق الكلمة بينيما^(١)، وينقسم قسمين :

أحدهما جعل الكلمة على صيغ مختلفة بضروب من اللامى . وينحصر فى الصغير ،
والتكبير^(٢) ، والمصدر ، واسمى الزمان والمكان ، واسم الفاعل ، واسم للمفعول ،
والمقصود ، والممدود .

والثانى تغيير الكلمة لمدى طارئ عليها . وينحصر فى الزيادة ، والحذف ، والإبدال ،
والقلب ، والنقل ، والإدغام .

وقائدة التصريف حصول اللامى المختلفة للتشبية عن معنى واحد ؛ فالعلم به أهم من
معرفة النحو فى أمرى الفنة ؛ لأن التصريف نظير فى ذات الكلمة والنحو نظير فى عوارضها^(٣)
وهو من العلوم التى يحتاج إليها للفسر .

قال ابن فارس^(٤) : من فاته علمه فاته اللطم ؛ لأننا نقول « وجد » كلمة مبهمة ، فإذا
صرفناها انضحت^(٥) ، قلنا فى اللال « وَجَدَا » وفى الضالة : « وَجَدَانَا » وفى الغضب
« مَوْجِدَةٌ » وفى الحزن « وَجَدَا » وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا التَّاغُيُوتُ فَكَانُوا بِجَهَنَّمَ

(٢) م : « التكبير » .

(١) ت : « بينهما »

(٣) ت : « مراضها » .

(٤) الصحاح ١٦٢

(٥) فى الصحاح : « انضحت » .

حَتَابًا^(١) ، وقال تعالى : ﴿ وَأَقْبِلُوا لِيِنَّ اللَّهَ يُحِبَّ الْقَاسِمِينَ ﴾^(٢) ؛ فانظر كيف تحول المعنى بالتصريف من الجور إلى العدل^(٣) .

ويكون ذلك في الأسماء والأفعال ؛ فيقولون للطريق في الرمل : « خَبَّة » ، وللأرض الخصبية والمجدبة « خَبَّة »^(٤) ، وغير ذلك .

وقد ذكر الأزهري أن مادة « ذكر » بالدال المهملة مهملة غير مستعملة ، فكتب التاج الكندي^(٥) على الطرماز ذكر أنه مهمل : مستعمل ، قال الله تعالى : ﴿ وَادَّكَّرَ بِمَعْدَأَمَةٍ ﴾^(٦) ﴿ قَوْلٍ مِنْ مَدَّ كَرٍ ﴾^(٧) . وهذا الذي قاله سهو أوجبته التفتة عن قاعدة التصريف ؛ فإن الدال في الموضعين بدل من القال ؛ لأن أذكر أصله « اذتكر » اخصل من الذكر ، وكذلك مذكر أصله « مذكرك » مفتعل من الفعكر أيضا ، فأبدلت التاء ذالا والقال ، كذلك ، وأدغمت إحداها في الأخرى فصار القفظ بهما كما ترى .

وقال الزخشرى في تفسير قوله تعالى : ﴿ سَوَّلَ لَمْ ﴾^(٨) : سهل لم ركوب^(٩) للمعنى^(١٠) من السؤل وهو الاسترخاء ، وقد اشتقه من السؤل من لاعلم بالتصريف والاشتقاق جميعا .
يعرض باین السكيت .

وقال أيضا :^(١١) من بدع التفسير أن « الإمام » في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾^(١٢) جمع « أم » وأن الناس يُدْعَوْنَ يوم القيامة بِأُمَّهَاتِهِمْ دون

(١) سورة الجن ٤

(٢) سورة المبرات ٩

(٣) في الصاحي : « من العدل إلى الجور »

(٤) كذا في الأصول والصاحي ، وفي اللسان : « الحبة : أرض بين أرضين ، لا غصبة ولا مجدبة »

(٥) هو أبو الين زيد بن الحسن اللخروف بالتاج الكندي ، البغدادي مولدا ، الدمشقي دارا ووفاته ؛ من علماء النحو والفقه والقراءات ؛ توفي سنة ٦١٣ (إنباء الرواة ٢ : ١٢) .

(٦) سورة يوسف ٤٥

(٧) سورة القمر ١٥

(٨) التتال ٢٥

(٩) الكشاف ٢ : ٣٨٠

(١٠) في الكشاف : « الظالم »

(١١) الكشاف ١ : ٥٥٣

(١٢) سورة الإسراء ٧١

آبائهم^(١) ، ثلثا يتنضح أولاد الزنا . قال : وليت شعري أيهما أبديع ، أحبة لفظه أمه أم [بهاء]^(٢) حكته .

يعنى أن « أمّا » لا يجمع على « إمام » ، هذا كلام من لا يعرف الصناعة ، ولا لغة العرب

وقال الراغب في قوله تعالى : ﴿ فَاذْأُرُّكُمْ فِيهَا ﴾^(٣) : هو « فاعلم »^(٤) ، [أصله : « تدارأتم »]^(٥) ، فأريد منه الإدغام تخفيفاً ، وأبدل من التاء دال ، [فسكن للإدغام]^(٦) فاجتبت لها ألف الوصل ، فحصل على « فاعلم »^(٧) .

وقال بعض الأدباء : ﴿ اذَّارَأْتُمْ ﴾ « افعلتم » ؛ وغلط من أوجه :
أولاً : أن ﴿ اذَّارَأْتُمْ ﴾ على ثمانية أحرف ، و « افعلتم » على سبعة أحرف .
والثاني : أن القى على ألف الوصل تاء فجعلها دالا .
والثالث : أن القى على الثاني دال ، فجعلها تاء .

والرابع : أن الفعل الصحيح المين لا يكون ما بعد تاء الافعال [منه]^(٨) إلا متصركا ، وقد جعله هذا ساكنا .

والخامس : أن ما هنا قد دخل بين التاء والبال زائد ، وقى « افعلتم » لا يدخل ذلك .
والسادس : أنه أنزل الألف منزلة العين ، وليست بعين .

(١) كذا في الأصول ، وعبارة الكشف : « وأن الحكمة في البهاء بالأهات دون الآباء رماية حق عيسى عليه السلام ، وإظهار شرف الحسن والحسين ، والآن يتنضح أولاد الزنا . . . » .

(٢) من الكشف .

(٣) مفردات الراغب ١٦٨ - ١٦٩

(٤) سورة البقرة ٣٢

(٥) في الأصول : « فاعلم » ؛ صوابه من المفردات .

(٦) تنكة من المفردات .

والسابع : أن تاء « افعل » قبله حرفان ، ويلمح حرفان و « اذآرآتم » بدلها علامة
أحرف .

وقال ابن جني^(١) : من قال : « انخفت » « افعلت » من الأخذ ؛ فهو مخمل .
قال : وقد ذهب إليه أبو إسحاق الزجاج ، وأنكره عليه أبو علي ؛ وأقام الدلالة على فساد ،
وهو أن ذلك يؤدي إلى إبدال الميزة تاء ، وذلك غير معروف .

(١) هو أبو الفتح عثمان بن جني ؛ صاحب الخصائص وسمي الصنعة والخصائص وغيرها من كتب النحو
والفقه . توفي سنة ٣٩٢ ، ترجمة الألباء ٤٠٦

السُّعْ العُشْرُونَ

مَعْرِفَةُ الْأَحْكَامِ مِنْ جِهَةِ أَفْرَادِهَا وَتَرْكِيبِهَا

ويؤخذ ذلك من علم النحو، وقد انتدب الناس لتأليف إعراب القرآن ومن أوضعها كتاب « الحوقف »^(١) ومن أحسنها كتاب « للشكل »^(٢)، وكتاب أبي البقاء المَكْبَرِي^(٣)، وكتاب المتعجب الحمفاني^(٤) وكتاب الزُّعْمَرِي^(٥)، وابن عطية^(٦)، وتلام الشيخ أبو حيان^(٧).

قالوا: والإعراب يبين للمنى؛ وهو الذى يميز للمانى، ويوقف على أغراض المتكلمين؛ بدليل قولك: ما أحسن زيدا، ولا تأكل السمك وتشرب اللبن، وكذلك

(١) هو أبو الحسن على بن إبراهيم الحوقى المصرى؛ توفى سنة ٢٣٠ وهو صاحب كتاب البرهان فى تفسير القرآن؛ قال صاحب كشف الظنون: « ذكر فيه الترتيب والإعراب والتفسير »، وقال الفضلى: « صنف تصنيفا كبيرا فى إعراب القرآن أبلغ فيه، تنافس العلماء فى تحصيله، وسمعت أن أحد المشتهرين بهذا النوع ابتاع منه نسخة بمصر فى عصر مجلدات، وأحضرها إلى مدينته بالشام، وهو غير عالم بقدرها ولا عارف بصحتها، ولما تنبه على جلالتها اشتد حفظه لها، وضربها خليدا، وأدخرها لولده لأنطلع من أهل هذا الشأن » وفى دار الكتب المصرية أجزاء قيمة من هذا الكتاب برقم ٥٩ تفسير (واقتر إنياه الرواة ٢: ٢١٩، وحسن المحاضرة ٢: ٢٢٨، وكشف الظنون ٢٤١).

(٢) هو كتاب مشكل إعراب القرآن ألفه مكي بن أبى طالب القيسى المتوفى سنة ٢٣٧، ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة بمكتبة مدينة إستانبول.

(٣) هو كتابه للمنى: إملأ ما من به الرحمن، من وجوه الإعراب والقراءات فى القرآن، طبع بالمطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣٢١.

(٤) قال ابن الجزرى: كان رأسا فى القراءات والعربية... وأعرب القرآن العظيم إعرابا متوسطا... توفى سنة ٦٤٣ (طبقات القراء ٧: ٣١١).

(٥) فى كتابه الكشاف، معروف متداول.

(٦) هو الإمام عبد الحق بن غالب، المتوفى سنة ٥٤٦؛ صاحب كتاب المحرر الوجيز، فى تفسير الكتاب العزيز، ومنه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٠ تفسير.

(٧) هو أبو حيان محمد بن يوسف أنير الدين، المعروف بأبى حيان التحرى، صاحب كتاب البحر المحيط فى التفسير، طبع بمطبعة السادة بمصر سنة ١٣٢٨ هـ.

فرتفوا بالحركات وغيرها بين الماء، فقالوا: مِفْتَحُ اللَّآلَةِ التي يفتح بها، ومَفْتَحُ لموضع الفتح، ومِفْعَصٌ لِلآلَةِ، ومَفْعَصٌ للموضع الذي يكون فيه القص. ويقولون: امرأة طاهر من الحيض لأن الرجل يشاركها في الطهارة.

وعلى الناظر في كتاب الله، الكاشف عن أسرارهِ، النظرُ في هيئة الكلمة وصيغتها ومحلها، ككونها مبتدأً أو خيراً، أو فاعلةً أو مفعولة، أو في مبادئ الكلام أو في جواب، إلى غير ذلك من تعريف أو تنكير، أو جمع قلة أو كثرة، إلى غير ذلك.

ويجب عليه مراعاة أمور :

أحدها - وهو أول واجب عليه - أن يفهم معنى ما يريد أن يعرِّبه مفرداً كان أو مركباً قبل الإعراب؛ فإنه فرع للنفي؛ ولهذا لا يجوز إعراب فوائح السور إذا قلنا بأنهم من التشابه التي استأنزله الله بعله؛ ولهذا قالوا في توجيه النصب في «كَلَالَة» في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾^(١) أنه يتوقف على المراد بالكَلَالَة؛ هل هو اسم للبيت أو للورثة أو المال؛ فإن كان اسماً للبيت فهي منصوبة على الحال؛ وإن كان تامة لاخير لها بمعنى وجد. ويجوز أن تكون ناقصة والكَلَالَة خبرها، وجاز أن يخبر عن النكرة لأنهم قد وصفت بقوله: «يُورَثُ» والأول أوجه. وإن كانت اسماً للورثة فهي منصوبة على الحال من ضمير «يُورَثُ» لكن على حذف مضاف، أي ذا كَلَالَة، وعلى هذا فكان ناقصة «ويورث» خبر. ويجوز أن تكون تامة فيورث صفة. ويجوز أن يكون خبراً فتكون صفته. وإن كانت اسماً للمال فهي مفعول ثان ليورث، كما تقول: ورثت زيدا مالا وقيل تمييز، وليس بشيء. ومن جعل الكَلَالَة الورثة فهي نعت لصدر

محذوف ، أى وارثه كلاله ، أى يورث بالوراثة التى يقال لها : الكلاله ، هذا كله على قراءة (يورث) بفتح الراء ، فأما من قرأ (يُورث) بكسرها مخففة أو مشددة ، فالكلالة هى الورثة أو اللال .

ومن ذلك « ثناء » فى قوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ تَقُولُوا مِنْهُمْ ثَنَاءٌ ﴾ ^(١) ، فى نصبها ثلاثة أوجه مبتنية على تفسيرها . فإن كانت بمعنى الاتقاء فى مصدر كقوله تعالى : ﴿ أَنْتَبَّكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ ^(٢) ، وإن كانت بمعنى للقول أى أمرا يجب اتقاؤه ، فى نصب على للقول به ، وإن كانت جمعا كرام ورماء ، فى نصب على الحال .

ومن ذلك إعراب « أخوى » من قوله : ﴿ غَنَاءٌ أَخَوَى ﴾ ^(٣) ، وفيه قولان متضادان : أحدهما أنه الأسود من الجفاف واليبس ، والثانى أنه الأسود من شدة الخضرة ، كافتى (مُدَّهَا مَتَانٍ) ^(٤) فلى الأول هو صفة لغناء ، وعلى الثانى هو حال من للرعى ، وآخر لتناسب الفواصل .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا . أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴾ ^(٥) ؛ فإنه قيل : الكفات : الأوعية ، ومفردا « كَفَتْ » والأحياء والأموات كناية عما نبت وما لايبت ، وقيل : الكفات مصدر كَفَفَتْ إذا ضَمَّ وَجَعَهُ ؛ فَعَلَى الْأَوَّلِ (أحياء وأمواتا) صفة لكفاتا ؛ كأنه قيل : أوعية حية وميتة ، أو حالان ؛ وعلى الثانى فهما مفعولان لمحذوف ، وحلّ عليه (كفاتا) أى يجمع أحياء وأمواتا .

ومنه قوله : ﴿ سَبْعًا مِنَ اللَّتَانِ ﴾ ^(٦) فإنه إن كان المراد به التران ، فن للتبويض ، والتران حينئذ من عطف المام على الغاص ؛ وإن كانت القامحة فن لبيان الجنس ، أى سبعا هى اللتانى .

(٢) سورة نوح ١٧

(٤) سورة الرحمن ٦٤

(٦) سورة الحجر ٨٧

(١) سورة آل عمران ٢٧

(٣) سورة الأمل ٥

(٥) سورة الرسلات ٢٥

تَسْيِيرٌ

قد يقع في كلامهم : هذا تسيير معنى ، وهذا تسيير إعراب . والفرق بينهما أن تسيير الإعراب لابد فيه من ملاحظة الصناعة النحوية ، وتفسير المعنى لا يضر مخالفة ذلك ، وقد قال سيبويه في قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ ﴾ ^(١) : « تقديره ^(٢) مثلك يا محمد ^(٣) ، ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به » .

واختلف الشارحون في فهم كلام سيبويه ، ف قيل : هو تسيير معنى ، وقيل : تسيير إعراب ؛ فيكون في الكلام حذفان : حذف من الأول وهو حذف داعيهم ، وقد أثبت نظيره في الثاني ، وحذف من الثاني وهو حذف المنعوق ، وقد أثبت نظيره في الأول ؛ فلي هذا يجوز مثل ذلك في الكلام .

والثاني : تجنب الأعراب المحمولة على اللغات الشاذة ، فإن القرآن نزل بالأفصح من لغة قريش ؛ قال الزمخشري في كشافه القديم : القرآن لا يعمل فيه إلّا على ما هو فاش دائر على ألسنة فصحاء العرب ، دون الشاذ النادر الذي لا يفتقر عليه إلا في موضع أو موضعين . وبهذا يتبين غلط جماعة من الفقهاء والمربين حين جعلوا من المطف على الجوار قوله تعالى : ﴿ وَأَرْجِلُكُمْ ﴾ ^(٤) في قراءة الجبر ؛ وإنما ذلك ضرورة فلا يحمل عليه الفصح ؛ ولأنه إنما يشار إليه إذا أمّن اللبس ، والآية محضّة ، ولأنه إنما يجيء مع عدم حرف المطف ، وهو هاهنا موجود . وأيضاً فنحن في غنية عن ذلك كما قاله سيبويه : إن العرب يقرب عندها للسح من النسل ؛ لأنها أساس للاء ، فلما تقرر با في المعنى حصل المطف كقوله : متقلداً سيفاً ورعها ^(٥) .

(١) الكتاب ١ : ١٠٨

(٢) سورة البقرة ١٧١

(٣) الكتاب : « ولما للمنى : مثلك ومثل كفروا ... »

(٤) سورة المائدة ٦

(٥) صفوة : يَا لَيْتَ بَعْلَكَ قَدْ غَدَا *

ومهما أمكن للشاركة في المعنى، حسن السلف والامتنع؛ فظهر أنه ليس على المجاورة بل على الاستغناء بأحد القطين عن الآخر، وهذا بخلاف صرف ما لا ينصرف في قوله تعالى: ﴿سَلَسِلًا وَأَغْلَالًا﴾^(١)؛ فإنما أجزى في الكلام، لأنه رُدُّ إلى الأصل، والسلف على الجوار خروج عن الأصل، فافترقا.

الثالث: تجب لفظ الزائد في كتاب الله تعالى، أو التكرار، ولا يجوز إطلاقه إلا بتأويل كتولم: الباء زائدة ومحوه، مرادهم أن الكلام لا يحتل مستاء بمحذوها؛ لأنه لا فائدة فيه أصلاً، فإن ذلك لا يحتل من متكلم، فضلاً عن كلام الحكيم.

وقال ابن الخشاب في «اللمتد»: اختلف في هذه للسأة، فذهب الأكثرون إلى جواز إطلاق الزائد في القرآن نظراً إلى أنه نزل بلسان القوم ومتمارهم، وهو كثير؛ لأن الزيادة يلزأء الحذف، هذا للاختصار والتخفيف، وهذا للتوكيد والتثبوتة. ومنهم من لا يرى الزيادة في شيء من الكلام ويقول: هذه الألفاظ المحمولة على الزيادة جاءت لقوائد ومعان تخصها، فلا أفضى عليها بالزيادة، ونقله عن ابن درستويه. قال: والتحقق أنه إن أريد بالزيادة إثبات معنى لا حاجة إليه فباطل؛ لأنه عبث، فحين أن إلينا به حاجة، لكن الحاجات إلى الأشياء قد تختلف بحسب القاصد، فليست الحاجة إلى اللفظ الذي زيد عندها ولا زيادة، كالحاجة إلى الألفاظ التي رأوها^(٢) مزيدة عليه، وبه يرتفع الخلاف.

وكثير من القدماء يستون الزائد صلة، وبعضهم يسميه مقحماً؛ ويقع ذلك في عبارة مستوية.

(٢) ت: « إلى اللفظ الذي رأوه زائدة عليه ».

(١) سورة الإنسان؛

الرابع : تجب الأعراب التي هي خلاف الظاهر والمنافية لنظم الكلام ، كجوز
الزعرى في ﴿لِقَرَأٍ﴾^(١) في سورة الحشر ، أن يكون بدلا من قوله : ﴿وَلَذِي
قُرْبَى﴾^(٢) ، وهذا فصلٌ كبير ، وإنما حله عليه لأن أبا حنيفة يقول : إنه لا يستحق
القريب قرايته بل لكونه قيرا ، والشافعي يخالفه . ونظيره إعراب بعضهم : ﴿الَّذِينَ
ظَلَمُوا﴾^(٣) بدلا من الجور في قوله تعالى : ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾^(٤) .

الخامس : تجنب الضادير البعيدة والمجازات للمقيدة ، ولا يجوز فيه جميع ما يجوز به النحاة
في شعر امرئ القيس وغيره ، وأن قول في نحو : ﴿اغفر لنا﴾ و ﴿اهدنا﴾ فعلٌ دعاء
أو سؤال ، ولا قول : فلي أمر ، تأديبا ، من جهة أن الأمر يستلزم الملوك والاستعلاء ، على
الغلاف فيه .

وقال أبو حيان التوحيدي^(٥) في « البصائر » : سألت السيداني عن قوله تعالى :
﴿ فَأَمَّا بِالْقِسْطِ ﴾^(٦) : رِمَ اتصَب ؟ قال : بالحال ، قلت : لمن الحال ؟ قال : لله تعالى ، قلت :
فيقال لله حال ؟ قال : إن الحال في اللفظ لا لمن يُلفظ بالحال عنه ؛ ولكن الترجمة لا
تستوفي حقيقة اللفظ في النفس إلا بمد أن يصوغ الوم هذه الأشياء صياغة تسكن إليها
النفس ، وينتفع بها القلب ، ثم تكون حقائق الألفاظ في مفادها غير معلومة ولا
منقوضة باعتماد ، وكما أن اللفظ على بمد من اللفظ ، كذلك الحقيقة على بمد من الوم .

- | | |
|---|----------------------|
| (١) سورة الحشر ٨ | (٢) سورة الحشر ٧ |
| (٣) سورة الأنبياء ٣ | (٤) سورة الأنبياء ١ |
| (٥) مو على بن محمد بن العباس المعروف بأبي حيان التوحيدي ؛ لتوفى سنة ٣٨٠ ، وكتابه البصائر
من أمثلة ما ألف من الكتب ، طبع الجزء الأول منه في مطبعة لجنة التأليف والترجمة بعصر ، بتحقيق الأستاذين :
أحمد أمين واليد أحمد صفز | (٦) سورة آل عمران ١٨ |

السادس : البحث عن الأصل والزائد ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿إِلَّا أَنْ يَنْفُونَ أَوْ يُنْفَوْا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النُّكْحِ﴾^(١) فإنه قد تورم « الواو » في الأولى ضمير الجمع ، فيشكل ثبوت النون مع « أن » ، وليس كذلك ؛ بل الواو هنا لام الكلمة ، والنون ضمير جمع للوث ، فبقي الفعل معها على الكون ؛ فإذا وُصل الناصب أو الجازم لا تحذف النون ؛ ومثله : « النساء يرجون » ، بخلاف : « الرجال يرجون » ، فإن الواو فيه ضمير الجمع ، والنون حرف علامة للرفع ؛ وأصله « يَرْجُونَ » أعلت لام الكلمة بما يقتضيه التصريف ، فإذا دخل الجازم حذف النون ؛ وهذا مما اتفق فيه اللفظ واختلف في التقدير .

وكذلك يُبحث عما يقتضيه الصنعة في التقدير ، ولا يؤخذ بالظاهر ، ففي نحو قوله تعالى : ﴿لَا مَرْجَأَ لَهُمْ﴾^(٢) يتبادر إلى الذهن أن « مرجحاً » نصب ، اسم لا ، وهو فاسد ، لأن شرط عملها في الاسم ألا يكون ممولاً لغيرها ؛ وإما نصب بفعل مضمر يجب إضماره ، و « لا » دعاء ، و « بهم » بيان للدعوة عليهم . وأجاز أبو البقاء أن ينصب^(٣) على للفعل به ، أي لا يسمعون مرجحاً ، وأجاز في جملة « لا مرجحاً » أن تكون مستأنفة ، وأن تكون حالاً ، أي هنا فوجٌ مقولاً له : « لا مرجحاً » .

وفيه نظر ؛ لأنه قدّر « مقولاً » فقولاً هو الحال ، و « لا مرجحاً » محكية بالقول في موضع نصب .

ومنه قوله تعالى : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنْ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾^(٤) يتبادر إلى الذهن أن الظرف قبله خير « أن » على التقديم ، وهو فاسد لأنه ليس للراد الإخبار بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٢) سورة ص ٥٩

(١) سورة البقرة ٢٣٧

(٤) سورة المجرات ٧

(٣) إملاؤه ما من به الرحمن ٢ : ١١٤

فيهم ، وإنما الفرض أنه لو أطلعكم في كثير من الأمر لمتنم ، وإنما ﴿ فيكم ﴾ حال ، والمعنى : واعلموا أن رسول الله في حال كونه فيكم لو أطلعكم لكان كذا .

ومنه قوله تعالى : ﴿ لَا يُخْفَى عَلَيْهُمْ فَيُسْأَلُوا ﴾ ^(١) ، وقوله : ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيُتَذَرُونَ ﴾ ^(٢) فإن الجواب وقع فيهما بعد النفي مقروناً بالفاء ، وفي الأولى حذفت النون وفي الثانية أثبتتها ، فما الفرق بينهما ؟ وجوابه أن حذف النون جواباً للنفي هو على أحد معني ' نصب « ما تأتينا صدقتنا » أى ما يكون إتيان ولا حديث ، والمعنى الثانى إثبات الإتيان ونفى الحديث ، أى ما تأتينا محدثاً ، أى تأتينا غير محدث ، وهذا لا يجوز فى الآية . وأما إثبات النون فى المطف .

وقريب من ذلك قوله تعالى : ﴿ أَبَشِّرْهُم بِمَا وَاعَدَ بَنِيهِمْ ﴾ ^(٣) ، وقوله : ﴿ أَبَشِّرْ يَهُودَ نَارًا ﴾ ^(٤) حيث انصب « بشرا » فى الأول وارتفع فى الثانى ، فيقال : ما الفرق بينهما ؟ والجواب أن نصب « بشرا » على الاشتغال ، والشاغل للمعلول منصوب ، فصح لعله أن يفسر ناصباً ، وأما فى الثانية فالشاغل مرفوع مفسر رافعاً ؛ وهذا كما تقول : أزيد قام ؟ فزيد مرفوع على الفاعلية للملأ أداة الفعل ؛ فهنا فى الاشتغال والشاغل مرفوع ، وهول فياً الشاغل فيه منصوب : أزيداً ضربته ؟

وقريب منه إجماع القراء على نصب « قليل » فى : ﴿ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ^(٥) .
اختلفوا فى : ﴿ مَا قَلِيلُهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ ^(٦) ؛ وإنما كان كذلك لأن ﴿ قليلاً ﴾ الأول استثناء من موجب والثانى استثناء من منفى .

(٢) سورة الرسلات ٣٦

(٤) سورة التباين ٦

(٦) سورة النساء ٦٦

(١) سورة طهر ٣٦

(٣) سورة القمر ٢٤

(٥) سورة البقرة ٢٤٩

فَإِنْ قِيلَ : فَلَمْ أَجْعَلْهُ عَلَى النَّصَبِ فِي ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١) مع أنه استثناء من غير موجب ؟ قيل : لأن هذا استثناء مُقَرَّرٌ ، وهو نعت لمصدر محذوف ، فالتقدير فلا يؤمنون إلا إيمانًا قليلًا .

ومثله ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾^(٢) في سورة الحديد ، قرأها ابن طبربرقع ﴿كل﴾ ووافق الجماعة على النصب في النساء . والفرق أن الذي في سورة الحديد شغل الخبر بهاء مضرة ، وليس قبل هذه الجملة جملة فعلية ، فيختار لأجلها النصب ، فزفع بالابتداء وأما التي في سورة النساء فإنما اختير فيها النصب لأن قبله جملة فعلية ، وهي قوله : ﴿وَتَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ﴾ .

تَنْبِيْهُ

قد يعاذب الإعراب واللفظ الشيء الواحد ، وكان أبو علي الفارسي يُبَيِّنُ به كثيرًا ، وذلك أنه يوجد في الكلام أن اللفظ يدعو إلى أمر ، والإعراب يمنع منه ، قالوا : واتمسك بصحة اللفظ يؤول لصحة الإعراب ، وذلك كقوله تعالى : ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ . يَوْمَ تُبْطِلُ السَّرَازِيرُ﴾^(٣) فالطرف الذي هو ﴿يَوْمَ﴾ يقتضي اللفظ أن يتعلق بالمصدر الذي هو « رجع » ، أي أنه على رجهه في ذلك اليوم لقادر لكن الإعراب يمنع منه لعدم جواز الفصل بين المصدر ومعموله بأجنبي يحمل العامل فيه فملا مقدرا دل عليه المصدر . وكذا قوله سبحانه : ﴿لَقَدْ أَكْبَرُ مِنْ مَفْعَلِكُمْ أَفْعَالُكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَكُفَرْتُمْ﴾^(٤) ، فاللفظ يقتضي تعلق « إذ » بالفت ، والإعراب يمنع ، الفصل بين المصدر ومعموله بالخبر ، فيقدر له فعل يدل عليه الفت .

(٢) سورة الحديد ١٠ ، والنساء ٩٥ ، وانظر القرطبي ١٧ : ٢٤١

(٤) سورة المؤمن ١٠

(١) سورة النساء . . .

(٤) سورة الطلاق ٨ ، ٩

وكذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ . وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ .
إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾^(١) فالمنى أن العامل في إذا « خير » ، والإعراب بمنه ؛
لأن ما بعد « إن » لا يعمل فيما قبلها ، فاقضى أن يقدّر له العامل .

تَسْمِيَةٌ

على النحوى بيان مراتب الكلام ؛ فإن مرتبة العمدة قبل مرتبة الفضلة ، ومرتبة
للبدء قبل مرتبة الخير ، ومرتبة ما يصل إليه بنفسه قبل مرتبة ما يصل إليه بحرف الجر .
وإن كانا فضلتين - ومرتبة للفعول الأول قبل مرتبة للفعول الثانى - وإذا اتصل الضمير
بما مرتبه التقديم وهو يمود على ما مرتبه التأخير ، فلا يجوز أن يتقدم ، لأنه يكون
مقدما لفظا ومرتبة ، وإذا اتصل الضمير بما مرتبه التأخير وهو يمود على ما مرتبه التقديم
فلا يجوز أن يتقدم ؛ لأنه يكون مقدما لفظا ومؤخر رتبة ، فعلى هذا يجوز : « فى داره زيد »
لاتصال الضمير بالخبر ومرتبه التأخير ، ولا يجوز : « صاحبها فى الدار » لاتصال الضمير
بالبدء ومرتبه التقديم .

السُّوع المَعَادِي والمَعشُورُون مَعْرِفَةُ كَوْنِ اللَّفْظِ وَالتَّركِيبِ أَحْسَنُ وَأَضْفَحُ

ويؤخذ ذلك من علم البيان والبدیع ، وقد صنف الناس في ذلك تصانيف كثيرة ، وأجمعها ما جمعه الشيخ شمس الدين محمد بن النقيب مجلدين قدمها أمام تفسيره ، وما وضعه حازم ^(١) الأندلسي المسمى بـ «محتاج البقاء وسراج الأبداء» . وهذا العلم أعظم أركان للفسر ، فإنه لا بد من مراعاة ما يقتضيه الإيجاز ، من الحقيقة والجاز ، وتأليف النظم ، وأن يوافق بين اللوارد ، ويعتمد ما سيق له الكلام حتى لا يتنافر ، وغير ذلك . وأملأ الناس بهذا صاحب الكشاف . قال السكاكي : واعلم أن شأن الإيجاز عجيب ، يدرك ولا يمكن وصفه ؛ كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها ، وكاللاحة ، ولا طريق إلى تحصيله لقوى الفطر السليمة إلا إتيان على اللغز والبيان والتمرّن فيها .

وقال الزمخشري : من حقّ مفسر كتاب الله الباهر ، وكلامه للمبج أن يتعاهد في مذهب بقاء النظم على حسنه ، والبلاغة على كمالها ، وما وقع به التصدّي سلباً من القادح ، وإذا لم يتعاهد أوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل .

وادعى القاضي أبو الطيب في كتاب « إيجاز القرآن » أن كثيراً من محاسن هذا العلم لا يُمدّ من البلاغة القرآنية ؛ بناء على اختياره في أن القرآن نزل على خلاف أساليبهم ، وسيأتي الكلام في ذلك .

فإن قلت : كيف عدت هذا من أنواع علومه ؛ مع أن سلف للفسرين من الصعابة والتأبين لم ينجسوا فيه ولم ينقل عنهم شيء من ذلك ، وإنما هذا أحدثه للتأخرون ؟

(١) هو أبو الحسن حازم بن محمد بن حسين القراطبي ، توفي سنة ٦٨٤ ، ومن كتبه منهاج البقاء لسبعة مصورة بدار الكتب المصرية عن الأصل المخطوط جونس (وانظر شفرات القمم ٥ : ٢٨٨) .

قلت : إنما سكت الأولون عنه لأن القصد من إنزال القرآن تعليمُ الحلال والحرام ، وتعريف شرائع الإسلام وقواعد الإيمان ، ولم يقصد منه تعليمُ طرق التصاوة ؛ وإنما جاءت لتكون مجزئة ، وما قصد به الإعجاز لاسيلاً إلى معرفة طريقه ، فلم يكن الخوض فيه مسوغاً ؛ إذ البلاغة ليست مقصودة فيه أصلاً ؛ لأنه موجود في الصحف الأولى ؛ لامع هذه البلاغة للصينة ؛ وإنما كان يليناً بحسب كمال التكلم ؛ فلماذا لم يتكلم السلف في ذلك ، وكان معرفتهم بأساليب البلاغة مما لا يحتاج فيه إلى بيان ، بخلاف استنباط الأحكام ، فلماذا تكلموا في الثاني دون الأول .

وأعلم أن معرفة هذه الصناعة بأوضاعها هي عمدة التفسير ، للطلع على عجائب كلام الله ، وهي قاعدة التصاوة وواسطة عقد البلاغة ، ولو لم يحجب التصاوة إلا قول الله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ ! عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ ^(١) ، [لكفى] ، وللعلوم كثيرة ، ومن الله تعالى جنة ، ولم يخص الله من نفسه على المبدأ إلا تعليم البيان ، وقال تعالى : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ ﴾ ^(٢) ، وقال تعالى : ﴿ نَبِيَّانَا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ^(٣) .

ولخلف الواو في قوله تعالى : ﴿ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ ^(٤) نكتة علفية ، فإنه جعل تعليم البيان في وزن خلقه ، وكالبذل من قوله : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴾ ^(٥) لأنه حتى ناطق ؛ وكأنه إلى نحوه أشار أهل للنطق بقولهم في حد الإنسان : حيوان ناطق .

ولا شك أن هذه الصناعة تهيئ قوة الإقناع على ما يريد الإنسان ويراد منه ، ليتسكن بها من اتباع التصديق به ، وإذعان النفس له .

ويبقى الاعتناء بما يمكن إحصاؤه من اللغات التي تكلم فيها البليغ مثبته ونافيا .

(١) سورة الرحمن ١ - ٤

(٢) سورة آل عمران ١٣٨

(٣) سورة النحل ٨٩

(٤) سورة القيامة ٤٠

(٥) سورة الرحمن ٤٠

فنها تحقيق العقائد الإلهية ، كقوله سبحانه : ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخْرِجَ الْوَلَوْنَ ﴾^(١) بعد ذكره النطقة ومتعلقها في مراتب الوجود . وكقوله : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾^(٢) فمن يقرع سمعه هذا الكلام للمعجز اسقشر من روعة النفس ، واقتصرار الجلال ما يُمكن خشية الله وعظمته من قلبه .

ومنها بيان الحق فيما يشكل من الأمور غير العقائد؛ كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾^(٣) ، وكقوله صلى الله عليه وسلم : « فمن أين يكون الشبه » ؟ فانظر كيف أعطى في هذه الأحرف اليسيرة الحجة على من أنكر احتلام المرأة فلا أبين من هذا البيان ، ولا أضيق للرتاب من هذا القول ! فإنه يرى إحدى للقدمتين عياناً ، وهو شبه الولد بأمه ، ويعلم قطعاً أنه ليس هناك سبب يحال الشبه عليه غير الذي أنكر . ومنها تمكين الانفعالات النفسانية من النفوس بمثل الاستعطاف والإعراض ، والإرضاء والإغضاب ، والتشجيع والتخويف . ويكون في مدح وذم ، وشكاية واعتذار ، وإذن ومنع ، وينضم إلى قوة القول البلاغى معنى متصل بإطاعة لها ؛ مثل فضيلة القائل وحجة النازع ، وقوة البليغ على إطراء غسه ، وتحسين رأيه .

ومن ذلك استدعاء المخاطب إلى فضل تأمل ، وزيادة تفهم ؛ قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَتَى ذُكِّرْتُمْ وَفَرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ﴾ ، وكذلك قوله : ﴿ وَمَا يَعْطِلُهَا إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾^(٤) ؛ وسر هذا أن السامع يحرص على أن يكون من هؤلاء المُنْتَفِعِينَ عليهم ، فيسارع إلى التصديق ، ويُلْقَى في نفسه نورٌ من التوفيق .

ويكون هذا القول البلاغى ما يسمى الضمير ، ويسمى التمثيل ؛ وأعنى بالضمير

(١) سورة القيامة ٤٠

(٢) سورة الزمر ٦٧

(٣) سورة سبأ ٤٦

(٤) سورة الأتفال ٦١

(٥) سورة النكبت ٤٣

أن يُضمر بالقول المجادل به البيان أحد حرفيه ؛ كقول الفقيه : النبيذ مُسكر فهو حرام ،
وكقوله تعالى : ﴿ إِنِّ لِلْبَذْرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾^(١).

وقد يكون هذا الإضمار في القيلس الاستثنائي أيضاً ؛ كقولك : لو كان فلان عزيزاً
لمنع بأعنة الخيل جاره ، أو جواداً لشب لسارى الليل ناره ، موعلاً على أنه قد علم أنه مامنع
ولا شب ، فيثبت بذلك مقابله وهو البخل والقتلة ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ
فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا نَفُضُوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾^(٢) ؛ وقد شهد الحسن والبيان أنهم ما انفصوا
من حوله وهى للضمرة ، فاتفق عنه صلوات الله عليه أنه فظ غليظ القلب .

ومن أحسن ما أبرز فيه هذا للضمير قول الشاعر^(٣) :

ولو كان عبدُ الله مولىً جهونهُ ولكنَّ عبدَ الله مولىً موالياً
ومثال الاسئلة والاستعطاف قوله تعالى من آدم : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَنْفِرْ
لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾^(٤) . وحسبك إمامُ التقيين حين سمع
شمرَ القاتلة^(٥) :

ما كان ضركَ لو مننتَ ورُبَّمَا منَ القَتَى وهو المنيظُ المحنقُ
قال : « لو بلنى شمرُها قبل أن أقتله لما قتلتُهُ » ، وقال الآخر :

ونَحْنُ الكَاتِبُونَ وقد أسأنا فهيننا لِكِرَامِ الكَاتِبِينَ

(١) سورة الإسراء ٣٧

(٢) سورة آل عمران ١٥٩ (٣) هو الفرزدق ، والبيت من شواهد سيبويه ٥٨ : ٢

(٤) سورة الأعراف ٢٣

(٥) هى قتيلة بنت النضر بن المارث ، وكان النبي عليه السلام قتل أبها صبرا ، مرجعه من بدر ؛
فقاتلته كليلة مطلقها :

يَا رَاكِبَا إِنِ الْأَيْمِلَ مَظْلَنَةٌ مِنْ صَبِيحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوقِفٌ

ومن الاستقالة والاسترضاء ما لا يخرق السمع أخذ منه إلى القلوب، وأوقع على اللطوف،
قوله صلى الله عليه وسلم للأَنْصار وقد وجدوا في غوسهم قسمة الغنائم^(١) في غيرهم: يا معشر
الأَنْصار، أَلَمْ أَجِدْكُمْ كُفْرًا أَلَمْ أَجِدْكُمْ كُفْرًا ثُمَّ قَالَ: أَجِيبُونِي، فَا زَادُوا عَلَى قَوْلِهِ:
اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنٌ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أَمَّا إِنَّكُمْ إِنْ شِئْتُمْ قَتَلْتُمْ— [فَلَصَدَقْتُمْ]^(٢).
وَلَصَدَقْتُمْ: —: جَعَلْنَا بِمَالِ كُفْرًا وَكُفْرًا. فَاظْهَرَ مَا أُعْجِبَ هَذَا اسْتَشْفَرَ مِنْهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ
أَنْ إِسْكَاهُمْ عَنِ الْجَوَابِ أَدَبٌ مِمَّا لَا يَجُزُّ عَنْهُ، فَأَعْلَمَهُمْ بِأَنَّهُمْ لَوْ قَالُوا صَدَقُوا،
وَلَمْ يَكُنْ هُوَ بِالْقَى يُضْطَبُّ مِنْ سَمَاعِهِ، ثُمَّ زَادَهُمْ تَكَرُّمًا بِقَوْلِهِ: «أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَنْهَبَ
النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالْبَعِيرِ، وَتَنْصَرَفُوا بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رِحَالِكُمْ»، ثُمَّ زَادَ يَمِينَهُ لِلْبَارِكَةِ^(٣) الْيَدَ
عَلَى فَضْلٍ مَا يَنْصَرَفُونَ بِهِ؟ اللَّهُمَّ اخْضَعْنَا بِمَحَبَّتِهِ، وَتَفَضَّلْ عَلَيْنَا بِشَفَاعَتِهِ!

وَمَا تَجِدُ مِنْ هَذَا الطَّرَازِ قَوْلٍ بِمِثْلِهِ:

أَنْفُسُ أَعْرَضُوا عَنْنَا بَلَا جُرْمَ وَلَا مَتَى
أَسَاءُوا ظَنُّهُمْ فِينَا فَهَلَّا أَحْسَنُوا الظَّنَّ
فَإِنْ عَادُوا لَنَا عُدْنَا وَإِنْ خَانُوا فَخُنَّا
وَإِنْ كَانُوا قَدْ اسْتَفْتَنُوا فَإِنَّا عَنْهُمْ أَغْنَى
وَإِنْ قَالُوا: اذْنُ مِنَّا بَسْدٌ بَاعَدْنَا مِنْ اسْتَدْنَى

ومن الإغضب الجيب قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي
الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ

(١) بعد غزوة الطائف وذلك حينما أعطى رسول الله عليه السلام ما أعطى من السطاء لفرش وبس قاتل
الرب ولم يكن للأَنْصار منها شيء، فوجدوا ذلك، في خبر طويل (واقظ سيرة ابن هشام ٤: ١٤٦).

(٢) من سيرة ابن هشام.

(٣) وذلك قوله: «فَوَالْقَى هَسَّ عَمْدَ يَدِهِ لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ».

قَالُوا لَيْسَ بِكَ مِنَ الْغَالِبِينَ^(١) ، وقوله تعالى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾^(٢) ، وقوله : ﴿أَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾^(٣) ، وفيه در القائل :

إذا والى صديقك من تُعَادِي قد عداك واقطع الكلام

ومن قسم التشجيع قوله سبحانه : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُومٌ﴾^(٤) وكفى بحب الله مشجعا على منازلة الأقران ومباشرة الطعان ! وقوله عز وجل : ﴿إِنْ تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْزٍ هَذَا يُبْدِكُمْ رَبُّكُمْ بِغَمَّةٍ آتِيَةٍ مِنَ الْغَلَابَةِ مُسَوِّمِينَ﴾^(٥) ، وكيف لا يكون والقوم صبروا ، وللك الحق جل جلاله وعدم بالمدد الكثير ! ثم قال : ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْغَزِيرِ الْحَكِيمِ﴾^(٦) .

وقوله : ﴿وَرَجُوعَ مَنْ آفَهَ مَا لَا يَرْجُونَ﴾^(٧) وفي مقابلة هذا القسم ما يراد به الأخذ بالحزم والثبات بالحرب والاستظهار عليها بالعدة ، والاستشهاد على ذلك بقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(٨) ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾^(٩) .

ومنه الإبانة بالمدح ، وربما مدح الكريم بالتغافل عن الزلة والتهاون بالذنب ؛ كما أشار إليه القرآن فيما أَسَرَّ سَيِّدُ الْبَشَرِ لبعض نساته ممن أظهره الله على إفشائه ، فأخبر سبحانه أنه عَرَفَ بَعْضَهُ وأعرض عن بعض ؛ ولذلك قيل :

ليس النسيءُ بسِيءٍ في قومه لكن سيء قومه للتغابي

(١) سورة المتحنة ١

(٢) سورة الصف ٤

(٣) سورة البقرة ١٩٥

(٤) سورة الأحقاف ١٠

(١) سورة المتحنة ٩

(٢) سورة الكهف ٥٠

(٣) سورة آل عمران ١١٥

(٤) سورة آل عمران ١٢٦

(٥) سورة النساء ١٠٤

ومنه التثليل ؛ وإنما يكون بأمر ظاهر يُسلِّه السامع ، ويقوّيه مافى القرآن من قصص .
الأشقياء تحذيرا لما نزل بهم من العذاب وأخبار السعداء ، ترغيبا لما صاؤوا إليه من الثواب .
وفى الحديث : « أَرَأَيْتَ لَوْ مَضَيْتَ ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ عَلَى أَيْمِكَ دِينَ » ، كيف ظهر إمكان
قل الحكم من شبه إلى شبه .

ومنه أن يذكر الترغيب مع الترهيب ويُسَمِّعُ البشارة بالإفناء ، قال الزمخشري : ويرثه
إرادة التسليط لا اكتساب ما يزلف ، والتثنيط عن اعتراف ما يتلف ؛ فلما ذكر الكفار
وأعمالهم وأوعدهم بالعذاب ، تَنَاءَ بيشارة عباده للؤمنين .

تَنْبِيْهٌ

ليكن محطّ نظر المفسّر مراعاة نظم الكلام الذى سبق له ، وإن خالف أصل الوضع
اللفوى لثبوت التجوّز ؛ ولعلنا ترى صاحب « الكشف » يحمل الذى سبق له الكلام
معتدلا ، حتى كأن غيره مطروح .

النَّجِيعُ الشَّافِي وَالْمُعْزُونُ مَعْرِفَةُ اخْتِلَافِ الْأَلْفَاظِ بزيادة أو نقص أو تغيير

وَذَلِكَ مَتَوَاتِرٌ وَآحَادٌ، وَيُوجَدُ هَذَا الْوَجْهُ مِنْ عِلْمِ الْقِرَاءَةِ. وَأَحْسَنُ لِلْوَضُوعِ لِقِرَاءَاتِ السَّبْعِ كِتَابُ «التَّبْيِيرِ» لِأَبِي عَمْرٍو الدَّائِي، وَقَدْ نَظَّمَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ الشَّاطِلِيُّ^(١) فِي لَامِيَتِهِ الَّتِي عَمَّ النَّفْعُ بِهَا، وَكِتَابُ «الإِقْنَاعِ» لِأَبِي جَعْفَرِ بْنِ الْبَازِشِ^(٢)، وَفِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ كِتَابُ الْمَصْبَاحِ^(٣) لِأَبِي الْكَرَمِ الشَّهْرَزُورِيِّ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْقُرْآنَ وَالْقِرَاءَاتِ حَقِيقَتَانِ مُتَشَابِهَتَانِ، فَالْقُرْآنُ هُوَ الْوَحْيُ الْمُنَزَّلُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْبَيَانِ وَالْإِحْجَازِ، وَالْقِرَاءَاتُ هِيَ اخْتِلَافُ أَلْفَاظِ الْوَحْيِ الْمَذْكُورِ فِي كِتَابَةِ الْحُرُوفِ أَوْ كَيْفِيَّتِهَا؛ مِنْ تَخْفِيفٍ وَتَشْقِيلٍ وَغَيْرِهَا، ثُمَّ هَاهُنَا أُمُورٌ:

أَحَدُهَا أَنَّ الْقِرَاءَاتِ السَّبْعَ مَتَوَاتِرَةٌ عِنْدَ الْجُمْهُورِ، وَقِيلَ بِلِ مشهورة، وَلَا هِجْرَةٌ لِإِنْكَارِ الْمُبْرَدِ قِرَاءَةَ حَمْزَةٍ. «وَالْأَرْحَامُ»^(١) وَ«مُعْرِخِي»^(٢)، وَلَا يَنْكَارُ مَقَارِبَةَ النَّحَاةِ

(١) هُوَ الْإِمَامُ الْقَاسِمُ بْنُ خَيْرَةَ الشَّاطِلِيِّ الضَّرِيرِ؛ صَاحِبُ الْقَمِيصَةِ الْمَرْبُوفَةِ بِحُرُزِ الْأَمَانِيِّ وَوَجْهِ التَّهَانِي؛ تَوَفَّى سَنَةَ ٥٩٠ هـ (وَانْظُرْ كَشْفُ الظُّنُونِ ٤ : ٦٤٦).

(٢) هُوَ أَحَدُ بْنُ أَحَدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ خَلْفٍ أَبُو جَعْفَرِ بْنِ الْبَازِشِ الْأَصْهَارِيُّ، هَلْ إِبْنُ الْجَزَرِيِّ؛ «دُ أَلْفُ كِتَابِ الْإِقْنَاعِ فِي السَّبْعِ مِنْ أَحْسَنِ الْكُتُبِ، وَلَكِنَّهُ لَا يَجُوزُ مِنْ أَوْحَامٍ نَهَتْ عَلَيْهَا فِي كِتَابِي الْإِعْلَامِ». تَوَفَّى سَنَةَ ٥٤٠ هـ. (طَبَقَاتُ الْقُرَّاءِ لِأَبِي الْجَزَرِيِّ ١ : ٨٣).

(٣) سَمَّاهُ صَاحِبُ كَشْفِ الظُّنُونِ : «لِلْمَصْبَاحِ الزَّاهِرِ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ الزَّوَاهِرِ» لِأَبِي الْكَرَمِ مَبَارُكِ ابْنِ الْحُسَيْنِ الشَّهْرَزُورِيِّ لِلتَّوَفِّي سَنَةَ ٥٥٠ هـ. (كَشْفُ الظُّنُونِ ٦-١٧).

(٤) النِّسَاءُ ١. «وَأَتَوْهَا اللَّهُ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامُ» بِمَنْحِزِ اللَّيْلِ عَطْفًا عَلَى الضَّمِيرِ الْمَجْرُورِ فِي «بِهِ» عَلَى مَقْعَدِ الْكَوْفِيِّينَ، (إِتْحَافُ فَضْلَاءِ الْبَصْرِ ١٨٥).

(٥) سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ ٢٢ «وَمَا أَنتُمْ بِمُعْزِخِينَ» بِكسْرِ الْيَاءِ وَوَجْهَتْ بِأَنَّ الْكُسْرَ عَلَى أَسْلِ الْفَتْحِ الْبَاسِ كَتَبِينَ، وَأَسْلَهُ «مُعْرِخِينَ»، (إِتْحَافُ فَضْلَاءِ الْبَصْرِ ٢٧٢).

كاين مصفور قراءة ابن عامر ﴿ قَتْلُ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ ﴾^(١) والتحقق أنها متواترة عن الأئمة السبعة ، أمّا تواترها عن النبي صلى الله عليه وسلم فله نظر فإنّ إسناد الأئمة السبعة بهذه القراءات السبعة موجود في كتب القراءات ، وهى قل الواحد عن الواحد لم تكل شروط التواتر في استواء الطرفين والواسطة : وهذا شئ موجود في كتبهم ، وقد أشار الشيخ شهاب الدين أبو شامة في كتابه « للرشد الوجيز » إلى شئ من ذلك .



الثانى : استفتى الشيخ أبو عمرو بن الحلاج^(٢) قولنا : إن القراءات السبع متواترة ما ليس من قبيل الأداء ، ومثله بالذ والإمالة وتخفيف الحزمة ؛ معنى فإنها ليست متواترة . وهذا ضيف ؛ والحق أن الذ والإمالة لا شك في تواتر المشترك بينهما ، وهو للذ من حيث هو مد ، والإمالة من حيث إنها إمالة ، ولكن اختلف القراء في تقدير الذ ؛ ففهم من رآه طويلا ، ومنهم من رآه قصيرا ؛ ومنهم من بالغ في القصير ، ومنهم من تزايد ، فحزمة وورش بمقدار ست لغات ، وقيل : خمس ، وقيل : أربع ، وعن عاصم : ثلاث ، وعن الكسائي : ألفان ونصف ، وقالون : ألفان ، والثوبى : ألف ، ونصف .

قال الثانى في التيسير : أطوالم مدّا في الضربين جيما - معنى التصل والتفصل - وورش وحزمة ، ودونهما عاصم ، ودونه ابن عامر والكسائي ، ودونهما أبو عمرو من طريق أهل العراق ، وقالون من طريق أبى نسيط بخلاف عنه . وهذا كله على التصريح من غير إفراط وإعما هو على مقلّبات مذاهبهم من التحقيق والحذف - انتهى كلامه .

فعلّم بهذا أن أصل الذ متواتر والاختلاف والطرق إنما هو في كيفية التلفظ به .

(١) سورة الأنعام ١٢٧ ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ ﴾ .
« زين » بضم الزاى وكسر اليا . بالبناء للفعل وقيل « برفع اللام على التياية من القائل . وأولادهم » بالنصب على الفعل بالمصدر و« شركائهم » بالخفض على إضافة المصدر إليه فعلا . (تحف الخلاء البشير ٢١٧)
(٢) هو عثمان بن عمر بن زيوس أبو عمر الكردى المعروف بابن الحاجب ، توفى سنة ٦٤٦ (بنيها لوطاة ٢٢٣)

وكان الإمام أبو القاسم الشاطبي يقرأ بمذتين: طولى لورث وحزوة، ووسعلى لمن بقي
وعن الإمام أحمد بن حنبل أنه كره قراءة حزة لما فيها من طول للذ وغيره، قال:
لا تعجبني، ولو كانت متواترة لما كرهها. وكذلك ذكر القراء أن الإمالة قسمان: إمالة
محضة، وهي أن يُنحى بالالف إلى الياء وتكون الياء أقرب، وبالقنطرة إلى الكسرة وتكون
الكسرة أقرب وإمالة تسمى بين بين، وهي كذلك؛ إلا أن الألف والقنطرة أقرب،
وهذه أصعب الإمالتين وهي المختارة عند الأئمة. ولا شك في تواتر الإمالة أيضا، وإعما
اختلافهم في كيفية مبالغة وحضورا.

أما تخفيف الهزمة - وهو الذي يطلق عليه تخفيف، وتلين، وتسهيل، أسما مترادفة -
فإنه يشمل أربعة أنواع من التخفيف، وكل منها متواتر بلا شك:

أحدها النقل، وهو نقل حركة الهزمة إلى الساكن قبلها، نحو ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ﴾^(١)
بنقل حركة الهزمة، وهي القنطرة إلى دال « قد »، وتسقط الهمزة فيبقى اللفظ بدال مفتوحة
بمدافا، وهذا النقل قراءة نافع من طريق ورش في حال الوصل والوقف، وقراءة حزة
في حال الوقف.

الثاني: أن تبدل الهزمة حرف مد من جنس حركة ما قبلها إن كان قبلها فتحة أبدلت
ألفها، نحو « باس »، وهذا البديل قراءة أبي عمرو بن العلاء، ونافع من طريق ورش في
فاء النقل، وحزة إذا وقف على ذلك.

الثالث تخفيف الهمز، بين بين، وممناه أن تسهل الهزمة بينها وبين الحرف الذي منه
حركتها، فإن كانت مضمومة سهلت بين الهزمة والواو، أو مفتوحة فبين الهزمة والألف،
أو مكسورة فبين الهزمة والياء، وهذا يسمى إشماما، وقرأ به كثير من القراء وأجموا
عليه في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَلَا تَكْرَهُنَّ ﴾^(٢) ونحوه، وذكره النحاة عن لغات العرب.

قال ابن الحاجب في تصريفه : واغتر (١) انشاء الساكنين في نحو الحسنُ عندك؟ وآمينُ الله يمينك؟ وهو في كل كلمة أو لها همزة وصل مفتوحة ودخلت همزة الاستفهام عليها؛ وذلك ما فيه لام التعريف مطلقا ، وفي آمينُ الله وآمينُ الله خاصة ، إذ لا ألف وصل مفتوحة سواها؛ وإنما ضلوا ذلك خوف لبس الخبر بالاستخيار ، ألا ترى أنهم لو قالوا : ألحسنُ عندك؟ أو حذفوا همزة الوصل على القياس في مثلها لم يعلم استخيار هو أم خير؟ فأتوا بهذه عوضا عن همزة الوصل قبل الساكن ، فصار قبل الساكن مدة فقالوا : ألحسنُ عندك؟ وكذلك آمينُ الله يمينك؟ فبدأ ذكره . وبعض العرب يحمل همزة الوصل فيأذكر تائينَين ، ويقول : ألحسنُ عندك وآمينُ الله يمينك؟ فبدأ ذكرنا ، وقد جاء عن القراء بالوجهين في مثل ذلك ، وللشور الأول . وقد أشار الصعابة رضي الله عنهم إلى التسهيل بينَينَ في رسم المصاحف الممانية ، فكتبوا صورة الهمزة الثانية في قوله تعالى في سورة آل عمران : ﴿قُلْ أَوْثَقُوا﴾ (٢) واوا على إرادة التسهيل بينَينَ . قاله الثاني وغيره .

الرابع تخفيف الإسقاط ، وهو أن تُسقط الهمزة رأسا . وقد قرأه أبو عمرو في الهمزتين من كلمتين إذا اتفقتا في الحركة فأسقط الأولى منها على رأى الشاطبي ، وقيل الثانية في نحو ﴿جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾ (٣) ، ووافقه على ذلك في الفتوحتين نافع من طريق قالون ، وابن كثير من من طريق البزى ، وجاء هذا الإسقاط في كلمة واحدة في قراءة قنبل عن ابن كثير في : ﴿أَيُّنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ﴾ (٤) يسقط همزة ﴿شُرَكَائِيَ﴾ .

الثالث : أن القراءات توقيفية وليست اختيارية ، خلافا لجماعة منهم الزمخشري ، حيث ظنوا أنها اختيارية تدور مع اختيار التصحاء واجتهاد البلغاء . ورد على همزة قراءة

(٢) سورة آل عمران ١٥

(١) الثانية ٢ : ٢١٠

(٤) سورة النحل ٢٢

(٣) سورة النحل ٦٦

(٢١) — برهان — أول

﴿وَالْأَرْحَامِ﴾^(١) بالغض ؛ ومثل ما حكى عن أبي زيد والأصمى ويقوب الحضرمي أن خطئوا حمزة في قراءته : ﴿وَمَا أَتَمُّ بِمُصْرِخِيٍّ﴾^(٢) بكسر الياء للشددة، وكذا أنكروا على أبي عمرو إدغامه الراء عند اللام في : ﴿يَفْلِسُكُمْ﴾^(٣) .

وقال الزجاج : إنه خطأ فاحش ؛ ولا تلغم الراء في اللام إذا قلت : «مُرِّي» بكذا ، لأن الراء حرف مكرر ، ولا بدغم الزائد في الناقص للإخلال به : فأما اللام فيجوز إدغامه في الراء ، ولو أدغمت اللام في الراء^(٤) لزم التكرير من الراء . وهذا إجماعُ النحويين . انتهى .

وهذا محامل ، وقد انفرد الإجماع على صحة قراءة هؤلاء الأئمة وأنها سنة متبعة ؛ ولا مجال للاجتهاد فيها . ولهذا قال سيبويه في كتابه في قوله تعالى : ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾^(٥) «وبنو تميم^(٦) يرضونه إلا من دَرَى^(٧) كيف هي في المصحف » .

ولما كان كذلك ، لأن القراءة سنة مرويّة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا تكون القراءة بغير ما روى عنه . انتهى .

(١) سورة النساء : ١ : وانظر الملاحية ٤ في ص ٣١٨ من هذا الجزء .

(٢) سورة إبراهيم : ٢٢ ، وانظر الملاحية ٥ في ص ٣١٨ من هذا الجزء .

(٣) سورة نوح : ٤ : «ولو أدغمت الراء في اللام »

(٤) سورة يوسف : ٣١ (٦) الكتاب : ٢٨

(٨) الكتاب «يرضونها إلا من عرف هي » .

الرابع: ما تضمنه التيسير^(١) والشاطبية^(٢)، قال الشيخ أنير الدين أبو حيان: لم يحويها جميع القراءات السبع، وإعماهى ترويسير منها، ومن عني بن القراءات، وطالع ما صنفه علماء الإسلام في ذلك، علم ذلك العلم اليقين، وذلك أن بلادنا جزيرة الأندلس لم تكن من قديم بلاد إقراء السبع، لبسدها عن بلاد الإسلام، واجتازوا عند الحج بديار مصر، وحفظوا ممن كان بها من المصريين شيئاً يسيراً من حروف السبع - وكان للمصريون بمصر إذ ذاك لم تكن لهم روايات منسقة، ولا رحلة إلى غيرها من البلاد التي انتست فيها الروايات - كآبي الطيب بن غلبون^(٣) وابنه أبي الحسن^(٤) طاهر، وأبي الفتح فارس بن أحمد^(٥)، وابنه عبد الباقي^(٦)، وأبي العباس بن نفيس^(٧)، وكان بها أبو أحمد السامري، وهو^(٨) أعلام إستاندا.

-
- (١) كتاب التيسير، مختصر مشتمل على مذاهب القراء السبعة بالأصناف، وقد اشتهر وانتشر من الروايات والطرز عند الثالين وصح وثبت لدى الأعفلقفدين؛ فذكر عن كل واحد من القراء روايتين؛ وعليه جلة شروح؛ وأضاف إليه ابن الجزرى القراءات الثلاث في كتاب سماه تحبير التيسير - وطبع التيسير في إستانبول سنة ١٣٠٠ بتحقيق الأستاذ أوتوبرتزل.
- (٢) هي المعروفة بكتاب حرز الأمانى ووجه التهانى في القراءات السبع الثانى؛ للعلامة أبى محمد القاسم الشاطبى؛ ففلم فيها كتاب التيسير، في ١١٧٣ بيتاً وعليها جلة شروح؛ وطبع بمصر مراراً (وانظر كشف القنون).
- (٣) هو عبد للثم بن غلبون بن المبارك أبو الطيب الحلبي مؤلف كتاب الإرشاد في القراءات؛ مات بمصر سنة ٣٨٩ (حسن المحاضرة ١: ٢٠٩).
- (٤) أبو الحسن طاهر؛ أحد الحفاظ المحققين، ومصنف التذكرة في القراءات؛ مات بمصر سنة ٣٩٩ (حسن المحاضرة: ٢٠٩ - ٢١٠).
- (٥) هو فارس بن أحمد بن موسى أبو الفتح الحمصى للقرى الصيرى؛ مؤلف كتاب التانيز القراءات الثمان، مات بمصر سنة ٤٠١ (حسن المحاضرة ١: ٢١٠).
- (٦) جود القراءات على والده؛ وجلس للأقراء وعمر دهرأ. مات في حدود سنة ٤٥٠؛ (حسن المحاضرة ١: ٢١١).
- (٧) هو أحمد بن سعد بن أحمد بن نفيس (حسن المحاضرة ١: ٢١١).
- (٨) أبو العباس الصيرى؛ مات في رجب سنة ٤٥٣، (حسن المحاضرة ١: ٢١١).
- (٨) هو عبد الله بن الحسين بن حسنون، أبو أحمد السامري البغدادى. ترويل مصر، مات بها سنة ٣٨٦، (حسن المحاضرة ٢: ٢٠٩).

وسبب قلة العلم والروايات بديار مصر ما كان غلب على أهلها من تغلب الإسماعيلية عليها ، وقتل ملوكهم العلماء .

فكان من قدماء علمائنا من حجج يأخذ بمصر شيئا يسيرا ، كأبي عمر الطلمنكي^(١) صاحب الروضة ، وأبي محمد مكّي بن أبي طالب^(٢) . ثم رحل أبو عمرو الداني^(٣) لطول إقامته بلانية^(٤) فأخذ عن أبي خافان ، وفارس ، وابن غلبون ؛ وصنف كتاب « التيسير » . وقرأ على هؤلاء . ورحل أيضا أبو القاسم يوسف بن حجارة الأندلسي^(٥) . فأبعد في الشقة ، وجمع بين طريق الشرق والغرب ، وصنف كتاب الكامل ، يحتوي على القراءات السبع وغيرها ، ولم أر ولم أسمع أوسع رحلة منه ، ولا أكثر شيئا . وقد أقرأ القرآن بمكة أبو معشر الطبري^(٦) ، وأبو عبد الله الكارزني^(٧) وكانا مفسحي الرواية .

(١) هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن لب ، أبو عمر الطلمنكي ، نزيل قرطبة ، رحل إلى الشرق ؛ ولحق كثيرا من العلماء بمصر ، منهم ابن غلبون ؛ وعاد إلى الأندلس ، وألف كتاب الروضة . توفي سنة ٤٢٩ (طبقات القراء لابن الجزري ١ : ١٢٠) .
(٢) ولد بالقيروان ، وحج نسج بمكة ، ورحل إلى مصر فقرأ على ابن غلبون وابنه ، ثم عاد إلى القيروان ، ورحل إلى الأندلس ، ومات سنة ٣٩٤ (طبقات القراء ٢ : ٣١٠) .
(٣) هو عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني القرطبي ، شيخ متابع للقرنين في عصره ؛ توفي سنة ٤٤٤ (وانظر ترجمته في طبقات القراء ١ : ٥٠٣ - ٥٠٥) .

(٤) دانية : دانية بالأندلس ، من أعمال بلنسية ؛ كانت تابعة لذلك أبي الحسن مجاهد العامري ؛ وأهلها أقرأ أهل الأندلس ؛ لأن مجاهدا كان يستحب القراءة ويفضل عليهم . وينفق لهم الأموال . كانوا يقصدونه ويقبضون عنده ؛ فسكروا في بلاده (ياقوت) . (٥) هو أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة أبو القاسم المغنلي الشكري ؛ قال في كتابه الكامل : « لقيت في هذا العلم ثلاثمائة وخمسة وستين شيئا ، من آخر القرب إلى فرغانة مينا وشمالا وجبالا وبحرا ؛ ولو علت أحدا تقدم علي في هذه الطبقة في جميع بلاد الإسلام لقصدته ... » توفي سنة ٤٦٥ (طبقات القراء ٢ : ٣٩٧) .

(٦) هو عبد الكريم بن عبد الصمد أبو معشر الطبري ، صاحب كتاب التلخيص في القراءات الثمان توفي سنة ٤٧٨ (طبقات القراء ١ : ١ : ٢٠٧) .

(٧) في الأصول : « الكارزوني » تصحيح ؛ وهو أبو عبد الله محمد بن الحسين الكارزني الفارسي ؛ تنقل في البلاد وعاش بمكة . قال القمي : كان حيا سنة ٤٤٠ (طبقات القراء ٢ : ١٣٢) .

وكان بمصر أبو علي النالكي^(١) مؤلف الروضة، وكان قد قرأ بالراق، وأقرأ بمصر .
وبمصر التاج الكندي^(٢) فأقرأ الناس بروايات كثيرة لم تصل إلى بلادنا .
وكان أيضاً ابن مامويه^(٣) بدمشق يُقرئ القرآن بالقراءات العشر .
وبمصر النظام الكوفي^(٤) يُقرئ بالعشر وبغيرها ، كقراءة ابن محيصن والحسين .
وكان بمكة أيضاً زاهر بن رستم^(٥) وأبو بكر الزنجاني^(٦) ، وكانا قد أخذنا عن
أبي الكرم الشَّهرزوري كتاب للصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر؛ وأقرأه الزنجاني
لبعض شيوخنا .

وكان عز الدين القاروتي^(٧) بدمشق ، يُقرئ القرآن بروايات كثيرة ، حتى قيل إنه
أقرأ بقراءة أبي حنيفة .

والحاصل أنساع روايات غير بلادنا ، وأن الذي تضمنه التيسير^(٨) ، والتبصرة ،
والكالقي^(٩) وغيرها من تأليفهم ؛ إنما هو قُلٌّ من كَثْرٍ ، و زُرٌّ من بحر .
وبيانه أن في هذه الكتب مثلاً قراءة نافع من رواية ورش و قالون ، وقد روى الناس
عن نافع غيرهما ؛ منهم إسماعيل بن أبي جعفر اللذي وأبو خلف وابن حبان ، والأصمعي

- (١) هو الحسن بن محمد بن إبراهيم البغدادي . توفي سنة ٤٢٨ (طبقات القراء ١ : ١٢٣٠)
(٢) هو زيد بن الحسن بن زيد أبو الهيثم الكندي البغدادي تزيل بغداد توفي بدمشق سنة ٦١٣ ،
(طبقات القراء ١ : ٢٩٨) .
(٣) هو أحمد بن محمد بن مامويه أبو الحسن
الدمشقي ، ذكره ابن الجزري في طبقات القراء ١ : ١٢٨ ، ولم يذكر تاريخ وفاته .
(٤) له محمد بن عبد الكرم اللقب بنظام الدين ، وانظر طبقات القراء ٢ : ١٧٤
(٥) زاهر بن رستم أبو حنبلع الأصمعي النافسي ، مات بمكة سنة ٦٠٩ ، (طبقات القراء ١ : ٢٨٨) .
(٦) هو أبو بكر محمد بن إبراهيم الزنجاني الحجاوري بمكة ؛ ذكره ابن الجزري في الطبقات ٢ : ٤٨
(٧) خطيب دمشق أمه من واسط ؛ ورحل إلى دمشق ثم عاد إلى موطنه ؛ وتوفي سنة ٦٩٤ ،
(طبقات القراء ١ : ٣٥) .
(٨) التبصرة في القراءات السبع ، لأبي محمد
(٩) الكالقي في القراءات السبع ، لحمد بن
مكي بن أبي طالب القتيبي .
شرح الإصطيل .

والسبقي وغيرهم ، ومن هؤلاء مَنْ هو أعلم وأوثق من ورش وقلون ، وكذا السمل في كل راي وقارى .

الخامس : أن باختلاف القراءات يظهر الاختلاف في الأحكام ؛ ولهذا بَيَّ القهاء
نقض وضوء للموض وعلمه على اختلاف القراءات في ﴿ كَسَمُّ ﴾ و ﴿ لَامَسَمُّ ﴾^(١)
وكذلك جواز وطء الحائض عند الاقطاع وعلمه إلى الفصل على اختلافهم في ﴿ حَقِّ
يَطْهَرْنَ ﴾^(٢) .

وكذلك [آية] السجدة^(٣) في سورة النمل مبنية على القراءتين . قال القراء : من
خَفَّفَ ﴿ أَلَا ﴾ كان الأمر بالسجود ، ومن شَدَّدَ لم يكن فيها^(٤) أمرٌ به . وقد نوزع في ذلك .
إنما علمت ذلك فاختلوا في الآية إذا قرئت بقراءتين على قولين : أحدهما أن الله تعالى
قال بهما جميعا . والثاني أن الله تعالى قال بقراءة واحدة إلا أنه أُذِنَ أن يُقرأ بقراءتين .
وهذا الخلاف غريب رآه في كتاب « البستان »^(٥) لأبي الليث السمرقندي . ثم
اختاروا في المسألة توسطا ، وهو أنه إن كان لكل قراءة تفسير ينافي الآخر فقد قال بهما جميعا

(١) سورة النساء ٤٣ ، وانظر تفسير القرطبي ٥ : ٢٢٣

(٢) سورة البقرة ٢٢٢ : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ ﴾ ، وهي قراءة نافع وأبي عمرو ،
وقرأ حمزة والكسائي ﴿ حَقِّ يَطْهَرْنَ ﴾^(١) . وانظر تفسير القرطبي ٣ : ٨٨ .

(٣) سورة النمل ٢٥ ، ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْغُلَبَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ .

(٤) التخفيف قراءة الكسائي ورويس وأبو جعفر ، ووجهه بأن « الأ » للاستفتاح والباقيون بتشديد اللام ،
(انصاف فضلاء العصر ٣٣٦) .

(٥) هو كتاب بستان المارفين ، لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي المنقي ، المتوفى سنة ٣٧٥ . قال
صاحب كشف الثنون : « وهو مختصر مفيد على مائة وخمسين بابا في الأحاديث والآثار الواردة في الآداب الشرعية
والمجال والأخلاق وبعض الأحكام الشرعية » .

ونصير القراءات بمنزلة آيتين ، مثل قوله : ﴿وَلَا تَرْبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَظْهَرَنَّ﴾^(١) . وإن كان تفسيرهما واحدا كالبيوت والبيوت^(٢) والمحصنات والمحصنات^(٣) بالنصب والجبر ، فإنما قال بأحدهما وأجاز القراءة بهما لكل قبيلة ، على ما تعود لسانهم .

فإن قيل : إذا صح أنه قال بأحدهما فبأي القراءتين قال ؟ قيل : بلنعتريش . انتهى .

العادس : أن القراءات لم تكن متميزة عن غيرها إلا في قرن الأربعمائة ، جمها أبو بكر ابن^(٤) مجاهد ؛ ولم يكن متسع الرواية والرحلة كغيره . وللرأد بالقراءات السبع النقلة عن الأئمة السبعة :

أحمد عبد الله بن كثير اللخمي القرشي مولاهم ؛ أبو حميد وقيل أبو محمد ، وقيل أبو بكر ، وقيل أبو الصلت ، ويقال له الداربي^(٥) . وهو من التابعين ، وسمع عبد الله بن الزبير وغيره . توفي بمكة سنة عشرين ومائة ، وقيل اثننتين وعشرين^(٦) .

الثاني نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم ؛ مولى جموعة بن شعوب^(٧) الألبني ، مومدني ؛ أصله من أصبهان ، كنيته أبو رؤيم ؛ وقيل أبو الحسن ، وقيل أبو عبد الرحمن وقيل

(١) سورة البقرة ٢٢٢ ؛ وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن كثير وابن عامر وعاصم ؛ وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر والفضل ﴿يَظْهَرَنَّ﴾ ؛ وانظر ما يترتب على القراءتين من الحكم في تفسير القرطبي ٣ : ٨٩ .

(٢) البيوت ، بكسر الباء فراء تظنون وابن كثير وابن عامر وأبو بكر وحمزة والكسائي وخلفه ، (إنحاف فضلاء البشر ٢٥٣) .

(٣) عن الحسن بالكسر والياقون بالفتح (إنحاف فضلاء البشر ١٨٨) .

(٤) هو أحد بن موسى بن الميالي بن مجاهد شيخ القراء في بغداد ؛ ولا يعلم أحد من شيوخ القراءات أكثر تلاميذه منه ؛ توفي سنة ٣٢٤ (طبقات القراء ١ : ١٣٩) .

(٥) في الأصول : «الفائق» تصحيف ؛ منسوب إلى عبد القار ؛ وانظر ترجمته في (طبقات القراء ١ : ٤٤٣) .

(٦) انظر ترجمته في (طبقات القراء ٢ : ٣٣٠ - ٣٣٤) .

(٧) ت : «جموعة بن شبيب» ، وما أتته عن ط وطبقات القراء .

أبو عبد الله . توفي بالمدينة سنة تسع وستين ومائة^(١) .

الثالث عبد الله بن عامر بن يزيد بن ربيعة اليحصبيّ الدمشقيّ قاضي دمشق ، وهو من كبار التابعين ، ولد في أول سنة إحدى وعشرين من الهجرة ، وتوفي بدمشق يوم عاشوراء سنة ثمان عشرة ومائة ، وقيل ولد سنة ثمان من الهجرة ، ومات وهو ابن مائة وعشر سنين . وفي كنيته سبعة أقوال : أصحها أبو عمرو . وقيل أبو محمد ، وأبو عبدالله ، وأبو موسى ، وأبو نعيم ، وأبو عثمان ، وأبو مغيث^(٢) .

الرابع أبو عمرو بن عمارة بن عبد الله البصريّ . قيل اسمه زبّان ، وقيل يحيى ، وقيل عثمان ، وقيل محبوب ، وقيل اسمه كنيته . توفي بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة ، وقرا على ابن كثير وغيره^(٣) .

الخامس عاصم بن أبي النّجود (بفتح النون) أبو بكر الأسديّ الكوفي ، توفي بالكوفة سنة سبع ، وقيل ثمان وعشرين ومائة . قال سفيان وأحمد بن حنبل وغيرهما : بهذّلة هو أبو النّجود^(٤) . وقال عمرو بن عليّ : بهذّلة أمّه . قال أبو بكر بن داود : هذا خطأ . وقال عبد الله بن أحمد : قال أبي : أنا أنا : بار قراءة عاصم .

السادس حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الزيات التيميّ ، مولا م ، الكوفي أبو عمارة . توفي بمحوان سنة ثمان ، وقيل ست وخمسين ومائة^(٥) .

(١) انظر ترجمته في (طبقات القراء ٢ : ٣٣٠ - ٣٣٤) .

(٢) انظر ترجمته في (طبقات القراء ١ : ٤٢٣ - ٤٢٥) .

(٣) انظر ترجمته في (طبقات القراء ١ : ٢٨٨ - ٢٩٢) .

(٤) انظر ترجمته في (طبقات القراء ١ : ٣٤٦ - ٣٤٩) .

(٥) انظر ترجمته في (طبقات القراء ١ : ٢٦١ - ٢٦٣) .

السابع الكسائي على بن حمزة الأسدي مولاهم، الكوفي . توفي سنة تسع وثمانين ومائة ؛ كان قرأ على حمزة^(١) . قال مكّي : وإنما ألحق بالسبعة في أيام للأمن ؛ وإنما كان السابع يعقوب الحضرمي ، فأثبت ابن مجاهد في سنة ثلاثمائة أو نحوها الكسائي في موضع يعقوب .

وليس في هؤلاء السبعة من العرب إلا ابن عامر وأبو عمرو .
قال مكّي : وإنما كانوا سبعة لوجهين : أحدهما أن عثمان رضي الله عنه كتب سبعة مصاحف ووجه بها إلى الأمصار ، فجعل عدد القراء على عدد للمصاحف . الثاني أنه جعل عددهم على عدد الحروف التي نزل بها القرآن وهي سبعة ، على أنه لو جعل عددهم أكثر أو أقل لم يمتنع ذلك . إذا عدد الرواة للوثوق بهم أكثر من أن يحصى .
وقد ألف ابن جبير للقرئ - وكان قبل ابن مجاهد - كتابا في القراءات وسماه كتاب الحجة ، ذكر فيه خمسة من القراء لا غير . وألف غيره كتابا وسماه الثمانية ، وزاد على هؤلاء السبعة يعقوب الحضرمي . انتهى .

قلت : ومنهم من زاد ثلاثة وسماه كتاب البشارة .

قال مكّي : والسبب في اشتها هؤلاء السبعة دون غيرهم أن عثمان رضي الله عنه لما كتب للمصاحف ، ووجهها إلى الأمصار ، وكان القراء في مصر الشافعي . والثالث كثير المدد ، فأراد الناس أن يقتصرُوا في مصر الرابع على ماوافق للمصحف ، فنظروا إلى إمام مشهور بالفقه والأمانة في النقل ، وحسن الدين ، وكل الملم ، قد طال عمره واشتهر أمره وأجمع أهل مصر على عدالته ، فأفردوا من كل مصر وجه إليه عثمان مصحفا إماما هذه صفة قراءته على مصحف ذلك للمصر ، فكان أبو عمرو من أهل البصرة ، وحمزة وعاصم من أهل الكوفة وسوادها ، والكسائي من المراق ، وابن كثير من أهل مكة ،

(١) انظر ترجمته في (طبقات القراء ٩ : ٥٣٥ - ٥٤٠) .

وابن عامر من أهل الشام ، ونافع من أهل المدينة ؛ كلهم ممن اشتهرت إمامتهم ؛
وطال عمرهم في الإقراء ، وارتحل الناس إليهم من البلدان .

وأول من اقتصر على هؤلاء السبعة أبو بكر بن مجاهد سنة ثلاثمائة ، وتابعه الناس .
والحق المحققون ، منهم البخوي في تفسيره بهؤلاء السبعة [قراءة] ثلاثة ، وهم يعقوب
الحضري ، ^(١) وخلف ^(٢) ، وأبو جعفر بن ^(٣) قتاع اللدني شيخ نافع ؛ لأنها لا تخالف
رسم السبع .

وقال الإمام أبو محمد إسماعيل بن إبراهيم الهروي في كتاب الكافي له : فإن قال
قاتل . فلم أدخلهم قراءة أبي خضص اللدني ويعقوب الحضري في جملتهم ، وهم خارجون عن
السبعة المتفق عليهم ؟ قلنا : إنما اتبعنا قراءتهما كما اتبعنا السبعة ؛ لأننا وجدنا قراءتهما على
الشرط الذي وجدناه في قراءة غيرهما ممن بعدهما في العلم والثقة بهما وانصال إسنادهما ، واختلاف
العلم عن روايتهما . ثم إن التمسك بقراءة سبعة فقط ليس له أثر ولا سنة ؛ وإنما السنة
أن تؤخذ القراءة إذا اتصلت روايتها قلا وقراءة ولفظا ولم يوجد علم على أحدهما روايتها ؛
ولهذا المعنى قدمنا السبعة على غيرهم وكذلك قلنا أبا جعفر ويعقوب على غيرهما .

ولا يقوم أن قوله صلى الله عليه وسلم : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » انصرافه إلى
قراءة سبعة من القراء يولدون من بعد عصر الصحابة بستين كثيرة ؛ لأنه يؤدي إلى
أن يكون الخبر متعرياً عن فائدة إلى أن يحدثوا ؛ ، ويؤدي إلى أنه لا يجوز لأحد من
الصحابة أن يقرأوا إلا بما علوا أن السبعة من القراء يختارونه ، قال : وإنما ذكرناه لأن
قوما من العامة يتعلقون به .

(١) هو يعقوب بن إسماعيل الحضري ؛ إمام أهل البصرة ؛ توفي سنة ٢٠٥ . وانظر ترجمته في طبقات
(القراء ٢ : ٣٨٦ - ٣٨٩) .

(٢) هو خلف بن هشام بن ثعلبة أبو عبد الأسد ، توفي سنة ٢٢٩ بينداد (طبقات القراء ١ : ٢٧٢) .

(٣) هو أبو جعفر يزيد بن القتاع ، أحد التابعين . توفي سنة ١٣٠ (طبقات القراء ٢ : ٣٨٢) .

وقال الشيخ موفق الدين الكواشي^(١) : كل ما صح سندُه واستقام مع جهة العربية ، ووافق لفظه خطُ المصحف الإمام فهو من السبع للنصوص عليها ، ولو رواه سبعون ألفاً مجتمعين أو متفرقين . فلي هذا الأصل ينشأ من يقول : القراءات عن سبعة كان أو سبعة آلاف ، ومتى فقد واحد من هذه الثلاثة للذكورة في القراءة فاحكم بأنها شاذة ؛ ولا يقرأ بشيء من الشواذ ؛ وإنما يذكر ما يذكر من الشواذ ؛ ليكون دليلاً على حسب للدلول عليه ، أو مرجحاً .

وقال مكي : وقد اختار الناسُ بعد ذلك ، وأكثر اختياراتهم إنما هو في الحرف إذا اجتمع فيه ثلاثة أشياء : قوة وجه العربية ، وموافقته للمصحف ، واجتماع العامة عليه العامة عندم هو ما اتفق عليه أهلُ المدينة وأهل الكوفة ؛ فذلك عندم حجة قوية توجب الاختيار . وربما جعلوا العامة ما اجتمع عليه أهل الحرمين ، وربما جعلوا الاعتبار بما اتفق عليه نافع وعاصم ؛ فقرأة هذين الإمامين أوّل القراءات ، وأصحها سنناً وأفضلها في العربية ، ويطوؤها في التفصاح خاصة قراءة أبي عمرو والكسائي .

وقال الشيخ شهاب الدين أبو شامة : كل قراءة ساعدتها خطُ المصحف مع محبة النقل فيها ومجيئها على النصيح من لغة العرب فهي قراءة صحيحة معتبرة ؛ فإن اختلف أحدُ هذه الأركان الثلاثة أطلق على تلك القراءة أنها شاذة وضعيفة ؛ أشار إلى ذلك جماعة من الأئمة المتقدمين ، ونسّ عليه الشيخ أبو محمد مكي بن أبي طالب القيرواني في كتاب مفرد صنّفه في معاني القراءات السبع ، وأمر بإلحاقه بكتاب الكشف^(٢) ، وذكره شيخنا أبو الحسن في كتابه جمال^(٣) القراء .

(١) هو أحمد بن يوسف بن حسن ، موفق الدين الكواشي الموصل ، صاحب التفسير المسمى كشف المغاني ، توفي سنة ٦٨٠ (طبقات القراء ١ : ١٥١) .

(٢) كتاب الكشف عن وجوه القراءات وعلاها ؛ ذكره صاحب كشف الظنون .

(٣) جلال القراء وكمال الإقراء ، لأبي الحسن علم الدين علي بن محمد بن عبد الصمد الخاوي ؛ جمع فيه أنواعاً من الكتب المتعلقة على ما يتعلق بالقراءات والتجويد والناسخ والتنويح والوقف والاختفاء . (كشف الظنون) .

قال أبو شامة رحمه الله : وقد ورد إلى دمشق استفتاء من بلاد الجعم عن القراءة الشاذة : هل تجوز القراءة بها ؟ وعن قراءة القارئ عشرة ، كل آية قراءة قارئ ، فأجاب عن ذلك جماعة من مشايخ عصرنا ؛ منهم شيخنا الشافعية والمالكية حينئذ ، وكلاهما أبو عمر وعثمان - يعني ابن الصلاح وابن الحاجب .

قال شيخ الشافعية : يشترط أن يكون للقراءة به على تواتر قلّه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرآناً ، واستفاض قلّه بذلك ، وتلقته الأمة بالقبول كهذه القراءات السبع ؛ لأنّ للمتبر في ذلك اليقين والتطعن على ما قرر وتمهّد في الأصول ؛ فما لم يوجد فيه ذلك ما عدا العشرة فمنوع من القراءة به منع محرم ، لا منع كراهة ، في الصلاة وخارج الصلاة ، ومنوع منه عن عرف المصادر والمصنفين ومن لم يعرف ذلك ، وواجب على من قدر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يقوم بواجب ذلك ، وإنما قلها من قلها من العلماء لقوائد منها ما يملق بطلان المربة لا القراءة بها ؛ وهذا طريق من استقام سبيله . ثم قال : والقراءة الشاذة ما قل قرآناً من غير تواتر واستفاضة متلقاة بالقبول من الأئمة ، كما يشتمل عليه « المختص » ^(١) لابن جنى وغيره . وأما القراءة بالمعنى على تجويزه من غير أن ينقل قرآناً فليس ذلك من القراءة الشاذة أصلاً ؛ وللتجريح على ذلك متجريح على عظيم ، وضالّ ضلالاً بعيداً ، فيعزّر ويمنع بالحس ونحوه . ويجب منع القارئ بالشواذ وتأنيبه بعد توبيخه ، وإن لم يتمتع فليخبره بشرطه . وأما إذا شرع القارئ في قراءة فينبغي ألا يزال يقرأ بها ما بقي للكلام متعلق بما ابتدأ به ، وما خالف هذا فنه جائز وممتنع وعذره مائع من قيامه بحقه ، والعلم عند الله تعالى .

وقال شيخ المالكية رحمه الله : لا يجوز أن يقرأ بالقراءة الشاذة في صلاة ولا غيرها ،

(١) المختص لابن جنى في توجيه القراءات الشاذة ؛ ونعزم المجلس الأعلى للفتوى الإسلامية ، بحقيق الأستاذ على النجدي .

عالماً بالربة كان أو جاهلاً ؛ وإذا قرأها قارئٌ ، فإن كان جاهلاً بالتحريم عُرِفَ به وأُيرَ بقرعها ، وإن كان عالماً أُدبَ بشرطه ، وإن أصرَّ على ذلك أُدبَ على إصراره ، وحسب إلى أن يرتدع عن ذلك . وأما تبديل « آتينا » « بأعطينا » و« سولت » « بزيت » ومحوه ؛ فليس هذا من الشواذ ، وهو أشدَّ تحريماً والتأديب عليه أبلغ ، وللمنع منه واجب ، وأما القراءة بالقراءات المختلفة في آي المشر الواحد فالأولى ألا يفعل . نعم إن قرأ بقرأتين في موضع إحداها مبنية على الأخرى مثل أن قرأ « تنفروا لكم » بالنون و « خطيتكم » بالجمع ومثل : « إِنْ نَصِلْ إِحْدَاهُمَا فَذُكِّرْ » ^(١) بالنصب ، فهذا أيضاً ممنوع وحكم للمنع كما تقدم . قال الشيخ شهاب الدين : وللمنع من هذا ظاهراً ، وأما ما ليس كذلك فلا يمنع منه ؛ فإن الجمع جائز ، والتخيير فيه بأكثر من ذلك كان حاصلاً بمنأى من إزال القرآن على سبعة حروف توسة على القراءة ؛ فلا ينبغي أن يضيق بالمنع من هذا ولا ضرر فيه ، نعم أكره ترداد الآية بقرأتين مختلفتين كما يفعله أهل زماننا في جمع القرآن لما فيه من الابتداع ، ولم يرد فيه شيء من المتعلمين ، وقد بلفى كراهته عن بعض متصدي الغاربه للتأخيرين .

قلت : وما أفتى به الشيخان قله النووي في شرح للهدب ^(٢) عن أصحاب الشافعي فقال : قال أصحابنا وغيرهم : لا تجوزُ القراءة في الصلوة ولا غيرها بالقراءة الشاذة ؛ لأنها ليست قرآناً ؛ لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر ، والقراءة الشاذة ليست متواترة ، ومن قال غيره فغاطط أو جاهل ، فلو خالف وقرأ بالشاذ أنكر عليه قراءتها في الصلاة وغيرها ، وقد اتفق قهاه بضاد على استنابة مَنْ قرأ بالشواذ . ونقل ابن عبد البر إجماع المسلمين على أنه لا تجوز القراءة بالشواذ ، ولا يُصلَّى خَلْفَ من يقرأ بها .

(١) سورة البقرة ٢٨٢ . مع كسر همزة إن ، وهي قراءة حجة .

(٢) للهدب في الفروع للإمام إبراهيم بن محمد الشيرازي الفقيه الشافعي للثوق سنة ٤٧٦ ، وشرحه للإمام عبي الدين أبو زكريا عبي بن شرف النووي للثوق سنة ٦٧٦ . (كشف الظنون) .

الأمر السابع : أن حاصل اختلاف القراء يرجع إلى سبعة أوجه :

الأول الاختلاف في إعراب الكلمة أو في حركات بقائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب ، ولا يغير معناها ؛ نحو ﴿البُخْلُ﴾ و ﴿البَخْلُ﴾^(١) . و ﴿مِيسِرَةٌ﴾ و ﴿مِيسْرَةٌ﴾^(٢) . و ﴿وَمَا هُنَّ أَهْلُهُمْ﴾^(٣) و ﴿وَهُنَّ أَهْلُهُ لَكُمْ﴾^(٤) و ﴿أَطَهَرُ لَكُمْ﴾ . و ﴿وَهَلْ يُجَازِي إِلَّا الْكُفُورُ﴾ ، و ﴿وَهَلْ يُجَازِي إِلَّا الْكُفُورُ﴾^(٥) .

الثاني الاختلاف في إعراب الكلمة في حركات بما يغير معناها ، ولا يزيلها عن صورتها في الخط ؛ نحو ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾^(٦) و ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾^(٧) . و ﴿إِذْ تَقُولُ﴾^(٨) و ﴿تَقُولُ﴾^(٩) . و ﴿وَأَذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾^(١٠) و ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ ؛ وهو كثير يقرأ به ، لما صححت روايته ووافق العربية .

الثالث الاختلاف في تبديل حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها ، ولا يغير

(١) من قوله تعالى في سورة النساء ٣٧ : ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ ، فراحضة والكسائي وخلف بفتح الباء والماء ، والباقون بالضم والكون . (إتحاف فضلاء البشر ١٩٠) .
 (٢) من قوله تعالى في سورة البقرة ٢٨٠ : ﴿فَنَظَرَوْا إِلَى مَيْسِرَةٍ﴾ ، نافع ، بضم الميم ووالله ابن عيصن ، والباقون بالفتح (إتحاف فضلاء البشر ١٦٦) .
 (٣) سورة المجادلة ٢ . قال في الكشف ٢ : ٤٣٩ : « وقرأ بالرفع أيضاً ، على القننين : المجازية والتميمية » .

(٤) سورة هود ٧٨ . قرأ الحسن وعيسى بن عمر بفتح الراء ، والمائة بضمها (تفسير القرطبي ٩ : ٧٦) .
 (٥) سورة سبأ ١٧ . قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر وأبو جعفر ﴿مُجَازِي﴾ .
 ﴿إِلَّا الْكُفُورُ﴾ والباقون بنون اللفظة وكسر الزاى ونصب الكفور ، (إتحاف فضلاء البشر ٣٥٩) .
 (٦) سورة سبأ ١٩ ، الثانية قراءة يعقوب ، والأولى قراءة الباقيين . (إتحاف فضلاء البشر ٣٣١) .
 (٧) سورة التور ١٥ ، والثانية قراءة محمد بن السميع ، والأولى قراءة الباقيين . (تفسير القرطبي ١٢ : ٢٠٤) .

(٨) سورة يوسف ٤٥ والثانية عن ابن عباس (تفسير القرطبي ٩ : ٢٠١) .

صورة الخط بها في رأى العين ؛ نحو ﴿ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ﴾^(١) و ﴿ نُنْشِزُهَا ﴾ ، و ﴿ فَرَّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ﴾^(٢) و ﴿ فَرَّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ﴾ و ﴿ يَقُصُّ الْحَقُّ ﴾ و ﴿ يَقْضَى الْحَقُّ ﴾^(٣) ، وهو كثير يقرأ به إذا صحَّ سنده ووجهه لموافقته لصورة الخط في رأى العين .

الرابع الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتابة ولا يغير معناها نحو ؛ ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾^(٤) و ﴿ إِلَّا زَقِيَةً وَاحِدَةً ﴾ و ﴿ كَالْمِيزِ الْمَنُوشِ ﴾^(٥) و ﴿ كَالصُّوفِ الْمَنُوشِ ﴾ فهذا يقبل إذا صححت روايته ، ولا يقرأ به اليوم لخالفته لخط الصحف ، ولأنه إنما ثبت عن آحاد .

الخامس الاختلاف في الكلمة بما يُزيل صورتها في الخط ويُزيل معناها ، نحو ﴿ أَلَمْ نَزِيلِ الْكِتَابِ ﴾^(٦) في موضع ﴿ أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ . و ﴿ طَلَحَ مَنُصُودٌ ﴾^(٧) و ﴿ طَلَحَ مَنُصُودٌ ﴾ فهذا لا يقرأ به أيضا ؛ لخالفته ؛ الخط ، ويقبل منه ما لم يكن فيه تضاد لما عليه للصحف .

السادس الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو ما روى عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه أنه قرأ عند الموت : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ ﴾^(٨) ، وهذا قرأ ابن

(١) سورة البقرة ٢٥٩ : الأولى قراءة ابن عامر وعاصم وحزرة والكسائي والثانية قراءة الباين .
(إتحاف فضلاء البشر ١٦٢) .

(٢) سورة سبأ ٢٣ ؛ والثانية قراءة الحسن والأولى قراءة الباين (إتحاف فضلاء البشر ٣٦٠)
(٣) سورة الأنعام ٥٢ ، والأولى قراءة نافع وابن كثير وعاصم وجماعة من الأعراب وابن عباس ، والثانية قراءة الباين (الترمذي ٦ : ٤٣٩) .

(٤) سورة يس ٢٩ ؛ والثانية قراءة ابن مسعود (الكشف ٢ : ٢٥١) .

(٥) سورة لقارعة ٥ ؛ والثانية عن ابن مسعود (الكشف ٢ : ٥٥٨) .

(٦) سورة السجدة ١ ، ٢

(٧) سورة الواقعة ٢٩

(٨) سورة ق ١٩ ؛ وروايتها عند حفص ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ .

مسمود ؛ فهذا يقبل لصحة معناه إذا صحت روايته ، ولا يقرأ به لحاقته للمصحف ، ولأنه غير واحد .

السام الاختلاف بالزيادة والنقص في الحروف والكلم نحو ﴿ وَمَا عَلَّمْتَهُم ﴾^(١) ، و ﴿ نَجْعَةً أَتَى ﴾^(٢) ونظائره ، فهذا يقبل منه ما لم يحدث حكاه بقوله أحد ، ويُقرأ منه ما اتفق عليه المصاحف في إثباته وحذفه ، نحو : ﴿ تَجْرِي تَحْتَهَا ﴾^(٣) في براءة عند رأس ثلاثة ، و ﴿ مِنْ تَحْتِهَا ﴾ ، و ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ النَّبِيُّ الْحَمِيدُ ﴾^(٤) ، في الحديد ، و ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ النَّبِيُّ ﴾ ؛ ونحو ذلك مما اختلف فيه المصاحف التي وجه بها عبان إلى الأعمار فقرأ به إذ لم يخرج عن خط المصحف ، ولا يقرأ منه ما لم يختلف فيه المصاحف ، لا يُراد شيء لم يزد فيها ، ولا ينقص شيء لم ينقص منها .

الأمر الثامن ، قل أبو عبيد في كتب « فضائل القرآن » إن القصد من القراءة الشاذة تفسيرُ القراءة للشهورة وتبيين معانيها ؛ وذلك كقراءة عائشة وحفصة : « حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى صَلَاةَ الْمَعْرِ »^(٥) .
وكقراءة ابن مسمود : « وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا »^(٦) .

(١) سورة يس ٣٥ . قال الزمخشري « وقرئ » : ﴿ وَمَا عَلَّمْتَ ﴾ من غير راجع ؛ وهي في مصاحف أهل الكوفة ، وفي مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام الضمير (الكشاف ٢ : ٢٥٢) .
(٢) سورة ص ٢٣ ؛ حكيت عن ابن مسمود (الكشاف ٢ : ٢٨١) .
(٣) التوبة ١٠٠ ، والثانية قراءة ابن كثير ووافقه ابن عيمن (إتحاف فضلاء البشر ٢٤٤) .
(٤) سورة الحديد ٢٤ ؛ والثانية عن نافع ، وهو في مصاحف أهل المدينة والشام ، (الكشاف ٤٣٧ : ٢) .

(٥) سورة البقرة ٢٣٨

(٦) سورة المائدة ٣٨ ؛ وقراءة حفص : ﴿ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ .

ومثل قراءة أبي : « الَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ رَبُّهُمْ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ قَبْلَ فَاهُوا فِيهِمْ »^(١) .

وكقراءة سعد بن أبي وقاص : « وَإِنْ كَانَ لَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ مِنْ أُمِّهِ فَلِكُلٍّ ... »^(٢) .
وكأقرأ ابن عباس : « لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ »^(٣) .

— قلت : وكذا قراءة : « وَأَيُّنَ أَنَّهُ الْفِرَاقُ »^(٤) وقال : ذهب الظن . قال أبو الفتح : يريد أنه ذهب اللفظ الذي يصلح للشك ؛ وجاء اللفظ الذي هو مُصَرَّحٌ باليقين . انتهى — .

وكقراءة جابر : « فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَامِهِمْ لَهُ غُفُورٌ رَحِيمٌ »^(٥) .
فهذه الحروف وما شاكلها قد صارت مفسرة للقرآن ، وقد كان يروى مثل هذا عن بعض التابعين في التفسير فيستحسن ذلك ، فكيف إذا روي عن كبار الصحابة ، ثم صار في نفس القراءة ! فهو الآن أكثر من التفسير وأقوى ؛ فأدنى ما يثبت من هذه الحروف معرفة صحة التأويل ؛ على أنها من العلم الذي لا يَمِرُّ العامة فضله ؛ إنما يعرف ذلك

(١) سورة البقرة ٢٢٦ . وقراءة حفص بحذف « فِيهِمْ » .

(٢) النساء ١٢ ، وقراءة حفص : « وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلٍّ ... » بحذف « مِنْ أُمِّ » .

(٣) سورة البقرة ١٩٨ ، وقراءة حفص : « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَقَضْتُمْ .. » بحذف « فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ » .

(٤) سورة القيامة ٢٨ ، وقراءة حفص : « وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ » .

(٥) سورة التور ٣٣ ؛ وقراءة حفص بـ « لَهُ » .

العلماء ، ولذلك يعتبر بهما وجه القرآن ؛ كقراءة من قرأ : ﴿ يَقْضِي الْحَقَّ ﴾^(١) فلما وجدتها في قراءة عبد الله : ﴿ يَقْضِي الْحَقَّ ﴾ علمت أنها إمسا هي ﴿ يقضي ﴾ قرأتها على ما في المصحف ؛ واعتبرت معها تلك القراءة ، وكذلك قراءة من قرأ : ﴿ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنْ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ﴾^(٢) ، ثم لما وجدتها في قراءة أبيّ « تنبئهم » علمت أن وجه القراءة ﴿ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ في أشباه من هذا كثيرة .

فائدة

قيل قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو راجعة إلى أبيّ ، وقراءة ابن عامر إلى عثمان بن عفان ، وقراءة عاصم وحزة والكسائي إلى عثمان وعلى وابن مسعود .

فائدة

قال ابن مجاهد : إذا شك القارئ في حرف هل هو مدود أو مقصور ؟ فليقرأ بالضم ، وإن شك في حرف : هل هو مفتوح أو مكسور ؟ فليقرأ بالفتح ؛ لأن الأول غير لحن في بعض اللواضع .

(١) سورة الأنعام ٥٧ ، وقرأ نافع وابن كثير وعاصم وأبو جعفر وابن عيصم ﴿ يَقْضِي ﴾ بالصاد المشددة المرفوعة ، وقرأ الباقر بن عاف ساكنة وضاد مكسورة ؛ عدا ابن مسعود فإنه يثبت الياء (وانظر التنوير ٢ : ٢٤٩ ، والإيضاح ٢٠٩ ، والقرطبي ٦ : ٤٣٩) .
(٢) سورة النمل ٨٢ ، وهي قراءة الجمهور ، (وانظر البحر المحيط ٧ : ٩٧) .

السُّنُوحُ الْمَشَارِقُ وَالْمَشْرِقُونَ مَعْرِفَةُ تَوْجِيهِ الْقُرْآنَاتِ وَتَبْيِيحُ جِهَةِ مَا زُهِبَ إِلَيْهِ كُلِّ قَارِئٍ

وهو فن جليل ، وبه تُعرف جلالة للمائي وجزالتها ، وقد اعتنى الآثمة به ، وأفردوا فيه كتباً ، منها كتاب « الحجة » لأبي عليّ الفارسيّ ، وكتاب « الكشف » لمكي^(١) وكتاب « الهداية » للهدوي^(٢) . وكلُّ منهما قد اشتمل على فوائد . وقد صنفوا أيضاً في توجيه القراءات الشواذ ، ومن أحسنها كتاب « المختب » لابن جني ، وكتاب أبي البقاء ، وغيرها .

وفائدته - كما قال الكواشي : أن يكون دليلاً على حسب الدلول عليه ، أو مرجحاً ؛ إلا أنه ينبغي التنبيه على شيء ؛ وهو أنه قد ترجّح إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحاً يكاد يستيقظ القراءة الأخرى ؛ وهذا غير مرضيٍّ ؛ لأن كليهما متواترة ، وقد حكى أبو عمر الزاهد في كتاب « اليواقيت » عن ثعلب أنه قال : إذا اختلف الإعراب في القرآن عن السبعة لم أفضل إعراباً على إعراب في القرآن ؛ فلذا خرجتُ إلى الكلام (كلام الناس) فضأتُ الأخوي ؛ وهو حسن .

" وقال أبو جعفر النحاس - وقد حكى اختلافهم في ترجيح ﴿ فَكَّ رَقَبَةٍ ﴾^(٣) بالصدرية والتعلية قال : والديانة تحظر الظنّ على القراءة التي قرأ بها الجماعة ، ولا يجوز أن تكون

(١) الكشف عن وجوه القراءات وعلمها - (٢) الهداية لأبي العباس أحمد بن عمار للهدوي المتوفى سنة ٤٣٠ (كشف الظنون) . (٣) سورة البقرة ١٧٣ ، قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكشاف

﴿ فَكَّ رَقَبَةٍ ﴾ على النقل للمائي وللنقل للصبوح ، وقرأ الباقون ﴿ فَكَّ رَقَبَةٍ ﴾ على أنه مصدر مضاف لا بعده . (وانظر تصحيح القرطبي ٢٠ : ٧٠ ، والإتحاف ٤٩ : ٤٤٠ ، وإعراب القرآن للمعدي ٤٤٠)

مأخوذة إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد قال : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » ،
فهما قراءتان حفتان ، لا يجوز أن تقدم إحداها على الأخرى .

وقال في سورة الزمل : السّلامة عند أهل الدّين أنه إذا صحت القراءتان عن الجماعة
ألا يقال : أحدهما أجود ؟ لأحدهما جميعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فيأتم من قال ذلك ؛
وكان رؤساء^(١) الصحابة رضی الله عنهم يشكرون مثل هذا .

وقال الشيخ شهاب الدين أبو شامة رحمه الله : قد أكره للصنفون في القراءات
والتفاسير من الترجيح بين قراءة (مَلِكٍ)^(٢) و (مَالِكٍ)^(٣) حتى إن بعضهم يبالغ إلى
حدٍّ يكاد يقطع وجه القراءة الأخرى ؛ وليس هذا بمحمود بعد ثبوت القراءتين ؛ واتّصاف
الربّ تعالى بهما ؛ ثم قال : حتى إنى أصلى بهذه في ركعة ، وبهذه في ركعة .

وقال صاحب « التحرير »^(٤) : وقد ذكر التوجيه في قراءة (وَعَدْنَا)^(٥) و (وَأَعَدْنَا)^(٦) :
لا وجه لترجيح بين بعض القراءات السبع وبعض في مشهور كتب الأئمة من المفسرين
والقراء والنحويين ؛ وليس ذلك راجعاً إلى الطريق حتى يأتي هذا القول ؛ بل مرجعه
بكثره الاستعمال في اللغة والقرآن ، أو ظهور اللحن بالنسبة إلى ذلك للقام .

وحاصله أن القارئ يختار رواية هذه القراءة على رواية غيرها ، أو نحو ذلك ؛ وقد تجرأ
بعضهم على قراءة الجمهور في (فَنَادَتْهُ لِلْإِنْسِكَةِ)^(٧) قال : أكره التأنيث لما فيه من
مواقة دعوى الجماعية في زعمها أن للإنسكة إنث ؛ وكذلك كره بعضهم قراءة من قرأ
بغير تاء ؛ لأن للإنسكة جمع

(١) م : ٥ ، روس . (٢) سورة النّاقة ٣ ، وطسم والكاف ويغوب وخلف بالألف ،
والياءون بغير ألف . (إتحاف فضلاء البشر ١٢٢) .

(٣) مر محمد بن سليمان للنحوف بإثبات التثنية ، صاحب كتاب التحرير والتبصير ، لأقوال أئمة التفسير ،
في مسائل كلام السبع البصر ؛ ذكره صاحب كشف الظنون . (٤) سورة البقرة ٥٦ . أبو عمر
وأيوب جفر ويغوب بغير ألف ، وواتهم ابن عيمن ، والياتون بغير ألف (الإتحاف ١٣٦) .

(٥) سورة آل عمران ٣٩ ، وانظر الإتحاف ١٧٣ .

وهذا كله ليس بجيد ، والقراءتان متواترتان ؛ فلا ينبغي أن ترد إحداهما البتة ؛ وفي قراءة عبدالله : ﴿ فَتَادَاهُ جَبْرِيلُ ﴾ ما يؤيد أن اللامسكة مراد به الواحد .

فصل

[في توجيه القراءة الشاذة]

وتوجيه القراءة الشاذة أقوى في الصناعة من توجيه للشهورة ، ومن أحسن ما وضع فيه كتاب « الحنوب » لأن الفصح ؛ إلا أنه لم يُستوفَ ، وأوسع منه كتاب أبو البقاء العسكري ؛ وقد يستبشع ظاهر الشاذ بأدبى رأى يفيد التأويل ، كقراءة : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾^(١) ، على بناء الفعل الأول للمفعول دون الثانى ؛ وتأويل الضمير في ﴿ وَهُوَ ﴾ راجع إلى الولي .

وكذلك قوله : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْغَالِقُ الْبَارِئُ لِلصُّورِ ﴾ بفتح الواو راء ؛ على أنه اسم مفعول ، وتأويله أنه مفعول لاسم الفاعل ، الذى هو البارئ ، فإنه يَمْلُ عمل الفعل ؛ كآته قال : الذى برأ المصور .

وكقراءة : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾^(٢) ، وتأويله أن الخشية هنا معنى الإجلال والتعظيم ؛ لا الخوف .

وكقراءة : ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾^(٣) بضم التاء على التكلم لله تعالى ؛ وتأويله على معنى : فإذا أرشدتكم إليه وجلتكم قصده . وجاء قوله : ﴿ عَلَى اللَّهِ ﴾ على الالتفات ؛ وآلا قال : ﴿ فتوكل على ﴾ ؛ وقد نُسب المزم إليه في قول أم سلمة « ثم مزم الله لي » ، وذلك على سبيل المجاز . وقوله : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾^(٤) .

(١) سورة طه ٢٨ . قرأ بها عمر بن عبد العزيز ،

(٢) سورة الأنعام ١٤

وتحكى عن أبي حنيفة (وانظر تفسير القرطبي ١٢ : ٢٤٤) . (٣) سورة آل عمران ١٥٩

(٤) سورة آل عمران ١٨ يكسر المزمزة أى على إجراء « شهد » عرى القول ، (الإتحاف ١٧٢) .

النسخ الرابع والمشدون معرفة الوقف والابتداء

وهو فن جليل ، وبه يعرف كيف أداء القرآن . ويترتب على ذلك فوائد كثيرة ؛ واستنباطات غزيرة . وبه تبيين ماني الآيات ، ويؤمن الاحتراز عن الوقوع في المشكلات . وقد صنف فيه الزجاج^(١) قديما كتاب « القطع والاستئناف » ، وابن الأنباري ، وابن عباد^(٢) ، والذهبي^(٣) ، والمأني^(٤) ، وغيرهم . وقد جاء عن ابن عمر أنهم كانوا يعلمون ما يقبض أن يوقف عنده ، كما يعلمون القرآن^(٥) .

وروي عن ابن عباس : (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ)^(٦)
قال : فاعلم الكلام .

(١) كذا ذكر المؤلف : وفي الإحسان : « النحاس » وفي دار الكتب المصرية نسخة مصورة من تأليف أبي جعفر النحاس بهذا الاسم .
(٢) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عباد القرني ؛ التوفي سنة ٣٣٤ ، (ذكره صاحب كشف الظنون ١٤٧١) .
(٣) في كتاب الأكتاف في الوقف والابتداء ؛ ومنه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٤١٧ تقيديتيور .

(٤) هو أبو محمد الحسن بن علي بن سعيد المأني القرني ، قال ابن الجزري : له في الوقف كتابان ، أحدهما كتاب الرشد . وقد لحقه ذكرها الأنصاري في كتاب أسماء : القصد لتلخيص مافي الرشد ، طبع في مصر سنة ١٩٣٤ م .

(٥) الخبر بتمامه كما نقله أحمد بن محمد بن عبد الكريم الأنصوني : « قال عبد الله بن عمر : لقد عشنا برمة من حمراء ، وإن أحدنا ليؤتي الإيمان قبل القرآن ، ولقد رأينا اليوم رجلا يؤتي أحدكم القرآن قبل الإيمان ، فقرأ ما بينه إلى خاتمه ، ما يدري ما أمره ولا زاجره ، ولا ما يقبض أن يوقف عنده ، وكل حرف منه ننادي : أما رسول الله إليك لتعلم بي ، وتنتظ بمواعظي » .

(٦) سورة النساء ٨٣

واستأنس له ابنُ النحاس بقول النبي صلى الله عليه وسلم للخطيب : « بُسِ الخطيبُ أنت » حين قال : [مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَدْ رَشِدَ] ^(١) وَمَنْ يَعْصِمْهَا - ووقف - قال : قد كان ينبغي أن يصل كلامه فيقول : وَمَنْ يَعْصِمْهَا قَدْ غَوَى ، أوقف على : « ورسوله قَدْ رَشِدَ » ؛ فإذا كان [مثلُ هذا] ^(٢) مكرها في الخطب في كلام الله أشدُّ .

وفيا ذكره زِراع ليس هذا موضعه ، وقد سبق حديث : « أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَرْفَ كُلُّ كَافٍ شَافٍ ؛ مَا لَمْ تَحْمِ آيَةَ عَذَابٍ بِآيَةِ رَحْمَةٍ ، أَوْ آيَةَ رَحْمَةٍ بِآيَةِ عَذَابٍ » . وهذا تسليم للتمام ؛ فإنه يَنْبَغِي أَنْ يَوْفَى عَلَى الْآيَةِ الَّتِي فِيهَا ذِكْرُ الْعَذَابِ وَالنَّارِ وَتُفَصَّلَ عَنْهَا بِسَلَامٍ ؛ نَحْوُ : ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ^(٣) وَلَا تَوصل بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ ^(٤) ، وكذا قوله : ﴿ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ ^(٥) وَلَا تَوصل بقوله : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الثَّرَى ﴾ ^(٦) وكذا : ﴿ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِي ﴾ ^(٧) ؛ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَوْصَلَ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَالظَّالِمُونَ ﴾ ^(٨) وَقَسْ عَلَى هَذَا نَظَائِرَهُ .

[حاجة هذا الفن إلى مختلف العلوم]

وهذا الفنُ معرفته محتاج إلى علوم كثيرة ؛ قال أبو بكر بن مجاهد : لا يقوم بالتمام [في الوقف] ^(٩) إِلَّا نَحْوِي عَالَمٌ بِالْقُرْآنِ ، عَالِمٌ بِالتفسيرِ والتقصصِ وتلخيصِ بعضها من بعض ، عَالِمٌ بِاللغةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ . وقال غيره : وكذا علم اللغة ؛ ولِذَا مَنْ لَمْ يَقْبَلْ شَهَادَةَ التَّائِذِ وَإِنْ تَابَ وَقَفَ ^(١٠) عِنْدَ قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ﴾ ^(١١) .

(١) تمكلة من كتاب منار الهدى للاشموني ص ٤ .

(٢) سورة البقرة ٨٢

(٣) سورة البقرة ٨١

(٤) سورة غافر ٦

(٥) سورة غافر ٧

(٦) سورة الشورى ٨

(٧) تمكلة من الإخلاق ٧ : ٨٧ فيا قل عن ابن مجاهد .

(٨) سورة التور ٤

(٩) في الإختان : « يقف » .

فأما احتياجهُ إلى معرفة النحو وتقديراته ، فلأن مَنْ قال في قوله تعالى : ﴿ مِثْلَ آبَائِكُمْ إِِبْرَاهِيمَ ﴾ ^(١) : إنه منصوب بمعنى « كَمِثْلِهِ » ^(٢) أو أعمل فيها ما قبلها ، لم يقف على ما قبلها .

وكذا الوقف على قوله : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ ^(٣) ، ثم يبتدئ ﴿ قِيًّا ﴾ ^(٤) ، لتلا يتخيل كونه صفة له ؛ إذا العِوَجُ لا يكون قِيًّا ؛ وقد حكاه ابنُ النعلس عن قتادة .
* وهكذا الوقفُ على ما في آخره هاء ؛ فإنك في غير القرآن ثبت الهاء إذا وقعت ، ونحذفها إذا وصلت ؛ فقول : قِهْ وعِهْ ، وقول : قِ زيدا ، وعِ كلامي ؛ فأما في القرآن من قوله تعالى : ﴿ كِتَابِيَّةً ﴾ ^(٥) و ﴿ حَيَّائِيَّةً ﴾ ^(٦) و ﴿ سُلْطَانِيَّةً ﴾ ^(٧) و ﴿ مَاهِيَّةً ﴾ ^(٨) و ﴿ لَمْ يَنْسَهُ ﴾ ^(٩) و ﴿ اقْتَدِهْ ﴾ ^(١٠) ؛ وغير ذلك ، فالواجب أن يوقف عليه بالهاء ؛ لأنه مكتوبٌ في اللصف بالهاء ، ولا يوصل ، لأنه يلزم في حكم العربية إسقاط الهاء في الوصل ؛ فإن أتبعها خالف العربية ، وإن حذفها خالف مراد للصف ، ووافق كلام العرب ، وإذا هو وقف عليه خرج من الخلافين ، وأتبع للصف وكلام العرب *

فإن قيل : قد جوزوا الوصل في ذلك .

قلنا : أتوا به على نية الوقف ؛ غير أنهم قصرُوا زمن الفصل بين النقطتين ، فظن مَنْ لا خبرة له أنهم وصلوا وصلًا محضًا ، وليس كذلك

(١) سورة الحج ٧٨

(٢) في الأصول : « كلمة » تحريف ، وفي تضم القرطبي ٢٢ . ١٠١ : « انصب على تقدير حذف لكاف ؛ كقوله قال : « كلمة » .

(٣) سورة الكهف ٢

(٤) سورة الكهف ١

(٥) سورة المائدة ٢٠

(٦) سورة المائدة ١٩

(٧) سورة الفارعة ١٠

(٨) سورة المائدة ٢٩

(٩) سورة الأنعام ٩٠

(١٠) سورة البقرة ٢٥٩

(*) (*) ما بين التجمتين ساقط من ث .

ومثله قراءة ابن عامر ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾^(١)، بإثبات الألف في حال الوصل؛
انبموا في إثباتها خط المصحف؛ لأنهم أنبتوها فيه على نية الوقف، فلهذا أنبتوها في حال
الوصل، وهم على نية الوقف.

وأما احتياجه إلى معرفة التفسير فلأنه إذا وقف على ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ
سَنَةً﴾^(٢) كان للمنى محرمَةٌ عليهم هذه للدة، وإذا وقف على ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾
كان للمنى محرمَةٌ عليهم أبداً؛ وأنَّ التَّيَّةَ أَرْبَعِينَ؛ فرجع في هذا إلى التفسير، فيكون
بحسب ذلك.

وكذا يستحب الوقف على قوله: ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرَءِدِنَا﴾^(٣)، ثم يتدى؛ فيقول:
﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ لأنه قيل إنه من كلام للأنكحة.

وأما احتياجه إلى المنى فكقوله: ﴿قَالَ، اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾^(٤) فيقف على
﴿قَالَ﴾ وقفةً تلطيفة؛ لئلا يتوهم كون الاسم الكريم فاعل: ﴿قَالَ﴾ وإما الفاعل يعقوب
عليه السلام.

وكذا يجب الوقف على قوله: ﴿وَلَا يَخْزُنُكَ قَوْلُهُمْ﴾^(٥) ثم يتدى: ﴿إِنَّ الْمِرَّةَ
لَهُ جَمِيعًا﴾^(٥).

وقوله: ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَبَانٍ﴾^(٦)، قال الشيخ عز الدين: الأحسن

(٢) سورة الواقعة ١٦

(٤) سورة يوسف ٦٦

(٦) سورة القصص ٣٥

(١) سورة الكهف ٣٧

(٣) سورة يس ٥٢

(٥) سورة يونس ٦٥

الوقف على ﴿إليكما﴾ ؛ لأن إضافة الفلقة ^(١) إلى الآيات أولى من إضافة علم الوصول إليها ؛ لأن الراد بالآيات النصا وصفاتها ، وقد غلبوا بها السحرة ، ولم يمنع عنهم فروعون . وكذا يصحب الوقف على قوله : ﴿أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ ^(٢) والابتداء بقوله : ﴿مَا يَصَاحِبُهُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ ^(٣) ؛ فإن ذلك يبين أنه رد لقول الكفار : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ لَمَسْجُوتٍ﴾ ^(٤) . وقال الداني : إنه وقف تام .

وكذا الوقف على قوله : ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ ^(٥) والابتداء بما بعده ^(٦) ؛ أي لأن يرحمهم ، فإن ابن عباس قال في تفسير الآية : ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ ^(٧) يعني اليهود والنصارى ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ ^(٨) ، يعني أهل الإسلام ، ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ ^(٩) أي لرحمته خلقهم .

وكذلك الوقف على قوله : ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ والابتداء بقوله : ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ﴾ ^(١٠) فإن بذلك يفتين الفصل بين الأمرين ؛ لأن يوسف عليه السلام أمر بالإعراض ؛ وهو الصنف من جهل من جهل قدره ، وأراد ضربه ، وللرأفة أمرت بالاستغفار لذنوبها لأنها همت بما يجب الاستغفار منه ؛ ولذلك أمرت به ؛ ولم يهتم بذلك يوسف عليه السلام ، ولذلك لم يؤمر بالاستغفار منه ؛ وإنما هم بدفعها عن ضمه لصمته ؛ ولذلك أكد أيضا بعض العلماء الوقف على قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ ^(١١) ، والابتداء بقوله : ﴿وَمَمَّ بِهَا﴾ ^(١٢) وذلك للفصل بين الخبرين . وقد قال الداني : إنه كافٍ ، وقيل : تام ، وذكر بعضهم أنه على

(١) إشارة إلى قوله تعالى آخر الآية ﴿أَنْتُمْ وَمَنْ آتَبَعَكُمْ أَلَا تَالِيُونَ﴾ .

(٢) سورة الأعراف ١٨٤

(٣) سورة المجر ٦

(٤) سورة هود ١١٩

(٥) وبمعنا . ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهَا﴾ .

(٦) سورة يوسف ٢٩

(٧) سورة يوسف ٢٤

حذف مضاف ، أى تم بدفها ، وعلى هذا فالوقف على ﴿مَتَّ بِه﴾ كالوقف على قوله تعالى : ﴿لِنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾^(١) ، والابتداء بقوله : ﴿وَمَّ بِهَا﴾ كالأجاء بقوله : ﴿وَقُرْهُ فِي الْأَرْحَامِ﴾^(٢) .

ومثله الوقف مراعاة للتنزيه على قوله : ﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾^(٣) ، وقد ذكر * صاحب الاكتفا^(٤) أنه تام^(٥) ، وذلك ظاهر على قول ابن عباس أنه على التقديم والتأخير ، وللفى : وهو الله يعلم سركم وجهكم في السموات والأرض .

وكذلك حكى الزمخشري في كشافه التقديم عن أبي حاتم البستي في قوله : ﴿مُسْتَهْزِئُونَ . اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾^(٦) قال : ليس ﴿مُسْتَهْزِئُونَ﴾ بوقف صالح ، لا أحب استئناف ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ ، ولا استئناف ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ لِلْكَارِئِينَ﴾^(٧) حتى أصله بما قبله ، قال : وإنما لم يستعجب ذلك لأنه إنما جاز إستاد الاستهزاء وللكر إلى الله تعالى على معنى الجزاء عليها ، وذلك على سبيل للزاوجة ، فإذا استأنفت وقطعت الثانی من الأول أوم أنك تُسند إلى الله مطلقا والحكم في صفات سبحانه أن تصان عن * الوهم .

وكذلك قوله تعالى : ﴿وَمَا يَظُنُّ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٨) قال صاحب الاكتفا^(٩) :

(١) سورة الحج •

(٢) سورة الأنعام ٣ ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ .

(٣) هو أبو عمرو الثاني وانظر من ٣٤٢ الحاشية ٣

(٤) من ٧٢ وقد ذكر الأشعري في منار الهدى من ١٠٧ أنه وقف حسن ، وانظر توجيهه هناك ،

وتفسير أبي حيان ٤ : ٧٢ - (• - •) ما بين التبيين ساقط من ت . (٥) سورة البقرة ١٤ ، ١٥

(٦) سورة آل عمران ٥٤ : ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ أَلْمَا كَرِيْن﴾ .

(٨) من (أ)

(٩) سورة آل عمران ٧

إنه تام على قول من زعم أن الراسخين لم يملوا تأويله ، وقول الأكرمين ، ويصدقه قراءة عبد الله : « وَيَقُولُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ آمَنَّا بِهِ » .

وكذلك الوقف على : « وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا »^(١) ، والابتداء بقوله : « سُبْحَانَهُ » وقد ذكر ابن نافع أنه تام ، في كتابه الذي تعقب فيه على صاحب الاكتضا ، واستدرك عليه فيه مواقف كثيرة ، وذلك أن الله أخبر عنهم بقولهم : « اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا » ، ثم رد قولهم ونزه نفسه بقوله : « سُبْحَانَهُ » ، فينبغي أن يفصل بين القولين .

ومثله الوقف على قوله تعالى : « الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ »^(٢) ، والابتداء بقوله : « وَأَمَلَى لَهُمْ »^(٣) . قال صاحب الكافي : « سَوَّلَ لَهُمْ » كافٍ ، سواء قرئ « وَأَمَلَى لَهُمْ » على ما لم يسم فاعله ، أو « وَأَمَلَى لَهُمْ » ، على الإخبار ؛ لأن الإماء في كلتا القراءتين مُسند إلى الله تعالى ، لقوله : « فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ »^(٤) ، فيحسن قطعه من التسويل الذي هو مسند إلى الشيطان ، وهو كما قال ، وإنما يحسن قطعه بالوقف ليفصل بين الحرفين . وقد نبه بعض من وصله على حسن هذا الوقف ، فاعتذر بأن الوصل هو الأصل .

ومثله الوقف على قوله : « رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا »^(٥) ، والابتداء بقوله : « مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ »^(٦) ، وذلك للإعلام بأن الله تعالى جعل الرهبانية في قلوبهم ، أي خلق ، كما جعل الرأفة والرحمة في قلوبهم وإن كانوا قد ابتدعوا فاعله تعالى خلقها ؛ بدليل قوله سبحانه : « وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ »^(٧) ؛ هذا مذهب أهل السنة ،

(١) سورة القتال ٢٥

(١١) سورة البقرة ١١

(٢) في القراءات السبع ، لأبي محمد إسماعيل بن أحمد السرخسي (كشف الظنون) .

(٦) سورة الصافات ٩٦

(٥) الحديد ٢٧

(٤) سورة الحج ٤٤

وقد نيب أبو علي الفارسي إلى مذهب الاعتزال بقوله في الإيضاح^(١) حين تكلم على هذه الآية قال : ألا ترى أن الرهبانية لا يستقيم حملها على ﴿جَعَلْنَا﴾ مع وصفها بقوله : ﴿ابْتَدَعُوها﴾ ، لأن ما يحمله الله لا يتدعونه ، فكذلك ينبغي أن يفصل بالوقف بين المذممين . ومثله الوقف على قوله تعالى : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾^(٢) ، والأبداً بقوله : ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَدَأَ ذَلِكَ عَلَيْهِ﴾ ، أي مُمَيَّنُونَ له صلى الله عليه وسلم ؛ فتكون هذه الجملة مستأنفة .

وأما احتياجه إلى للفرقة بالقرارات فلائه إذا قرأ : ﴿وَيَقُولُونَ حَبْرًا مَّحْجُورًا﴾^(٣) بفتح الحاء ، كان هذا التمام ، وإن ضمَّ الحاء - وهي قراءة الحسن - فالوقف عند ﴿حَبْرًا﴾ لأنَّ الرب كان إذا نزل بالواحد منهم شدة قال : « حَبْرًا » قيل له : « محجورا » أي لا تماذون كما كنتم تماذون في الدنيا ؛ حَجَرَ الله ذلك عليهم يوم القيامة .

وإذا قرأ ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾^(٤) إلى قوله : ﴿فَصَاصٌ﴾ فهو التام إذا نصب ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾ ، ومن رفع فالوقف عند : ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ وتكون ﴿وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ﴾ ابتداء حكم في السليين وما قبله في التوراة^(٥) .

(١) كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي في النحو : ألفه لخدم الدولة ، اشتمل على ١٩٦ باباً ، منها ١٦٦ في النحو والباقي في التصريف (كشف الظنون) .

(٢) سورة الفرقان ٢٢

(٣) سورة الحجر ٤

(٤) سورة المائدة ٤٥

(٥) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾

واعلم أن أكثر القراء يعضون في الوقف للمنى وإن لم يكن رأس آية ، ونزاعهم فيه بعض للتأخرين في ذلك ؛ وقال : هذا خلاف السنة ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف عند كل آية فيقول : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(١) ويقف ، ثم يقول : ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ ^(٢) وهكذا ، روت أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقطع قراءته آية آية ، ومعنى هذا الوقف على ردوس الآي ، وأكثر أواخر الآي في القرآن تام أو كاف ، وأكثر ذلك في السور القصار الآي ، نحو الواقعة ، قال : وهذا هو الأفضل ؛ أعنى الوقف ^(٣) على ردوس الآي وإن تملكت بما بعدها ، وذهب بعض القراء إلى تتبع الأغراض والقصائد ، والوقف ^(٤) عند ردوس انتهائها ؛ واتباع السنة أولى . ومن ذكر ذلك الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب (شُئْبُ الْإِيمَانِ) وغيره ، ورجح الوقف ^(٥) على ردوس الآي وإن تملكت بما بعدها . قلت : وحكى النعاس عن الأخفش على بن سليمان أنه يستحب الوقوف على قوله : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٦) لأنه رأس آية ، وإن كان متعلقا بما بعده .

[أقسام الوقف]

والوقف عند أكثر القراء ينقسم إلى أربعة أقسام : تام مختار ، وكاف جازز ، وحسن مفهوم ، وقبيح متروك . وقسّه بعضهم إلى ثلاثة ، وأسط الحسن . وقسّه آخرون إلى اثنين ، وأسط الكافي والحسن .

فالتام هو الذي لا يتعلق بشيء مما بعده ، فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده ؛

(٢) ت : « الوقف

(١) سورة الفاتحة ٢ ، ٣

(٣) سورة البقرة ٢

كقوله تعالى ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١)؛ وأكثر ما يوجد عند رموس الآي كقوله :
﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢) ، ثم يتدنى بقوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٣) وكذا :
﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾^(٤) ثم يتدنى بقوله : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٥) .

وقد يوجد قبل انقضاء الفاصلة ، كقوله : ﴿وَجَعَلُوا أَمْرَهُ أَهْلًا أَذَلَّةً﴾^(٦) هنا التمام
لأنه انقضى كلام بليقيس ، ثم قال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ فَعَصَوْا﴾^(٧) ، وهو رأس الآية .
كذلك : ﴿عَنِ اللَّهِ كَرِ بَمَدٍّ إِذَا جَاءَنِي﴾^(٨) هو التمام ، لأنه انقضاء كلام الفاعل الذي هو
أَبْنَى بن خلف ، ثم قال تعالى : ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾^(٩) وهو رأس آية .
وقد يوجد بعدها كقوله تعالى : ﴿مُصْبِحِينَ وَبَالَلِيلِ﴾^(١٠) (مصبحين) رأس الآية ،
﴿وَبِاللَّيْلِ﴾^(١١) التمام ؛ لأنه مقطوف على اللحن ، أي والصبح وبِالليل .

وكذلك : ﴿يَتَكَبَّرُونَ﴾ (وَزُخْرُفًا)^(١٢) . رأس الآية : ﴿يَتَكَبَّرُونَ﴾ ، ﴿وَزُخْرُفًا﴾
هو التمام ؛ لأنه مقطوف على ما قبله من قوله : ﴿سُقُفًا﴾^(١٣) .

وآخر كل قصّة وما قبل أولها وآخر كل سورة تام ، والأحزاب ، والأنصاف ،
والأرباع ، والأثمان ، والأصابع ، والأنواع ، والأعشار ، والأحاس . وقبل ياء النداء ،
وفعل الأمر ؛ والقسم ولامه دون القول ، و«الله» بغير رأس كل آية ، والشبرط مالم يتقدم جوابه ،
و«كَانَ اللهُ» ، و«ذلك» ، و«لولا» غالبين تام مالم يتقدم من قسم أو قول
أو مافى معناه^(١٤) .

والسكافي منقطع في اللفظ متعلق في المعنى ، فيحسن الوقت عليه والابتداء أيضا عن

(١) سورة البقرة ٥ (٢) سورة البقرة ٦ (٣) سورة البقرة ٤٦
(٤) سورة البقرة ٤٧ (٥) سورة البقرة ٢٤ (٦) سورة الفرقان ٢٩
(٧) سورة الصافات ١٣٧ ، ١٣٨ (٨) سورة الزخرف ٣٥ ، ٣٥ (٩) سورة الزخرف ٢٣
(١٠) انظر توضيح ذلك مفصلاً في كتاب الملهي للآشعري : ١٤ ، ١٥

بعده ، نحو : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾^(١) هنا الوقف ، ثم يتبدى بما بعد ذلك ، وهكذا باقى المطوعات ، وكل رأس آية بعدها «لام كي» و«إلا» بمعنى «لكن» و«إن» المكسورة للشدة ، والاستفهام ، و«بل» و«ألا» المحققة ، و«السين» و«سوف» على التهديد ، و«نم» ، و«بئس» ، و«كيلا» ، وغالبين كاف ، مالم يتقدمهن قول أو قسم ، وقيل «أن» للفتوحة المحققة خة لا غير - البقرة ﴿وَأَنْ تَصُومُوا﴾^(٢) ، ﴿وَأَنْ تَعْمُوا﴾^(٣) ، ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾^(٤) ، والنساء : ﴿وَأَنْ تَصِيرُوا﴾^(٥) ، والنور : ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ﴾^(٦).

والحسن^(٧) هو الذى يحسن الوقوف عليه ، ولا يحسن الابتداء بما بعده ، لتعلقه به فى اللفظ والمعنى ؛ نحو ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٨) و ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾^(٩) ، والوقف عليه حسن ، لأن المراد مفهوم ، والابتداء بقوله : ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٨) و ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾^(٩) ، و ﴿ مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ ﴾^(١٠) ، لا يحسن ؛ لأن ذلك مجرور ، والابتداء بالمجرور قبيح ؛ لأنه تابع .

والقيح هو الذى لا يفهم منه المراد نحو ﴿ الْحَمْدُ ﴾ فلا يوقف عليه ، ولا على الموصوف دون الصفة ، ولا على البذل دون البذل منه ، ولا على المطوف دون المطوف عليه ، نحو ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ ﴾^(١١) ، ولا على المجرور دون الجار .

(٢) سورة البقرة ١٨٤

(٤) سورة البقرة ٢٨٠

(٦) سورة النور ٦٠

(٧) انظر صفحة ٩ من كتاب « نثر المحدث فى الوقف والابتداء » .

(٩) سورة الحاقة ٤

(١) سورة النساء ٢٣

(٣) سورة البقرة ٢٣٧

(٥) سورة النساء ٢٥

(١١) سورة الحجر ٦٠

كقولہ : ﴿وَلَا تُحْزَنُونَ﴾^(١) ، بصدہ ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾^(٢) ، وإن كانت الآية مضادة لما قبلها كقولہ : ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ . الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾^(٣) ، فالوقف عليه قبيح .

واعلم أن وقف الواجب إذا وقت قبل «والله» ثم ابتدأت بوقفه، وهو الوقف الواجب كقولہ تعالى : ﴿حَذَرَ اللَّوْثِ ، وَاللَّهُ يُحِيطُ بِالْكَافِرِينَ﴾^(٤) .

وقال بعض النحويين : الجملة التأنيفية إذا عرفت أجزاؤها^(٥) ، وتكررت أركانها كان ما أدركه الحسن في حكم للذكور ؛ فله أن يقف كيف شاء . وسواء^(٦) التام وغيره ؛ إلا أن الأحسن أن يوقف على الأثم وما يقدر به .

وزهب الجمهور إلى أن الوقف في التنزيل على ثمانية أضرب : تام ، وشبيه [به]^(٧) ، وناقص ، [وحسن وشبيه به]^(٨) وقبيح ، وشبيه به ، وصنفوا فيه تصنيف ، فمنها ما أثروه عن النحاة ، ومنها ما أثروه عن القراء ، ومنها ما استنبطوه ، ومنها ما اقتدوا فيه بالسنة قط ، كالوقف على أواخر الآي ؛ وهي مواقف النبي صلى الله عليه وسلم .

وزهب أبو يوسف القاضي صاحب أبي حنيفة إلى أن تدبر للوقوف عليه من القرآن التام ، والناقص ، والحسن والقبيح ، وتسميته بذلك بدعة ، ومتعمد الوقف على محو مبتدع ، قال : لأن القرآن معجز ، وهو كالمقطعة الواحدة فكذلك قرآن وبعضه قرآن ، وكأه تام حسن ، وبعضه تام ، حكى ذلك أبو القاسم بن برهان النحوي عنه .

(١) سورة البقرة ٢٧٥

(٢) سورة البقرة ٢٧٤

(٣) سورة البقرة ١٩

(٤) ت : « ويستوى » .

(٥) سورة غافر ٦ ، ٧

(٦) ت : « عرنا أجزاها » .

(٧) تكله من كتاب الإختان ١ : ٨٥

وقال ابن الأثير: لا يتم الوقف على المضاف [دون المضاف إليه] ، ولا على الرابع دون الرفوع ، ولا على الرفوع دون الراض ، ولا على الناصب دون للتصوب ولا عكسه ، ولا على التوكّد دون التأكيّد ، ولا على المظوف دون للمظوف عليه ، ولا على إن وأخواتها دون اسمها ، ولا على اسمها دون خبرها ، وكذا ظنفت ، ولا على المسقّنة منه دون الاستثناء ، ولا على المفسّر عنه دون التفسير ، ولا على المترجم عنه دون الترجيم ، ولا على الموصول دون صلته ، ولا على حرف الاستفهام دون ما استفهم به عنه ، ولا على حرف الجزاء دون الفعل الذى بينهما ، ولا على الذى يليه دون الجواب . وجوز أبو على الوقف على ما قبل « إلا » إذا كانت بمعنى « لكن » كقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَا أَصْطَرَّ رُئُوسُهُمْ إِلَيْهِ ﴾ ^(١) ، وكقوله : ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءً وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾ ^(٢) ، و ﴿ إِلَّا أَنْبَاءَ الظَّنِّ ﴾ ^(٣) ونحوه .

وقال أبو عبيد : يجوز الوقف دون ﴿ إِلَّا خَطَا ﴾ ^(٤) ، ﴿ إِلَّا أَلَمَ ﴾ ^(٥) ، ﴿ إِلَّا سَلَامًا ﴾ ^(٦) ، لأنّ المعنى : لكن يقع خطأ ، ولكن قد لم ، ولكن يسلمون سلاماً ، وجميعه استثناء منقطع .

وقال غيره : لا يجوز الوقف على البديل دون البديل إذا كان منصوباً ، وإن كان مرفوعاً جاز الوقف عليه .

والحاصل أنّ كلّ شيء كان تعلّقه بمقابله كتملّق البديل بالبديل منه أو أقوى لا يجوز الوقف عليه .

(٢) سورة الليل ٢٠

(٤) سورة النساء ٩٢

(٦) سورة مريم ٦٢

(١) سورة الأنعام ١١٩

(٣) سورة النساء ١٥٧

(٥) سورة الحج ٣٢

(١)

مَسْأَلَةٌ

فصل بعضهم في الصفة بين أن تكون للاختصاص فيمتنع الوقف على موصوفها دونها ، وبين أن تكون للمدح فيجوز ، وجرى عليه الرُّماني في الكلام على قوله تعالى : ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾^(٢) ؛ قال : ويجوز الوقف عليه خلافاً لبعضهم ، وعاملُ الصفة في المدح غير عامل الموصوف ، فلهذا جاز قطعها عما قبلها ، بخلاف الاختصاص فإنَّ عاملها عامل الموصوف ، وسيأتي في كلام^(٣) الزُّغشري ما يؤيده .

مَسْأَلَةٌ

لا خلاف في التسامح بالوقف على السمتي منه دون السمتي إذا كان متصلاً ، واختلف في الاستثناء ، النقطع ، فمنهم مَنْ يَجُوزُهُ مطلقاً ، ومنهم مَنْ يَنْهَى عَنْهُ مطلقاً . وفصل ابن الحاجب في أماليه^(٤) فقال : يجوز إن سُرِّح بالغير ، ولا يجوز إن لم يصرَّح به ؛ لأنه إذا صرح بالغير استقلت الجملة واستغنت عما قبلها ، وإذا لم يصرَّح به كانت مفتقرة إلى ما قبلها . قال : ووجه مَنْ جَوَّزَ مطلقاً أنه في معنى مبتدأ حذف خيره للدلالة عليه ، فكان مثل قولنا : زيد ، لن قال : مَنْ أبوك ؟ ألا ترى أن تقدير النقطع في قولك : ما في البار أحد إلا الحارث ؛ لكن الحارث في البار ، ولو قلت : « لكن الحارث » مبتدئاً به بعد الوقوف على ما قبله لكان حسناً ، ألا ترى إلى جواز الوقف بالإجماع على مثل قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ

(١) لم تذكر في ت .

(٢) سورة البقرة ١٥٥

(٣) لم تذكر في ت .

(٤) ص ٣٥٨ من هذا الجزء .

(٥) منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ١٠٠٧ نحو .

لَا يَنْظُرُ النَّاسُ شَيْئًا^(١) والابداء بقوله : ﴿ وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ ﴾^(٢) ،
فكذلك هنا . ووجه من قل بالنع ما رأى من احتياج الاستثناء للنقطع إلى ما قبله لفظاً
ومعنى ؛ أما اللفظ فلأنه لم يبعد احتمال « إلاً » وما في معناها إلا متصلاً بما قبلها لفظاً ،
ألا ترى أنك إذا قلت : ما في الدار أحد غير حمار ، فوقت على ما قبل « غير » وابدأت به
كان قبيحاً ؛ فكذلك هنا ، وأما اللفظ فلأن ما قبله مُشعر بتمام الكلام في اللفظ ، فإن :
ما في الدار أحد إلا الحمار ، هو القى صحح قولك : « إلا الحمار » ألا ترى أنك لو قلت :
« إلا الحمار » على اضراءه كان خطأ

مسألة

اختلف في الوقف على الجملة النائية ، والمحققون كما قاله ابن الحاجب على الجواز ؛
لأنها مستقلة ، وما بعدها جملة أخرى ؛ وإن كانت الأولى تتعلق بها من حيث كانت
هي في اللفظ .

قاعدة

[في القى والدين في القرآن]

جمع ما في القرآن من « الدين » و« القى » يجوز فيه الوصل بما قبله نعتاً له ، والتعطف
على أنه خبر مبتدأ ، إلا في سبعة مواضع فإن الابتداء بها هو اللين .

(١) سورة يونس ٤٤

(٢) لم تذكر في ت .

الأول قوله : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾^(١) .
 الثانى قوله : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَمْرُقُونَ كَمَا يَمْرُقُونَ أبناءهم ﴾^(٢)
 فى البقرة .

الثالث فى الأنعام كذلك^(٣) .

الرابع قوله : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ ﴾^(٤) .
 الخامس فى سورة التوبة : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْثَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ ﴾^(٥)
 السادس قوله فى سورة الفرقان : ﴿ الَّذِينَ يُخْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ ﴾^(٦) .
 السابع قوله فى سورة حم المؤمن : ﴿ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ، الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ ﴾^(٧) .

وقال الزمخشري فى تفسير سورة الناس : يجوز أن يقف القارىء على الموصوف ويبتدىء
 (الذى يؤسوس) إن جملة على القطع بالرفع والنصب ، بخلاف ما إذا جملة صفة^(٨) . وهذا
 يرجع لما سبق عن الرمانى من الفصل بالصفة بين التخصيصية والقطعية .
 وجميع ما فى القرآن من القول لا يجوز الوقف عليه ؛ لأن ما بعده حكاية القول ، قاله
 الجوينى فى تفسيره .

وهذا الإطلاق مردود بقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَخْزُكَ قَوْلُهُمْ ﴾ فإنه يجب الوقف

- | | |
|---|---------------------|
| (١) سورة البقرة ١٢١ | (٢) سورة البقرة ١٤٦ |
| (٣) سورة الأنعام ٢٠ كما فى آية البقرة . | (٤) سورة البقرة ٢٧٥ |
| (٥) سورة التوبة ٢٠ | (٦) سورة الفرقان ٣٤ |
| (٧) سورة غافر ٧ | |

(٨) عبادة الزمخشري فى الكشاف ٢ : ٦٦٩ عند تفسير قوله : ﴿ الَّذِي يُؤَسِّسُ ﴾ : « يجوز
 فى هذه المركبات الثلاث ، فالمر على الصفة ، والرفع والنصب على التثنية ، ويحسن أن يقف القارىء على
 (أغلفاس) ، (ويبتدىء) بـ (الَّذِي يُؤَسِّسُ) على أحد هذين الوجهين » .

هنا ، لأن قوله : ﴿ إِنِّ الْمِزَّةَ فَهُ جَمِيعًا ﴾ ^(١) ليس من مقولهم .
قال : وسمعت أبا الحسين الدهان يقول : حيث كان فيه إضمار من القرآن حسن الوقف
مثاله قوله تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِمِصْرِكَ الْحَجَرَ ﴾ ^(٢) ، فيحسن الوقف
هاهنا ، لأن فيه إضماراً تقديره : فضرب فاضلق .

فصل

[ملخص في تسييات الوقف]

فصل جامع لخصته من كلام صاحب المستوفى ^(٣) في العربية

قال : تسييئهم الوقف إلى الجودة والحن والتبج والكفاية وغير ذلك وإن كان
يدلّ على ذلك فليست القسمة بها صحيحة مستوفاة على مستعملها ، وقد حصل لقائلها من
التشويش ما إذا شئت وجدته في كتبهم المصنفة في الوقوف .
فالوجه أن يقال : الوقف ضربان : اضطرارى واختيارى .

فالاضطرارى ما يدعو إليه انقطاع النفس قطع ؛ وذلك لا يخصّ موصيا دون
موضع ؛ حتى إن حمزة كان يقف في حرفة [على] كل كلمة تقع فيها الهمزة متوسطة أو
متطرفة إذا أراد تسييئها ؛ وحتى إنه روى عنه الوقف على الضاف دون اللضاف إليه ،
في نحو قوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتٍ ﴾ ^(٤) قالوا : وقف هنا
بالتاء على نحو جاء في « طلعت » إشاراً بأن الكلام لم يتم عند ذلك ، وكوقعه على « إلى »

(٢) سورة الشعراء ٦٣

(١) سورة يونس ٦٥

(٣) هو جمال الدين أبو سمد عليّ بن سمود بن عمود بن أحمد بن الحكيم القرطاني؛ وكتاب المستوفى

منه نسخة بخطوطه يدار الكتب المصرية برقم ١٧٦١ نحو .

(٤) سورة البقرة ٢٠٧

من قوله: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ﴾ ^(١) يأتاه حركة الميمزة على الساكن قبلها ، كهذه الصورة « خَلَوْا » ، وعلى هذا يجوز أن ينف في المنظوم من القول حيث شئت ؛ وهذا هو أحسن الوقفين .

والاختيارى وهو أفضلها ؛ هو الذى لا يكون باعتبار انفصال ما بين جزأى القول ؛ وينقسم باقسام الانفصال أقساماً :

الأول التام ؛ وهو الذى يكون بحيث يستغنى كل واحد من جزأى القولين اللذين يكتنفانه عن الآخر ؛ كالوقف على ﴿نَسْتَعِينُ﴾ ^(٢) من قوله : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ^(٣) ، والآخر : ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ^(٤) مستغن عن الآخر من حيث الإفادة النحوية والتعلق اللفظى .

الثانى الناقص ؛ وهو أن يكون ما قبله مستغنيا عما بعده ؛ ولا يكون ما بعده مستغنيا عما قبله ، كالوقف على ﴿لِلَّسْتَقِيمِ﴾ من قوله : ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ لِلَّسْتَقِيمِ﴾ ^(٥) ؛ ولأنك أن تكنت على ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ لِلَّسْتَقِيمِ﴾ ^(٦) ، وليس لك أن تقول مبتدئا : ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ^(٧) .

فإن قيل : ولم لا يجوز أن يقدَّرَ هلعنا الفعل الذى ينتصب به ﴿صِرَاطَ﴾ ؟ قلنا : أول ما فى ذلك أنك إذا قدرت الفعل قيل ﴿صِرَاطَ﴾ لم تكن مبتدئا بعين حيث للفق ، ثم إن قلت ذلك كان الوقف تاما ، لأن كل واحد من طرفيه يستغنى حينئذ عن الآخر . والنحويون يكرهون الوقف الناقص فى التنزيل مع إمكان التام ، فإن طال الكلام ولم يوجد فيه وقف تام حسن الأخذ بالناقص ؛ كقوله تعالى : ﴿قُلْ أَوْحَىٰ﴾ ^(٨) إلى قوله : ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ^(٩) إن كسرت بعده ﴿إِنْ﴾ فإن

(١) سورة البقرة ١٠٤

(٢) سورة الفاتحة ٥

(٣) سورة الفاتحة ٦

(٤) سورة الجن ١

(٥) سورة الفاتحة ٦

(٦) سورة الفاتحة ٧

(٧) سورة الجن ١٨

فَضَحَهَا قَالِي قَوْلِهِ : ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدًا﴾^(١) ؛ لَأَنَّ الْأُوجَةَ فِي « أَنْ » فِي الْآيَةِ أَنْ تَكُونَ مَحْمُولَةً عَلَى (أَوْجَى) وَهَذَا أَقْرَبُ مِنْ جَلِّ الْوَقْفِ التَّامِ (حَطْبًا)^(٢) ، وَجَلِّ : ﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا﴾^(٣) عَلَى الْقَسَمِ ، فَاضْطَرَّ فِي (وَأَنْ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ)^(٤) إِلَى أَنْ جَمَلَ التَّقْدِيرَ : ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(٥) ؛ لِأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ .

فَإِنْ قِيلَ : هَذَا هُوَ الْوَجْهَ فِي فَتْحِ « أَنْ » فِي الْجُمْلَةِ الَّتِي بَدَأَ قَوْلَهُ : ﴿قَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا . يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾^(٦) فَلَمْ يَلِزْهُمْ مَنْ جَمَلَ الْوَقْفِ التَّامِ (حَطْبًا)^(٧) أَلَّا يَقِفَ قَبْلَهُ عَلَى هَذِهِ الْجُمْلَةِ فِي كَسْرِ « إِنْ » فِي أَوَّلِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا ؟

قُلْنَا : لِأَنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةَ دَاخِلَةٌ فِي الْقَوْلِ ، وَمَا يَكُونُ دَاخِلًا فِي الْقَوْلِ لَا يَمُوتُ الْوَقْفُ دُونَهُ ؛ كَمَا أَنَّ لِلْعُطُوفِ إِذَا تَبِعَ لِلْعُطُوفِ عَلَيْهِ فِي إِعْرَاجِهِ الظَّاهِرِ وَلِلْقَدْرِ لَا يَتَقَدَّمُهُ الْوَقْفُ تَامًا .

فَإِنْ قِيلَ : فَهَلْ يَجُوزُ الْفَصْلُ بِالْمَكْسُورَاتِ بَيْنَ (أَنَّهُ اسْتَمِعَ) وَبَيْنَ (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ)^(٨) فِيمَنْ فَتَحَهُمَا وَقَدْ عَطَفَ بِالثَّانِيَةِ عَلَى الْأُولَى .

قِيلَ : أَمَّا عِنْدَنَا فَلَيْسَ ذَلِكَ بِفَصْلٍ ؛ لِأَنَّ مَا بَعْدَ (إِنَّا سَمِعْنَا) مِنَ الْمَكْسُورَاتِ مَعْطُوفٌ عَلَيْهَا ، وَهِيَ دَاخِلَةٌ فِي الْقَوْلِ ، وَالْقَوْلُ - أَعْنَى (قَالُوا) - مَعْطُوفٌ عَلَى (اسْتَمِعَ) ، وَ(اسْتَمِعَ) مِنْ صِلَةِ « أَنْ » الْأُولَى لِلْفَتْوحَةِ ، فَالْمَكْسُورَاتُ تَكُونُ فِي خَيْرِ الْفَتْوحَةِ الْأُولَى ، فَيُعْطَفُ عَلَيْهَا الثَّانِيَةُ بِلا فَصْلٍ بَيْنَهُمَا ، وَالثَّانِيَةُ عِنْدَنَا هِيَ الْحَقِيقَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾^(٩) ثُمَّ الثَّالِثَةُ هِيَ الَّتِي فِي قَوْلِهِ : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ .

(٢) سورة المِيز ١٥

(٤) سورة المِيز ١٩

(٦) سورة المِيز ٢٥

(٧) سورة المِيز ١٦

(١) سورة المِيز ١٩

(٥) سورة المِيز ١٦

(٥) سورة المِيز ١ ، ٢

(٧) سورة المِيز ١٩

ثم إن ضحت التي في قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ ^(١) رابعة تابعة ؛ فإن ضحت التي بعد ﴿سمعنا﴾ كانت هي والأوآتي بعدها إلى قوله : ﴿حَطَبًا﴾ ^(٢) داخلة في القول حطلا على اللفظ ، وقد يجوز أن تكون هي الثانية ثم تمدَّ بعدها على التقى . ونحو قوله تعالى : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ^(٣) إلى قوله : ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ﴾ ^(٤) وعلى هذا القياس .

الثالث الأتقص ؛ ومثله بقراءة بعضهم : ﴿وَإِنْ كُنَّا لَنَافِقِينَهِمْ﴾ ^(٥) ، وقراءة بعضهم : ﴿لَكِنَّهُ هُوَ اللَّهُ﴾ ^(٦) والفرق بينهما أن التام قد يجوز أن يقع فيه بين القولين مهلة وتراخ في اللفظ والتأنيص لا يجوز أن يقع فيه بين جزأى القول إلا قليل لبث ، والقدى دونها لا لبث فيه ولا مهلة أصلا .

ثم إن كُلا من التام والتأنيص ينقسم في ذاته أقساما . فالتام أعنه ما لا يتعلق باللاحق فيه من القولين بالسابق معنى ، كما لا يتعلق به لفظا ؛ وذلك نحو قوله تعالى : ﴿وَإِنْ نُصِيبُهمُ سَيْئَةً مِمَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ ^(٧) اللَّهُمَّ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ (٧) وشأن ما يتعلق فيه أحد القولين بالآخر معنى وإن كان لا يتعلق به لفظا ، وذلك كقوله : ﴿بِأَحْسَرَةٍ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ^(٨) وتعلق الثاني فيه بالأول تعلق الحال بذى الحال معنى .

(٢) سورة الجن الجن ١٦

(١) سورة الجن ١٩

(٥) سورة التكوير ١٤

(٣) سورة التكوير ١

(٥) سورة هود ١١١ بتخفيف « لن » من التثنية ؛ وهي قراءة نافع وابن كثير وأبو بكر (تفسير القرطبي ٩ : ١٠٤) .

(٦) سورة الكهف ٣٨ ؛ وهي قراءة عن الكسائي (تفسير القرطبي ١٠ : ٤٠٥) .

(٨) سورة يس ٣٠

(٧) سورة الشورى ٤٨ ، ٤٩

ونحو قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ كَمَا عَاكِفُونَ﴾^(١) إلى قوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ جَذَآذِفًا﴾^(٢) إلى قوله: ﴿بَلْ فَسَلَّ كَيْدُكُمْ هَذَا﴾^(٣)، فهذه الحال قد عطف بعضها على بعض في اللفظ، وظاهر كل واحد منها الاستئناف في اللفظ.

ونحو قوله تعالى: ﴿فَهُمْ بِهِ مُسْتَقْسِمُونَ . بَلْ قَالُوا﴾^(٤)، وأنت تعلم أن «بل» لا يبتدأ بها.

ونحو ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾^(٥)؛ فإن ما بعده منقطع عنه لفظاً إذ لا تعلق له من جهة اللفظ لكنه متعلق به معنى، وتعلقه قريب من تعلق الصفة بالوصف إلى قوله: ﴿وَتَصْلِيَةً جَحِيمٍ﴾^(٦).

ونحو قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾^(٧)؛ فإن الوقف عليه تام، ولكنه ليس بالأنتم، لأن ما بعده وهو قوله تعالى: ﴿إِنْ زُلْزِلَتْ السَّاعَةُ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾^(٨)، كالعلة لما قبلها، فهو متعلق به معنى؛ وإن كان لا تعلق له من جهة اللفظ، فقس على هذا ما سواه، فإنه أكثر أنواع الوقوف استعمالاً، وليس إذا حاولت بيان قصة وجب عليك ألا تقف إلا في آخرها؛ ليكون الوقف القول على الأنتم؛ ومن ثم أتى به من جمل الوقف على ﴿عَلَيْكُمْ﴾ من قوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾^(٩) غير تام.

(٢) سورة الأنبياء ٥٨
(٤) سورة الزخرف ٢٩، ٢٢
(٦) سورة الواقعة ٩٤
(٨) سورة النساء ٢٤

(١) سورة الأنبياء ٥٢
(٣) سورة الأنبياء ٦٣
(٥) سورة الواقعة ٧
(٧) سورة الحج ١

فصل

[متى يحسن الوقف الناقص]

يحسن الوقف الناقص بأمور :

منها أن يكون لفرب من البيان ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا . قِيَمًا ﴾^(١) إذ به تبين أن « قِيَمًا » منفصل عن « عِوَجًا » وأنه حالٌّ في نية التضم .

وكافي قوله تعالى : ﴿ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ ﴾^(٢) ليفصل به بين التحريم النسبي والسببي .

قلت : ومنه قوله تعالى : ﴿ يَا وَيْلَتَنَا مَبِثَّةَ جَنِّ مَرْقَدًا هَذَا ﴾^(٣) ليبين أن « هذا » ليس من مقولهم .

ومنها أن يكون على رموس الآي ، كقوله تعالى : ﴿ مَا كَثِيرٌ فِيهِ أَرْبَابٌ . وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾^(٤) ، ونحوه : ﴿ لَمَّا كُنْتُمْ تُرْجَوْنَ أَنْ تَقُولُوا ﴾^(٥) . وكان نافع يقف على رموس الآي كثيرا ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ أَيْحَسِبُونَ أَنَّ تُمَاعًا يُدْعِمُ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ . نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْغَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾^(٦) .

ومنها أن تكون صورته في اللفظ صورة الوصل بينها ، نحو قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَأَنَّى . تَرَاعَةَ لِلشَّوَى : تَدْعُو مَنْ أَذْبَرَ وَتَوَلَّى . وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴾^(٧)

(٢) سورة النساء . ٢٣
(٤) سورة الكهف ٣ ، ٤
(٦) سورة المؤمنون ٥٥ ، ٥٦

(١) سورة الكهف ١ ، ٢
(٣) سورة يس ٥٢
(٥) سورة الأنعام ١٥٥ ، ١٥٦
(٧) سورة المارج ١٥ - ١٨

ومنها أن يكون الكلام مبنيًا على الوقف ، فلا يجوز فيه إلا الوقف صينة ، كتوله ﴿بِأَلَيْسَ لَمْ أَوْتِ كِتَابِيَّةً . وَلَمْ أَدْرِ مَا حَبَآئِيَّةٌ﴾ ^(١) .
هذا في الناقص ؛ ومثاله في التام : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ . نَارٌ حَامِيَّةٌ﴾ ^(٢) .

فصل

[خواص الوقف التام]

من خواص التام المراقبة ، وهو أن يكون الكلام له مقطعان على البذل ، كل واحد منهما إذا فرض فيه وجب الوصل في الآخر ، وإذا فرض فيه الوصل وجب الوقف في الآخر ، كالحال بين « حياة » وبين « أشركوا » من قوله : ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمِنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ أَنْ يُمْرَ﴾ ^(٣) ، فَإِنَّكَ إِنْ جَلْتَ التلغ على « حياة » وجب أن تجدي فتقول : ﴿وَمِنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ﴾ ^(٤) ، على الوصل لأن « يود » صفة للفاعل في موضعه ، فلا يجوز الوقف دونه ، وكذلك إِنْ جَلَّ التلغ على « أشركوا » وجب أن يصل على « عَلَى حَيَاتِهِ » ^(٥) ، على أن يكون التقدير : وأحرص من الذين أشركوا - والله أعلم بمراده .

ومنه أيضا ما تراه بين « لَا رَيْبَ » ^(٦) ، وبين « فِيهِ » من قوله تعالى : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ^(٧) .

(٢) سورة الفارعة ١٠ ، ١١

(٤) سورة البقرة ٢

(١) سورة المائدة ٢٥ ، ٢٦

(٣) سورة البقرة ١٦

فصل

[اقسام الناقص باقسام خاص]

ينقسم الناقص باقسام ثمانية من التعلق الفعلي بين طرفيه ، فكلما كان التعلق أشدّ وأكثّر كان الوقف أخفّ ، وكلّما كان أخفّ واهى كان الوقف أقرب إلى التمام ، والتوسط يوجب التوسط .

فن وكيد التعلق ما يكون بين تواضع الاسمية والتملية وبين مقبوعاتها ؛ إذا لم يمكن أن يتمحل لها في إعرابها وجه غير الإتياع ؛ ومن ثمّ ضُفّ الوقف على (مُنْتَصِرِينَ) من قوله تعالى : ﴿وَنَاقِلِينَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ . فَتَوَّأَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ . فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ . وَقَوْمِ نُوحٍ﴾^(١) فيمن جر^(٢) غاية الضمف .

وضُفّ على (أنهم) من قوله : ﴿وَلَا تُطِيعُوا كُلَّ حَلَّافٍ مِثْنٍ . فَمَا زِلَّ شَأْنُكَ بِتَمِيمٍ . مَنَعَ الْغَيْرِ مُعْتَدٍ أَنَّهُمْ عَتَلُوا بِمَدَدِكَ رَبِّهِمْ﴾^(٣) . وضُفّ على (به) من قوله تعالى : ﴿سَوْماً يُجْزَىٰ بِهِ وَلَا يَحِطُّ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهًا وَلَا نَصِيرًا﴾^(٤) .

وضف على (أبداء)^(٥) من قوله : ﴿مَا كَثِيرٌ فِيهِ أُبْدَاءُ . وَيُنْذِرُ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾^(٦) .

على أنّ هذه الطبقة من التعلق قد تنقسم أقساماً ؛ فإنّه ليس بين البذل واللبذل منه من التعلق بين الصفة واللوصوف على ما ذكرناه .

(١) أي جر « قوم » ، وهي قراءة أبي عمرو

(٤) سورة النازع ١٢٣

(١) سورة النازعات ٤٣ - ٤٦

(٢) الإعراف ٤٠٠ . (٣) سورة ن ١٠ - ١٣

(٥) سورة النكث ٤ ، ٣

وأوهمى من هذا التعلق ما يكون بين القمل وبين ما ينتصب عنه من الزوائد التى لا يخلُ حذفها بالكلام كبير إخلال ، كالظرف ، والتمييز ، والاستثناء للتعلق ؛ ولذلك كان الوقف على نحو ﴿عجبا﴾ من قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾. إذ أوى الفِئْتَةُ إِلَى الْكَهْفِ^(١) أوهمى من الوقوف للذكورة . فإن وسّلت بين التعلق بالذكور من التعلق الذى للفعول أو الحلال المحصنة ، أو الاستثناء الذى يتغير بقوله للفقى وانتصب - كان لك فى الوقف على نحو ﴿مَسْنَبَةٍ﴾^(٢) من قوله تعالى: ﴿أَوْ لَطِيفًا فِي يَوْمٍ ذِي مَسْنَبَةٍ . نَبِيًّا ذَا مَقَرَّةٍ﴾^(٣) . وعلى نحو ﴿قليلًا﴾^(٤) من قوله تعالى: ﴿يُرَاهُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا . مُذَبِّحِينَ﴾^(٥) . وعلى نحو ﴿مصيبرا﴾ من قوله: ﴿جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا . إِلَّا لِلْمُتَصَفِّينَ﴾^(٦) وعلى نحو ﴿واحدة﴾ و ﴿زوجها﴾ ، من قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اقْتَوَارًا رِبَكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ فِيهَا رَجُلًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾^(٧) . وعلى نحو ﴿نذيرا﴾ من قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ يَأْذَنُ بِهِ وَيَسِرَّاجًا مُنِيرًا﴾^(٨) مرتبة بين المرتبتين للذكورتين .

فهذه ثلاث مراتب للوقف الناقص كما ترى ؛ بإزاء ثلاث طبقات من التعلق للذكور ، فإن قسمت طبقة من الطبقات اقسمت بإزائها مرتبة من المراتب ؛ قد خرج لك بحسب هذه القسمة - وهى القسمة الصناعية - ستة أصناف من الوقف فى الكلام : خمسة منها بحسب الكلام نفسه ، وهى الأتم ، والتام ، والاقصى يشبه التام ، والناقص للطلق ، والاقصص . وواحد من جهة التشكل أو التقارنى ، وهو الذى بحسب اختراع النفس كلبقى عن حمزة .

(٢) سورة البقرة ١٠٤ ، ١٠٥
(٤) سورة النساء ٩٧ ، ٩٨
(٦) سورة الأحزاب ٤٠ ، ٤١

(١) سورة الكهف ٩ ، ١٠
(٣) سورة النساء ٩٧
(٥) سورة النساء ١

واعلم أن الوقف في الكلام قد يمكن أن يكون من غير انقطاع نفس وإن كان لاشئ من انقطاع النفس إلا ومنه الوقف ، والوقوف أمرها على سبيل الجواز إلا الذي بي عليه الكلام وما سواه ، فليك منه أن تختار الأفضل فالأفضل ؛ بشرط أن تطابق به انقطاع نفسك لينجذب عند السكت إلى باطنك من الهواء ما تستعين به ثانيا على الكلام الذي تنشئه بإخراجه على الوجه للذكور .

ومما يدعو إلى الوقف في موضع الوقف الترتيل ؛ فإنه أعون شيء عليه ، وقد أمر الله تعالى به رسوله صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ أَنْ تَرْتِيلاً ﴾ ^(١) .

ويدعو إليه اجتناب تكرير النغمة الواحدة في القرآن تكريرا من غير فصل ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ ^(٢) ، وقوله : ﴿ لَتَسْجُدَ أَشْشَّمَىٰ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ . أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ، فِيهِ رِجَالٌ يُدْعَوْنَ أَنْ يَنْظُرُوا وَآفَئُهُ يَحِبُّ الْمُنْظَرِينَ ﴾ ^(٣) .

فصل

[في الكلام على « كلا » في القرآن]

« كلا » في القرآن على ثلاثة أقسام :

إحداها ما يميز الوقف عليه والابتداء به جميعا باعتبار معنيين .
والثاني ما لا يوقف عليه ولا يبتدأ به .

(٢) سورة الطارق ٦٠ .

(١) سورة الزمل ٣

(٣) سورة التوبة ١٠٨

والثالث ما يتبدأ به ولا يجوز الوقف عليه ، وجعله ثلاثة وثلاثون حرفاً ؛ تضمنها خمس عشرة سورة ؛ كلها في النصف الأخير من القرآن ؛ وليس في النصف الأول منها شيء .
والشيخ عبد العزيز الديريني ^(١) رحمه الله :

وما نزلت « كَلَّا » يثرب فاعلمن . ولم تأت في القرآن في نصفه الأعلى وحكمة ذلك أن النصف الآخر نزل أكثره بمسكة ، وأكثرها جارية ، فذكرت هذه الكلمة على وجه التهديد والتنبيه لهم ، والإنكار عليهم ، بخلاف النصف الأول . وما نزل منه في اليهود لم يحتاج إلى إيرادها فيه فلم وضمهم .

والأول اثنا عشر حرفاً :

منها في سورة مريم : (أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا . كَلَّا) ^(٢) .
ومن [فيها] : (لَيْسَكُونَا لَهُمْ عِزًّا . كَلَّا) ^(٣) .
وفي « للؤمنين » : (فَيَا تَرَكْتُ . كَلَّا) ^(٤) .
وفي المارج : (يُنْجِيهِ . كَلَّا) ^(٥) . وفيها : (جَنَّةَ نَعِيمٍ . كَلَّا) ^(٦) .
وفي للدثر : (أَنْ أَزِيدَ . كَلَّا) ^(٧) . وفيها : (صُحُفًا مُنشَرَّةً . كَلَّا) ^(٨) .
وفي القيامة : (أَيْنَ لِلْقَرِّ . كَلَّا) ^(٩) .

(١) هو أبو محمد عبد العزيز أحد بن سعيد بن عبد الله الديريني الشهير بالبربري ؛ المصري ؛ أحد فقهاء الشافعية ؛ وصاحب الأربعة السبعة بالخير في علم التنزيل ؛ تزيد على ألف ومائتي بيت ؛ طبعت بمصر سنة ١٣٠٠ . وتولى سنة ١٦٩٤ . (وانظر طبقات البكي ٥ : ٧٥) .

(٢) سورة مريم ٧٨ ، ٧٩

(٣) سورة مريم ٨١ ، ٨٢

(٤) سورة المارج ١٤ ، ١٥ ، ٣٨ ، ٢٩

(٥) سورة للدثر ١٥ ، ١٦

(٦) سورة للدثر ٥٢ ، ٥٣

(٧) سورة القيامة ١٠ ، ١١

(٢٤ - برهان - أول)

- وفي عبس : ﴿ تَتْلُو . كَلَّا ﴾ ^(١) .
 وفي الصافات : ﴿ قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ . كَلَّا ﴾ ^(٢) .
 وفي النجم : ﴿ أَمَانِينَ . كَلَّا ﴾ ^(٣) .
 وفي الهزلة : ﴿ أَخْلَهُ . كَلَّا ﴾ ^(٤) .

• • •

والثاني ثلاثة أحرف :

- في الشعراء : ﴿ أَنْ يَفْتُلُو . قَالَ كَلَّا ﴾ ^(٥) .
 وفيها : ﴿ إِنَّا لَنُدْرِكُكَ . قَالَ كَلَّا ﴾ ^(٦) .
 وفي سبأ : ﴿ أَلْقَمَ بِهِ شُرَكَاءَ . كَلَّا ﴾ ^(٧) .

• • •

والثالث ثمانية عشر حرفاً ^(٨) :

- في الدثر : ﴿ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴾ ^(٩) . ﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرَةٌ ﴾ ^(١٠) .
 وفي القيامة : ﴿ كَلَّا يَلْ تُجِبُّونَ الْمَاجِلَةَ ﴾ ^(١١) . ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ الْقَرَارِقَ ﴾ ^(١٢) .
 وفي النبأ : ﴿ كَلَّا سَيَقْبَلُونَهُ ﴾ ^(١٣) .
 وفي عبس : ﴿ كَلَّا لَنَا قَبْضٌ ﴾ ^(١٤) .

(٢) سورة المطففين ١٣ ، ١٤	(١) سورة عبس ١٠ ، ١١
(٤) سورة الهزلة ٤ ، ٣	(٢) سورة النجم ١٦ ، ١٧
(٦) سورة الشعراء ٦١ ، ٦٢	(٥) سورة الشعراء ١٤ ، ١٥
(١٠) سورة الدثر ٥٤	(٧) سورة سبأ ٢٧ (أ) كذا ذكر المد في جميع الأصول ؛ وما أورده أربعة عشر قطب .
(١٢) سورة القيامة ٢٦	(٩) سورة الدثر ٣٢
(١٤) سورة عبس ٢٣	(١١) سورة القيامة ٧٠
	(١٣) سورة النبأ ٤

- وفي الاختصار : ﴿ كَلَّا بَلْ نَكْذِبُونَ ﴾ ^(١) .
 وفي التطفيف : ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُتُورِ ﴾ ^(٢) . ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ ﴾ ^(٣) .
 وفي النجم : ﴿ كَلَّا إِذَا ﴾ ^(٤) .
 وفي الملق : ﴿ كَلَّا إِنَّ ﴾ ^(٥) . ﴿ كَلَّا لَنَنْ لَمْ يَنْفَعِهِ ﴾ ^(٦) . ﴿ كَلَّا لَا تَطْلُغُ ﴾ ^(٧) .
 وفي الشكائر : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَمْلِكُونَ ﴾ ^(٨) .

وقسمها مكي أربعة أقسام :
 الأول : ما يحسن الوقف فيه على « كلاً » ، على معنى الرد لما قبلها والإنكار ؛
 فنكون بمعنى : ليس الأمر كذلك ، والوقف عليها في هذه اللواضع هو الاختيار ، ويموز
 الابتداء بها على معنى « حقا » ، أو « إلا » ، وذلك أحد عشر موضعا :
 منها للموضمان في مريم . وفي المؤمنين .
 وفي سبأ : ﴿ أَلْقَسَمَ بِذِ شُرَكَاءِ كَلَّا ﴾ ^(٩) . وموضمان في المارج . وموضمان
 في اللذر . وموضع في التطفين ، والنجم ، والحطمة . قال : فهذه أحد عشر موضعا ، الاختيار
 عندنا وعند أكثر أهل القنة أن وقف عليها على معنى النفي والإنكار لما تقدمها ، ويموز
 أن يتبدى بها على معنى « حقا » ، لجملتها تأكيذا للكلام القى بدما ، أو الاستتبع .

الثاني : ما لا يحسن الوقف عليه فيها ، ولا يكون الابتداء بها على معنى « حقا » ، أو « إلا »

(٢) سورة التطفيف ٧

(١) سورة الاختصار ٩

(٣) سورة التطفيف ١٥

(٤) سورة النجم ٢١

(٥) سورة الملق ٦

(٦) سورة الملق ١٥

(٧) سورة الملق ٢٩

(٨) سورة الشكائر ٣

(٩) سورة سبأ ٢٧

أولمقتها بما قبلها وبما بعدها ، ولا يوقف عليها ، ولا يبدأ بها ، ولا ابتداء بها في هذه المواضع
أحسن : وذلك في ثمانية عشر موضعا : موضعان في اللذر : ﴿ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشْرِ .
كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴾ ، ^(١) ﴿ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴾ ^(٢) . كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ^(٣) .

وعلامة في القيامة : ﴿ أَيْنَ الْمَفَرِّ . كَلَّا ﴾ ^(٤) ، ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتِهِ . كَلَّا ﴾ ^(٥)
﴿ أَنْ يُقَالَ بِهَا قَائِرَةٌ . كَلَّا إِذَا ﴾ ^(٦) .

وموضع في عم : ﴿ كَلَّا سَمِعْتُمُونَ ﴾ ^(٧) .

وموضعان في عيس : ﴿ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ . كَلَّا ﴾ ^(٨) ، ﴿ نَتْلُو . كَلَّا ﴾ ^(٩) .

وموضع في الاضطرار : ﴿ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ . كَلَّا ﴾ ^(١٠) .

وثلاثة مواضع في اللطفين : ﴿ إِرَبُّ الْمَالِينَ . كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْجُبَارِ ﴾ ^(١١) .
﴿ مَا كَانُوا بِكَيْسِيُونَ . كَلَّا إِنَّهُمْ ﴾ ^(١٢) . ﴿ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ .
كَلَّا ﴾ ^(١٣) .

وموضع في القبر : ﴿ حُبَّاجَا . كَلَّا ﴾ ^(١٤) .

وثلاثة مواضع في الملق : ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ . كَلَّا ﴾ ^(١٥) . ﴿ أَلَمْ يَكُنْ بِأَنَّ
اللَّهُ يَرَى . كَلَّا ﴾ ^(١٦) . ﴿ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ . كَلَّا ﴾ ^(١٧) .

(١) سورة اللذر ٣١ ، ٣٢

(٢) سورة اللذر ٥٣

(٣) سورة القيامة ١٠ ، ١١

(٤) سورة القيامة ٢٥ ، ٢٦

(٥) سورة عيس ١٠ ، ١١

(٦) سورة الاضطرار ٨ ، ٩

(٧) سورة اللطفين ١٤ ، ١٥

(٨) سورة القبر ٢٠ ، ٢١

(٩) سورة الطلق ١٤ ، ١٥

(١٠) سورة اللذر ٥٤

(١١) سورة القيامة ١٩ ، ٢٠

(١٢) سورة عم ٤

(١٣) سورة عيس ٢٢ ، ٢٣

(١٤) سورة اللطفين ٦ ، ٧

(١٥) سورة اللطفين ١٧ ، ١٨

(١٦) سورة الطلق ٥ ، ٦

(١٧) سورة الطلق ١٨ ، ١٩

وموضمان في التكاثر : ﴿ حَقِّ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ . كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾^(١) وقوله : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ ﴾^(٢).

فهذه ثمانية عشر موضعا ، الاختيار عندنا وعند القراء وعند أهل اللغة أن يبدأ بها ، و « كَلَّا » على معنى « حقا » ، أو « إلا » ، وألا يوقف عليها .



الثالث : ما لا يحسن الوقف فيه عليها ، ولا يحسن الابتداء بها ، ولا تكون موصولة بما قبلها من الكلام ، ولا بما بعدها ، وذلك موضعان : في ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾^(٣) . وكذا في التكاثر : ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾^(٤) . فلا يحسن الوقف عليها ولا الابتداء بها .



الرابع : ما لا يحسن الابتداء بها ولا يحسن الوقوف عليها ، وهو موضعان في الشعراء : ﴿ أَنْ يَفْتَلُونَ . قَالَ كَلَّا ﴾^(٥) ، ﴿ إِنَّا لَنَذَرُكُمْ ﴾ . قَالَ كَلَّا^(٦) . قال : فهذا هو الاختيار ؛ ويمرر في جميعها أن فصلها بما قبلها وبما بعدها ولا وقف عليها ولا يتعدى بها .

[الكلام على « تلى »]

وأما ﴿ تلى ﴾ فقد وردت في القرآن في اثنين وعشرين موضعا ، في ثبوت عشرة سورة ، وهي على ثلاثة أقسام :

- | | |
|--------------------------|--------------------------|
| (١) سورة التكاثر ٢ ، ٣ | (٢) سورة التكاثر ٥ |
| (٣) سورة عم ٤ ، ٥ | (٤) سورة التكاثر ٤ |
| (٥) سورة الشعراء ١٤ ، ١٥ | (٦) سورة الشعراء ٦١ ، ٦٢ |

أحدهما ما يختار فيه كثير من القراء وأهل اللغة الوقت عليها ؛ لأنها جواب لما
يُليها غير متعلق بما بعدها ؛ وذلك عشرة مواضع : موضحان في البقرة : ﴿ مَا لَا تَمْلِكُونَ .
يَلِي مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ ^(١) . ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . يَلِي ﴾ ^(٢) .

وموضحان في آل عمران : ﴿ وَهُمْ يَمْلِكُونَ يَلِي مَنْ أُوْفِيَ ﴾ ^(٣) . ﴿ يَلِي إِنْ تَصْبِرُوا ﴾ ^(٤) .
وموضع في الأعراف : ﴿ أَأَنْتَ يَرْبِّكُمْ قَالُوا يَلِي ﴾ ^(٥) ، وفيه اختلاف .

وفي النحل : ﴿ مَا كُنَّا نَمْلُ مِنْ سُوءِ يَلِي ﴾ ^(٦) .

وفي يس : ﴿ أَنْ يَخْلُقَ مِنْهُمْ يَلِي ﴾ ^(٧) .

وفي غافر : ﴿ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا يَلِي ﴾ ^(٨) .

وفي الأحقاف : ﴿ عَلَى أَنْ يُجِيبَ لِلَّوْنِ يَلِي ﴾ ^(٩) .

وفي الانشقاق : ﴿ أَنْ لَنْ يَحْوَ يَلِي ﴾ ^(١٠) .

فهذه عشرة مواضع يختار الوقت عليها ؛ لأنها جواب لما قبلها ، غير متصلة بما بعدها .
وأجاز بعضهم الاجتهاد بها .

والثاني ما لا يجوز الوقف عليها ، لتعلق ما بعدها بها وبما قبلها ، وذلك في سبعة مواضع :

في الأنعام : ﴿ يَلِي وَرَبَّنَا ﴾ ^(١١) . وفي النحل ﴿ لَا يَبْيِثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ يَلِي ﴾ ^(١٢) .

وفي صبا ﴿ قُلْ يَلِي وَرَزِّي ﴾ ^(١٣) . وفي الزمر ﴿ مِنَ الْحُسَيْنِ يَلِي قَدْ جَاءَتْكَ ﴾ ^(١٤) .

وفي الأحقاف : ﴿ يَلِي وَرَبَّنَا ﴾ ^(١٥) .

وفي التناين : ﴿ قُلْ يَلِي وَرَزِّي تَتَبِعَنَّ ﴾ ^(١٦) .

(١) سورة البقرة ٨٠ ، ٨١	(٢) سورة البقرة ١١١ ، ١١٢
(٣) سورة آل عمران ٧٥ ، ٧٦	(٤) سورة آل عمران ١٢٥
(٥) سورة الأعراف ١٧٢	(٦) سورة النحل ٢٨
(٧) سورة يس ٨١	(٨) سورة غافر ٥٠
(٩) سورة الأحقاف ٣٣	(١٠) سورة الانشقاق ١٤ ، ١٥
(١١) سورة الأنعام ٣٠	(١٢) سورة النحل ١٤ ، ١٥
(١٣) سورة الزمر ٣٨	(١٤) سورة التين ٣ ، ٤
(١٥) سورة الأحقاف ٧	(١٦) سورة التين ٣ ، ٤

وقى التليمة : ﴿ أَنْ لَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ عَلَى ﴾ ^(١).

وهذه لاختلاف في امتناع الوقف عليها ، ولا يحسن الابتداء بها ، لأنها وما بعدها جواب.

الثالث : ما اختلفوا في جواز الوقف عليها ؛ والأحسن للتع ؛ لأن ما بعدها متصل بها

وبما قبلها ، وهي خمسة مواضع :

في البقرة : ﴿ عَلَى وَلَكِنْ لِيُطِيعَنَّ قَوْلِي ﴾ ^(٢).

وفي الزمر : ﴿ قَالُوا عَلَى وَلَكِنْ حَتَّى ﴾ ^(٣).

وفي الزخرف : ﴿ وَتَجِزَانِمْ عَلَى وَرُسُلَنَا ﴾ ^(٤).

وفي الحديد : ﴿ قَالُوا عَلَى ﴾ ^(٥).

وفي تلك : ﴿ قَالُوا عَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ ﴾ ^(٦).

[الكلام على « نم »]

وأما « نم » ففي القرآن في أربعة مواضع :

في الأعراف : ﴿ قَالُوا نَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ ﴾ ^(٧) ، واختار الوقف على « نم » لأن ما بعدها

ليس متعلقا بها ولا بما قبلها ؛ إذ ليس هو قول أهل النار ، و ﴿ قَالُوا نَمْ » من قولهم .

والثاني والثالث في الأعراف والشعراء : ﴿ قَالَ نَمْ وَإِنَّكُمْ ﴾ ^(٨).

الرابع في الصافات : ﴿ قُلْ نَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴾ ^(٩).

واختار ألا يوقف على « نم » في هذه المواضع لتعلقها بما قبلها لاتصاله بالقول

وضابط ما يختار الوقف عليه أن يقال : إن وقع بعدها « ما » اختير الوقف عليها وإلا فلا .

أو يقال : إن وقع بعدها « أو » لم يجز الوقف عليها وإلا اختير ، وأنت عتير في أيهما شئت .

(١) سورة التليمة ٤٣

(٢) سورة البقرة ٢٦٠

(٣) سورة الزخرف ٨٠

(٤) سورة تلك ٩

(٥) سورة الأعراف ١٤٤ ، الشعراء ٤٧

(٦) سورة الزمر ٧١

(٧) سورة الحديد ١٤

(٨) سورة الأعراف ١٤

(٩) سورة الصافات ١٨

التَّحْقِيقُ الْفَائِيسُ وَالْمَشْرُوبُ عِلْمُ مَرْسُومِ الْخَطِّ

ولما كان خط المصحف هو الإمام الذي يعتمد القارى في الوقف والتمام ، ولا بدؤ
رسومه ، ولا يجاوز مرسومه ؛ قد خالف خط الإمام في كثير من الحروف والأعلام ، ولم
يكن ذلك منهم كيف اتفق ؛ بل على أمرٍ عتدم قد تحقق ، وجب الاعتناء به والوقوف
على سببه .

ولما كتب الصحابة للمصحف رَمَنَ عثمان رضى الله عنه اختلفوا في كتابة « التايوت »
قال زيد : « التايوه » ، وقال النفر القرشيون : « التايوت » ، وترافوا إلى عثمان فقال :
اكتبوا : « التايوت » ، فإِذَا أُزِلَ القرآن على لسان قريش .

قال ابن درستويه : خطان لا يقاس عليهما خط المصحف وخط تطبيع العروض^(١)
وقال أبو البقاء في كتاب الباب^(٢) : « ذهب جماعة من أهل اللغة إلى كتابة الكلمة
على قنظها إلا في خط المصحف ؛ فإنهم اتبعوا في ذلك ما وجدوه في الإمام ، والعمل على الأول .
فصل أن الخط ثلاثة أقسام : خط يتبع به الاقتداء السانئ ، وهو رسم المصحف ، وخط
جرى على ما أتتبه اللفظ وإسقاط ما حذفه ؛ وهو خط العروض ، فيكتبون التنوين ويحذفون
هزة الوصل . وخط جرى على المادة للروفة ؛ وهو الذى يحكم عليه النحوى .

(١) عبارة ابن درستويه في كتاب الكتاب ص ٧ : « ووجدنا كتاب الله جل ذكره لا يقاس بمجاؤه ،
ولا يخالف خطه ؛ ولكنه يتلقى بالقبول على ما أودع للمصحف . ورأينا العروض إذاً هو إحصاء وما لفظ به
من ساكن ومتحرك ليس يلحقه غلط ، ولا فيه اختلاف بين أحد ، فلما نرى ذكرهما في كتابنا هذا .
(٢) الروفة ٢٠٠ ، مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٢٣٢ نحو .

واعلم أن الشيء في الوجود أربع مراتب : الأولى حقيقته في نفسه . والثانية مثله في الزمن - وهذان لا يختلفان باختلاف الأمم . والثالثة اللفظ الذي آت على المثال القمري والخرجي . والرابعة الكتابة المعلقة على اللفظ - وهذان قد يختلفان باختلاف الأمم ، كاختلاف اللغة العربية والفارسية ، والخط العربي والهندي ؛ ولهذا صنف الناس في الخط والمجاء ؛ إذ لا يجري على حقيقة اللفظ من كل وجه .

وقال الفارسي : لما عمل أبو بكر بن السراج كتاب الخط والمجاء قال لي : اكتب كتابنا هذا ، قلت له : نعم إلا أنني آخذ بآخر حرف منه ، قل : وما هو ؟ قلت : قوله : « ومن عرف صواب اللفظ عرف صواب الخط » .

قال أبو الحسين بن فارس في كتاب قه القنة : « ^(١) يروى أن أول من كتب الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها آدم عليه السلام قبل موته بثلاثمائة سنة ، كتبها في طين وطبخه ؛ فلما أصاب الأرض الفرق وجد كل قوم كتابا فكتبوه ، فأصاب إسماعيل الكتاب العربي .

وكان ابن عباس يقول : أول من وضع الكتاب العربي إسماعيل عليه السلام . قال ؛ والروايات في هذا الباب كثيرة ومختلفة ^(٢) .

والذي شوه : إن الخط توقيفي قوله : « عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » ^(٣) وقال تعالى : « نَّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ » ^(٤) . [وإذا كان كذا] ^(٥) ، فليس يبعد أن يوقف آدم وغيره من الأنبياء عليهم السلام على الكتاب ^(٦) .

(١) هو المعروف بالصاحي ، ص ٧ وما بعدها .

(٢) قه القنة : « تكثر وتختلف » .

(٣) سورة الباق ٤ ، هـ .

(٤) تسكئة من كتاب الصاحي

(٥) في الصاحي بعد هذه الكلمة : « فلما أن يكون حفر اخترعه من ثناء قه نصي لانهل صحت

إلا من خبر صحيح » .

وزعم قوم أن العرب العاربة لم تعرف هذه الحروف بأسمائها ، وأنهم لم يعرفوا نحوها ولا إعرابا ولا رفا ولا نصبا ولا همزا^(١) .

ومنهنا [فيه التوقيف ، فنقول]^(٢) : إن أسماء هذه الحروف داخلة في الأسماء التي علم الله تعالى آدم عليه السلام .

قال^(٣) وما اشتهر أن أبا الأسود أول من وضع العربية وإن الخليل أول من وضع العروض فلا تنكره ، وإنما قول : إن هذين المذنبين كانا قديما^(٤) ، وأنت عليها الألبم ، وقلا في أيدي الناس ، ثم جددهما هذان الإملعان .

ومن الدليل على عرفان القدماء [من الصعابة وغيرهم]^(٥) ذلك كتابتهم للصحف على التي يملأه النعمويون في ذوات الواو والياء ، والهمز وللد والتصر ، فكتبوا ذوات الياء بالياء ، وذوات الواو بالواو ، ولم يصوروا الهمزة إذا كان مقبلا ساكنا ، نحو « انقلب » و « اللف » و « للل » فصار ذلك [كله]^(٦) حجة ، وحتى كره بعض العلماء ترك اتباع المصحف .

(١) ينده في الصحاح : قالوا ، والليل على ذلك ما حكاه بعضهم عن بعض الأعراب أنه قيل له : أتهمز إسرائيل ؟ فقال : إنني إفتن لرجل سوء ، قالوا : وإنما قال ذلك لأنه لم يعرف من الهمز إلا الشفط والصمر . وقيل لأخر : أتهمز فلسطين ؟ فقال : إنني إفتن لقوى . قالوا : وسمع بعض فضحاء العرب ينشد :

● نحن بنى علقمة الأخيارا ●

قيل له : لم نصبت « بنى » ، فقال : ما نصحه . وذلك أنه لم يعرف من نصب إلا إسناد الشيء . قالوا : وحكي الأفضن عن أمربي ضيغ أنه سئل أن ينشد قصيدة على الدال ، فقال : وما الدال ؟ وحكي أن أبا حية التيمري سئل أن ينشد قصيدة على الكاف فقال :

كفى يالئى من أسماء كافٍ وليس لسقمها إذ طال شافٍ

فلنا : والأمر في هذا بخلاف ما ذهب إليه هؤلاء

(٢) تكملة من كتاب النحاجي .

(٣-٢) الصحاح : « فإن قال قائل : فقد تواترت الروايات أن أبا الأسود أول من وضع العربية ، وأن الخليل أول من تكلم في العروض ، قيل له نحن لا تنكر ذلك ؛ بل قول : إن هذين المذنبين كانا قديما »

وأُسند إلى الفراء قال : اتبأ للصنف إذا وجدت له وجهاً من كلام العرب وقراءة
الفراء أحب إلى من خلافه .

وقال أئيب : سئل مالك رحمه الله : هل تكتب للصنف على ما أخذته الناس من
المجاء ؟ قال : لا ؛ إلا على الكتابة الأولى . رواه أبو عمرو الداني في اللتغ^(١) ثم قال :
ولا يخالف له من علماء الأمة .

وقال في موضع آخر^(٢) : سئل مالك عن الحروف في القرآن مثل الواو والألف : أترى
أن يغير من للصنف إذا وجدنا فيه كذلك ؟ قال : لا . قال أبو عمرو : يعني الواو والألف
للزيتين في الرسم لمعى ، الملوطين ، في القنظ نحو [الواو في]^(٣) : (أولوا الألباب) ،
(وأولات) و : (الربوا) ، ونحوه .

وقال الإمام أحمد رحمه الله : تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في ياء أو واو أو ألف
أو غير ذلك .

قلت : وكان هذا في الصدر الأول ، والعلم حتى غض ، وأما الآن فقد يخشى الإلباس ؛
ولهذا قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : لا يجوز كتابة للصنف الآن على الرسوم الأولى
باصطلاح الأئمة ؛ لتلا يوقع في تفسير من الجهال . ولكن لا ينبغي إجراء هذا على
إطلاقة ؛ لتلا يؤدي إلى دروس السلم ، وشيء أحكمته التسليم لا يترك مراعاته لجهل
الجاهلين ؛ ولن تخلو الأرض من قائم لله بالحجة . وقد قال البيهقي في شنب الإيمان : من
كتب مصحفاً فبني أن يحافظ على حروف المجاء التي كتبوا بها تلك المصاحف ، ولا يخالطهم
فيها ، ولا يغير مما كتبوه شيئاً ؛ فإنهم أكثر علماً ، وأصدق قلباً ولساناً ، وأعظم أمانة
متناً ؛ فلا ينبغي أن ننظر بأنفسنا استعرا كما عليهم . وروى بسنده عن زيد قال : القراءة

(١) من ١٠ ص ٣٠ مع تصرف واختصار ؛ وقد أسقط المؤلف أربعة زيادة الألف .

(٢) من اللتغ .

سنة . قال سليمان بن داود الهاشمي : ينفى ألا تخالف الناس برأيك في الاتباع .
قال : وبمعناه يلتقي عن أبي عبيد في تفسير ذلك : وترى القراء لم يلتفتوا إلى مذهب
المريية في القراءة إذا خالف ذلك خط للصنف ، واتباع حروف للمصنف عندنا كالشغل
القائمة التي لا يجوز لأحد أن يبدلها .

مسألة

[في كتابة القرآن بغير الخط العربي]

هل يجوز كتابة القرآن بغير الخط العربي ؟ هذا مما لم أر العلماء فيه كلاما . ويحتمل
الجواز ؛ لأنه قد يحسنه من يقرأ بالمريية ، والأقرب للنفع ، كأحرم قراءته بغير لسان
العرب ، وقولهم : القلم أحد اللسانين ، والعرب لا تعرف قلم غير العربي . قال تعالى :
(**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**)^(١) .

[اختلاف رسم الكلمات في المصحف والحكمة فيه]

واعلم أن الخط جرى على وجوه : فيها ما زيد عليه على النقط ؛ ومنها ما قص ، ومنها
ما كُتب على نقطه ، وذلك ليحكم خفية ، وأسرار بهيمة ، تصدى لها أبو العباس المراكشي
الشهير بابن^(٢) البناء ؛ في كتابه : « عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل » ، وبين أن هذه
الأحرف إنما اختلف حالها في الخط بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها .

(١) سورة النجم ١٩٥

(٢) أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي المعروف بابن البناء ؛ توفي سنة ٧٢١ ،
ذكر كتابه صاحب كشف الظنون .

ومنها التنبيه على العوالم الثابت والشاهد ، ومراتب الوجود ، والقامات . وانلط
إغايُرَتسم على الأمر الحقيقي لا الوهمي .

[الزائد وأقسامه]

الأول : ما يزيد فيه ، والزائد أقسام :

[القسم الأول : زيادة الألف]

الأول الألف ؛ وهي إما أن تراد من أول الكلمة أو من آخرها ، أو من وسطها .
فالأول : تكون بمعنى زائد بالنسبة إلى ما قبله في الوجود ، مثل ؛ (لَا أَذْبَحْتُهُ ^(١)) ،
و (وَلَا أَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ) ^(٢) زيدت الألف تنبيهاً على أن للزَّخْرَ أشد في الوجود من
للقدَّم عليه لفظاً ؛ فالذَّبْحُ أشد من العذاب ^(٣) ، والإيضاعُ أشد إفساداً من زيادة
الجهل ^(٤) . واختلفت للصاحف في حرفين : (لَا إِلَى الْجَحِيمِ) ^(٥) و (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ نَحْشُرُونَ) ^(٦) ؛
فن رأى أنَّ مرجعهم إلى الجحيم أشد من أكل الرقوم وشرب الحميم ^(٧) ، وأن
حشرهم إلى الله أشد عليهم من موتهم أو قتلهم ^(٨) في الدنيا أبَت الألف . ومن

(١) سورة التوبة ٤٧

(٢) سورة النمل ٢١

(٣) يشير إلى أول آية النمل : (لَا عَذَابَ لَهُ عَذَاباً شَدِيداً ...) .

(٤) يشير إلى أول آية التوبة : (نَوَخَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً ...) .

(٥) سورة الصافات ٦٨ : (ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ) .

(٦) سورة آل عمران ١٠٨ : (وَلَئِنْ سَأَلْتُمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَهِ اللَّهُ نَحْشُرُونَ) .

(٧) يشير إلى ما سبق في آية الصافات : (أَذَلَّتْ خَيْرٌ نَزَلَا أَمْ شَجَرَةُ الرِّقْمِ ...) .

(٨) (إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِنْ حِمِيمٍ) .

(٩) إشارة إلى أول آية آل عمران : (وَلَئِنْ سَأَلْتُمْ أَوْ قُتِلْتُمْ ...) .

لم يترك له غيباً عتاً، فلم يسر الصمان في الصلحهما لم يشبه، وهو أول .
وكذلك : (لَا تَسْأَلُوا مَنْ رَوْحَ اللَّهِ إِنْهُ لَا يَأْتِيهِ) ^(١) ، (أَقَمَّ يَأْتِيهِ) ^(٢) لأن الصبر
واختظار الفرج أخف من الإياس، والإياس لا يكون في الوجود إلا بعد الصبر والاعتظار .
والثاني ^(٣) يكون باختيار معنى خارج عن الكلمة يحصل في الوجود بزيادة بدل الواو
في الأفعال، نحو « يرجوا » ، و « يدعوا » ، وذلك لأن الفعل أقبل من الاسم ؛ لأنه
يستزعم فاعلاً ، فهو جملة ، والاسم مفرد لا يستزعم غيره ، فاقبل أزيد من الاسم في الوجود ،
والواو أقبل حروف للدوالين ، والغنة أقبل الحركات ، وللتعريك أقبل من الساكن ،
فزيدت الألف تنبيهاً على قتل الجملة ، وإذا زيدت مع الواو التي هي لام الفعل ، فع الواو
التي هي ضمير الفاعلين أول ، لأن الكلمة جملة ، مثل « قالوا » ، و « عصوا » ، إلا أن
يكون الفعل مضارعاً وفيه النون علامة الرفع ، فنخصص الواو بالنون ، التي هي من جهة
تمام الفعل ؛ إذ هي إمارة فيصير كلمة واحدة وسطها واو ؛ كالبيون والسكون ، فإن
دخل ناصب أو جازم مثل : (فَإِنْ لَمْ تَقْعَلُوا وَلَنْ تَقْعَلُوا) ^(٤) نجت الألف .
وقد نستطيق مواضع لتغييره على اضطرار الفعل ، نحو : (سَمَوْا فِي آيَاتِنَا مُجَازِينَ) ^(٥) ،
فإنه سمي في الباطل لا يصح له ثبوت في الوجود .
وكذلك : (جَادُوا بِخَيْرٍ عَظِيمٍ) ^(٦) ، و (جَادُوا غُلًّا وَزُورًا) ^(٧) ، و (جَادُوا أَبَاهُمْ) ^(٨) ،
(وَجَلَدُوا عَلَى قَبِيحٍ) ^(٩) ، فإن هذا الجي ليس على وجه الصحيح .
وكذلك (فَإِنْ نَامُوا) ^(١٠) ، وهو في القلب والاعتقاد .

(٢) سورة الرعد ٣١

(٤) سورة البقرة ٢٤

(٧) سورة الفرقان ٤

(٩) سورة البقرة ٢٢٦

(١) سورة يوسف ٨٧

(٣) أي زيادة الألف في آخر الكلمة .

(٥) سورة سبأ ٥

(٦) سورة الأعراف ١١٦

(٨) سورة يوسف ١٦ ، ١٧

وكذا ﴿تَبْكُوا الذَّكَرَ وَالْإِيْمَانَ﴾^(١) اخاروها سكناً، لكن لا على الجهة المحسوسة، لأنه سوى بينهما، وإنما اخاروها سكناً لرضا الله: بدليل ومنهم بالإيجاع انحصار؛ فهذا دليلٌ زهدٍ في محسوسات الدنيا، وكذلك ﴿قَامُوا﴾ لأنه رجوعٌ مضمونٌ.

وكذلك: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَفْتَحَ عَنْهُمْ﴾^(٢)، حذفت الله لأن كيفية هذا الفعل لا تدرك، إذ هو تركٌ للواحدة؛ إنما هو أمرٌ على.

وكذلك ﴿وَعَتَوْا عَتَوْاً كَبِيراً﴾^(٣)، هنا عتَوْ على الله، ذلك وصفه بالكبر فهو باطل في الوجود.

وكذلك سقطت من: ﴿وَإِذَا كَالُومٌ أَوْ وَزَنُومٌ يُخْفِرُونَ﴾^(٤)، ولم تسقط من: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾^(٥)، لأن «غضبوا» جملةٌ بعدها أخرى، والضمير يؤكد الفاعل في الجملة الأولى، و«كالوم» جملةٌ واحدة، الضمير جزءٌ منها.

وكذلك زيدت الألف بعد الهزلة في حرفين: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبْنِئَ﴾^(٦) و﴿مَا إِنَّا مَنَافِعُكَ لَنَبْنِئَا﴾^(٧) تنبيهاً على تفصيل المعنى؛ فإنه ينبؤ بإيمان من ضل واحد وتوهم الفلاح بالعصبة، فهو نومان للفلاح، لأنها بطلها اختلهم فالت وأمالهم، وفيه تذكير بالنسبة يتوجه به من مفاح كنوز مال الدنيا المحسوس، إلى مفاح كنوز العلم التي ينبؤ بالعصبة أولى القوة في بينهم، إلى ما عند الله في الدار الآخرة.

وكذلك زيدت بعد الهزلة من قوله: ﴿كَأَمْثَالِ الْكَوْكَبِ﴾^(٨) تنبيهاً على معنى التباين والصفاء بالنسبة إلى ما ليس بممكنون وعلى تفصيل الأفراد، يدل على قوله:

(١) سورة الفاتحة ٩٩

(٢) سورة التقييد ٣

(٣) سورة الفاتحة ٢٩

(٤) سورة الفاتحة ٢٣

(١) سورة المعمر ٩

(٢) سورة الفرقان ٢١

(٣) سورة النور ٣٧

(٤) سورة الفصحى ٧٦

﴿ كَأَن تَالِئَ ﴾ ، وهو على خلاف حال : ﴿ كَأَنَّهُمْ لَوُئِلُوا ﴾^(١) فلم تزد الألف للإجمال وخفاء التفصيل .

وقال أبو عمرو : كتبوا^(٢) ﴿ الوُئِلُوا ﴾ في الحج ولللائكة^(٣) بالآف ، واختلف في زيادتها ، قال أبو عمرو : كازادوها في « كانوا » ، وقال الكسائي : امكان الميزة . وعن محمد بن عيسى الأصبغاني : كل ما في القرآن من « لَوُئِلُوا » فغير الألف في مصانف البصريين إلا في موضعين : في الحج والإنسان^(٤) .

وقال عامر الجعدي : كلها في مصحف عثمان بالآف إلا التي في اللائكة .
والثالث^(٥) تكون الح في نفس الكلمة ظاهر ، مثل : ﴿ وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ﴾^(٦) ، زبدت الألف دليلا على أن هذا الجيء هو بصفة من الظهور يفصل به عن مضمود الجيء ، وقد عُبِّرَ عنه بالاضى ، ولا يَصُورُ إلا بعلامه من غيره ليس مثله ، فيستوى في علما ملكها وملكوتها في ذلك الجيء ؛ ويدل عليه قوله تعالى في موضع آخر : ﴿ وَوُزِّتِ الْجَنِيمُ ﴾^(٧) ، وقوله : ﴿ إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ يَمِيدٍ سَمِعُوا لَهَا نَفِيْقًا وَزَفِيرًا ﴾^(٨) ؛ هذا بخلاف حال : ﴿ وَجِئْتُ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ ﴾^(٩) ؛ حيث لم تكتب الألف ، لأنه على اللزوم في الدنيا ، وفي تأوله بمعنى البروز في الحشر لتعظيم جناب الحق أتت الألف فيه أيضا .

(١) سورة الطور ٢٤

(٢) الفتح ص ٤٢ ...

(٣) سورة الحج ٢٣ ، هلل ﴿ الملائكة ﴾ ٢٣ : ﴿ يَحْمِلُونَ فِيهَا مِنْ أَسْوَارٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوُئِلُوا ﴾ .

(٤) آية ١٩ ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لَوُئِلُوا مُنْتَوَرًا ﴾ .

(٥) سورة القصص ٢٣

(٦) أي زيادة الألف وسط الكلمة .

(٧) سورة الفرقان ١٢

(٨) سورة الشعراء ٩١

(٩) سورة الزمر ٦٩

وكذلك : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾^(١) ، الشيء هنا معلوم ، وإنما علمناه من تصور مثله الذي قد وقع في الوجود فنقل له الاسم فيه ، من حيث إنه بقدر أنه يكون مثله في الوجود ، فزيدت الألف تنبيها على اعتبار المعلوم من جهة تقدير الوجود ، إذ هو موجود في الأذهان ، معلوم في الأعيان .

وهذا بخلاف قوله في الصل : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾^(٢) ، فإن الشيء هنا من جهة قول الله ، لا يعلم كيف ذلك ، بل تؤمن به تسليما لله سبحانه ، فيه ، فإنه سبحانه يعلم الأشياء ببله لا بها ، ونحن نعلمها بوجودها لا بسلطاننا تشبيه ولا تسليلا .
وكذلك : ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾^(٣) ، زيدت الألف بين اللام والمهذبة ، تنبيها على تفصيل مهم ظاهر الوجود .

ومثله زيادتها في « مائة » ، لأنه اسم يشتمل على كثرة منفصلة بمرتجيب : آحاد وشرات .

قال أبو عمرو في المتن^(٤) : لا خلاف في رسم ألف الوصل الناقصة من النقط في الدرج ، نحو : ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾^(٥) و﴿الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾^(٦) وهو نكت ، كما أتبعوها في الخبر نحو : ﴿عَزَّيْرُ ابْنِ اللَّهِ﴾^(٧) ، و﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾^(٨) ، ولم تحذف إلا في خمسة مواضع .

قال : ولا خلاف في زيادة الألف بدل الميم في « مائة » و « مائتين » ، حيث وقعا ،

- | | |
|--------------------|---------------------------------|
| (١) سورة الكهف ٢٣ | (٢) سورة النمل ٤٠ |
| (٣) سورة هود ٩٧ | (٤) ص ٣١ ، ٣٢ مع تصرف في البقرة |
| (٥) سورة البقرة ٨٧ | (٦) سورة المائدة ١٧ |
| (٧) سورة التوبة ٣٠ | |

ولم تُزد في « قة » ولا « كتين » وزيدت في نحو : « تَبَوَّأَ يَتِيمِي »^(١) و « لَقِئُوا بِالْمَصْبَةِ »^(٢) . ولا أعلم حمزة مطروقة قبلها ساكن رسمت [خطأ] في اللصف إلا في هذين اللوحين . [ولا أعلم حمزة متوسطة قبلها ساكن رسمت في اللصف إلا في قوله : « مَوَئِلًا »^(٣) ، في الكهف لا غير .

[القسم الثاني : زيادة الواو]

الزائد الثاني الواو ، زيدت للدلالة على ظهور معنى الكلمة في الوجود ، في أعظم رتبة في القيان ، مثل : « سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ »^(٤) ، « سَأُورِيكُمْ آيَاتِي »^(٥) .
وبدل على ذلك أن الآيتين جاءتا بالتهديد والوعيد .

وكذلك « أولى » و « أولوا » و « أولات » ، زيدت الواو بعد الحمزة حيث وقعت قوة للمعنى على « أصحاب » ، فإن في « أولى » معنى الصعوبة وزيادة التملك والولاية عليه ، وكذلك زيدت في « أولئك » و « أولائكم » حيث وقعا بالواو ، لأنه جمع مبهم يظهر فيه معنى الكثرة المخضرة في الوجود ، وليس للفرق بينه وبين « أولئك » كما قاله قوم لاقضاه « بأولا » .

[القسم الثالث : زيادة الياء]

الزائد الثالث الياء ، زيدت لاختصاص ملكوتى باطن ؛ وذلك في تسمية^(٦) مواضع كما قاله في اللعن :

- | | |
|----------------------|---|
| (١) سورة الثالثة ٢٩ | (٣) سورة الكهف ٥٧ والزيادة من اللعن |
| (٢) سورة القصص ٧٦ | (٤) سورة الأعراف ١٤٥ |
| (٥) سورة الأنبياء ٣٧ | (٦) في الأصول : « سبعة » وصوابه من اللعن ٥٠ |

﴿ أَتَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ﴾^(١).

﴿ مَنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ ﴾^(٢).

﴿ مِنْ نَبَأِ قَيْسِ ﴾^(٣).

﴿ وَإِنَّا بِذِي الْقُرْنَى ﴾^(٤).

﴿ وَمِنْ أَنَايَ الْمَلِكِ ﴾^(٥).

﴿ أَقْلِينَ مِثْ ﴾^(٦).

﴿ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ ﴾^(٧).

﴿ وَالسَّمَاءَ بِدُيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾^(٨).

﴿ بِأَيْسِكُمُ الْمُفْتُونُ ﴾^(٩).

قال أبو العباس الراكشي : إنما كتبت ﴿ بِأَيْدٍ ﴾ بياضين فرفا بين « الأيد »
الذي هو القوة ، وبين « الأيدي » جمع « يد » ، ولا شك أن القوة التي بنى الله بها
السماء هي أحق بالثبوت في الوجود من الأيدي ، فزيدت الياء لاختصاص اللفظة بمعنى
أظهر في إدراكك للسكون في الوجود .

وكذلك زيدت بعد الهزة في حرفين :

﴿ أَقْلِينَ مَاتَ ﴾^(١٠) ، ﴿ أَقْلِينَ مِثْ ﴾^(١١) .

(٢) سورة الأناج ٣٤

(٤) سورة النحل ٩٠

(٦) سورة الأناج ٣٤

(٨) سورة القاريت ٤٧

(١) سورة آل عمران ١٤٤

(٣) سورة يونس ١٥

(٥) سورة طه ١٣٠

(٧) سورة القورى ٥١

(٩) سورة ن ٦

وذلك لأن موته مقطوع به، والشرط لا يكون مقطوعاً به، ولا ما رُتب على الشرط هو جواب ٤، لأن موته لا يلزم منه خلود غيره ولا رجوعه عن الحق، فتقديره : «أم الخالدون إن مت» ؟ ! فاللفظ للاستغناء والربط، واللفظ للإنكار والنفي، فزيدت الياء بخصوص هذا اللفظ، الظاهر للفهم، الباطن في اللفظ .

وكذلك زيدت بعد الميمزة في آخر الكلمة في حرف واحد، في الأتمام : ﴿مِنْ نَبَأِي الْمُرْسَلِينَ﴾^(١) تنبيها على أنها أنباء باعتبار أخبار، وهي ملكوتية ظاهرة .

وكذلك ﴿يَا أَيُّكُمُ الْمُفْتُونُ﴾^(٢) كتبت ياءين، تخصيصاً لم بالصفة لحصول ذلك وتمثله في الوجود، فإنهم هم المفتونون دونه، فأفصل حرف «أى» ياءين لصعته هذا للفرق بينه وبينهم قطعاً، لكنه باطن فهو ملكوتي، وإعاجاء اللفظ بالإيهام على أسلوب الجملة في الكلام، والإيهام لم ؛ ليقع التدبر والتذكّر^(٣)، كما جاء : ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٤)، ومعلوم أننا على هدى، وم على ضلال .

[النقص وأقسامه]

الوجه الثاني ما نقص عن اللفظ، ويأتي فيه أيضاً الأقسام السابقة :

[القسم الأول : حذف الألف]

الأول الألف، كل ألف تكون في كلمة لمسى له تفصيل في الوجود، له اعتباران : اعتبار من جهة ملكوتية، أو صفات حالية، أو أمور غلوية مما لا يدركه الحس

(١) سورة الأنعام ٣٤

(٢) سورة المم ٦

(٣) م . م . التذكّر .

(٤) سورة سبأ ٧٤

فإن الألف تحذف في الخط علامة للذك وإعباراً من جهة ملكية حقيقية في العلم ، أو أمور سُفلية ؛ فإن الألف تثبت .

واعتبر ذلك في لفظي « القرآن » و « الكتاب » فإن القرآن هو تجميع الآيات التي أحكت في الكتاب ، فالقرآن أدنى إلينا في الفهم من الكتاب وأظهر في التنزيل ، قال الله تعالى في هود : ﴿ الرِّكَبُ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴾ ^(١) . وقال في فصلت : ﴿ كِتَابٌ فَصَّلْتُ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٢) وقال : ﴿ إِنَّا عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ ^(٣) . وذلك ثبت في الخط ألف « القرآن » وحذفت ألف « الكتاب » .

وقد حذفت ألف « القرآن » في حرفين ؛ هو فيها مرادف للكتاب في الاعتبار ؛ قال تعالى في سورة يوسف : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ ^(٤) ، وفي الزخرف : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ ^(٥) ، والضمير في اللوحين ضمير الكتاب ^(٦) للذكور قبله ؛ وقال بعد ذلك في كل واحدة منها : ﴿ لَمَّا كُمُتُمْ تَتْلُونَهُ ﴾ ^(٧) ، فترفته هي من جهة اللقولية . وقال في الزخرف : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَكَلِمٌ حَكِيمٌ ﴾ ^(٨) .

وكذلك كل ما في القرآن من « الكتاب » و « كتاب » فبغير ألف ؛ إلا في أربع مواضع هي الرد : بأوصاف خصصته من الكتاب الكلي :

في الرد : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ ^(٩) ، فإن هذا « كتاب » للأجل

(١) سورة هود ١	(٢) سورة فصلت ٢
(٤) سورة القيامة ١٧	(٤) سورة يوسف ٢
(٦) سورة الزخرف ٣	(٦) في سورة يوسف ١ : ﴿ آيَاتُ الْكِتَابِ
(٨) سورة الزخرف ٢ : ﴿ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾	(٧) يوسف ٢ ، والزخرف ٣
(٩) سورة الزخرف ٤	(٩) سورة الرد ٢٨

فهو أخص من الكتاب المطلق ، أو للضاف إلى الله .

وفي الحجر : ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْنَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴾ ^(١) ، فإن هذا « كتاب » إهلاك القري ، وهو أخص من كتاب الآجال .

وفي الكهف : ﴿ وَأَنْزَلُ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ ﴾ ^(٢) ، فإن هذا أخص من « الكتاب » الذي في قوله : ﴿ أَنْزَلُ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ ^(٣) ، لأنه أطلق هنا ، وفيد ذلك بالإضافة إلى الاسم للضاف إلى معنى في الوجود ، والأخص أظهر تنزيلا .
وفي النمل : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ ^(٤) ، هذا « الكتاب » جاء تابعا للقرآن والقرآن جاء تابعا للكتاب ، كما جاء في الحجر : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴾ ^(٥) ، فإني في النمل له خصوص تنزيل مع الكتاب الكلي ، فهو تفصيل للكتاب الكلي بمواضع كلياته .

ومن ذلك حذف الألف في : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ تنبيها على علوه في أول رتبة الأسماء واضراده ، وأن منه اقتضت الأسماء ؛ فهو بكليةها يدل عليه إضافة إلى اسم الله الذي هو جامع الأسماء كلها ، أولها ، ولهذا لم يقسم به غير الله ، بخلاف غيره من أسمائه ، فلماذا ظهرت الألف معها تنبيها على ظهور التسمية في الوجود ، وحذفت الألف التي قبل الهاء من أسم الله ، وأظهرت التي مع اللام من أوله ، دلالة على أنه الظاهر من جهة التصريف والبيان ، الباطن من جهة الإدراك والبيان .

وكذلك حذف الألف قبل النون من اسمه : « الرحمن » حيث وقع ، بيانا لأننا نعلم حقائق تفصيل رحمته في الوجود ، فلا يُفَرَّقُ في علمنا بين الوصف والصفة ، وإنما الفرقان

(٢) سورة الكهف ٢٧

(٤) سورة النمل ١

(١) سورة الحجر ٤

(٣) سورة التكوين ٤٥

(٥) سورة الحجر ١

في التسمية والاسم ، لا في معاني الأسماء للدلول عليها بالقسمة ، بل تؤمن بها إيماناً متوخفاً في علم حقيقته إليه

قلت : وعلماء الظاهر يقولون : للاختصار وكثرة الاستعمال ، هو من خصائص الجلالة الشريفة ، فإن حمزة الوصل الناقصة من القف في الدّرج ثبت خطأ إلا في البسطة ، وفي قوله في هود : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ تَجْرِبُهَا ﴾ ^(١) ، ولا تحذف إلا بشرطين : أن تصاف إلى اسم الله - ولهذا أُنبت في ﴿ بِسْمِ رَبِّكَ ﴾ ^(٢) - وأن تكون قبله بالياء ، ولم يشترط الكسائي الثاني ، فجوز ^(٣) حذفها كما تحذف في ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ ، والمجهود على الأول .

وكذلك حذف الألف في كثير من أسماء القاطنين مثل : « قلدر » و « علم » وذلك أن هذه الألف في وسط الكلمة .

وكذلك الألف الزائدة في المجموع السالط والكترة ، مثل « القسطين » ، و « الأبرر » و « الجليل » ، و « الإكرام » ، و « اختلف » ، و « استكبر » ، فإنها كلها وودت لمسى منفصل يشتمل ^(٤) عليه معنى تلك القنطة ، فتحذف حيث يبطن التفصيل ، وشئت حيث يظهر . وكذلك ألف الأسماء الأعجمية كإبراهيم لأنها زائدة لمسى غير ظاهر في لسان العربي لأن السجى بالنسبة إلى العربي باطن حتى لا ظهوره ، فعذفت ألقه .

قال أبو عمرو : ^(٥) اتفقوا على حذف الألف من الأعلام الأعجمية [للصصة] ^(٦) كإبراهيم وإسماعيل ، وإسحق ، وهرون ، وقنن [وشبهها] ^(٧) ، وأما حذفها من سليمان ، وصلاح ، وملك - وليست بأعجمية - فكثرة الاستعمال ^(٨) فأما ما يكثر استعماله من الأعجمية

(١) سورة هود ١١

(٢) سورة الطق ١

(٣) م : « ليفعل » .

(٤) من القنط .

(٥) ت : « فيجوز » .

(٦) للفتح ص ٢٢ وفيه : « والحق كتاب الصانف » .

(٧) (٧-٧) للفتح : « وكذا حذفها من سليمان ،

وسلح ، وملك ، وخذ ، وليست بأعجمية لا كثر استعمالها » .

فبالألف^(١)، كطلوت، وجلوت، وبأجوج، ومأجوج [وشبهها]^(٢).
واختلفت للصاحف^(٣) في أربعة: هاروت، وماروت، وهامان، وقارون^(٤)؛
فأما «داود» فلا خلاف في رسمه بالألف، لأنهم قد حذفوا منه واوا فلم يحذفوا بحذف
الف أخرى^(٥)، ومثله «إسرائيل» ترسم بالألف [في أكثر الصاحف]^(٦)؛ لأنه
حذف منه الياء^(٧).

وكذلك اتفقوا على حذف الألف في جمع^(٨) السلامة، مذكرا كان كالطمين،
والصبرين، والصدقين، أو مؤنثا كالسلت، واللؤمنت، والطيت، والحيث،
فلإن جاء بعد الألف همزة أو حرف مضعف ثبتت^(٩) الألف، نحو: السائلين، والصاعين
والظانين، والضالين، وحافين، ونحوه.

قال أبو العباس: وقد تكون الصفة ملكوتية روحانية، وتعتبر من جهة مرتبة
سفل ملكية، هي أظهر في الاسم، فتثبت الألف؛ كالأوتاب، والخطاب، والعذاب،
و﴿أَمْ كُنْتُمْ مِنَ الْعَالِينَ﴾^(١٠)، و﴿الْوَسْوَاسَ الْخَفَّاسَ﴾.

وقد تكون، ملكية، وتعتبر من جهة عليا ملكوتية هي أظهر في الاسم
فتمحذف الألف، كالحرب، ولأجل هذا التداخل يمتنع ذلك، فيحتاج إلى تدبر وفهم.
ومنه ما يكون ظاهر الفرقان، «كالأخير» و«الأشهر»، تمحذف من الأول
دور الثاني.

(١) للفتح: «فإنهم أجهرا الألف فيه».

(٢) من الفتح.

(٣) للفتح: «ورأيت للصاحف تختلف في أربعة».

(٤) بدسكامة «هارون» في الفتح: «نقى بعضها بالألف، ونقى بعضها بنير ألف، والأكثر على

إثبات الألف».

(٥) للفتح: «فلم يحذفوا قبلك الألف منه».

(٦) يسمه في الفتح: «التي هي سورة همزة» وقد وجدت ذلك في بعض الصاحف المدينة والريانية

التي القديمة بنير ألف، وأثبتها أكثر».

(٧) للفتح: «من الجمع السالم الكثير الدور».

(٨) م: «يجت».

(٩) سورة م: ٧٥.

ومنه ما يعني كالفراش ، ويطعمون الطعام ، فالقراش محسوس والطعام ثابت ، ووزنها واحد ؛ وما جبان ، لكن يثير في الأول مكان التشبيه ، فإن التشبيه محسوس ، وصفة التشبيه^(١) غير محسوس ، فالمشبه به غير محسوس في حالة الشبه ، إذا جعل جزءاً من صفة للمشبه به من حيث هو مستغرض مبثوث ، لا من حيث هو جسم ؛ وأما الطعام فهو المحسوس المعطى للمحتاجين .

وكذلك : ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعْمُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ ﴾^(٢) .
ثبت الألف في الأول ؛ لأنه سفلٌ بالنسبة إلى طامنا لمكان التشديد عليهم فيه ، وحذفت من الثاني لأنه علويٌّ بالنسبة إلى طامهم ، لمؤلفنا على ملئهم .
وكذلك : ﴿ كَانُوا يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ ﴾^(٣) ، حذفت لمؤلفنا هذا الطعام .

وكذلك : ﴿ غُلَّتِ الْأَبْوَابُ ﴾^(٤) « غلَّت » فيه التثنية في العمل ، فيدخل به أيضاً ما ليس بمحسوس من أبواب الاعتصام حذفت الألف قلبك ، ويدل عليه : ﴿ وَاسْتَقْبَمَا الْبَابِ ﴾^(٥) « وألقيا سيدهما لدا الباب »^(٦) ، فأفرد « الباب » المحسوس من أبواب الاعتصام .

وكذلك : ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾^(٧) ؛ محذوف لأنها من حيث صنعت ملكوتية علوية ، و : ﴿ مَفْتُوحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴾^(٨) ملكية من حيث هي لهم ، فتبت الألف . و ﴿ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ ﴾^(٩) ، نابعة لأنها من جهة دخولهم محسوسة سفلية . وكذلك : ﴿ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾^(١٠) من حيث حصرها المديد في الوجود ، ملكية فتبت الألف^(١١) .

(١) ط : « الشجيرة » .	(٢) سورة الثالثة .
(٣) سورة الثالثة ٧٥	(٤) سورة يوسف ٢٣
(٥) سورة يوسف ٢٥	(٦) سورة الزمر ٧٢
(٧) سورة ص ٥٠	(٨) سورة الزمر ٧٢
(٩) سورة الحجر ٤٤	(١٠) من كلمة « كذلك » إلى هنا ساقط من ت .

وكذلك : « الجراد » و « الضفدع »^(١) ، الأول ثابت ، فهو القى في الواحدة الحسوسة ، والثاني محذوف لأنه ليس في الواحدة الحسوسة ، والجمع هنا ملكوتى من حيث هو آية^(٢).

وكذلك : (أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ)^(٣) حذف لأنها أمثال كلية لم يتعين فيها لفهم جهة التماثل ؛ و (كَأَمْثَالِ الْوُكُورِ)^(٤) ثابت الألف لأنه تعين لفهم جهة التماثل وهو البياض والصفاء . (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ)^(٥) حذف للسوم . و (أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ)^(٦) ثابت في القرآن لأنها للذكورة حسية مفصلة ، ومحذوفة في الإسراء لأنها غير مفصلة باطنة .

وكذلك : (قَدْ نَسِيَخَ فِي الصُّورِ قَصَّةً وَاحِدَةً)^(٧) ، و (دُكِّنَا دَكْنًا وَاحِدَةً)^(٨) الأولى محذوفة ، لأنها روحانية لا تمل إلا إيماناً ، والثانية تاجة جسمانية تصور أمثالها من الهوى .

وكذلك : [أَلَف] (كِتَابِيَّة)^(٩) محذوفة لأنه ملكوتى و [أَلَف] (حِسَابِيَّة)^(١٠) تاجة ، لأنها ملكية ؛ وما معاً في موطن الآخرة .

وكذلك : (الْقَضِيَّة)^(١١) ملكوتية ، (وَمَالِيَّة)^(١٢) ملكى محسوس ، فعطف الأول ويثبت الثانى .

(١) من قوله تعالى في سورة الأعراف ١٢٣ : (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ) .

- | | |
|--------------------------|---------------------------------|
| (٢) سورة الواقعة ٦١ | (٢) ط : د آية ٤ . |
| (٣) سورة محمد ٣ | (٤) سورة الواقعة ٢٣ |
| (٥) سورة المائدة ١٣ ، ١٤ | (٦) سورة الفرقان ٩ ، الإسراء ٤٨ |
| (٧) سورة المائدة ٢٦ | (٨) سورة المائدة ٢٥ |
| (٩) سورة المائدة ٢٨ | (١٠) سورة المائدة ٢٧ |

وكذلك: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ﴾^(١)، حذف لأنه الاسم، ﴿وَقَتْلَ دَاوُدَ جَالُوتَ﴾^(٢) ثبت لأنه مجدد محسوس، [حذف الأول ونجت الثاني].

وكذلك: ﴿سُبْحَنَ﴾ حذف لأنه ملكوتي إلا حرفاً واحداً، واخطف فيه: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾^(٣)، فن أثبت الألف قال: هذا تيرئة من مقام الإسلام، وخضرة الأجسام، صُدِّرَ به جلاوية للكفار في مواطن الرد والإنكار. ومن أسقط ظلو حال الصلطي صلى الله عليه وسلم لا يشنه عن الحضور قلبه في لللكوت الخاطب في لللك، وهو أولى الوجهين.

وكذلك: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ﴾^(٤)، ثبت ألف (ثلاث) لأنهم جعلوه أحد ثلاثة مفصلة، فثبت^(٥) الألف علامة لإظهار التثنية في الإله، تعالى الله عن قولهم واحذف ألف (ثلاثة) لأنه اسم العدد الواحد من حيث هو كلمة واحدة.

وكذلك: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ﴾^(٦)، حذف من ﴿إِلَهٍ﴾ ونجت في ﴿واحد﴾ الله، لأنه إله في ملكوته، تعالى عن أن تعرف صفته بإحاطة الإدراك، واحذف في ملكه، تنزهه بوحدة أسمائه عن الاحتضاد والاشتراك. هذا من جهة إدراكنا، وأما من جهة ما [هي] عليه الصفة في نفسها فلا يفرك ذلك، بل يسمُّ عليه إلى الله تعالى فحذف.

وكذلك سقطت الألف الزائدة لتطويل «ها» التنبيه في النداء، في ثلاثة أحرف:

(٢) سورة البقرة: ٢٥١

(٤) سورة لقمان: ٢٢

(٦) سورة لقمان: ٢٢

(١) سورة البقرة: ٢٥٠

(٣) سورة الإسراء: ١٤

(٥) ت: «ثبت»

(٧) تكلم من ت.

﴿أَيُّهُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(١)، و ﴿أَيُّهُمُ السَّاجِرُ﴾^(٢)، و ﴿أَيُّهُمُ النَّفْلَانِ﴾^(٣)، والباقي^(٤) يائيات الألف، والسرفى سقوطها فى هذه الثلاثة الإشارة إلى معنى الانتهاء إلى غاية ليس وراءها فى الفهم رتبة يمتد النداء إليها، وتنبية على الاقتصار والاقتصاد من حالم والرجوع إلى ما يبنى .

وقوله^(٥) : ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾^(٦) يدل على أنهم كل المؤمنين ، على المومم والاستمراق فيهم . وقوله تعالى حكاية عن فرعون : ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاجِرٌ عَلِيمٌ﴾^(٧) وقول فرعون : ﴿إِنَّهُ لَكَيْبٌ كَرُمٌ الَّذِي عَلَّمَكَ السَّحْرَ﴾^(٨) يدل على عظم علمه عندهم ليس فوقه أحد . وقوله : ﴿سَتَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهُمُ النَّفْلَانِ﴾ ، فإقامة الوصف مقام^(٩) للوصف يدل على عظم الصفة للسكية ، فإنها تتضمن جميع الصفات للكويتية والجبروتية ، فليس بعدها رتبة أظهر فى الفهم على ما يبنى لم من الرجوع إلى اعتبار آلاء الله فى بيان النعم ليذكروا ، ويبان النعم ليحذروا .

وكذلك حذف الألف الآتية لئلا الصوت بالنداء ، مثل ﴿يُتَقَوْمُ﴾ ، ﴿يُعْبَادُ﴾ لأنها زائدة للتوصل بين المرتجين ؛ وذلك أمر باطن ليس بصفة محسوسة فى الوجود . قال أبو عمرو : كل ما فى القرآن من ذكر «آيَاتِنَا» فبغير الألف ، إلا فى موضعين : فى ﴿بِآيَاتِنَا﴾^(١٠) ، و ﴿بِآيَاتِنَا يَبْتَئَاتُ﴾^(١١) .

(١) سورة التور ٣١ : وفى ت «آية» فى الآيات الثلاث ، تحريف .

(٢) الزخرف ٤٩

(٣) سورة الرحمن ٣١

(٤) ت : « والثاني » تحريف .

(٥) سورة التور ٣١

(٦) ت : « بقوله » تحريف .

(٧) سورة الشعراء ٤٩

(٨) سورة الشعراء ٣٣

(٩) سورة البقرة ٣٩

(١٠) سورة الرمن ٣١

(١١) سورة يونس ١٥

وكل ما فيه من ذكر « أيها » ، فبالألف إلا في ثلاثة مواضع محذوفة الألف : في النور : ﴿ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ^(١) ، وفي الزخرف : ﴿ يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ﴾ ^(٢) ، وفي الرحمن : ﴿ أَيُّهَا النَّفَّاثُونَ ﴾ ^(٣) .

وكل ما فيه من « ساحر » فبغير الألف إلا في واحد : في القاربات : ﴿ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴾ ^(٤) .

[القسم الثاني : حذف الواو]

الثاني حذف الواو اكفاء بالضمه فصدا للتخفيف ، فإذا اجتمع واوان والضم ، فحذف الواو التي ليست حمدة ، وتبقى الصدة ، سواء كانت الكلمة فلا ، مثل : ﴿ لَيَسْئَلُنَّكُمْ ﴾ ^(٥) ، أو صفة مثل « للوحدة » ، و « لَيُؤْتِيَنَّ » ، و « النَّفَّاثُونَ » ؛ أو اسما ، مثل « داود » ، إلا أن ينوي كل واحد منهما فتحيتان جميعا ، مثل « تَبَوَّءُوا » فإن الواو الأولى تنوب عن حرفين لأجل الإدغام ؛ فتُؤَيِّتُ في الكلمة ، والواو الثانية ضمير الفاعل خبثا جميعا .

وقد سقطت من أربعة أفعال ، تنبيهها على سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل ، وشدة قبول الفعل للتأثر به في الوجود :

أولها : ﴿ سَتَدْعُ الزَّبَانِيَّةَ ﴾ ^(٦) ، فيه سرعة الفعل وإجابة الزبانية وقوة البطش ،

(٢) سورة الزخرف ٤٩

(٤) سورة القاربات ٣٩

(١) سورة النور ٣١

(٣) سورة الرحمن ٣١

(٥) سورة الإسراء ٧

(٦) سورة الطلق ٨

وهو وعيد عظيم ذكر مبدؤه وحذف آخره ، ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ ^(١) .

وثانيها : ﴿ وَيَسَّخُ اللَّهُ الْبَاطِلَ ﴾ ^(٢) ، حذفت منه «الوار» علامة على سرعة الحذف وقبول الباطل له بسرعة ، بدليل قوله : ﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ ^(٣) ، وليس ﴿ يَسَّخُ ﴾ مطوقا على ﴿ يَسَّخِمُ ﴾ ^(٤) الذي قبله ، لأنه ظهر مع ﴿ يمح » الفاعل وحذف على الفعل ما بعده ، وهو : ﴿ وَيُحْيِي الْمَيِّتَ ﴾ ^(٥) .

قلت : إن قيل : لم رُسم الواو في : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّتُ ﴾ ^(٦) ، وحذفت في : ﴿ وَيَسَّخُ اللَّهُ الْبَاطِلَ ﴾ ^(٧) ؟

قلت : لأن الإيماء الأصل ، وإنما حذفت في الثانية لأن قبله مجزوم ، وإن لم يكن مطوقا عليه ، لأنه قد حُذف عليه ﴿ وَيُحْيِي ﴾ ، وليس مقيدا بشرط ، ولكن قد يمحى بصورة العطف على المجزوم ، وهذا أقرب من عطف الجوار في النصوص ، والله أعلم .

وثالثها : ﴿ وَيَذْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ ﴾ ^(٨) ، حذفت الواو يدل على أنه سهل عليه ويسارع فيه ، كما يسأل في الخير ، وإتيان الشر إليه من جهة ذاته أقرب إليه من الخير . ورابعها : ﴿ يَوْمَ يَذْعُ الذَّاعِرُ ﴾ ^(٩) حذفت الواو لسرعة الدعاء وسرعة الإجابة .

[القسم الثالث : حذف الياء]

الثالث : حذف الياء اكتفاء بالكسرة ، نحو « فارهبون » ، « فاعبدون » .

(٢) سورة الشورى ٢٤

(٤) سورة الرعد ٣٩

(١) سورة القمر ٥٠

(٣) سورة الإسراء ٨٦

(٥) سورة الإسراء ١١

(٦) سورة القمر ٦

قال أبو المباس : الياء الناقصة في الخط ضربان : ضرب محذوف في الخط ثابت في التلاوة ، وضرب محذوف فيها .

فالأول هو باعتبار ملكوت باطن ، ويقسم قسمين :
ما هو ضمير التكلم ، وما هو لام الكلمة .

فالأول إذا كانت الياء ضمير التكلم ، مثل : ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴾^(١) ، ثبت [الياء] الأولى ، لأنه فعل ملكوت . وكذلك ﴿ فَمَا آتَانِ اللَّهُ خَيْرًا مِمَّا آتَاكُمْ ﴾^(٢) حذف الياء لاعتبار ما آتاه الله من العلم والنبوة ، فهو للزنى لللكوتى من قبل الآخرة ، وفي ضمنه الجسائى للدينا ، لأنه فاعل ، والأول ثابت .

وكذلك : ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾^(٣) ، وعلم هذا السؤل غيب ملكوتى ، يدلل قوله : ﴿ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾^(٤) ، فهو بخلاف قوله : ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾^(٥) ، لأن هذا سؤال عن حوادث لليك في مقام الشاهد ، كغرق السفينة^(٦) ، وقتل النمل^(٧) ، وإقامة الجدار^(٨) .

وكذلك : ﴿ أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾^(٩) ، لحذف الضمير في الخط

(١) سورة القمر ١٦

(٢) من ط .

(٣) سورة النمل ٣٦

(٤) سورة الكهف ٧٠

(٥) سورة هود ٤٦

(٦) سورة الكهف ٧٢ : ﴿ قَالَ أَخْرِجْنَاهَا لِتَنفِرَنَّ عَنْهَا أَهْلُهَا ﴾ .

(٧) سورة الكهف ٧٤ : ﴿ أَقْتُلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ .

(٨) سورة الكهف ٧٧ : ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ ، قَالَ لَوْ نَشِئْتَ

لَا تَخَذْتِ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ .

(٩) سورة البقرة ١٨٦

دلالة على الدعاء القى من جهة لللكوت بإخلاص الباطن .
وكذلك : ﴿ أَسَلْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾^(١) هو الاتباع الملى فى دين الله بالجوارح للتصود بها وجهُ الله وطلحه .
وكذلك : ﴿ إِنِّ خَافُ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾^(٢) ، بحث الياه فى « اللقام » لاعتبار المعنى من جهة لللك ، وحذفت من « الوعيد » لاعتباره ملكوتيا ، فغاف اللقام من جهة ما ظهر للأبصار ، وخاف الوعيد من جهة إيمانه بالأخبار .
وكذلك : ﴿ لَّيْنٌ أُخْرَتْنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾^(٣) ، هو التأخير بالمؤاخذة ، لا التأخير الجسمى ؛ فهو بخلاف قوله : ﴿ لَوْلَا أُخْرَتْنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾^(٤) ؛ لأن هذا تأخير جسمى فى الدنيا الظاهرة .
وكذلك : ﴿ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾^(٥) ، سياق الكلام فى أمور محسوسة ، والهداية فيه ملكوتية ، وقد هداه الله فى قصة الغار ، وهو فى العدد ﴿ ثَانِي اثْنَيْنِ ﴾^(٦) ، حتى خرج بدينه عن قومه بأقرب من طريق أهل الكهف حين خرجوا بدينهم عن قومهم وعدوهم ، على ما قص الله علينا فيه ، وهذه الهداية بخلاف ما قال موسى : ﴿ عَسَى وَتَى أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾^(٧) فإنها هداية السبيل المحسوسة إلى مدين فى عالم لللك ، بدليل قوله : ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاهُ مَدِينٌ ﴾^(٨) .
وكذلك : ﴿ عَلَى أَنْ تُكَلِّمُنِي عِلْمًا عُلِّمْتُ رَشَدًا ﴾^(٩) .
وكذلك : ﴿ وَلَا تَقْنَبَانِ ﴾ ، هو فى طريق الهداية لافى مسير موسى إليه؛ بدليل :

(١) سورة آل عمران ٢٠

(٢) سورة ليراعى ١٤

(٣) سورة الإسراء ٦٢

(٤) سورة النافقون ١١

(٥) سورة الكهف ٢٤

(٦) سورة التوبة ٤٠

(٧) سورة القصص ٢٢

(٨) سورة الكهف ٦٣

﴿أَفَصَيْتَ أَمْرِي﴾^(١) ، ولم يأمره بالسير الحسى ، إنما أمره أن يخلقه فى قومه ويصلح ، وهذا بخلاف قول هارون : ﴿فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾^(٢) ، فإنه اتباع محسوس فى ترك ما سواه ، بدليل قوله : ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ ، وهو لا أمر له إلا الحسى .

وكذلك : ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾^(٣) حيث وقع ، لأن التكبر معتبر من جهة اللسكوت ، لا من جهة أمره المحسوس ، فإن أمره قد انقضى وأخبر عنه بالقول للأنفى ، والنكير اسم ثابت فى الأزمان كلها ، فيه التنبيه على أنه كما أخذ أولئك يأخذ غيرهم . وكذلك : ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾^(٤) خاف موسى عليه السلام أن يكذبوه فيما جاءهم به ، وأن يكون سببه من قبله ، من جهة إفهامهم بالوحى ، فإنه كان حال البيان ، لأنه كلمهم الرحمن ، فبلاغته لا فصل إليها أفهامهم ، فيصير إضاحه المالى عند فهمهم النازل عقدة عليهم فى اللسان ، يحتاج إلى ترجمان ؛ فإن يقع بعده تكذيب فيكون من قبل أنفسهم ، وبه تم الحجة عليهم .

وكذلك : ﴿إِنْ كَذَّبَ لَتْؤْدِينَ﴾^(٥) ، هو الإرداء الأخرى لللكوفى .

وكذلك : ﴿أَنْ تَرْمِجُونَ﴾^(٦) ، ليس هو الرجم بالحجارة ، إنما هو ما يرمونه من

بجائهم .

وكذلك : ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾^(٧) ، ﴿لَمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾^(٨) ،

هو الأخرى لللكوفى .

(٢) سورة طه ٩٠

(٤) سورة الشعراء ١٢

(٦) سورة البقرة ٢٠

(٨) سورة إبراهيم ١٤

(١) سورة طه ٩٣

(٣) سورة اللك ١٨

(٥) سورة الصافات ٥٦

(٧) سورة قى ١٤

وكذلك : ﴿ قَيِّقُولَ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾^(١) ، ﴿ رَبِّي أَهْلَنِي ﴾^(٢) هذا الإنسان يستبصر منزلته عند الله في الملكوت بما يظليه في الدنيا ، وهذا من الإنسان خطأ ، لأن الله تعالى يعطي الصالح والطالح ، قيام حجة على خلقه .

والقسم الثاني من الضرب^(٣) الأول ؛ إذا كانت الياه لأم الكلمة ، سواء كانت في الاسم أو الفعل ، نحو : ﴿ أُجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ ﴾^(٤) ، حذفت تنبيها على المخلص لله ، لاقى قلبه ونهايته في دعوته في الملكوت والآخرة ، لا في الدنيا .

وكذلك : ﴿ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُسْكَرِ ﴾^(٥) ، هو داعٍ ملكوتي من عالم الآخرة .

وكذلك : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ ﴾^(٦) هو إتيان ملكوتي أخروى آخره متصل بما وراءه

من النيب ١٠

وكذلك ﴿ للهِدِ ﴾^(٧) .

وكذلك : ﴿ وَالْبَاكِ ﴾^(٨) ، حذف لأنه على غير حال الحاضر الشاهد ، وقد جعل الله

لها مرأً .

وكذلك : ﴿ كَالْجَوَابِ ﴾^(٩) ، من حيث التشبيه ، فإنه ملكوتي ؛ إذ هو صفة

تشبيه لا ظهور لها في الإدراك للشيء .

وكذلك : ﴿ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾^(١٠) ، و ﴿ التَّنَادِ ﴾^(١١) كلاهما ملكوتي أخروى .

(١) سورة القبر ١٥

(٢) ت : « الصور » تحريف .

(٣) سورة القبر ٦

(٤) سورة الكهف ١٧

(٥) سورة سبأ ١٣

(٦) سورة غافر ٣٢

(٧) سورة القبر ١٦

(٨) سورة البقرة ١٨٦

(٩) سورة هود ١٠٥

(١٠) سورة الملع ٢٥

(١١) سورة غافر ١٥

وكذلك : ﴿وَالْقِيلَ إِذَا يَسِرَ﴾^(١) ، وهو الشرى لللكوة التى يسدل عليه بآخره من جهة الانقضاء أو بحسب التجوّم .

وكذلك : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ﴾^(٢) تُعتبر من حيث هى آية يدلّ ملكها على ملكوتها ، فأخرها بالاعتبار بتصل بالملكوت ، بدليل قوله : ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرُّيحَ فَيَظْلَنَ رَوْادِكَهُ﴾^(٣) .

وكذلك حذف ياء الفعل من « يُحْيِي » إذا اغردت ، وثبتت مع الضمير ، مثل : ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ﴾^(٤) ، ﴿قُلْ يُحْيِيهَا﴾^(٥) ، لأن حياة الباطن أظهر في العلم من حياة الظاهر ، وأشوى في الإدراك .



الضرب الثانى الذى تسقط فيه الياء فى الخط والتلاوة ، فهو اعتبار غيبة عن باب الإدراك جهة ، وانصافه بالإسلام لله فى مقام الإحسان ، وهو قسمان : منه ضمير للتكلم ، ومنه لام الفعل .

فالأول إذا كانت الياء ضمير التكلم فإنها إن كانت للعبد فهو النائب ، وإن كانت للرب فالنبيه المذكور معها ، فإن العبد هو النائب عن الإدراك فى ذلك كله ، فهو فى هذا المقام مُسلم مؤمن بالنبيب ، مكشّف بالأدلة ، فيقتصر فى الخط لذلك على نون الوقاية والكسرة . ومنه من جهة الخطاب به الحوالة على الاستدلال بالآيات دون تعرض لصفة القات . ولما كان الترضى من القرآن جهة الاستدلال واعتبار الآيات وضرب المثال دون الترضى لصفة القات — كما قال : ﴿وَنَحْذَرُكُمْ اللَّهُ تَعَالَى﴾^(٦) ، وقال : ﴿قَلَّا تَضَرَّبُوا

(٢) سورة الشورى ٣٢

(٤) سورة يس ٧٨

(٦) سورة آل عمران ٧٨

(١) سورة النجر ٤

(٣) سورة الشورى ٣٣

(٥) سورة يس ٧٩

﴿الْأَمَنَاتِ﴾^(١) - كان الحلف في خواتم الآي كثيرا ؛ مثل : ﴿فَأَقْوَصُ كَيْدَ النَّارِ﴾^(٢) ، ﴿فَأَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ آلِهِ أَنْ اقْنَبْ إِلَيْكُم مِّنَ الْغَيْبِ الْغُظِيِّ﴾^(٣) ، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾^(٤) ، ﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِي﴾^(٥) ، وهو كثيرا جدا .

وكذلك ضمير المبدى ، مثل : ﴿إِنْ يَرَوْا الرِّجْسَ﴾^(٦) غائب عن علم إرادته الرجن ، إما علمه بها تسلياً وإيماناً برهانيّاً .

وكذلك قوله في العقود^(٧) : ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَخَشَوُا النَّاسَ كَلَّى لَا يَدُلَّ عَلَى نَاسٍ بِأَعْيَانِهِمْ وَلَا مُوصُوفِينَ بِصِفَةٍ فَهَمْ كَلَّى ، وَلَا يَمْلِكُ الْكَلَّى﴾ من حيث هو كَلَّى ؛ بل من حيث أثر البعض في الإدراك ، ولا يملك الكلى^(٨) إلا من حيث هو أثر الجزئى في الإدراك ، فالخشية هنا كلية لشيء غير معلوم الحقيقة ؛ فوجب أن يكون الله أحقّ بذلك ، فإنه حق ، وإن لم يُحِط به علماً ، كما أمر الله سبحانه بذلك ، ولا يُخشى غيره ، وهذا الحلف بخلاف ما جاء في البقرة : ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾^(٩) ، ضمير الجمع يعود على ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾^(١٠) من الناس ، فهم بعض لا كل ، ظهروا في اللك بالظلم ، فالخشية هنا جزئية ، فأمر سبحانه أن يُخشى من جهة ماظهر كما يجب ذلك من جهة ماستر .

وكذلك حذفت الياء من : ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾^(١١) و ﴿قُلْ يَا عِبَادِ﴾^(١٢) فإنه خطاب لرسوله عليه السلام على الخصوص ، قد توجه الخطاب إليه في فهمنا ، وغاب المباد كلهم من علم ذلك ، فهم ثابتون عن شهود هذا الخطاب ؛ لا يملونه إلا بوساطة الرسول .

(١) سورة النحل ٧٤

(٢) سورة البقرة ٤٦ ، ٤٠

(٣) سورة الفرقان ٥٦ ، ٥٧

(٤) سورة يس ٢٣

(٥) الآية ٤٤ وهي سورة الأثمة .

(٦) (٦ - ٦) ساقط من ت .

(٧) سورة البقرة ١٥٠

(٨) سورة الزمر ١٧

(٩) سورة الزمر ١٧

(١٠) سورة الزمر ١٧

وهذا بخلاف قوله : ﴿يَا عِبَادِي لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾^(١) ، فإنها تجت ، لأنه مخاطب لهم في الآخرة غير مجبورين عنه . جعلنا الله منهم . إنه منيع كريم ، وثبت حرف النداء ، فإنه أفهمهم نداهم الأخرى في موطن الدنيا ، في يوم ظهورهم بعد موتهم ، وفي عمل أعمالهم ، إلى حضورهم يوم ظهورهم الأخرى ، بعد موتهم وفي محل جزائهم .

وكذلك : ﴿يَا عِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ﴾^(٢) ثبت الضمير وحرف النداء وانطقت ، فإنه دعاء من مقام إسلامهم ، وحضرة امتثالهم إلى مقام إحسانهم ، ومثله : ﴿يَا عِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٣) في المنكبات ، فإنه دعاء من حضرتهم في مقام إيمانهم ، إلى حضرتهم ومقام إحسانهم ، إلى ما لا نفعه من الزيادة بعد الحسن .

وكذلك سقطنا في موطن الدعاء مثل : ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾^(٤) حذفت الياء لعدم الإحاطة به عند التوجه إلى الله تعالى لنبيتنا نحن عن الإدراك ، وحذف حرف النداء لأنه أقرب إلينا من أنفسنا . وأما قوله : ﴿وَقِيلَ يَا رَبِّ﴾^(٥) فثبت حرف النداء ؛ لأنه دعاء ربه من مرتبة حضوره معهم في مقام تلك قوله : ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾^(٦) ، وأسقط حرف ضميره لنيته عن ذاته في توجيهه في مقام المنكبات ورتبة إحسانه في إسلامه .

وكذلك في مثل : ﴿يَا قَوْمِ﴾^(٧) دلالة على أنه خارج عنهم في خطاب ، كما هو ظاهر في الإدراك ؛ ولأن كان متصلاً بهم في النسبة الرابطة بينهم في الوجود ، العلوية من الدلائل .

والقسم الثاني :^(٨) إذا كانت الياء لام الكلمة في النسل أو الاسم ؛ فإنها تسقط

(١) سورة الزخرف ٦٨ وهو غير مائل للصف . (٢) سورة الزمر ٥٢

(٣) سورة المنكبات ٥٦ (٤) سورة نوح ٢٨

(٥) سورة الزخرف ٨٨ (٦) سورة هود ٦٣

(٧) مما يسقط فيه الياء في الخط والثلاوة .

من حيث يكون معنى الكلمة يتغير من مبدئه الظاهر شيئاً بحدوثه إلى ملكوتية الباطن ، إلى ما لا يدرك منه إلا إيماناً وتسليماً ، فيكون حذف الياء منها على ذلك ، وإن لم يكل اعتباراً في الظاهر من ذلك الخطاب بحسب عرض الخطاب ، مثل : ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِيهِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١) ، هو ﴿مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾^(٢) وقد ابتدأ ذلك لم في الدنيا متصلاً بالآخرة .

وكذلك : ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُادِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٣) ؛ حذف لأنه يهديهم بما نصب لهم في الدنيا من الدلائل والمعبر إلى الصراط المستقيم ، برفع درجاتهم في هدايتهم إلى حيث لا غاية ، قال الله تعالى : ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾^(٤) . وكذلك : ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الصُّمَى﴾^(٥) في الروم ، هذه الهداية هي الكلية على التفصيل بالتوالي التي ترقى العبد في هدايته من الأرباب^(٦) إلى ما يدركه العيان ؛ ليس ذلك للرسول عليه السلام بالنسبة إلى العيان . ويدل على ذلك قوله قبلها : ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُخْصِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا...﴾^(٧) الآية ، فهذا النظر من عالم للآخرة^(٨) ذاهباً في النظر إلى عالم الملكوت^(٩) إلى ما لا يدرك إلا إيماناً وتسليماً . وهذا بخلاف الحرف الذي في النمل : ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الصُّمَى﴾^(١٠) ؛ فتجبت الياء ؛ لأن هذه الهداية كلية كاملة ، بدليل قوله : ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾^(١١) .

وكذلك : ﴿بِالْوَادِ الْقَدَسِ﴾^(١٢) ، و ﴿الْوَادِ الْأَيْتَنِ﴾^(١٣) ما مبدأ التقديس

(٢) سورة الزخرف ٧١

(٤) سورة ق ٣٥

(٦) ط : « الأوتان » .

(٨ - ٨) ساقط من ت

(١٠) سورة النمل ٧٩

(١٢) سورة القصص ٣٠

(١) سورة النساء ١٤٦

(٣) سورة الملع ٥٤

(٥) سورة الروم ٥٣

(٧) سورة النمل ٥٠

(٩) سورة النمل ٨١

(١١) سورة طه ١٢

الذى وصفنا به ، فانتقل القديس واليمين منها إلى الجلال ، ذاهبا بها إلى ما لا يحيط ببلده إلا الله .

وكذلك : ﴿ وَادِ النَّمْلِ ﴾^(١) هو موضع لا يبتداء سماع الخطاب من أخفض المطلق ، - وهي النملة - إلى أعلام - وهو الممدد والطير ، ومن ظاهر النلس ووطن الجن إلى قول المفريت ، إلى قول القى عنده علم من الكتاب ، إلى ما وراء ذلك من هداية الكتاب ، إلى مقام الإسلام لله رب العالمين .

وكذلك ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ لِلسَّحَابِ فِي الْبَحْرِ ﴾^(٢) سقطت الياء تنبيها على أنها لله من حق إنشائها بعد أن لم تكن ، إلى ما وراء ذلك مما لا نهاية له من صفاتها .

وكذلك ﴿ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾^(٣) حذفت الياء تنبيها على أنها مجرى من محل اتصافها بالنلس ، إلى محل اتصافها بالكُنَّس ، وذلك يُفهم أنه اتصف بالنلس عن حركة تقدمت بالوصف بالجوار الظاهر ، يفهم منه وصف بالجوار في الباطن ؛ وهذا الظاهر مبدأ لفهمه ؛ كالتجوم الجارية داخل تحت معنى الكلمة .

فصل

[في حذف النون]

ويلحق بهذا القسم حذف النون التي هو لام فعل ، فيحذف تنبيها على صغر مبدأ الشيء وحقارته ، وأن منه ينشأ ويزيد ، إلى ما لا يحيط ببلده غير الله ، مثل ﴿ أَلَمْ يَكُنْ نَاطِقًا ﴾^(٤) ، حذفت النون تنبيها على مهارة مبتدأ الإنسان وصغر قدره بحسب ما يذكره

(٢) سورة الرحمن ٢٤

(٤) سورة النبا ٣٧

(١) سورة النمل ١٨

(٣) سورة التكاوير ١٦

من نفسه ، ثم يترقى في أطوار التكوين ، فإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ^(١) ، فهو حين كان نقطة كان ناقصَ الكون ؛ كذلك كلُّ مرتبة ينتهي إليها كونه هي ناقصة الكون بالنسبة لما بعدها ، فالوجود الدينيُّ كُلُّه ناقص الكون عن كون الآخرة ، كما قال الله تعالى : ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْخَيْرَانُ﴾ ^(٢) .

وكذلك : ﴿وَإِنَّ نَافِثَةَ يُصَافِحُهَا﴾ ^(٣) ، حذف النون تضييقاً على أنها وإن كانت صغيرة للقدار ، حقيرة في الاعتبار ، فإن إليه ترتيبها وتضاعفها . ومثله : ﴿إِنَّ نَافِثَةَ حَبِيبَةٍ مِنْ خَرَدَلٍ﴾ ^(٤) .

وكذلك : ﴿أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ﴾ ^(٥) جاءتهم الرسل من أقرب شيء في البيان ، الذي أقل من مبدأ فيه وهو الحس ، إلى العقل ، إلى الذكاء . ورفقهم من أخفض رتبة - وهي الجبل - إلى أرفع درجة في العلم - وهي اليقين - وهذا بخلاف قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَتَايَ تَقُلُ عَلَيْهِمْ﴾ ^(٦) ؛ فإن كون تلاوة الآيات قد اكمل كونهم . وكذلك : ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ ^(٧) هذا قد تم كونه .

وكذلك ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ ^(٨) ، هذا قد تم كونهم غير مضكين إلى تلك الناية الجمولة لهم ، وهي محيى البينة .

وكذلك : ﴿قَلَمَ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ﴾ ^(٩) ، اتقى عن إيمانهم مبدأ ألا تنفع وأقله ، فاتقى أصله .

(٢) سورة النكبات ٦٤

(٤) سورة لقمان ١٦

(٦) سورة المؤمن ١٠٠

(٨) سورة البينة ١

(١) سورة يس ٧٧

(٣) سورة النساء ٤٠

(٥) سورة قاف ٥٠

(٧) سورة النساء ٩٧

(٩) سورة المؤمن ٨٥

فصل

فما كتبت الألف فيه واوا على لفظ التفعيم

وذلك في أربعة أصول مطردة ، وأربعة أحرف متفرعة .

فالأربعة الأصول هي (الصَّلَاة) ، و (الزَّكَاة) ، و (الْحَيَاة) ، و (الرِّبَا)
والأربعة الأحرف قوله في الأنعام والكهف : (بِالْقُدْوَةِ)^(١) ، والنور
(كَيْشْكُودَةِ)^(٢) ، وفي الزُّمَنْ (النَّجْوَةِ)^(٣) ، وفي النجم (وَمَنُوءَةِ)^(٤) .
فأما قوله : (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ)^(٥) ، (إِنْ صَلَّيْ)^(٦) ؛ (حَيَاتُنَا الدُّنْيَا)^(٧) ،
(وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ رِّبَا)^(٨) ، فإلصاق الألف في الكل .

والتصدُّ بذلك تعظيمُ شأنِ هذه الأحرف فإن الصلاة والزكاة عمودا للإسلام ،
والحياة قاعدة النفس ، ومفتاح البقاء ، وترك الربا قاعدة الأمان ، ومفتاح النجوى ، ولهذا
قال : (اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا)^(٩) ، إلى قوله : (فَلَيْفَ لَمْ
تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِمَحَرِّبٍ مِنْ اللَّهِ)^(١٠) ويشتمل على أنواع الحرام ، وأنواع الخبايا ،
وضروب للفاسد ؛ وهو تقيض الزكاة ؛ ولهذا قول بينهما في قوله : (يَسْتَعِزُّ اللَّهُ الرِّبَا
وَيَرْزِي الصَّدَقَاتِ)^(١١) ، واجتنابه أصل في التصرفات المالية ؛ وإنما كتبت بالألف

- | | |
|--------------------------------|----------------------|
| (١) سورة الأنعام ٥٢ ، الكهف ٢٨ | (٢) سورة النور ٣٥ |
| (٣) سورة الزُّمَنْ ٤١ | (٤) سورة النجم ٢٠ |
| (٥) سورة الأنفال ٣٥ | (٦) سورة الأنعام ١٦٢ |
| (٧) سورة الأنعام ٢٩ | (٨) سورة الروم ٣٩ |
| (٩) سورة البقرة ٢٧٨ | (١٠) سورة البقرة ٢٧٩ |
| (١١) سورة البقرة ٢٧٦ | |

في سورة الروم لأنه ليس العام الكلي؛ لأن الكلي منق في حكم الله عليه بالتحريم، وفي نقي الكلي نقي جميع جزئياته.

فإن قلت: فلم كتب ﴿الزُّكُوَّةَ﴾ هنا بلواوا؟ وهلا جرت على نظم ما قبلها من قوله: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبِّا﴾^(١)؟

قلت: لأن الراد بها الكلية في حكم الله، وقلبك قال: ﴿قَالُوا لَيْكَ مُمُّ الْمُصِغُونَ﴾^(٢).

وأما كتاب ﴿النَّجْوَةَ﴾ بلواوا فلأنها قاعدة الطلعات ومفتاح السماعات، قال الله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ مَالٍ أَذُوعُكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ﴾^(٣).

وأما ﴿الندوة﴾ قاعدة الأزمان، ومبدأ تصرف الإنسان؛ مشتقة من الضبط. وأما ﴿المشكوة﴾ قاعدة الهداية، ومفتاح الولاية، قال الله تعالى: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾^(٤).

وأما ﴿منوة﴾ قاعدة الضلال، ومفتاح الشرك والإضلال وقد وصفها الله بوصفين: أحدهما يدل على تكثيرهم الإله من مثي^(٥) ومثلك، والثاني يدل على الاختلاف والتفاير، فن مظل ومشبه، تعالى الإله عما يقولون!

فصل

في مدد الياء وقبضها

وذلك أن هذه الأسماء لا لازمت القل، صار لما اعتباران: أحدهما من حيث هي

(٢) سورة المؤمن ٤١

(١) سورة الروم ٣٩

(٣) سورة النور ٣٥

(٤) وذلك قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْمَرْيَمَ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخَرَى﴾

[سورة التجم ١٩، ٢٠].

أسماء وصفات ، وهذا^(١) قبض منه التاء . والثاني من حيث أن يكون مقتضاها ضلًا وأترا ظاهرا في الوجود ، فهذا عمد فيه ؛ كما عمد في « قالت » و « حَتَّ » . وجه القمل والأمر ملكية ظاهرة ، وجه الاسم والصفة ملكوتية باطنة .

فن ذلك « الرحمة » مدت في سبعة مواضع للعلّة للذكورة :

بدليل قوله في أحدها : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٢) فوضها على التذكير ، فهو القمل .

وكذلك : ﴿ فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ ﴾^(٣) والأثر هو القمل ضرورة .

والثالث : ﴿ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ﴾^(٤) .

والرابع في هود : ﴿ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ﴾^(٥) .

والخامس : ﴿ ذِكْرُكُمْ رَحْمَتِ رَبِّكَ ﴾^(٦) .

والسادس : ﴿ أَهُمْ يَفْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾^(٧) .

والسابع : ﴿ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾^(٨) .

ومنه « النعمة » بالهاء إلا في أحد عشر موضعا مدت بها :

في البقرة : ﴿ وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾^(٩) ، في آل عمران^(١٠) ،

(١) ط ، م : « وذلك » . (٢) سورة الأعراف ٥٦

(٣) سورة الروم ٥٠ (٤) سورة البقرة ٢١٨

(٥) سورة هود ٧٣ (٦) سورة مريم ٢

(٧) سورة الزخرف ٣٢

(٨) سورة البقرة ٢٣١ وآل عمران ١٠٣

والثالثة^(١) . وفي إبراهيم^(٢) موضحان . والنحل^(٣) ثلاثة مواضع . وفي لقمان^(٤) ،
وقاطر^(٥) ، والطور^(٦) .

والحكمة فيها ما ذكرنا أن الحاصلة بالقل في الوجود تُمَدُّ ، نحو قوله في إبراهيم :
﴿ وَإِنْ تَمُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾^(٧) بدليل قوله : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَقَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾^(٨) ،
فهذه نعمة مصلة بالظلم الكفار في تنزيلها . وهذا بخلاف التي في سورة النحل : ﴿ وَإِنْ
تَمُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾^(٩) ، كتبت مقبوضة لأنها بمعنى الاسم ، بدليل قوله : ﴿ إِنَّ
اللَّهَ لَنَفَّوْرٌ رَّحِيمٌ ﴾^(١٠) ، فهذه نعمة وصلت من الرب ، فهي ملكوتية ، ختمها باسمه
عز وجل ، وختم الأولى باسم الإنسان .

ومن ذلك الكلمة مقبوضة إلا في موضع في الأعراف : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ
الْحُسْنَى ﴾^(١١) هو ما تم لم في الوجود الأخرى بالقل الظاهر دليله في ذلك ، وهو

(١) آية ١١ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُورُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ .

(٢) آية ٢٨ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا . . . ﴾ وآية ٣٤ : ﴿ وَإِنْ
تَمُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾ .

(٣) آية ٧٧ : ﴿ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ ، وآية ٨٣ : ﴿ يَمْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ
ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا ﴾ ، وآية ١١٤ : ﴿ وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ لِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ .

(٤) آية ٣١ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ ﴾ .

(٥) آية ٣ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِذْ كُورُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ . . . ﴾ .

(٦) آية ٢٩ : ﴿ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ .

(٨) سورة النحل ١٨

(٩) سورة إبراهيم ٣٤

(١٠) سورة الأعراف ١٣٧

الاختلاف^(١) وتعلمها أن لها نهاية تظهر في الوجود بالفعل فذلت التاء .
ومنها « السُّنَّةُ » مقبوضة ؛ إلا في خمسة مواضع حيث تكون بمعنى الإهلاك والانتقام
التي في الوجود :

أحدها في الأنفال : ﴿ قَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴾^(٢) ويدل عليها أنها من الانتقام
قوله قبلها : ﴿ إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾^(٣) ، وقوله بعدها : ﴿ وَتَأْتِلُكُمْ حَقٌّ
لَا تَكُونُ فِتْنَةً ﴾^(٤) .

وفي طاهر : ﴿ قُلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ
تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾^(٥) ، ويدل على أنها بمعنى الانتقام قوله تعالى قبلها : ﴿ وَلَا
يَحِينُ الْسِكْرُ السَّهِيُّ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾^(٦) ، وسيبقى ما بعدها .

وفي المؤمن : ﴿ قَلَمَ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِمَاعُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ ﴾^(٧) . أما إذا
كانت السنّة بمعنى الشريعة والطريقة فهي ملكوتية بمعنى الاسم قبض تأوّه ، كما في
الأحزاب ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ﴾ أي حكم الله وشرعه .
[وفي الإسراء] : ﴿ سُنَّتَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا ﴾^(٨) .

ومنه ﴿ بَقِيَّتُ اللَّهِ ﴾^(٩) فرد ، مدت تأوّه ؛ لأنه بمعنى ما يبقى في أموالهم من الربح
المحسوس ، لأن الخطاب إنما هو فيها من جهة للذك .

(١) في الفتح ٨٤ : « وكل ما في كتاب الله عز وجل من ذكر « الكلمة » على لفظ الواحد
فهو بالهاء إلا لحرًا واحدًا في الأعراف : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى ﴾ فإن مصاحف أهل
ال عراق اخفت على رسمه بالتاء » .

(٢) سورة الأنفال ٣٨

(٣) سورة الأنفال ٣٩

(٤) سورة المؤمن ٨٥

(٥) سورة هود ٨٦

(٦) سورة طهر ٤٣

(٧) سورة الإسراء ٧٧

ومنه : ﴿فُطِرَتِ الْفُطْرَةُ﴾^(١) فَرْدٌ ، وصفها بأنها فطر الناس عليها ، فهي فصل خطاب في الوجود كما جاء : « كل مولود يولد على الفطرة » الحديث^(٢) .

ومنه : ﴿قُرَّتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ﴾^(٣) ، فَرْدٌ ، مدت تلوّه لأنه بمعنى الفعل إذ هو خبر عن موسى ، وهو موجود حاضر في اللك ، وهذا بخلاف : ﴿قُرَّةُ أَعْيُنِي﴾^(٤) ، فإنه هنا بمعنى الاسم ، وهو ملكوتي إذ هو غير حاضر .

ومنه : ﴿وَمَضَيْتِ الرَّسُولَ﴾^(٥) مدت في موضعين في سورة المجادلة ؛ لأن معناها الفعل ، والتقدير : ولا تتناجوا بأن تمصوا الرسول ، وضئ هذا النجوى الواقع منهم في الوجود هو فعل مصيبة لوقوع النهي عنه .

ومنه « اللمنة » مدت في موضعين : في آية للباهلة^(٦) ، وفي آية اللعان^(٧) . وكونهما بمعنى الفعل ظاهر .

ومنه « الشجرة » في موضع : ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ﴾^(٨) ، لأنها بمعنى الفعل اللازم وهو تزقّمها بالأكمل ؛ بدليل قوله تعالى : ﴿فِي الْبُطُونِ﴾^(٩) ، فهذه صفة فعل كما في الواقعة : ﴿لَا كَلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ﴾^(١٠) ، وهذا بخلاف قوله : ﴿أَذْلِكَ خَيْرٌ زُرْ لَا

(١) سورة الروم ٣٠

(٢) تأمله : . . . حتى يرب عنه لانه فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه ، قاله السيوطي في الجامع الصغير ٧ : ١٥٨ ، ورواه أبو يعلى في مسنده ، والطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان .

(٣) سورة القصص ٩

(٤) سورة الفرقان ٧٤

(٥) سورة المجادلة ٨ ، ٩

(٦) في سورة آل عمران ٦١ : ﴿ثُمَّ نَبْلُغُ فَنَجْعَلُ لَمَمْتَ أَفْهَى عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ .

(٧) في سورة النور ٧ : ﴿وَالْخَاسِئَةُ أَنْ لَمَمْتَ أَفْهَى عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ .

(٨) سورة المخان ٤٣

(٩) سورة الواقعة ٥٢

أُم شَجَرَةُ الزُّقُومِ^(١) ، فإن هذه وَصَفَهَا بأنها : (فِتْنَةٌ لِلْعَالَمِينَ)^(٢) ، وأنها (شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ)^(٣) فهو حلية للاسم ؛ فليكن قبضت تأوها .

ومنه « الجنة » مدت في موضع واحد ، في الواقعة : (وَجَنَّتْ نَعِيمُ)^(٤) لكونها بمعنى فعل التمتع بالنعيم ، بدليل اقترانها بالروح والريحان وتأخرها عنها وما من الجنة ، فهذه جنة خاصة بالنعم بها . وأما (مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ)^(٥) و (أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ)^(٦) ؛ فإن هذا معنى الاسم الكلى .

ولم تمد (تَصْلِيَةُ جَحِيمٍ)^(٧) لأنها اسم ما يفعل بالكذب في الآخرة ، أخبرنا الله بذلك ؛ فالؤمن يملأه تصديقا ، ولا يحذف لعل أبدا ، والصابغ للكل : أن ما كان بمعنى الاسم لم تمد تأوه ، مثل : (زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)^(٨) و (صِبْغَةَ اللَّهِ)^(٩) و (زَلْزَلَةً السَّاعَةِ)^(١٠) ، و (نَحْلَةً أَيْمَانِكُمْ)^(١١) ، و (رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ)^(١٢) ، و (حَمَلَةَ الْخُلُقِ)^(١٣) .

ومنه : (وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ)^(١٤) مدت التاء تنبيها على معنى الولادة والحديث من النطفة للمهينة ، ولم يُصَفْ في القرآن ولدٌ إلى والد ووصف به اسم الولد إلا عيسى وأمه عليهما السلام ، لا اعتقد النصارى فيهما أنهما إلهان ، فنبه سبحانه بإضافتهما الولادية على جهة حدوثنهما بعد علمهما ؛ حتى أخير تعالى في موطن بصفة

(٢) سورة الصافات ٦٣ ، ٦٤

(٤) سورة الشعراء ٨٥

(٦) سورة الواقعة ٩٤

(٨) سورة البقرة ١٣٨

(١٠) سورة الصحر ٢

(١٢) سورة الحديد ٤

(١) سورة الصافات ٦٢

(٣) سورة الواقعة ٨٩

(٥) سورة المارج ٣٨

(٧) سورة طه ٣١

(٩) سورة الحج ١

(١١) سورة قريش ١

(١٣) سورة الترحم ١٢

الإضافة دون للوصف وقال : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾^(١) لَمَّا عَلُوا فِي إِبِلِهِ
أَكْثَرَ مِنْ أُمَّهُ ، كَمَا نَبَّهَ تَعَالَى عَلَى حَاجَتِهِمَا وَتَغَيَّرَ أَحْوَالُهُمَا فِي الْوُجُودِ ، يَلِصُّهُمَا مَا يَلِصُّ
الْبَشَرَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كَانَا بِأَسْفَلِ الطَّمَامِ ﴾^(٢) .

ومنه «امرات» هي في سبعة مواضع ؛ وهي خمس من النساء : «امرات عمران»^(٣) ،
و «امرات»^(٤) فرعون ، و «امرات نوح»^(٥) ، و «امرات لوط»^(٦) ، و «امرات العزيز»^(٧) ،
كلها معدودة تنبيهاً على فعل التنبيل والصحة وشدة اللواصلة والمخالطة والاختلاف في الوجود
والحسوس . وأربع منهن متفصلات في بواطن أمرهن عن بواطن أعمالهن . وواحدة
خاصة واصلت بملها باطنا وظاهراً ، وهي امرأت عمران ، فجعل الله لها ذرية طيبة ،
وأكرمها بذلك وفضلها على العالمين . وواحدة من الأربع انفصلت بباطنها عن بطنها طاعة
للَّهِ ، وتوكلت عليه وخوفاته ، فنجها وأكرمها ، وهي امرأت فرعون . واثنان منهن
انفصلتا عن أزواجهما كُفراً بِاللَّهِ فَأَهْلَكَهُمَا اللَّهُ ودمرهما ، ولم ينفعهما بالوصلة الظاهرة ؛
مع أنها أقرب صلة بأفضل أحبب الله . كما لم تنصر امرأت فرعون وصلتها الظاهرة بأخيبت
عبيد الله . وواحدة انفصلت عن بطنها بالباطن اتباعاً للهوى وشهوة نفسها ، فلم تبلغ من ذلك
مرادها ، مع تمسكها من الدنيا واستيلائها على من مالت إليه بحبا وهوى يبتها وقبضتها ،
فلم يفر من ذلك عنها شيئاً . وقوتها وعزتها إنما كانا لها من بطنها «العزيز» ، ولم ينفعها ذلك في
الوصول إلى إرادتها مع عظيم كيدها . كما لم يضر يوسف ما امتنع به منها ، ونجَّاه الله
من السجن ، ومكَّن له في الأرض ، وذلك بطاعته لربه . ولا سعادة إلا بطاعة الله ، ولا
شقاوة إلا بمعصيته ؛ فلهذه كلها غير وقعت بالفعل في الوجود ، في شأن كل امرأة منهن ،
فذلك مدَّت تاماتهن .

(١) سورة المؤمنون ٥٠

(٢) سورة آل عمران ٣٥

(٣) سورة النجم ١٠

(٤) سورة اللئيم ٧٥

(٥) سورة القصص ١ والتحرير ١١

(٦) سورة يوسف ٣٠ ، ٣١

فصل

في الفصل والوصل

اعلم أن للوصل في الوجود توصل كلمته^(١) في الخط ؛ كما توصل حروف الكلمة الواحدة ، والفصول معنى في الوجود يُفصل في الخط ؛ كما تفصل كلمة عن كلمة .

فنه « إنما » بالكسر ، كانه موصول إلا واحدا (*إِنْ مَا تَوْعَدُونَ لَأْتِيَنَّكُمْ*)^(٢) ، لأن حرف « ما » هنا وقع على مفصل^(٣) ، فنه خير موعوده لأهل الخير ؛ ومنه شر موعوده لأهل الشر ؛ فنعى « ما » مفصول في الوجود والعدم .

ومنه « إنما » بالفتح كله موصول إلا حرفان : (*وَأَنْ مَّا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ*)^(٤) ، (*وَأَنْ مَّا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ*)^(٥) ، وقع الفصل عن حرف التوكيد ؛ إذ ليس لدعوى غير الله وصل في الوجود ؛ إنما وصلها في العدم والنفي ؛ بدليل قوله تعالى عن المؤمنين : (*أَتَمَّا تَدْعُونِي لَأَتِيَنَّكُمْ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ*)^(٦) ، فوصل « إنما » في النفي ، وفصل في الإثبات ، لا فصله عن دعوة الحق .

ومنه : « كلما » موصول كله إلا العلامة :

- | | |
|---|----------------------|
| (١) ت ، ط : « كلمته » . | (٢) سورة الأنعام ١٣٤ |
| (٣) كلفا في ط ، ت ، و ؛ م : « متفصل » . | (٤) سورة الحج ٦٢ |
| (٥) سورة لقمان ٣٠ | (٦) سورة غافر ٤٣ |

في النساء : ﴿ كُلُّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا ﴾^(١) فَا رُدُّوا إليه ليس شيئاً واحداً في الوجود ، بل أنواع مختلفة في الوجود ، وصفة مردّم ليست^(٢) واحدة بل متنوعة ، فاقصّل « ما » لأنه لسوم شيء مفصّل في الوجود .

وفي سورة إبراهيم : ﴿ وَأَنَّا كُمُ مِنْ كُلِّ مَاسَأَلْتُمُوهُ ﴾^(٣) ، « غُرف » « ما » واقع^(٤) على أنواع مفصلة في الوجود .

وفي قد أطلع : ﴿ كُلُّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ ﴾^(٥) ، والأُمم مختلفة في الوجود ، « غُرف » « ما » وقع على تفاصيل موجودة لتفصّل .

وهذا بخلاف قوله : ﴿ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بَيِّنَاتٍ لَّا يَهْتَمُّوا بِهَا فَبَدَّلُوا بِمَآ كَذَّبُوا بِرِيسَالِيهَا ﴾^(٦) ؛ فإن هؤلاء هم بنو إسرائيل أمة واحدة ؛ بدليل قوله : ﴿ فَلَيْمَ يَكْفُرُوا بِآيَاتِنَا إِذْ هُمْ أَتَوْا آلِهَتَهُمْ فَكَذَّبُوا بِهَا وَإِذْ كَانُوا لَنَا بَاطِلِينَ ﴾^(٧) ، والمخاطبون على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتلوا الأنبياء ، إنما باثروا آباؤهم ؛ لكنّ منزههم في ذلك واحد ، « غُرف » « ما » إنما يشمل تفاصيل الزمان ، وهو تفصيل لا مفصّل له في الوجود إلا بالقرض والتوهم ، لا بالحق ، فوُصّلت « كل » لاتصال الأزمنة في الوجود ، وتلازم أفرادها للتوهم .

وكذلك : ﴿ كُلَّمَا رَزَقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا ﴾^(٨) ، هذا موصول ؛ لأنّ حرف « ما » جاء لتسميع الأزمنة ، فلا تفصيل فيها في الوجود ، وما رزقوا هو غير مختلف ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَأَتُوا بِهِ مَعْتَابًا ﴾ .

(١) ت : « ليس » .

(٢) ت : « واقع » .

(٣) سورة البقرة - ٧٠

(٤) سورة البقرة - ٢٥

(١) آية ٩١

(٢) المؤمنون آية ٣٤

(٣) آية ٤٤

(٤) سورة البقرة ٩١

ومنه « أَيْنَا » موصول إذا كانت « ما » غير مخلفة الأقسام في الفعل الذي بعدها؛ مثل: (أَيْنَا يُوْجِّهُهُ) ^(١). (فَأَيْنَا تَوَلَّوْا) ^(٢). (أَيْنَا تُقِفُوا أَخِذُوا) ^(٣). (أَيْنَا تَكُونُوا يُذَرِّكُمْ لِلْوَيْتِ) ^(٤)؛ فهذه كلها لم تخرج عن « الأَيْن » للكسرة، وهو متصل حساً، ولم يختلف فيه الفعل الذي مع « ما ». وقُصِلَ « أَيْن » حيث تكون « ما » مخلفة الأقسام في الوصف الذي بعدها؛ مثل: (أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ) ^(٥). (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ) ^(٦). (أَيْنَ مَا تَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ) ^(٧).

ومنه « بَشْمَا » موصول، إلا ثلاثة أحرف: اثنتان في البقرة: (يَسْأَلُ مَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ) ^(٨). (يَسْأَلُ مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ) ^(٩)، وفي الأعراف: (يَسْأَلُ مَا خَلَقْتُمُونِي) ^(١٠).

غرف « ما » ليس فيه تفصيل، لأنه بمعنى واحد في الوجود من جهة كونه باطلاً مذموماً؛ على خلاف حال « ما » في لثاقدة: (تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَسْعَوْنَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكَلِهِمُ الشَّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ^(١١)، وغرف « ما » يشتمل على الأقسام الثلاثة التي ذكرت قبل. وكذلك: (لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ) ^(١٢) حرف « ما » مفصول؛ لأنه يصل ما بعده من الأقسام.

- | | |
|--|------------------------|
| (١) سورة النحل ٨٦ | (٢) سورة البقرة ١١٥ |
| (٣) سورة الأحزاب ٦١ | (٤) سورة الفاء ٧٨ |
| (٥) سورة الشعراء ٩٢ | (٦) سورة الحديد ٤ |
| (٧) سورة آل عمران ١٠٠ | (٨) سورة البقرة ٩٠، ٩٣ |
| (٩) سورة الأعراف ١٥٠، وفي اللصف الذي بين أيدينا منصلة. | (١٠) سورة الأعراف ١٥٠ |
| (١١) سورة لثاقدة ٦٢ | (١٢) سورة لثاقدة ٨٠ |

ومنه ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُقْتَنُونَ﴾^(١) . ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ﴾^(٢) ، حرفان فصل الضمير منهما لأنه مبتدأ ، وأضيف « اليوم » إلى الجملة المنفصلة عنه .
و ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾^(٣) و ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾^(٤) ، وصل الضمير لأنه مفرد ؛ فهو جزء الكلمة للركبة من « اليوم » للأضاف والضمير للأضاف إليه ،
ومنه « في ما » مفصول أحد عشر حرفاً :

في البقرة ﴿فِي مَا قَتَلْنَا فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ مَّعْرُوفٍ﴾^(٥) ، وذلك لأن « ما » يقع على فرد واحد [من]^(٦) أنواع يتفصل بها للمروف في الوجود [و]^(٧) على البدلية أو الجمع ؛ يدل على ذلك تنكيره « للمروف » ودخول حرف التبيين عليه ؛ فهو حصّ يُقسّم ، وحرف « ما » وقع على كل واحد منهما على البدلية أو الجمع ؛ وأما قوله : ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا قَتَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٨) ، فهذا موصول لأن « ما » واقعة على شيء واحد غير مفصل ، يدل على وصفه بالمروف .

وكذلك : ﴿فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾^(٩) ، وهو مفصول ؛ لأن شهوات الأنفس مختلفة أو منفصلة في الوجود كذلك ، فتديره في سائرهما .

ومنه : ﴿لِكَيْلَا﴾ موصول في ثلاثة مواضع ؛ وباقيا منفصل ؛ وإنما يوصل حيث يكون حرف النفي دخل على معنى كلى فيوصل ؛ لأن نفي الكلى نفي لجميع جزئياته ، فعمله فيه هي علة نفي أجزائه ؛ وليس للكلى للنفي أفراد في الوجود ، وإنما

(٢) سورة غافر ١٦
(٤) سورة الزخرف ٨٣
(٦) من ت ، ط .
(٨) سورة الأنبياء ١٠٢

(١) سورة القاريات ١٣
(٣) سورة الطور ٤٥
(٥) سورة البقرة ٢٤٠
(٧) سورة البقرة ٢٣٤

ذلك فيه بالتوم، ويفصل حيث يكون حرف النفي دخل على جزئى؛ فإن نقي الجزئى لا يلزم منه نقي الكل؛ فلا تكون علته نقي الجمع :

(لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا) ^(١) في الحج. وفي الأحزاب: (لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ) ^(٢). وفي الحديد: (لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ) ^(٣).

فهذه هي الموصولة، وهي بخلاف: (لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا) ^(٤) في النحل؛ لأن الظرف في هذا خاص الاعتبار؛ وهو في الأول عام الاعتبار لدخول «من» عليه؛ وهذا كقوله تعالى عن أهل الجنة: (إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ) ^(٥)، اختص للظروف بـ«قبل» في الدنيا، فقيها كانوا مشفقين خاصة. وقال تعالى: (إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ) ^(٦)، فهذا الظرف عام لدعائهم بذلك في الدنيا والآخرة فلم يختص للظروف بـ«قبل» بالدنيا.

وكذلك: (لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا) ^(٧) فهذا النفي هو حرج مقيد بظرفين.

وكذلك: (كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ) ^(٨)، فهذا النفي هو كون: (مَا آفَأَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ) ^(٩) دُولَةً بين الأغنياء من المؤمنين، وهذه قيود كثيرة.

ومن ذلك «هم» ونحوه من الضمائر تدل على جملة للشي من غير تفصيل، والإخبار حال لصفة وجود، فلا يلزمها التقسيم الوجودى إلا الوهمى الشمرى ولتعللاً بما يرسم على العلم الحق.

ومن ذلك «مال» أربعة أحرف مفصولة؛ وذلك أن اللام وصلة إضافية، قطعت حيث قطع الإضافة في الوجود:

(٢) سورة الأحزاب ٥٠

(٤) سورة النحل ٧٠

(٦) سورة الطور ٢٨

(٨) سورة المفسر ٧٧

(١) سورة الحج ٥

(١) سورة الحديد ٢٣

(٥) سورة الطور ٢٦

(٧) سورة الأحزاب ٣٧

فأولها في سورة النساء : ﴿ قَالِ هَؤُلَاءِ التَّوْمُونَ ﴾^(١) ، هذه الإشارة للفريق الذين ناقروا من التوهم الذين قيل لهم : ﴿ كَفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾^(٢) قطعوا وصل السبئية بالحسنة في الإضافة إلى الله ففرقوا بينهما ، كما أخبر سبحانه والله قد وصل ذلك وأمر به في قوله : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾^(٣) قطعوا في الوجود ما أمر الله به أن يوصل ؛ قطع لأم وصلهم في الخطأ علامة لذلك . وفيه تنبيه على أن الله يقطع وصلهم بالمؤمنين ؛ وذلك في يوم الفصل : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ السُّفَهَاءُ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَفِسْ مِنْ نُورِكُمْ ﴾^(٤) .

والثاني في سورة الكهف : ﴿ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صُنِيْرَهُ ﴾^(٥) ؛ وهؤلاء قطعوا بزعمهم وصل جبل للوعد لم يوصل إحصاء الكتاب ، وعدم منادته لشيء من أعمالهم في إضافتها إلى الله ، فذلك ينكرون على الكتاب في الآخرة ، ودليل ذلك ظاهر من سياق خبرهم في تلك الآيات من الكهف .

والثالث في سورة التفرقان : ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّامَ ﴾^(٦) ، قطعوا وصل الرسالة لأكل الطام فأنكروا ، قطعوا قولهم هذا ليزول عن اعتقادهم أنه رسول ، قطع اللام علامة لذلك .

والرابع في المارج : ﴿ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِينَ ﴾^(٧) ، هؤلاء الكفار تفرقوا جماعات مختلفات ، كما يدل عليه ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ عِزِينَ ﴾^(٨) ، قطعوا وصلهم في قلوبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، قطع الله طمعهم في دخول الجنة ؛ ولذلك قطعت اللام علامة^(٩) عليه .

(٢) سورة النساء ٧٧

(٤) سورة الحديد ١٣

(٦) آية ٧

(٨) هذه الكلمة سافطة من ت

(١) سورة النساء ٧٨

(٣) سورة النساء ٧٨

(٥) آية ٤٩

(٧) آية ٣٦ ، ٣٧

ومن ذلك : ﴿ اِبْنُ اُمٍّ ﴾ في الأعراف^(١) مفصول ، على الأصل ، وفي طه^(٢) ﴿ اَبْنُؤُمٍّ ﴾ موصول لسرّ لطيف ؛ وهو أنه لما أخذ موسى برأس أخيه اعتذر إليه فناداه من قرب^(٣) على الأصل الظاهر في الوجود ، ولما تملأ ناداه بحرف النداء ، يذّبه لبعده عنه في الحال ، لا في المكان ، مؤكداً لوصلة الرحم بينهما بالربط ؛ فقلقت وصل في الخط ، ويدل عليه نصب « الميم » ليجمعها الاسم بالتصميم .

ومن ذلك ستة أحرف لا توصل بما بعدها ، وهي : الألف ، والواو ، والذال ، والظال ، والراء ، والزاي ؛ لأنها علامات لافصالات ونهايات ، وسائر الحروف توصل في الكلمة الواحدة .

فصل

في بعض حروف الإدغام

فنه : ﴿ عَن مَّأْهُوَ عَنَّهُ ﴾^(١) ، فرد ظهر فيه النون وقطع من الوصل ، لأن معنى « ما » محوم كلى تحت أنواع مفصلة في الوجود غير متساوية في حكم النعى عنها ، ومعنى « عن » المجاوزة ، والمجاوزة للكلى مجاوزة لكل واحد من جزئياته ، ففصل علامة قلقت .

(١) سورة الأعراف ١٥٠ : ﴿ قَالَ اِبْنُ اُمٍّ اِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي ﴾ .

(٢) سورة طه ٩٤ : ﴿ قَالَ يَا بَنُؤُمٍّ لَا تَأْخُذْ بِلِعَیْقِي وَلَا بِرَأْسِي ﴾ .

(٣) كذا في ط ، م . وفي ت : « قريب » .

(٤) سورة الأعراف ١٦٦

وكذلك : ﴿ مِنْ مَا ﴾ ثلاثة أحرف منفصلة لا غير :

في النساء : ﴿ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾^(١) . وفي الروم : ﴿ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾^(٢) . وفي المنافقين : ﴿ وَأَنْتُمْ قَوْمٌ مَارِءٌ ﴾^(٣) .

وحرف « ما » في هذه كلها مقسم في الوجود بأقسام^(٤) منفصلة غير متساوية في الأحكام ، وهي بخلاف قوله : ﴿ نَمَّا كَتَبْتَ أَيْدِيَهُمْ ﴾^(٥) ؛ فإنها وإن كان تحتها أقسام كثيرة فهي غير مختلفة في وصفها بكتب أيديهم ؛ فهو نوع واحد يقال على معنى واحد من تلك الجهة هو في إفراجه بالسوية .

وكذلك : « أَمْ مَنْ » بالفصل ، أربعة أحرف لا غير :

في النساء : ﴿ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾^(٦) . وفي التوبة : ﴿ أَمْ مَنْ أَسَسَ بُنْيَانَهُ ﴾^(٧) . وفي الصافات : ﴿ أَمْ مَنْ خَلَقْنَا ﴾^(٨) . وفي السجدة : ﴿ أَمْ مَنْ يَأْتِي ﴾^(٩) .

فهذه الأربعة الأحرف « مَنْ » فيها قسم في الوجود بأنواع مختلفة في الأحكام بخلاف غيرها ، مثل : ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي ﴾^(١٠) ، فهذا موصول ؛ لأنه من نوع واحد حيث يَمْشِي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . وكذا : ﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا ﴾^(١١) ؛ لا تفاصيل تحتها في الوجود .

(٢) سورة الروم ٢٨

(٤) ت : « بأنواع » :

(٦) سورة النساء ١٠٩

(٨) سورة الصافات ٣

(١٠) سورة الملك ٢٢

(١) سورة النساء ٢٥

(٣) سورة المنافقين ١٠

(٥) سورة البقرة ٧٩

(٧) سورة التوبة ١٠٩

(٩) سورة فصلت ٤٠

(١١) سورة النمل ٦١

وكذلك : ﴿عَنْ مَنْ﴾ مفصول :

حرثان في النور : ﴿عَنْ مَنْ بَشَاهُ﴾^(١) ، وفي النجم : ﴿عَنْ مَنْ قَوْلُ﴾^(٢) ، حرف « مَنْ » فيهما كلٌّ وحرف « عَنْ » للجاوزة ، والجاوزة عن السكّية مجاوزة لجميع جزئياته دون العكس ؛ فلا وصلة بين الجزأين^(٣) في الوجود فلا يوصلان في الخط .

وكذلك « بَمَنْ » موصول^(٤) كله لأن « مَنْ » بفتح اللام جزئى بالنسبة إلى « ما » ، فعناه « أَزِيدُ » من جهة للقيوم ، ومعنى « ما » أزيد من جهة للقيوم ، والزائد من جهة للقيوم منفصل وجودا بالخصص ، والخصّة منه لا تنفصل ، والزائد من جهة للقيوم لا ينفصل وجودا .

وكذلك : ﴿وَلَا تَرَيْنَا مَا تُرِيْنَاكَ بِمَضَى الَّذِي نَصِدُّهُمْ﴾^(٥) في سورة الرعد ، فردة مفصولة ، ظهر فيها حرف الشرط في الخط لوجهين : أحدهما أن الجواب المرتب عليه بالقاء ظاهر في موطن الدنيا ، وهو البلاغ^(٦) ؛ بخلاف قوله : ﴿فَلَا تَرَيْنَاكَ﴾^(٧) فإنه أخفى فيه حرف الشرط في الخط لأن الجواب المرتب عليه بالقاء خفيّ عناه ، وهو الرجوع^(٨) إلى الله . والثاني أن القصّة الأولى متفصلة من الشرط وجوابه ، واتسم^(٩) الجواب إلى جزأين : أحدهما الترتيب بالقاء وهو البلاغ ، والثاني المطوف عليه وهو الحساب . وأحدهما في الدنيا ، والآخر في الآخرة . والأول ظاهر لنا ، والثاني خفيّ عناه .

وهذا الانقسام صحيح في الوجود ، فقد اتسمت هذه الشرطية إلى شرطين ، لافصال

(١) سورة النور ٤٣

(٢) سورة النجم ٢٩

(٣) ت : « الحرفين » .

(٤) م : « متصل » .

(٥) سورة الرعد ٤٠

(٦) من جية الآية : ﴿فَلَا تَرَيْنَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ .

(٧) سورة غافر ٧٧

(٨) من جية الآية : ﴿فَلَا تَرَيْنَا يُرْجُونُ﴾ . (٩) ت : « واتسم » تحريف .

جوابها إلى قسمين متضارين ، فُصِّل حرف الشرط علامةً لذلك ، وإذا انفصلت لزم كُتِبَ على الوقت ، والشرطية الأخرى لا تنفصل ، بل هي واحدة لإيجاد جوابها ، فافصال^(١) حرف الشرط علامةً لذلك .

وكذلك : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ ﴾^(٢) فرد في القصص ثابت النون ، وفي هود : ﴿ فَأَلِّمُوا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ ﴾^(٣) فرد بنير نون ؛ أظهر حرف الشرط في الأول لأن جوابه المترتب عليه بالفاء هو ﴿ فَأَعْلَمُ ﴾^(٤) متعلق بشيء مذكور في ظاهر ، سغلي ؛ وهو اتباعهم أهواءهم^(٥) ، وأخفي في الثاني لأن جوابه المترتب عليه بالفاء هو عِلْمٌ متعلق بشيء مذكور في خفي ، علوي وهو إنزال القرآن بالعلم والتوحيد^(٦) .

ومن ذلك : « أن لن » كُله مفصول إلا حرفان : ﴿ أَنْ يَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴾^(٧) في الكهف ، ﴿ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴾^(٨) في القيامة سقطت النون منهما في الخطب تنبيهاً على أن ما زعموا وحسبوا هو باطل في الوجود وحكم ما ليس بمعلوم نسبه إلى الحلي القيوم ، فأدغم حرفاً توكيدهم الكاذب في حرف النفي السالب هو ، بخلاف قوله : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا ﴾^(٩) ، فهو لا لم ينسبوا ذلك لفاعل ؛ إذ ركب الفعل لما لم يُسم فاعله ، وأقيموا فيه مقام الفاعل ، فندمهم تصوروه من أنفسهم ، وحكموا به عليها توها ، فهو كاذب من حيث حكموا به على مستقبل الآخرة ، ولكونه حقا بالنسبة إلى دار الدنيا الظاهرة ثبت التوكيد ظاهراً وأدغم في حرف النفي من حيث الفصل المستقبل الذي هو فيه كاذب .

(١) ت : « فصل » .

(٢) سورة القصص ٥٠ .

(٣) سورة هود ١٤ .

(٤) يشير إلى بنية الآية : ﴿ فَأَعْلَمُ أَنَّمَا يُنْفِخُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ .

(٥) يشير إلى بنية الآية : ﴿ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ .

(٦) سورة الكهف ٤٨ .

(٧) سورة القيامة ٣ .

(٨) سورة التين ٧ .

ومن ذلك كل ما في القرآن « أ ب لا » فهو موصول إلا عشرة مواضع فهي مفصولة ، تكسب النون فيها باتفاق ، وذلك حيث ظهر في الوجود صحة تأكيد القضية ولزومها :

أولها في الأعراف : ﴿ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ ﴾^(١) ، و ﴿ وَأَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ ﴾^(٢) .

و ﴿ أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ ﴾^(٣) في التوبة .

﴿ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾^(٤) ، و ﴿ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ ﴾^(٥) في هود .

و ﴿ أَنْ لَا تَشْرِكْ بِي شَيْئًا ﴾^(٦) في الحج .

و ﴿ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾^(٧) في يس .

و ﴿ أَنْ لَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ فِي الدِّخَانِ ﴾^(٨) .

و ﴿ أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا ﴾^(٩) في الممتحنة .

و ﴿ أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا ﴾^(١٠) في القلم .

وواحد فيه خلاف ﴿ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ﴾^(١١) في الأنبياء .

فأما كيف صح في الوجود هذا التوكيد الأخير ، فلم يدخلها عليهم مسكين على غير ما قصدوا وتخلوا فيه .

(٢) سورة التوبة ١١٨

(١) سورة الأعراف ١٠٥ ، ١٦٩

(٤) سورة الحج ٢٦

(٣) سورة هود ١٤ ، ٢٦

(٦) سورة الدخان ١٩

(٥) سورة يس ٦٠

(٧) سورة الممتحنة ١٢

(٨) سورة القلم ٢٤ والآية بتمامها : ﴿ أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴾ .

(٩) سورة الأنبياء ٢٨

وكذلك لام التعريف للدغة في اللفظ في مثلها أو غيرها ، لما كانت للتعريف .
 وشأنُ اللَرَف أن يكون أَيْنَ وأظهر ، لا أخفى وأستر . ظهرت^(١) في الخط ، ووصلت
 بالكلمة ، لأنها صارت جزءا منها من حيث هي معرفة بها ، هذا هو الأصل ، وقد حذف
 حيث يخفى معنى الكلمة مثل « أَيْل » فإنه بمعنى مظلم لا يوضح الأشياء بل يسترها
 ويخفيها ، وكونه واحدا إما للجزئى أو للجنس فأخفى حرف تربيعة في مثله ، فإن تميز
 للجزئى بالتأنيث رُجع إلى الأصل . ومثل « أَلَى » و « أَلَى » وتثنيتهما وجمعهما ؛ فإنه
 مُبهم في اللفى والكَم ، لأن أول حذو للجزئى وللجنس لثلاث أو غيرها ؛ ففيه ظلة
 الجمل كالليل . ومثل « أَلَى »^(٢) في الإيجاب ، فإن لام التعريف دخلت على « لا » النافية
 وفيها ظلة المدم كالليل ، ففي هذه الظلمات الثلاث يخفى حرف التعريف .

وكذلك « الأَيْكة » قلت حركة همزتها على لام التعريف وسقطت همزة الوصل
 لتحريك اللام ، وحذفت ألف عضد الهمزة ووصل اللام ، فاجتمعت الكلمتان ، فصار
 « كَيْكة » علامة على اختصار وتلخيص وجمع في اللفى ؛ وذلك في حرفين : أحدهما في
 الشراء^(٣) جمع فيه قصتهم مختصرة وموجزة في غاية البيان ، وجعلها جملة ؛ فهي آخر قصة
 في السورة بدليل قوله : « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً »^(٤) فأفردا ، والثاني في ص^(٥) ، جمع الأُمم
 فيها بألقابهم وجعلهم جهة واحدة ، هم آخر أمة فيها ، ووصف الجملة ، قال تعالى : « أولئك
 الأحزاب » ، وليس الأحزاب وصفا لكل منهم ؛ بل هو وصفٌ بجمعهم .

(١) ط : « أظهرت » ، بالياء المجهول .

(٢) في الأصول : « لا » ؛ وانظر للفتح ٧٢

(٣) سورة الشراء ١٧٦ : « كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ » .

(٤) سورة الشراء ١٩٠

(٥) سورة س ١٣ : « وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ » .

وجاء بالانفصال على الأصل حرفان نظير هذين الحرفين : أحدهما في الحجر : ﴿وَإِنْ كَانُوا أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَنَسْأَلُكُمْ﴾^(١) أفردم بالذكر والوصف . والثاني في ق : ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾^(٢) ، جُمعوا فيه مع غيرهم ، ثم حكم على كلٍ منهم لا على الجملة ، قال تعالى : ﴿كُلُّ كَذَّابٍ رَاسِلٌ﴾^(٣) ، فحيث يقرر فيهم التفضيل فصل لام التعريف ، وحيث يقرر فيهم التوصيل وصل للتخفيف .

وكذلك : ﴿لَتَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾^(٤) ، حذفت الألف ووصلت ، لأن العمل في الجدار قد حصل في الوجود ، فزِم عليه الأجر ، وأصل به حكما ، بخلاف : ﴿لَتَتَّخِذُوا خَلِيلًا﴾^(٥) ليس فيه صلة اللزوم .

فصل

في حروف مقاربة تختلف في اللفظ

لاختلاف المعنى

مثل : ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾^(١) ، ﴿وَزَادَ كُرْشِي اتِّخَالُفَ بَسْطَةً﴾^(٢) .
﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٣) ، ﴿وَاللَّهُ يَقْنِصُ وَيَبْسُطُ﴾^(٤) ، فبالسين السمة^(٥) الجزئية كذلك علة التصيد ، وبالحصاد السمة^(٦) السكية ؛ بدليل علو معنى

(١) سورة الحجر ٧٨

(٢) سورة الكهف ٧٧

(٣) سورة البقرة ٢٤٧

(٤) سورة الرعد ٢٦

(٥) في الأصول : « البسة » ، تحريف .

(٦) سورة ق ١٤

(٧) سورة الإسراء ٧٣

(٨) سورة الأعراف ٦٩

(٩) سورة البقرة ٢٤٥

الإطلاق ، وعلو الصاد مع الجهارة والإطباق .
 وكذلك : ﴿ قَاتُوا بِسُورَةٍ ﴾ ^(١) ، ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ ﴾ ^(٢) .
 ﴿ فَضْرَبَ بَيْنَهُمُ يَسُورٍ ﴾ ^(٣) ، ﴿ وَخَسَخَ فِي الصُّورِ ﴾ ^(٤) ، فبالسين ما يحصر
 الشيء خارجاً عنه ، وبالصاد ما تضمنه منه .
 وكذلك : ﴿ يَسْلُمُ مَا يُرِثُونَ ﴾ ^(٥) ، ﴿ وَكَانُوا يَصْرَتُونَ ﴾ ^(٦) ، فبالسين من
 السر ، وبالصاد من التحدى .
 وكذلك : ﴿ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ ﴾ ^(٧) و ﴿ مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴾ ^(٨) ، فبالسين من الجرء ،
 وبالصاد من الصعوبة .
 وكذلك : ﴿ نَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ ﴾ ^(٩) و ﴿ وَكَمْ قَسَمًا ﴾ ^(١٠) ، بالسين تفریق
 الأرزاق والإنعام ، وبالصاد تفریق الإهلاك والإعدام .
 وكذلك : ﴿ وَجُوهٌ يُؤْمَنُ بِهَا نَافِرَةٌ - إِلَيَّ رُجُوعُهَا نَافِرَةٌ ﴾ ^(١١) بالصاد منعمة بما تشبهه
 الأنفس ، وبالفاء منعمة بما تلذ الأعين . وهذا الباب كثير ، يكفي فيه اليسير .

فصل

[في كتابة فواتح السور]

كتبوا « آلم » و « للز » و « آلر » موصولا .

(١) سورة البقرة ٢٢	(٢) سورة الاططار ٨
(٣) سورة الحديد ١٣	(٤) سورة يس ٥١
(٥) سورة هود ٢٠ ، ٥	(٦) سورة الواقعة ٤٦
(٧) سورة القمر ٣٨	(٨) سورة الأنبياء ٤٣
(٩) سورة الزخرف ٣٢	(١٠) سورة الأنبياء ١١
(١١) سورة القيامة ٢٢ ، ٢٣	

إن قيل : لم وصلوه والهجاء متقطع لا يفتنى وصله ؛ لأنه لو قيل لك : ما هجاء « زيد » ؟
قلت : زاي ، ياء ، دال ، وتكتبه مقطعا ، لفرق بين هجاء الحروف وقراءته ؟
قيل : إنما وصلوه لأنه ليس هجاء لاسم معروف ؛ وإنما هي حروف اجتمعت ، يراد
بكل حرف معنى .

فإن قيل : لم قطعوا « حم عشق » ولم قطعوا « لآلئ » و « كهيمص » ؟
قيل : « حم » قد جرت في أوائل سبع سور ، فصارت اسما للسور ، قطعت
عما قبلها .

وجوزوا في : « ق وَالْقُرْآنِ » و « م وَالْقُرْآنِ » وجهين : مَنْ جزمها فهما
حرفان ، ومن كسر آخرهما فلي أنه أمر كتب على لفظهما .

السُّورَةُ السَّادِسُ وَالْعَشْرُونَ

مَعْرِفَةُ فَضَائِلِهِ

وقد صنف فيه أبو بكر بن أبي شيبة ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، والنسائي وغيرهم . وقد صحَّ فيه أحاديث باعتبار الجملة ، وفي بعض السور بالتعيين . وأما حديث أبي بن كعب رضي الله عنه في فضيلة سورة سورة ، فحديث موضوع .

قال ابن الصلاح : ولقد أخطأ الواحد للقرآن ومن ذكره من المفسرين في إبداعه تفاسيرهم .

قلت : وكذلك الثعلبي ، لكنهم ذكروه بإسناد ، فالوم عليهم بقلِّ بخلاف من ذكره بلا إسناد وجزم به كالزغشري فإن خطأ أشد .

وعن نوح بن أبي مريم أنه قيل له : من أين لك : عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة ؟ قال : إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بقلِّه أبي حنيفة ومغازي محمد بن إسحاق ، فوضعتُ هذه الأحاديث حسبة .

ثم قد جرت عادة المفسرين من ذكر الفضائل أن يذكرها في أول كل سورة لما فيها من الترغيب والحث على حفظها إلا الزغشري فإنه يذكرها في أواخرها .

قال مجد الأئمة عبد الرحيم بن عمر الكيرماني : سألتُ الزغشري عن العلة في ذلك فقال : لأنها صفات لها ، والصفة تستدعي تقديم الموصوف .

وقد روى البخاري رحمه الله حديث « خيركم من قلم القرآن وعلمه » . وروى أصحاب السنن في حديث إلهي : « من شمله القرآن عن ذكرى ومسانتي أعطيته أفضل

ما أعطى السائلين . و « فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » . وقال عليه السلام : « ما تحرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه » قال أبو النضر : يمتن القرآن . وروى أحمد من حديث أنس رضي الله عنه : « أهل القرآن هم أهل الله وخاصته » . وروى مسلم^(١) من حديث عمر رضي الله عنه : « إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين » . وقدم صلى الله عليه وسلم في قفلى أحد في القبر أكثرهم قرآنا .

(١) في كتاب صلاة للسافرين ونصبر ما ١ : ٥٥٩

النوع السابع والعشرون معرفته خواصه

وقد صنف فيه جماعة منهم التيمي، وأبو حامد النزالي . قال بعضهم: وهذه الحروف التي في أوائل السور، جعلها الله تعالى حفظاً للقرآن من الزيادة والنقصان؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَٰحِفَظُونَ ﴾ ^(١) .

وذكر بعضهم أنه وقف على أن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه كان يكتبها على ما يريد حفظه من الأموال والتابع، فيحفظ .

وأخبر رجل من أهل اللوصيل قال: كان السكيتي المهراسي ^(٢) الإمام رحمه الله إذا ركب في رحلته يقول: هذه الحروف التي في أوائل السور، فمثل عن ذلك قال: ما جيل ذلك في موضع أو كتب في شيء إلا حفظت أليها وماله، وأمين في نفسه من التالف والفرق. وحكى عن الشافعي رحمه الله أنه شكى إليه رجل رمداً، فكتب إليه في رقيقة: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ . ﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ ^(٣) . ﴿ وَلَذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ ﴾ ^(٤)؛ فملق الرجل ذلك عليه فبرأ .

وكان سفيان الثوري يكتب للمطلقة رقيقة تملق على قلبها: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ ^(٥) .

(١) سورة الحجر ٩

(٢) هو أبو الحسن علي بن محمد الطبري أحد فقهاء الشافعية، وصاحب كتاب أحكام القرآن . توفي سنة ٥٠٤ هـ (ابن خلكان ١ : ٣٢٧) .

(٣) سورة ق ٢٧

(٤) سورة فصلت ٤٤

(٥) سورة الانشقاق ١ - ٤

وَأُذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُفَّتْ. وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ. وَأَلْقَتْ. (فَانْفُجْ مِنْهَا) ^(١). (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ) ^(٢).

وروى ابن قتيبة قال : كان رجل من الصالحين يحب الصلاة بالليل ويحفل عليه ، فشكا ذلك لبعض الصالحين فقال : إنا أويت إلى فراشك فقرأ : ﴿عَلَّ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ ^(٣) إلى قوله ﴿مَدَدًا﴾ ^(٤) ، ثم أضر ، في أي وقت أضرت فإنك تقوم فيه ، قال : فقلت صمت في الوقت للمين .

قال الفرزاني : وكان بعض الصالحين في أصبهان أصابه عسر البول ، فكتب في صحيفة : البسمة ﴿وَيَسِّرْ الْعِجَالُ بِنَا . فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ ^(٥) . ﴿وُحِلَّتْ الْأَرْضُ وَالْعِبَالُ فَذُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ ^(٦) . ﴿دَكَا دَكَا﴾ ^(٧) ، وألقى عليه لاء وشربه فيسر عليه البول ، وألقى الحمى .

وحكى الثعلبي في تفسيره أن قوله تعالى : ﴿لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ يُعْمَلُونَ﴾ ^(٨) يُكْتَبُ على كاعده ، ويوضع على شِقِّ الضرس الوجع ، يبرأ بإذن الله تعالى .

ويمحى أن الشيخ أبا القاسم القشيري رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالي أراك محزوناً ؟ قال : ولقي قد مرض ، واشتد عليه الحال ؛ قال له : أين أنت عن آيات الشفاء : ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ ^(٩) . ﴿وَيَشْفَا لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ ^(١٠) . ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنِّ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ

(٢) سورة القصص ٧٩

(١) سورة الحجر ٣٤

(٣) سورة الكهف ١٠٩

(٥) سورة المائدة ١٤

(٤) سورة الواقعة ٥٠ ، ٦

(٧) سورة الأمام ٦٧

(٦) سورة النجم ٢١

(٩) سورة يونس ٥٧

(٨) سورة التوبة ١٤

يَتَفَكَّرُونَ^(١) . (وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ^(٢)) . (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ^(٣)) . (قُلْ هُوَ الَّذِي آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً^(٤))^(٥) اقرأ هذه الآيات عليه ثلاث مرات فبرأ .

وحكى ابن الجوزى عن ابن ناصر عن شيوخه عن ميمونة بنت شاقولة البغدادية^(٦) رضى الله عنها قالت : آذانا جار لنا ، فصليت ركعتين ، وقرأت من فاتحة كل سورة آية حتى ختمت القرآن ، وقلت : اللهم اكفنا أمره ، ثم نمت وفتحت عيني ؛ وإذابه قد نزل وقت السحر فولت قدمه ، فَنُظِمَ ومات .

وحكى عن ابنها أنه كان في دارها حائط له جوف ، قالت : مات رقعة ودواة ، فنولتها ، فكتبت في الرقعة شيئاً ، وقالت : دعه في جوف منه ، فصلت ، فبقي نحو من عشرين سنة ، فلما ماتت ذكرت ذلك القرطاس ، فميت فأخذته ففوق الحائط ، فلما في الرقعة : (إِنَّ اللَّهَ بِمِصْرِكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ تَزُولَا^(٧)) ، يا مِصْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، أمسكه .

تَنْبِيْهٌ

هذا النوع والذي قبله لن ينفع به إلا من أخلص لله قلبه ونيتته وتدبر الكتاب في عقه وسمعه ، وعمر به قلبه ، وأعمل به جوارحه ، وجعله سميّره في ليله ونهاره ، وتمسك به وتدبره . هنالك تأتيه الحقائق من كل جانب ؛ وإن لم يكن بهذه الصفة كان قلبه

(٢) سورة الإسراء ٨٢

(٤) سورة فصلت ٤٤

(١) سورة النحل ٦٩

(٣) سورة الشعراء ٨٠

(٥) من التبيدات (وانظر التاج) .

(٦) سورة طاهر ٤١

مكذِّبًا لقوله ؛ كما روى أن عارفا وقت له واقعة ، قال له صديق له : نستمين بقلان
قال : أخشى أن تبطل صلاتي التي تقدمت هذا الأمر ، وقد صليتها . قال صديقه : وأين
هذا من هذا ؟ قال : لأنني قلت في الصلاة : ﴿ إِنَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ^(١) قلت
استعنتُ بغيره كذبت ، والكذب في الصلاة يبطلها ، وكذلك الاستعانة من الشيطان
الرجيم لا تكون إلا مع تحقق المداواة ، فإذا قبل إشارة الشيطان واستنصحه فقد كذب
قوله ، فبطل ذكره .

(١) سورة فاتحة الكتاب .

السَّعْيُ الثَّانِي وَالْعَشْرُونَ هَلْ فِي الْقُرْآنِ شَيْءٌ أَفْضَلُ مِنْ شَيْءٍ

وقد اختلف الناس في ذلك ، فذهب الشيخ أبو الحسن الأشعري ، والقاضي أبو بكر ، وأبو حاتم بن حبان وغيرهم إلى أنه لا فضل لبعض على بعض ؛ لأن الكل ^(١) كلام الله ، وكذلك أسماؤه تعالى لا تفاضل بينهما . وروى عنه عن مالك ؛ قال يحيى بن يحيى : تفصيل بعض القرآن على بعض خطأ ، وكذلك كره مالك أن تباد سورة أو تُردّد دون غيرها ، احتجوا بأنّ الفصل يُشرّ بنقص للفضول ، وكلام الله حقيقة واحدة لا نقص فيه .

قال ابن حبان في حديث أبي بن كعب رضي الله عنه : « ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أمّ القرآن ، إن الله لا يعطي لقارئ التوراة والإنجيل من الثواب مثل ما يعطي لقارئ أمّ القرآن إذا الله بفضله فضل هذه الأمة على غيرها من الأمم ، وأعطاهما من الفضل على قراءة كلامه أكثر مما أعطى غيرها من الفضل على قراءة كلامه » . قال : وقوله : أعظم سورة ، أراد به في الأجر ، لا أن بعض القرآن أفضل من بعض .

وقال قوم بالتفضيل لظواهر الأحاديث ، ثم اختلفوا فقال بعضهم : التفضل راجع إلى عَمِّ الأجر ومضاعفة الثواب بحسب فضالات النفس وخشيتها وتدبرها وتذكرها عند ورود أوصاف البلا ، وقيل بل يرجع لثبات اللفظ ، وأن ما تضمنه قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ ^(٢) وآية الكرسي وآخر سورة الحشر ، وسورة الإخلاص من الدلالات على وحدانيته وصفاته ، ليس موجودا مثلاً في ﴿ تَبَّتْ يَدَا

أَبِي لَهَبٍ^(١) وما كان مثلهما بالفضل إنما هو بالمعنى الجبية وكثرتهما ؛ لا من حيث الصفة ، وهذا هو الحق .

وتمن قال بالفضل إسحاق بن راهويه وغيره من العلماء .

وتوسط الشيخ عز الدين قال : كلامُ الله في الله أفضلُ من كلامِ الله في غيره ، ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ أفضل من ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ ، وعلى ذلك بقى النزالي كتابه للسبي بجواهر القرآن ، واختاره القاضي أبو بكر بن العربي لحديث أبي سعيد بن الملق في صحيح البخاري : « إني لأعظم سورة من أعظم السور في القرآن ، قال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . ولحديث أبي بن كعب في الصحيحين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أي آية في كتاب الله أعظم ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : يا أباي ، أعزدي أي آية في كتاب الله أعظم ؟ قال : قلت : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾^(٢) ، قال : بضرب في صدرى وقال : ليهنك العلم أبا المنذر .

وأخرج الحاكم في مستدركه بسند صحيح عن أبي هريرة : « سيدة آي القرآن آية الكرسي » .

وفي الترمذي غريبا عنه مرفوعا : « لكل شيء ستام ، وإن ستام القرآن سورة البقرة فيها آية الكرسي » .

وروى ابن عيينة في جامعه عن أبي صالح عنه : « فيها آية الكرسي وهي ستام أي القرآن ، ولا تقرأ في دار فيها شيطان إلا خرج منها » ؛ وهذا لا يماض ما قبله بأفضلية القائمة ، لأن تلك باعتبار السور وهذه باعتبار الآيات .

وقال القاضي شمس الدين الخواري : كلام الله المبلغ من كلام المخلوقين ، وهل يجوز

أن يقال بمض كلامه أبلغ من بعض ؟ جوزه بعضهم لتصور نظرهم . وينبغي أن يعلم أن معنى قول القائل : هذا الكلام أبلغ من هذا الكلام أن هذا في موضعه له حسن ولطف ، وذلك في موضعه له حسن ولطف ، وهذا الحسن في موضعه أكل من ذلك في موضعه. فإن من قال : **﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾** ^(١) أبلغ من **﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾** ^(٢) يحمل للفاصلة بين ذكر الله وذكر أبي لهب ، وبين التوحيد والدعاء على الكافرين ، وذلك غير صحيح ، بل ينبغي أن يقال : **﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾** دعاء عليه بالخسران ، فهل توجد عبارة للدعاء بالخسران أحسن من هذه ! وكذلك في **﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾** ^(٣) لا توجد عبارة تدل على الوحدة أبلغ منها ، فالعالم إذا نظر إلى **﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾** ^(٤) في باب الدعاء بالخسران ، ونظر إلى **﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾** ^(٥) في باب التوحيد لا يمكنه أن يقول : أحدهما أبلغ من الآخر ، وهذا التيد يتفعل عنه بعض من لا يكون عنده علم البيان .

قلت : ولعل الخلاف في هذه المسألة يلتصق عن الخلاف للشهور إن كلام الله شيء واحد أولا ؟ عند الأشرى أنه لا يتنوع في ذاته ، إنما هو بحسب متعلقاته .
فإن قيل : قد قال تعالى : **﴿ فِيهِ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾** ^(٦) ، فجله شيئين ، وأنتم تقولون بصدقه ، وأنه صفة واحدة .

قلنا : من حيث أنه كلام الله لا مزية لشيء منه على شيء . ثم قولنا : « شيء منه » يوم التمييز ، وليس لكلام الله القى هو صفة بعض ، ولكن بالتأويل والتفسير وفهم السامعين اشتمل على جميع أنواع الخطابات ، ولولا تنزله في هذه اللواقح لما وصلنا إلى فهم شيء منه .

(٢) سورة الهب ١

(١) سورة الإخلاص ١

(٣) سورة آل عمران ٧

وقال الحليمي^(١) : قد ذكرنا أخباراً تدلُّ على جوارح النافذة بين الشُّرِّ والآيات .
وقال الله تعالى : ﴿ نَأْتِي بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ يَشُلَّا ﴾^(٢) ؛ ومعنى ذلك يرجع إلى أشياء :
أحدها أن تكون آياتهم ثابتة في التلاوة ؛ إلا أن إحداها منسوخة والأخرى
ناسخة ، فنقول : إن النسخ خيرٌ ، أي أن العمل بها أولى بالناس وأعودُ عليهم ، وعلى هذا
فيقال : آياتُ الأمر والنهي والوعد والوعيد خيرٌ من آياتِ القصص لأن القصص إنما أريد
بها تأكيد الأمر والنهي والتبشير ، ولا غنى للناس عن هذه الأمور ، وقد يستفنون
عن القصص ، فكل ما هو أعودُ عليهم وأنفعُ لهم مما يجري مجرى الأضول خيرٌ لهم مما
يحصل تبعاً لما لا بدَّ منه .

والثاني أن يقال : إن الآيات التي تشتمل على تنديد أسماء الله تعالى وبيان صفاته
والدلالة على عظمته وقديسيته أفضلُ أو خيرٌ ؛ بمعنى أن محبراتها أسنى وأجلُّ قدراً .
والثالث أن يقال : سورةٌ خيرٌ من سورة ، أو آيةٌ خيرٌ من آية ؛ بمعنى أن القارئ
يتمجّل بقرائنها فائدةً سوى الثواب الآجل ، ويتأدّى منه بطلانها عبادةً ، كقراءة آية
الكرسى ، وسورة الإخلاص ، وللهودتين ؛ فإن قارئها يتمجّل بقرائنها الاحتراز مما
يُحشَى ، والاعتصام بالله جل ثناؤه ، ويتأدّى بطلانها منه لله تعالى عبادةً ، لما فيها من
ذكر اسم الله تعالى جده بالصفات المُلّا على سبيل الاعتقاد لها وسكون النفس إلى
فضل الذكر وبركته ؛ فأما آياتُ الحكم فلا يقع بنفس تلاوتها إقامة حكم ، وإنما
يقع بها علم .

قال : ثم لو قيل في الجملة : إن القرآن خيرٌ من التوراة والإنجيل والزمور ، بمعنى أن
التعبد بالتلاوة والعمل واقع به دونها ، وانتساب بحسب قراءته لا بقرائنها ، أو أنه من

(١) الحليمي ، يفتح للماء ؛ وهو أبو عبد الله حسن بن الحسن الحليمي النافس صاحب التهاج على شعب

الإيمان القوي سنة ٤٠٣ . وانظر كشف القنون . (٢) سورة البقرة ١٠٦

حيث الإيجاز حجة النبي للبعوث، وتلك الكتب لم تكن معجزة، ولا كانت جميع أولئك الأنبياء بل كانت دعوتهم والحجج غيرها؛ وكان ذلك أيضاً نظير ما مضى .
وقد يقال : إن سورة أفضل من سورة ؛ لأن الله تعالى اعتد قراءتها كقراءة أضعافها مما سواها ، وأوجب بها من الثواب ما لم يوجب غيرها ، وإن كان للمنى الذى لأجله بلغ بها هذا التقدير لا يظهر لنا ، كما يقال : إن قوماً أفضل من قوم ، وشهراً أفضل من شهر ؛ بمعنى أن العبادة فيه تفضل على العبادة فى غيره ، والذنب يكون أعظم من الذنب من فى غيره .
وكما يقال : إن الحرم أفضل من الحِلّ لأنه يُتأذى فيه من اللئيم ما لا يتأذى فى غيره ، والصلاة فيه تكون كصلاة مضاعفة مما قام فى غيره . والله أعلم .

فصل

[فى أعظمية آية الكرسي]

قال ابن العربي : إنما صارت آية الكرسي أعظم لعظم متضاها ، فإن الشيء إنما يشرف بشرف ذاته ومتضاها ومعلقاته ، وهى فى آى القرآن كـ (قل هو الله أحد) فى سورة ، إلا أن سورة الإخلاص تفضلها بوجهين : أحدهما أنها سورة وهذه آية ، فالسورة أعظم من الآية ، لأنه وقع التعدي بها ، فهى أفضل من الآية التى لم يتعد بها .
والثانى أن سورة الإخلاص اقتضت التوحيد فى خمسة عشر حرفاً وآية الكرسي اقتضت التوحيد فى خمسين حرفاً فظهرت القدرة فى الإيجاز بوضع معنى بمبرع عنه ، مكتوب مدكده السبعة الأجر ، لا ينفد ، عدد حروفه خمسون كلمة ، ثم يمر عن معنى الخمسين كلمة خمسة عشر كلمة وذلك كله بيان لعظم القدرة والافراد بالوحدانية .

وقال أبو العباس أحمد بن النيرى المالكي : كان جدى رحمه الله يقول : اشتملت آية الكرسي على ما لم يشتمل عليه اسم من أسماء الله تعالى ؛ وذلك أنها مشتملة على سبعة عشر

موضعا فيها اسم الله ظاهرا في بعضها ، ومستكفا في بعض ؛ ويظهر للكثير من العاين فيها ستة عشر إلّا على حاد البصيرة لفظة استخراج : ١ - الله ، ٢ - هو ، ٣ - إلهي ، ٤ - القيوم ، ٥ - ضمير « لا تأخذه » ، ٦ - ضمير « له » ، ٧ - ضمير « عنده » ، ٨ - ضمير « إلّا بإذنه » ، ٩ - ضمير « يعلم » ، ١٠ - ضمير « عليه » ، ١١ - ضمير « شاء » ، ١٢ - ضمير « كرسية » ، ١٣ - ضمير « يؤوده » ، ١٤ - وهو ، ١٥ - إلهي ، ١٦ - العظيم .
فهذه عدة الأسماء .

وأما الخلق في الضمير الذي اشتمل عليه المصدر في قوله : « حفظها » فإنه مصدر مضاف إلى المفعول ، وهو الضمير البارز ، ولا بد له من فاعل وهو والله ، ويظهر عند ذلك المصدر ، فتقول : ولا يؤوده أن يحفظها هو .

قال : وكان الشيخ أبو عبد الله محمد بن الفضل الرسي قد رام الزيادة على هذا العدد لما أخبرته عن الجدة ، قال : يمكن أن تعد ما في الآية من الأسماء للشفقة كل واحد منها باثنين ، لأن كل واحد منها يحمل ضميرا ضرورة كونه مشتقا ، وذلك الضمير إما يعود إلى الله وهو باعتبار ظهورها اسم ، وقد اشتملت على آخر مضمير ، فتكون جملة العدد على هذا أحدا وعشرين اسما فأجريت معه وجها لطيفا ، وهو أن الاسم للشفقة لا يحتمل الضمير بعد صيرورته بالتسمية علما على الأصح ، وهذه الصفات كلها أسماء الله تعالى . ثم لو فرضنا ما محتملة للضائر بعد التسمية على سبيل التنزل ، فالمتفق إنما يقع على موصوفة باعتبار تحمله ضميره ، ألا تترك إذا قلت : زيد كرم وجئت « كريما » إنما يقع على « زيد » لأن فيه ضميره ؛ حتى لو جردت النظر إليه لم تجده مختصا بزيد ، بل لك أن توقعه على كل موصوف بالكرم من الناس ، ولا تجده مختصا بزيد إلا باعتبار اشتياله على ضميره ، فليس للشفقة إذا مستقلا بوقوعه على موصوفة إلا بضميمة الضمير إليه ، فلا يمكن أن تجمله لحكم الأفراد عن الضمير مع الحكم برجوعه إلى معين البتة . قال : فرضي عن هذا البحث وصوبه

وقال النزائي في قوله صلى الله عليه وسلم : « إن لكل شيء قلبا ، وقلب القرآن يس » : إن ذلك لأن الإيمان صحته بالاعتراف بالحشر والنشر ، وهو مقتوّر في هذه السورة بأبلغ وجه ، فجعل قلب القرآن قللك . واستحسنه نحر الدين الرازي .

قال الجويني : سمعته يترحم عليه بسبب هذا الكلام .

وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : آل حم ديباج القرآن .

وقال ابن عباس : لكل شيء لباب وللباب القرآن آل حم - أو قال : الحواميم .

وقال مسعر بن كدام : كان يقال لمن الرانس .

روى ذلك كله أبو عبيد في كتاب فضائل القرآن^(١) :

وقال حميد بن زنجويه : حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال : إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلا ، فرباثر غيث ، فينما هو يسير فيه ويصعب منه إذ هبط على روضات ديمثات ، قال : عجبت من النيث الأول فهذا أعجب وأعجب ، قيل له : إن مثل النيث الأول مثل عظم القرآن ، وإن مثل هذه الروضات الديمثات مثل آل حم في القرآن . أورده البهوي .

وروى أبو عبيد عن بعض السلف - منهم محمد بن سيرين - كراهة أن يقال : الحواميم ، وإنما يقال : آل حم .

وفي الترمذي عن ابن عباس قال : قال أبو بكر رضى الله عنه لئن صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ، قد شئت ، قال : « شيتنى هود ، والواقعة ، والرسلات ، وعم يساءلون ، وإذا الشمس كورت » - خص هذه السور بالشيب لأنهن أجمع لكيفية القيامة وأهوالها

(١) كتاب فضائل القرآن لأبي عبيد ، باب فضل آل حم لوجه ٣١

من غيرهن . ولهذا قال في حديث آخر : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرَى الْقِيَامَةَ رَأَى الْعَيْنَ ظَهِرًا :
(إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) » ^(١) .

وروى الترمذى من حديث ابن عباس ومن حديث أنس : « إِذَا زُلْزِلَتْ تَمْلِكُ نِصْفَ
الْقُرْآنِ ، وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ تَمْدِدْ رَبِّهِ » . وقال : في كل منهما غريب .

وقد تكلم ابن عبد البر على حديث : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) ^(٢) تَمْدِدْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ ،
وحكى خلاف الناس فيه ، قيل : لأنه سمع شخصا يكررها تكراراً من قرأ ثلث القرآن .
فخرج الجواب على هذا .

وفيه بُدِّعَ عن ظاهر الحديث .

قيل : لأن القرآن يشتمل على قصص وشرائع وصفات ، وكل هو الله أحد كلها
صفات ، فكانت ثلثاً بهذا الاعتبار . واعترض على ذلك باستلزام كون آية الكرسي وآخر
الحشر ثلث القرآن ولم يرد فيه .

وقيل تملك في الثواب ، وهو الذى يشهد لظاهر الحديث .

قلت : ضَمَفَ ابن عقيل هذا وقال : لا يجوز أن يكون للمنى فله أجر ثلث القرآن ؛
قوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرٌ حَسَنَاتٍ » .

ثم قال ابن عبد البر : على أنى أقول : السكوت في هذه السألة أفضل من الكلام
فيها وأسلم ، ثم أسند إلى إسحاق بن منصور ، قلت لأحمد بن حنبل : قوله صلى الله عليه
وسلم : « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تَمْلِكُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ » ما وجهه ؟ فلم يَمِمْ لى فيها على أمر . وقال لى
إسحاق بن راهويه : منناه أن الله لما فضل كلامه على سائر الكلام جبل لبضاً أيضاً فضلاً

(١) سورة التكويم ١

(٢) سورة الإخلاص ١

في الثواب لمن قرأه تحريضا على نفسه؛ لا أن آمن قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(١) ثلاث مرات كان كمن قرأ القرآن جميعه ، هذا لا يستقيم ولو قرأها مائتي مرة .

قال أبو عمرو : وهذان إيمان بالسنه ما قلما ولا قندا في هذه للسأله .

قلت : وأحسن ما قيل فيه أن القرآن قيمان : خبر وإنشاء ، والخبر قيمان : خبر عن الخالق وخبر عن المخلوق ، فهذه ثلاثة ، وسورة الإخلاص أخلصت الخبر عن الخالق ، فهي بهذا الاعتبار ثلث القرآن .

فائدة

[في أى آية في القرآن أرحى]

اختلف في أرحى آية في القرآن على بضعة عشر قولاً :

الأول : آية « الدين »^(٢) وما أخذ أن الله تعالى أرشد عباده إلى مصالحهم الدنيوية حتى انتهت العناية بمصالحهم إلى أن أمرهم بكتابة الدين الكبير والحقير فبمقتضى ذلك يُرجى عفو الله تعالى عنهم لتظهور أمر العناية العظيمة بهم ، حتى في مصالحهم الحقيرة .

الثاني : ﴿وَلَا يَأْتِلْ أَوْلُوا الْفَضْلَ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾^(٣) إلى قوله ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾^(٤) ، وهذا رواه مسلم في الصحيح أثر حديث الإفك ، عن الإمام الجليل عبد الله بن المبارك .

الثالث : قال الشَّيْطَانُ في قوله تعالى : ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَقَدٌ

(٢) سورة البقرة ٢٨٢

(١) سورة الإخلاص ١

(٣) سورة النور ٢٢

سَلَّمَ ﴿٣٠﴾ ، فَاللهُ تَعَالَى لَمْ أَذِنِ الْكَافِرِينَ بِدُخُولِ الْبَاكِلِ إِذَا أَنْوَأَ بِالْفَوْحِ وَ الشَّهَادَةِ
أَتَرَاهُ يَخْرُجُ الْبَاكِلَ فِيهَا وَلَقِيمَ عَلَيْهَا

الرابع : قوله تعالى : ﴿ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ ﴿٣١﴾ .

الخامس : قوله : ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْمَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ ﴿٣٢﴾ .

السادس : قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَسْفُو
عَنْ كَثِيرٍ ﴾ ﴿٣٣﴾ .

السابع : قوله تعالى . ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَأْنِهِ ﴾ ﴿٣٤﴾ .

الثامن : قوله تعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ ﴿٣٥﴾ .

حكى هذه الأقوال الغضة الأخيرة الشيخ محي الدين في رموس للسائل .

التاسع : رأيت في مناقب الشافعي للإمام أبي محمد إسماعيل الحروري صاحب الحاكم
بإسناده عن ابن عبد الحكم ، قال : سألت الشافعي : أي آية أرجى ؟ قال : قوله تعالى :
﴿ يَدْيَا ذَا مَقَرَّةٍ . أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَقَرَّةٍ ﴾ ﴿٣٦﴾ . قال : وسأله عن أرجى حديث
للؤمن ؟ قال : حديث : « إذا كان يوم القيامة يُدْفَنُ إلى كل مسلم رجلٌ من الكفار فيذهب
به إلى النار » .

العاشر والحادي عشر : روى الحاكم في مستدركه عن محمد بن النضر قال : التقى
ابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال ابن عباس : أي آية في كتاب الله أرجى
عندك ؟ قال عبد الله بن عمرو : ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾ ﴿٣٧﴾ ، قال :

- | | |
|--------------------------|-------------------|
| (١) سورة الأفعال ٣٨ | (٢) سورة سبأ ١٨ |
| (٣) سورة طه ٣٨ | (٤) سورة النور ٣٠ |
| (٥) سورة الإسراء ٨٤ | (٦) سورة الضحى ٥ |
| (٧) سورة البقرة ١٥٠ ، ١٦ | (٨) سورة الزمر ٥٣ |

لكن قول إبراهيم : ﴿قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لَيَطْمَئِنُّ قَلْبِي﴾ ^(١) هذا لما في الضلوع من وسوسة الشيطان ، فرضى الله تعالى من إبراهيم بقوله : ﴿أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ﴾ وقال : صبيح الإيمان ولم يخرجاه .

وقال النحاس في سورة الأحقاف : ﴿فَهَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ^(٢) قال : إن هذه الآية من أرحى آية في القرآن إلا أن ابن عباس قال : أرحى آية في القرآن : ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ ^(٣) .

وأما أخوف آية من الإمام أبي حنيفة أنه قال : هي قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ ^(٤) ولو قيل إنها ﴿سَتَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ ^(٥) لكان له وجه ؛ ولما قال بعضهم : لو سمعت هذه الكلمة من خفير الحارة لم أنم .

(١) سورة البقرة ٢٦٠

(٢) سورة الأحقاف ٣٥

(٣) سورة آل عمران ١٢١

(٤) سورة الرعد ٦

(٥) سورة الرحمن ٢١

النوع التاسع والعشرون في آداب تلاوته وكيفيتها

«اعلم أنه ينبغي لمع موقع النعم على مَنْ عَلمَهُ اللهُ تعالى القرآن العظيم أو بعضه ، بكونه أعظم للمجرات ، لبقائه بقاء دعوة الإسلام ، ولكونه صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين ، فالحجة بالقرآن العظيم قائمة على كلِّ عصر وزمان ، لأنه كلام رب السالمين ، وأشرف كتبه جلّ وعلا ، فليَر مَنْ عنده القرآن أن الله أنعم عليه نعمة عظيمة ، وليستحضر من أفضاله أن يكون القرآن حجة له لا عليه ؛ لأن القرآن مشتمل على طلب أمور ، والكف عن أمور ، وذكر أخبار قوم قامت عليهم الحجة فصاروا عبرة للمبتدئين حين زاعوا فأزاع الله قلوبهم ، وأهلكوا ما عصوا ، وليحذر مَنْ علم حالهم أن يسعى ، فيصير مآله مآلهم ؛ فإذا استحضر صاحب القرآن علوّ شأنه بكونه طريقا لكتاب الله تعالى ، وصدره مصحفه انكفتت نفسه عند التوفيق عن الرذائل ، وأقبلت على العمل الصالح المأثّل . وأكبر معين على ذلك حسن ترتيله وتلاوته^(١) ، وقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ أَنْ تَتَمَيَّلَا ﴾^(٢) وقال تعالى : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْتَسَبٍ وَتَزَيَّلَا ﴾^(٣) ، فحق على كلِّ أمرئ مسلم قرأ القرآن أن يرتله ، وكلَّ ترتيلة فخمٍ ألفاظه والإبانة عن حروفه ، والإنصاح لجميعه بالتدبر حتى يصل بكلِّ ما أبدعه ،

(١ - ١) ساقط من ت .

(٢) سورة الزمل ٣

(٣) سورة الإسراء ١٠٦

وأن يسكت بين النفس والنفس حتى يرجع إليه نفسه، وألا يُدغم حرفاً في حرف؛ لأن أقل ما في ذلك أن يُسقط من حسنة بعضها، وينبني للناس أن يرغبوا في تكثير حسناتهم؛ فهذا الذي وصفت أقل ما يجب من الترتيل.

وقيل: أقل الترتيل أن يأتي بما يبين ما يقرأ به، وإن كان مستجلاً في قراءته، وأكمله أن يتوقف فيها، ما لم يخرجها إلى التمديد والتعطيل؛ فمن أرد أن يقرأ القرآن بكال الترتيل فليقرأه على منازله، فإن كان يقرأ تهديداً لفظاً^(١) به لفظ للتهديد، وإن كان يقرأ لفظ تعظيم لفظ به على التمتع.

وينبغي أن يشتغل قلبه في الضكر في معنى ما يلفظ بلسانه، فيعرف من كل آية معناها، ولا يجاوزها إلى غيرها حتى يعرف معناها؛ فإذا مرّ به آية رحمة وقف عندها وفرح بما وعده الله تعالى منها، واستبشر إلى ذلك، وسأل الله برحمته الجنة. وإن قرأ آية عذاب وقف عندها، وتأمل معناها؛ فإن كانت في الكافرين^(٢) اعترف بالإيمان، قال: آمنا بالله وحده، وعرف موضع التخويف، ثم سأل الله تعالى أن يبيّنه من النار.

وإن هو مرّ بآية فيها نداء للذين آمنوا فقال: «يا أيها الذين آمنوا» وقف عندها — وقد كان بنفسهم يقول: لبيك ربّي وسعديك — ويتأمل ما بعدها^(٣) أمير به ونهيه عنه؛ فيستدقب قول ذلك. فإن كان من الأمر الذي قد قصّر عنه فيما مضى اعتذر عن فعله في ذلك الوقت، واستغفر ربه في قصيره، وذلك مثل قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾^(٤).

وعلى كل أحد أن ينظر في أمر أهله في صلاتهم وصيامهم وأداء ما يلزمهم في طهاراتهم

(٢) م: «الذين آمنوا»

(٤) سورة النور ٦

(١) م: «يلفظ»

(٢) م: «فيها»

وجنّاليتهم ، وحيف النساء وفلسن . وعلى كلّ أحدٍ أن يعتقد ذلك في أمه ، ويراعيتهم بمسألهم عن ذلك ^(١) ، فن كان منهم يحسن ذلك كانت مسأله تذكيرا له وتأكيدا لما في قلبه ، وإن كان لا يحسن كان ذلك تلميها له ، ثم هكذا يراعى صغار ولده ويسلمهم إذا بلغوا سبعا أو ثمانى سنين ، ويضربهم إذا بلغوا العشر على ترك ذلك؛ فن كان من الناس قد قصر فيا مضى اعتقد قبوله والأخذ به فيا يستقبل ، وإن كان يفعل ذلك وقد عرفه فانه ^(٢) إذا مرّ به تأمله وشبهه .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾ ^(٣) ، فإذا قرأ هذه الآية تذكر أفضاله في نفسه وذنوبه فيا بينه وبين غيره من الظلمات والنبيوت وغيرها ، ورد ظلماته ، واستغفر من كلّ ذنب قصر في عمله ، وتوى أن يقوم بذلك ويستعمل كلّ مَنْ بينه وبينه شيء من هذه الظلمات ، مَنْ كان منهم حاضرا ، وأن يكتب إلى مَنْ كان غائبا ، وأن يردّ ما كان يأخذه على مَنْ أخذه منه ، فيمتدّ هذا في وقت قراءة القرآن حتى يعلم الله تعالى منه أنه قد سمع وأطاع ؛ فإذا فعل الإنسان هذا كان قد قام بكامل ترتيب القرآن ؛ فإذا وقف على آية لم يعرف معناها يحفظها حتى يسأل عنها من يعرف معناها ؛ ليكون متعلما لتلك طالبا للعمل به ، وإن كانت الآية قد اختلف فيها اعتد من قولم أقلّ ما يكون ، وإن احتاط على نفسه بأن يمتدّ أو كدّ ما في ذلك كان أفضل له وأحوط لأمر دينه .

وإن كان ما يتردّد من الآي فيا قص الله على الناس من خبر مَنْ مضى من الأمم فليُنظر في ذلك ، وإلى ما صرف الله عن هذه الأمة منه ، فيبعدد الله على ذلك شكرا .

(١) ت : « منه » .

(٢) ساقطة من ت .

وإن كان ما يقرؤه من الآي ما أمر الله به أو نهى عنه أضمر قبول الأمر والالتزام ، والانتباه عن التنبه والاجتناب له . فإن كان ما يقرؤه من ذلك وعيدا وعد الله به المؤمنين فينظر إلى قلبه ، فإن جنح إلى الرجاء فرّعه بالخوف ، وإن جنح إلى الخوف فسخه في الرجاء ، حتى يكون خوفه ورجاؤه متدليين ، فإن ذلك كمال الإيمان .

وإن كان ما يقرؤه من الآي من التشابه القوي تكرر الله تأويله ، فليعتقد الإيمان به كما أمر الله تعالى قال : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾^(١) يعني طائفة الأمر منه ، ثم قال تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾^(٢) .

وإن كان موعظةً انتظ بها ، فإنه إذا فعل هذا صد نال كمال الترتيل .

وتال بعضهم : الناس في تلاوة القرآن ثلاثة مقامات :

الأول : من يشهد أوصاف التكلم في كلامه ومعرفة معاني خطابه ، فينظر إليه من كلامه ، ونسكبه بخطابه ، وتعليه بمناجاته ، وتعرفه من صفاته ، فإن كل كلمة تنبى^(٣) عن معنى اسم ، أو وصف ، أو حكم ، أو إرادة ، أو فعل ؛ لأن الكلام ينبغي عن معاني الأوصاف ، ويدل على للوصوف ، وهذا مقام المارفين من المؤمنين ، لأنه لا ينظر إلى نفسه ولا إلى قراءته ، ولا إلى نفاق الإنعام بمن حيث أنه منتم عليه ، بل هو مقصور الفهم عن التكلم ، موقوف الفكر عليه ، مُستغرق بمشاهدة للتكلم ؛ ولهذا قال جعفر بن محمد الصادق : لقد تجلّى الله خلقه بكلامه ، ولكن لا يبصرون .

ومن كلام الشيخ أبي عبد الله التريشي : لو ظهرت القلوب لم تشيع من التلاوة للقرآن .

الثاني : من يشهد بقلبه كأنه تعالى يخاطبه ويناجيه بألفاظه ، ويشمقه بإنعامه

وإحسانه ، فقام هذا الحياء والتعظيم ، وحالُه الإصغاء والتهم ، وهذا لموم القربين .
 الثالث : مَنْ يرى أنه يتلقى ربه سبحانه ، فقام هذا السؤال والتسكّن^(١) ، وحالُه الطلب ؛
 وهذا اللام للخاص لأصحاب اليقين ؛ فإذا كان المبدأ يلقي السمع من بين يدي سميه ، مصنفًا
 إلى سر كلامه ، شهيد القلب لمسا في صفاته ، ناظرًا إلى قدرته ، تاركًا لمقوله ومعهود
 حله ، متبرئًا من حوله وقوته ، مغفلاً للتكلم ، متفرغًا إلى التهم ، بحال مستقيم ، وقلب
 سليم ، وصفاء يقين ، وقوة علم ، وتمكين سمع - فصل الخطاب وشهد غيب الجواب ؛ لأن
 الترتيل في القرآن ، والتدبُّر لمعان الكلام ، وحسن الاقتصاد إلى التكلم في الإنفهام ،
 والإيقاف على المراد ، وصدق الرغبة في الطلب سببٌ للاطلاع على المطلع من السر المكنون
 المستودع . وكل كلمة من الخطاب تتوجه عشر جهات ، للمارف من كل جهة مقام ومشاهدات :
 أولها الإيمان بها ، والتسليم لها ، والتوبة إليها ، والصبر عليها ، والرضا بها ، والخوف منها ،
 والرجاء إليها ، والشكر عليها ، والمحبة لها ، والتوكل فيها . فهذه المقامات العشر هي
 مقامات^(٢) المتقين ، وهي منطوية في كل كلمة يشهد بها أهل التمكن والمنجاة ، ويرفها
 أهل العلم والحياة ، لأن كلام المحبوب حياة لقلوب ، لا يَنْذَرُ به إلّا حيّ ، ولا يحيا به إلّا
 مُصْجِبٌ ، كما قال تعالى : ﴿ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ﴾^(٣) . وقال تعالى : ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ
 لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾^(٤) . ولا يشهد هذه العشر مشاهدات إلّا من من يقتل في العشر المقامات
 المذكورة في سورة الأحزاب ، أولها مقام المسلمين ، وآخرها مقام القاكرين^(٥) ، وبهذا مقام

(١) ط ، م : « نهلت » .

(٢) ت : « التفتق » .

(٣) سورة الأهل ٢٤

(٤) سورة يس ٣٦

(٥) يشير إلى ماورد في سورة الأحزاب ٣٥ من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ
 وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ
 وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِعِينَ وَالصَّامِعَاتِ وَالْحَافِظِينَ فَرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ
 وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ... ﴾ .

الذكر هذه للشاهدات العشر، ضلعنا لا تملّ للنجابة، لوجود الصفاة، وعلم كيف تجلّ له تلك الصفات الإلهية في طيّ هذه الأدوات، ولولا استتار كنهه جمال كلامه بكسوة الحروف، لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ترقى، ولا تمكّن لفهم عظيم الكلام إلا على حدّ فهم الخلق، فكلّ أحد يفهم عنه بفهمه الذي فهم له، حكمة منه.

قال بعض العلماء: في القرآن ميلدين وبساتين، وعرائس، وديابيج ورياض، قالمجات ميلدين القرآن، والراءات بساتين القرآن، والحامات مقاصير القرآن، وللبسات عرائس القرآن، والحوام ديابيج القرآن، وللفصل رياضه، وما سوى ذلك. فإذا دخل اللريد في اليادين، وقطف من البساتين، ودخل للقاصير وشهد العرائس، ولبس الديابيج وتزوّه في الرياض، وسكن غرفات القامات اقتطعه عما سواه، وأوقفه ما يراه، وشغله للشاهد له عما عداه؛ ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: «اعرفوا القرآن واتمسكوا غرائبه، وغرائبه فروضه وحدوده؛ فإن القرآن على خمسة: حلال، وحرام، ومحكم، وأمثال، ومتشابه، فخذوا الحلال، ودعوا الحرام، واحملوا بالحكم، وآمنوا بالمتشابه، واعتبروا بالأمثال».

وقال أبو الدرداء رضى الله عنه: لا يفقه الرجل حتى يحلّل القرآن وجوها. وقال ابن مسعود رضى الله عنه: من أراد علم الأولين والآخرين فليثور^(١) القرآن.

قال ابن سبع^(٢) في كتاب «شفاء الصدر»: هذا الذي قال أبو الدرداء وابن مسعود لا يحصل بمجرد تسميره الظاهر؛ وقد قال بعض العلماء: لكل آية ستون ألف فهم، وما بقي من فهمه أكثر. وقال آخرون: القرآن يحصى على سبعة وسبعين ألف علم، إذ لكل كلمة علم، ثم يتضاعف ذلك أربعا، إذ لكل كلمة ظاهر وباطن، وحدّ ومطلع. وبالجملة فالعلوم كلّها داخلة في أعمال الله وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وصفاته وأفعاله.

(١) فليثور: أى لينثر عنه ويشكر في مسامحه. (النهاية لابن الأثير).

(٢) هو الإمام الخطيب أبو الربيع سليمان البستي (ذكره في كشف الظنون).

فصل

[في كراهة قراءة القرآن بلا تدبر]

تكره قراءة القرآن بلا تدبر ، وعليه عمل حديث عبد الله بن عمرو : لا يقفه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث ، وقول ابن مسعود لمن أخبره أنه يقوم بالقرآن في ليلة : أهدأ كهذا الشعر ^(١) وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم في صفة الخوارج : « يردون القرآن لا يجاوز تراقيهم ولا حناجرهم » ^(٢) ذمهم بإحكام ألقاظه ، وترك التفهم لمانيه .

فصل

في نظم القرآن

ثبت في صحيح البخاري ^(٣) من حديث عثمان : « خيركم من نظم القرآن وعلمه » ، وفي رواية « أفضلكم » ^(٤) . وعن عبد الله يرضه : « إن القرآن مأدبة الله فطعموا مأدجته ما استطعتم » ، رواه البيهقي .

(١) الهد والمفرد : سرعة القراءة ؛ والمجرى في اللسان منسوب إلى ابن عباس : « هل له رجل : قرأت للنصل الليلة ؛ فقال : أمنا كهذا الشعر » . قال : أراد أنهد القرآن هنا ففسر في كانه سريع في قراءة الشعر ؛ ونصب على المصدر . (وانظر صحيح البخاري ٣ : ٢٣٤) .

(٢) رواه ابن ماجه في السنن ١ : ٦٢ عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يخرج قوم في آخر الزمان — أو في هذه الأمة — يردون القرآن لا يجاوز تراقيهم — أو حناجرهم — إنما رأيتهم — أو إذا ألقواهم — فاقطعهم » .

(٣) في كتاب فضائل القرآن ٣ : ٢٣٢

(٤) نظره : « إن أفضلكم من نظم القرآن وعلمه » .

وروى أيضا عن أبي المالية قال : « تَلَمَّوْا الْقُرْآنَ خَمْسَ آيَاتٍ ، خَمْسَ آيَاتٍ ، فَإِنَّ اللَّهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَأْخُذُهُ مِنْ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَمْسًا خَمْسًا » ، وفي رواية : « مَنْ تَلَمَّهَ خَمْسًا خَمْسًا لَمْ يَنْسَهُ » .

قال أصحابنا : تعلیم القرآن فرض كفاية ، وكذلك حفظه واجب على الأمة ، صرح به الجرجاني في « الشافي »^(١) والمبادئ وغيرها . وللعنى فيه كتابه الجوىي ألا ينقطع عدد التواتر فيه ، ولا يطرُق إليه التبدیل والتصرف ؛ فإن قام بذلك قوم سقط عن الباقين ، وإلا فالكل آثم . فإذا لم يكن في البلد أو القرية مَنْ يَتْلُو الْقُرْآنَ أَسْمَوْا بِأَسْرَمٍ ، ولو كان هناك جماعة يَسْلُحُونَ للتعليم وتُلب من بعضهم وامتنع لم يَأْثَمَ في الأصح ؛ كما قاله النووي في « التبيين »^(٢) ، وهو نظير ما صححه في كتاب السير أن الفتى وللدرس لا يأتمن بالامتناع إذا كان هناك من يصلح غيره . وصورة للسألة فيما إذا كانت المصلحة لا تقوت بالتأخير ؛ فإن كانت تقوت لم يحز الامتناع ، كالمصلّى يريد تعلم الفائدة ولو رده فخرج الوقت بسبب ذهابه إلى الآخر ، ولضيق الوقت عن التعليم .

وبغنى تعليمه على التأليف لليهود ؛ فإنه توقفي ؛ وقد ورد عن ابن مسعود : سئل عن الذي يقرأ القرآن منكوسا قال : ذاك منكوس القلب .

قال أبو عبيد : وجهه عندي أن يتبدى من آخر القرآن من آخر المودنتين ؛ ثم يرتفع إلى البقرة ؛ كنحو ما تمل الصبيان في الكتاب ، لأن السنة خلاف هذا ؛ وإنما وردت الرخصة في تعليم الصبي والمجنى من لفصل لصعوبة السور الطوال عليهما .

(١) كتاب الشافي في فروع الشافي ، لأبي الباس أحمد بن محمد الجرجاني المتوفى سنة ٤٨٢ ، كتاب كبير في أربع مجلدات (كشف الظنون ١٠٢٣) .

(٢) كتاب التبيين في أدب حجة القرآن ؛ للإمام عبي الدين عبي بن شرف النووي الشافعي المتوفى سنة ٦٧٦ ؛ ذكره كشف الظنون ٣٤٠

مَسْأَلَةٌ

[في جواز أخذ الأجر على تعليم القرآن]

ويجوز أخذ الأجرة على التعليم ، ففي صحيح البخاري^(١) : « إِنْ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كَتَابُ اللَّهِ » . وقيل : إِنْ تَمَّ عَلَيْهِ لَمْ يَجُزْ ، واختاره الحلبي ، وقال : استنصر الناس المعلمين لِقَصْرِ مَنَاهِمِهِمْ عَلَى مَعَاشِرَةِ الصِّبْيَانِ ثُمَّ الْقَاءَ حَتَّى أَثَرُ ذَلِكَ فِي عَقُولِهِمْ ، ثُمَّ لَا يَضَاهُمُ عَلَيْهِ الْأَجْمَالُ^(٢) وطعنهم في أطمعة الصبيان ، فأما نفسُ التعليم فإنه يوجب التشريف والتفصيل .

^(٣) وقال أبو الليث في كتاب « البستان »^(٤) : التعليم على ثلاثة أوجه : أحدها للحِشْبَةِ وَلَا يَأْخُذُ بِهِ عَوَاضًا . والثاني أَنْ يَعْلَمَ بِالْأَجْرَةِ . والثالث أَنْ يَعْلَمَ بِغَيْرِ شَرْطٍ ، فَلِذَا أُخْذِيَ إِلَيْهِ قِيلَ .

فالأول : مأجور عليه ، وهو عمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

والثاني : يختلف فيه ، قال أصحابنا للمتقدمون : لا يجوز ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : « بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً » . وقال جماعة من المتأخرين : يجوز ، مثل عصام بن يوسف ونصر بن يحيى وأبي نصر بن سلام . وغيرهم قالوا : والأفضلُ للعلم أن يشارط الأجرة للحفظ

(١) في كتاب الطب ٤ : ١٦ من حديث ابن عباس .

(٢) الأجمال : جمع جمل ؛ ما يصل على السبل من أجر ؛ وشبه الجسالة والجبلة .

(٣) من هنا إلى آخر هذا الفصل ساقط من ت .

(٤) هو بستان المارفين لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي المتوفى سنة ٣٢٥ هـ في الأحاديث

(٥) الواردة في الآداب الشرعية والمصالح والأخلاق وبعض الأحكام الفرعية . (كشف القنون ٢٤٣) .

وتعليم الكتابة ، فإن شرط تعليم القرآن أوجب أنه لا بأس به ؛ لأنَّ للسُّلَين قد توارثوا ذلك واحتاجوا إليه .

وأما الثالث فيجوز في قولهم جميعا ؛ لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان مسلماً للخلق وكان يقبل الهدية . ولحديث الأديغ لما رَفَّوَه بالفاضة ، وجعلوا له جملًا^(١) وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « واضربوا لي معكم فيها بسهم » .

فصل

[في دوام تلاوة القرآن بعد تملّعه]

وليدمن على تلاوته بعد تملّعه ، قال الله تعالى مُتَّبِعًا عَلَى مَنْ كَانَ دَأْبَهُ تِلَاوَةَ آيَاتِ اللَّهِ : ﴿ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ ﴾^(٢) وسماه ذِكْرًا ، وتوعد للمريض عنه ومن تملّعه ثم نسيه . وفي الصحيحين : « تاملوا القرآن^(٣) » ؛ فوالَّذِي نفس محمد بيده لمو أشدَّ ثقلًا من الإيل في عَقَالهَا^(٤) . وقال : « بشما لأحدم أن يقول : نيت آية كيت وكيت بل هو نُسى^(٥) [و] استذكروا القرآن فلهوا أشدَّ تَفْصِيًا في صدور الرجال من التَّمُّ في عَقَالهَا^(٦) » .

(١) صحيح البخارى ٣ : ١٦ ، كتاب الطب ، من حديث ابن عباس .

(٢) سورة آل عمران ١١٣

(٣) تاملوا القرآن : أى جددوا عهدا بملزمة تلاوته لتلاوته .

(٤) صحيح مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ٥٤٥ ، من حديث ابن موسى .

(٥) صحيح البخارى : « بل نسي » بحذف كلة « هو » .

(٦) تكله من صحيح البخارى .

(٧) صحيح البخارى ، كتاب فضائل القرآن ٣ : ٢٢٢ ، من حديث عبد الله .

مسألة

[في استحباب الاستياك والتطهير لقراءة]

يستحب الاستياك وتطهير فيه ، والطهارة لقراءة باستياكه ، وتطهير يده بالطيب
للتحسب تكريماً لحال التلاوة ، لا بآ من الثياب ما يجعل به بين الناس ؛ لكونه
بالتلاوة بين يدي اللهم للفضل بهذا الإتيان ، فإن التالى للكلام ، بمنزلة الكلام لدى
الكلام ، وهذا غاية التشريف من فضل الكريم السلام . ويستحب أن يكون جالساً
مستقبل القبلة ؛ سئل سعيد بن المسيب عن حديث وهو متكى ؛ فاستوى جالساً وقال :
أكره أن أحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا متكى ، وكلام الله تعالى أولى .
ويستحب أن يكون متوضئاً ويجوز للحديث ، قال إمام الحرمين وغيره : لا يقال
لإنها مكروهة ، قد صح أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ مع الحديث وعلى كل حال
سوى الجنابة . وفي معناه الحيض والنفاس . ولشافى قول قديم في الحائض ؛ تقرأ
خوف النسيان .

وقال أبو الهيثم : لا بأس أن يقرأ الجنب والحائض أقل من آية واحدة . قال :
وإذا أردت الحائض التعلم فينبغي لها أن تلقن نصف آية ، ثم نسكت ولا تقرأ آية واحدة
بدفعة واحدة . وتكره القراءة حال خروج الرجب ؛ وأما غيره من التوافض كاللهم
والسبح ونحوه فيحصل عدم الكراهة ؛ لأنه غير مستقذر عادة ، ولأنه في حال خروج
الرجب يبطل بخلاف هذه .

مسألة

[في التوضوء وقراءة البسمة عند التلاوة]

يستحب التوضوء قبل القراءة ، فإن قطعها قطع ترك ، وأراد الموضد جدد ، وإن قطعها لنذر عازما على الموضد كفاه التوضوء الأول ما لم يطّل الفصل . ولا بد من قراءة البسمة أول كل سورة نحرزا من مذهب الشافعي^(١) ؛ وإلا كان قارئا بمض السور لا جميعها ؛ فإن قرأ من^(٢) أنشأها استحب له البسمة أيضا ، نص عليه الشافعي رحمه الله فيها فقه العبادي :

وقال القاضي^(٣) في شرح القصيدة : كان بعض شيوخنا يأخذ علينا في الأجزاء القرآنية بترك البسمة ، ويأمرنا بها في حزب : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾^(٤) ؛ وفي حزب ﴿ إِلَيْهِ يَرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾^(٥) لما فيهما بعد الاستعاذة من قبح اللفظ . وينبغي لمن أراد ذلك أن يفعله ؛ إذا ابتدأ مثل ذلك ، نحو : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾^(٦) ، ﴿ وَهُوَ الَّذِي

(١) اختلف العلماء في البسمة على ثلاثة أقوال : الأول ليست بآية ، لا من القامحة ولا من غيرها ؛ وهو قول مالك . والثاني أنها آية من كل سورة وهو قول عبد الله بن المبارك . والثالث قول الشافعي : فإن إنها آية في القامحة ، وتردد قوله في سائر السور ، فقرة قال : إنها آية من كل سورة ، وقرعة قال : ليست بآية إلا في القامحة وحدها . وانظر الجامع لأحكام القرآن ١ : ٩٣ .

(٢) م : ٥ : في .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد القاضي للقري للثوب سنة ٦٧٢ ؛ شرح القصيدة النابلية ؛ سماه الألقه القريفة ، في شرح القصيدة ، منها نسخة بدار الكتب رقم ٥٠ قراءات ، وانظر طبقات القراء ٢ : ١٢٧ وكشف الظنون ٦٤٦ .

(٤) سورة البقرة ٢٥٥

(٥) سورة فصلت ٤٧

(٦) سورة الروم ٥٤

أَنْتَ جَنَّاتٍ^(١) ؛ لوجود اللمة للذكورة . وقد كَانَ مَكِيَّ^(٢) يختار إعادة الآية قبل كل حزب من الحزبين للذكورين لللمة للذكورة .

مَسْأَلَةٌ

^(٣) ولتكن تلاوته بعد أخذه القرآن من أهل الإتيان لهذا الشأن ، الجامعين بين المراقبة والرواية ، والصدق والأمانة ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يجتمع به جبريل في رمضان فيدارسه القرآن .

مَسْأَلَةٌ

[في قراءة القرآن في المصحف أفضل أم على ظهر قلب]

وهل القراءة في المصحف أفضل ، أم على ظهر القلب ، أم يختلف الحال ؟
ثلاثة أقوال :

أحدها : أنها من المصحف أفضل ؛ لأن النظر فيه عبادة ، ضجعت القراءة والنظر ، وهذا قاله القاضي الحسين والغزالي ، قال : وعلة ذلك أنه لا يزيد على^(٤) ... وتأمل للمصحف وجهه^(٥) ، ويزيد في الأجر بسبب ذلك . وقد قيل : الخلة في المصحف بسبع ؛ وذكر أن الأكثرين من الصحابة كانوا يقرءون في المصحف ، ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف .

(١) سورة الأنعام ١٤١

(٢) مكي بن أبي طالب بن حيوس القرشي أبو محمد القيرواني ، صاحب التيمرة والكشف والوزج وغيرها من كتب القراءات . توفي سنة ٤٣٧ (طبقات القراء ٢ : ٣١٠) .

(٣) هذا الفصل ساقط من ت .

(٤) يابن في جميع الأصول بمقدار كلمتين

(٥) م - هـ ونحوه .

ودخل بعض قهء مصر على الشافى رحمه الله تعالى للسجد وبين يديه للمصنف
قال : شغلكم الفقه عن القرآن ؛ إني لأصل المتة ، وأضع المصنف فى يدى فإأطيت
حتى الصبح .

وقال عبد الله بن أحمد^(١) : كان أبىقرأ فى كل يوم سبعا من القرآن لا يتركه
نظرا .

وروى الطبرانى من حديث أبى سعيد بن عون المسكى عن عثمان بن عبيد الله بن أوس
التقى عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قراءة الرجل فى غير المصنف
ألف درجة ، وقراءته فى المصنف تضاعف على ذلك إلى ألفى درجة . وأبو سعيد قال فيه
ابن معين : لا بأس به .

وروى البيهقى فى شعب الإيمان من طريقين إلى عثمان بن عبد الله بن أوس قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قرأ القرآن فى المصنف كانت له ألقاحسة ، ومن
قرأه فى غير المصنف - فأظنه قال - كآلف حسنة » . وفى الطريق الأخرى قال : « درجة » ،
وجزم بألف إذا لم يقرأ فى المصنف .

وروى ابن أبى داود بسنده عن أبى العرداء مرفوعا : « من قرأ مائتى آية كل يوم
نظرا شفع فى سبعة قهء حول قبره ، وخفف المذاب عن والديه وإن كانا مشركين » .
وروى أبو عبيد فى فضائل القرآن^(٢) بسنده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « فضل
القرآن نظرا على من قرأ ظاهرا كفضل التريضة على النافلة » . وبسنده عن ابن عباس قال :
كان عمر إذا دخل البيت نشر المصنف يقرأ فيه .

(١) عبد الله بن أحمد بن حنبل .

(٢) فضائل القرآن لحة ٨

وروى أبو داود بسنده عن عائشة مرفوعاً : « النظر إلى الكعبة عبادة ، والنظر في وجه الوالدين عبادة ، والنظر في المصحف عبادة » .

وعن الأوزاعي كان يسحبهم النظر في المصحف بعد القراءة هنيئة . قال بعضهم : وينبغي لمن كان عنده مصحف أن يقرأ فيه كل يوم آيات يسيرة ولا يتركه مهجوراً .
والقول الثاني : أن القراءة على ظهر القلب أفضل ، واختاره أبو محمد بن عبد السلام^(١) ، قال في أماليه : قيل القراءة في المصحف أفضل ؛ لأنه يجمع فعل الجارحتين ؛ وهما اللسان والعين ، والأجر على قدر الشقة ، وهذا باطل ؛ لأن التصود من القراءة التدبر لقوله تعالى : ﴿ لِيَتَذَكَّرُوا آيَاتِهِ ﴾^(٢) ؛ والمادة تشهد أن النظر في المصحف يحلّ بهذا التصود ، فكان مرجوحاً .

والثالث : واختاره النووي في الأذكار^(٣) : إن كان القارئ من حفظه يحصل له من التدبر والتفكير وجمع القلب أكثر مما يحصل له من المصحف فالقراءة من الحفظ أفضل ، وإن استويا فن للمصحف أفضل ، قال : وهو مراد السلف .

مسألة

[في استحباب الجهر بالقراءة]

يستحب الجهر بالقراءة ؛ صحّ ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ، واستحبّ بعضهم

(١) هو الإمام أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام القاضي ، شيخ الإسلام ، توفي سنة ٦٦٠ هـ .
(شفرات القمب ٥ : ٣١٠) .

(٢) سورة ص ٢٩

(٣) هو كتاب حلية الأبرار وشمس الأختار في تلخيص الدعوات والأذكار ، للفتوى بأذكار النووي .
(كشف الظنون ٦٨٨ - ٦٨٩) .

الجهر ببعض القراءة والإسرار ببعضها؛ لأن السر قد يمل، فيأنس بالجهر، والجاهر قد بكل فيستريح بالإسرار؛ إلا أن من قرأ بالليل جهراً بالأكثر؛ وإن قرأ بالنهار أسراً بالأكثر^(١)؛ إلا أن يكون بالنهار في موضع لا تنو فيه ولا صخب، ولم يكن في صلاة فيرفع صوته بالقرآن، ثم روى بسنده عن معاذ بن جبل يرضه: «الجاهر بالقرآن كالجهر بالصدقة والسر بالقرآن كالسر بالصدقة». ثم من قرأ والناس يصلون فليس له أن يجهر جهراً يشغلهم به؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم يصلون في المسجد، فقال: «يا أيها الناس كلكم يناجي ربه، فلا يجهر بعضكم على بعض في القراءة».

مَسْأَلَةٌ

[في كراهة قطع القرآن بكلمة الناس]

ويكره قطع القرآن بكلمة الناس؛ وذلك أنه إذا انتهى في القراءة إلى آية وحضره كلام قد استقبله التي بلنها والكلام، فلا ينبغي أن يؤثر كلامه على قراءة القرآن، قاله الحلي، وأيده البيهقي بما رواه البخاري: كان ابن عمر إذا قرأ القرآن لم يكلم حتى يفرغ منه.

مَسْأَلَةٌ

[في حكم قراءة القرآن بالجمية]

لا تجوز قراءته بالجمية سواء أحسن العربية أم لا، في الصلاة وخارجها، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾^(٢)، وقوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا﴾^(٣)

(٢) سورة يوسف ٢

(١) ت: «الأكثر».

(٣) سورة فصلت ٤٤

وقيل عن أبي حنيفة: يجوز قراءته بالفارسية مطلقا، وعن أبي يوسف: إن لم يحسن العربية؛ لكن يصح عن أبي حنيفة الرجوع عن ذلك، حكاه عبد العزيز^(١) في «شرح البرزوي»^(٢).

واستقر الإجماع على أنه يجب قراءته على هيئته التي تتعلق بها الإعجاز لنقص الترجمة عنه، ولنقص غيره من الألسن عن البيان التي اخص به دون سائر الألسنة. وإذا لم تجز قراءته بالتفسير العربي لمكان التصدي بنظمه، فأحرى أن لا تجوز الترجمة بلسان غيره؛ ومن هنا قال الثعالبي^(٣) من أصحابنا: عندي أنه لا يقدر أحد أن يأتي بالقرآن بالفارسية، قيل له: فإن لا يقدر أحد أن يفسر القرآن، قال: ليس كذلك؛ لأن هناك يجوز أن يأتي ببعض مراد الله ويحذف عن البعض؛ أما إذا أراد أن يقرأه بالفارسية فلا يمكن أن يأتي بجميع مراد الله، أي فإن الترجمة لإبدال لفظة بلفظة تقوم مقامها، وذلك غير ممكن بخلاف التفسير. وما أحاله الثعالبي من ترجمة القرآن ذكره أبو الحسين بن فارس في قوله العربية^(٤) أيضا قال: «لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقل القرآن إلى شيء من الألسن؛ كما نقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية، وترجمت التوراة والزيور وسائر كتب الله تعالى بالعربية؛ لأن الحجم لم تنسج في الكلام اتساع العرب؛ ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله تعالى: ﴿وَمَا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيفَتَهُ فَأَنِبْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾^(٥) لم نستطع أن

(١) هو عبد العزيز بن أحمد بن محمد علاء الدين البغاري؛ له تصانيف مقبولة؛ أشهرها شرح أصول البرزوي، سماه كشف الأسرار؛ طبع في إستانبول سنة ١٣٠٧، وتوفي عبد العزيز سنة ٧٣٠: القوائد البهية ٩٤.

(٢) هو علي بن محمد بن الحسين البرزوي القتيبي بماوراء النهر؛ وكتابه كنز الوصول إلى معرفة الأصول؛ طبع مع شرحه في إستانبول سنة ١٣٠٧. وتوفي البرزوي سنة ٤٨٢. القوائد البهية ١٢٤.

(٣) هو أبو بكر محمد بن إسماعيل القتيبي القاضي الشافعي للروافد بالثعالبي الكبير؛ صاحب للمصنفات في اللغة والأصول والتفسير والحديث والكلام، توفي سنة ٣٦٥. شذرات الذهب ٣: ٥٢.

(٤) سورة الأفعال ٥٨

(٥) ص ١٣

(٦) ٣٠ - برهان - أول

تأتى بهذه الألفاظ مؤدبة^(١) عن للمنى الذى أودعته حتى تبسط مجموعها، وتصل مقطوعها، وتظهر مستورها، فنقول : إن كان بينك وبين قوم هدنة وعهد، خفت منهم خيانة وضما فاعلمهم أنك قد خضعت ما شرطته لهم ، وأذنهم بالحرب ؛ لتكون أنت وم فى السلم بالنقض على سواء^(٢) ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾^(٣) انتهى .

فظهر من هذا أن الخلاف فى جواز قراءته بالفارسية لا يصحقق لعدم إمكان تصوّره . ورايت فى كلام بعض الأئمة للتأخيرين أن للنوع من الترجمة مخصوص بالتلاوة ؛ فأما ترجمته للعمل به فإن ذلك جائز للضرورة ، وينبى أن يقتصر من ذلك على بيان الحكم منه ، والترب للمنى بمقدار الضرورة ؛ من التوحيد وأركان العبادات ؛ ولا يمرض لما سوى ذلك ، ويؤمر من أراد الزيادة على ذلك بعمل اللسان العربى ؛ وهذا هو الذى يقتضيه الدليل ، ولذلك لم يكتب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إلى قيصر إلا بآية واحدة محكمة لمنى واحد ؛ وهو توحيد الله والتبرى من الإشرارك ؛ لأن النقل من لسان إلى لسان قد تنقص الترجمة عنه كما سبق ، فإذا كان معنى للترجم عنده واحدا قل وقوع التخصير فيه ؛ بخلاف اللمانى إذا كثرت ؛ وإنما فعل النبي صلى الله عليه وسلم لضرورة التبليغ ؛ أولان معنى تلك الآية كان عندهم مقررا فى كتبهم ؛ وإن خالفوه .

وقال الكواشى^(٤) فى تفسير سورة المدخان : أجاز أبو حنيفة القراءة بالفارسية بشرطه ؛ وهى أن يؤدى القارئ اللمانى كلها من غير أن ينقص منها شيئا أصلا . قالوا : وهذه الشريطة تشهد أنها إجازة كلا لإجازة ؛ لأن كلام العرب خصوصا القرآن الذى هو

(١) قه اللفظة : « اللؤدية » .

(٢) سورة الكهف ١١

(٣) قه اللفظة : « على استواء »

(٤) هو موفق الدين أحمد بن يوسف اللوملى الشيبانى الشافعى ، التوف سنة ٦٨٠ (كشف الظنون ٤٥٧)

معجز - فيه من لطائف اللاماني والإعراب ما لا يستل به لسان من فارسية وغيرها .
وقال الزحشرى : ما كان أبو حنيفة يحسن الفارسية ؛ فلم يكن ذلك منه عن تحقيق وتبصر . وروى على بن الجعد عن أبي يوسف عن أبي حنيفة مثل صاحب في القراءة بالفارسية .

مسألة

[في عدم جواز القراءة بالشواذ]

ولا يجوز قراءته بالشواذ ، وقد قل ابن عبد البر الإجماع على منه ^(١) ؛ قد سبق في الحديث : كان يُد مدًّا ؛ يعني أنه يَكُنُّ الحروف ولا يَحذفها ، وهو الذى يسميه القراء بالتجويد في القرآن ، والترتيل أفضل من الإسراع ، قراءة حزب مرتل مثلاً في مقدار من الزمان ، أفضل من قراءة حزبين في مثله بالإسراع .

مسألة

[في استحباب قراءة القرآن بالتفخيم]

يستحب قراءته بالتفخيم والإعراب لما بروى : « نزل القرآن بالتفخيم » ، قال الحليمي : معناه أن يقرأ على قراءة الرجال ، ولا يُخضع الصوت فيه ككلام النساء ، قال : ولا يدخل في كراهة الإمامة التي هي اختيار بعض القراء . وقد يجوز أن يكون القرآن نزل بالتفخيم ؛ فخص مع ذلك في إمامة ما يحسن إمامته على لسان جبريل عليه السلام .
وروى البيهقي من حديث ابن عمر : « من قرأ القرآن فأعرب في قراءته كان له بكل حرف عشرون حسنة ، ومن قرأه بغير إعراب كان له بكل حرف عشر حسنة » .

(١) قل السيوطي عن موهوب الجزري جوازها في غير الصلاة قياساً على رواية الحديث بالهين ؛ وانظر الإقنان : ١٢ ، ١٠٩

مسألة

[في فصل السور بعضها عن بعض]

وأن يفصل كل سورة عما قبلها ، إما بالوقف أو التسمية ، ولا يقرأ من أخرى قبل الفراغ من الأولى ؛ ومنه الوقف على رؤوس الآي ، وإن لم يتم للمعنى . قال أبو موسى اللديني : وفيه خلاف بينهم ؛ لوقفه صلى الله عليه وسلم في قراءة الفاتحة على كل آية وإن لم يتم الكلام . قال أبو موسى : ولأن الوقف على آخر السور لا شك في استحبابه ، وقد يتعلق بعضها ببعض ؛ كما في سورة القيل مع قریش .

وقال البيهقي رحمه الله وقد ذكر حديث « كان النبي صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته آية آية » : ومتابعة السنة أولى فيما ذهب إليه أهل العلم بالقراءة من تنقيح الأغراض وللماخذ .

ومنها أن يعتقد جزيل ما أنتم الله عليه إذ أهله لحفظ كتابه ويستصغر عَرْض الدنيا أجمع [في جنب ما ^(١) ما خوله الله تعالى ، ويمجد في شكره . ومنها ترك المبالاة فلا يطلب به الدنيا ؛ بل ما عند الله ؛ والآخر في اللواضع القدرة ، وأن يكون ذا سكينَةٍ ووقار ، مجانباً للذنب ، محاسباً نفسه ، يُعرف القرآن في سمته وخلقه ؛ لأنه صاحب كتاب للذك والمطلع على وعده ووعيده ، [وليتجنب القراءة في الأسواق ، قاله الحلبي ، والحق به الحمام . وقال النووي : لا بأس به في الطريق سراً حيث لا نلوه فيها] ^(٢) .

مسألة

[في ترك خلط سورة بسورة]

عَدَّ الحلبيُّ من الآداب ترك خلط سورة بسورة ؛ وذكر الحديث الآتي . قال البيهقي : وأحسن ما يَحْتَجُّ به أن يقال : إن هذا التأليف لكتاب الله مأخوذ من جهة

(١) نكته من ت .

(٢) نكته من ط ، م .

النبي صلى الله عليه وسلم وأخذه عن جبريل ، فالأولى بالقارئ أن يقرأ على التأليف للفقول المجمع عليه ؛ وقد قال ابن سيرين : تأليف الله خيرٌ من تأليفكم . وهل القاضى أبو بكر الإجماع على عدم جواز قراءة آية آية من كل سورة . « وقد روى أبو داود فى سننه من حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بأبى بكر وهو يقرأ ، يخفض صوته ، ويمرّ بمجهر بصوته وذكر الحديث ، وفيه قال : « وقد سمعتك يا بلال وأنت تقرأ من هذه السورة ، ومن هذه السورة » فقال : كلام طيب يحمده الله بعضه إلى بعض ؛ فقال : « كلكم قد أصلب » .

وفى رواية لأبى عبيد فى « فضائل القرآن »^(١) : قال بلال : أخلط الطيب بالطيب ، فقال : « اقرأ السورة على وجهها » - أو قال على نحوها - وهذه زيادة مليحة . وفى رواية : « إذا قرأت السورة فأغذها » .

وروى عن خالد بن الوليد أنه أمّ الناس قرأ من سور شقى ، ثم انتفى إلى الناس حين انصرف ، قال : شقنى الجهاد عن تعلّم القرآن .

وروى للنعم عن ابن سيرين . ثم قال أبو عبيد : الأمر عندنا على الكراهة فى قراءة القراء هذه الآيات المختلفة ؛ كما أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بلال ، وكما اعتذر خالد عن فعله ، ولكراهة ابن سيرين له . ثم قال : إن بعضهم روى حديث بلال ، وفيه : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « كل ذلك حسن » وهو أثبت وأشبه بنقل العلماء . انتهى . ورواه الحكيم الترمذى فى « نوارذ الأصول » ؛ وزاد : « مثل بلال كمثل نحلة غدت تأكل من الخلو والثر ، ثم يصير حلوا كله » .

قال : وإنما شبهه بالنعلة فى ذلك ؛ لأنها تأكل من الثمرات : حلوها وحامضها ، ورطبها وبابسها ، وحارها وباردها ؛ فخرج هذا الشفاء ؛ وليست كغيرها من الطير تنصرف على الخلو قط لحظة شهوته فلا جرم أعاضها الله الشفاء فيما تلقىه ؛ كقوله : « عليكم

بالبان البقرة ، فإنها ترم من كل الشجر فأكمل . فبلال رضى الله عنه كان يقصد آيات الرحمة وصفات الجنة ؛ فأمره أن يقرأ السورة على نحوها كما جاءت بمنزجة ؛ كما أنزل الله تعالى : فإنه أعلم بدواء العباد وحاجتهم ، ولو شاء لصنّفها أصنافا ، وكل صنّف على حدة ؛ ولكنه مزجها لتصل القلوب بنظام لا يمل ، قال : ولقد أذهلنى يوما قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالنِّعَامِ وَزُلْزِلَتِ الثَّلَاجُ كُتُبُهَا تَنْزِيلًا . أَلَمْ تَكُنْ لِمَنْ يَدْعُوهُ لِرَحْمَةٍ ﴾ (١) قلت : يا لطيف ؛ علمت أن قلوب أولئك الذين يقتلون هذه الأوصاف عنك وتترامى لهم تلك الأموال لا تتألم ؛ فطفت بهم قسبت ﴿ لَلْمَلِكِ ﴾ إلى أم اسم فى الرحمة ، قلت : ﴿ الرَّحْمَنِ ﴾ ليلاقى هذا الاسم تلك القلوب التى يحمل بها الهول ، فيأزج تلك الأموال ، ولو كان بدله اسم آخر ، من « عزيز جبار » لتضطرت القلوب ، فكان بلال يقصد لما تطيب به النفوس ، فأمره أن يقرأ على نظام رب العالمين ؛ فهو أعلم بالشفاء

مسألة

[فى استحباب استيفاء الحروف عند القراءة]

يستحب استيفاء كل حرف أتمته قارئ . قال الحيمى : هذا ليكون القارئ قد أتى على جميع ما هو قرآن ؛ فكون ختمة أصبح من ختمة إذا ترخص بحذف حرف أو كلمة قرئ بها . ألا ترى أن صلاة كل من استوفى كل فعل امتنع عنه كانت صلاته أجمع من صلاة من ترخص بحذف منها ما لا يضر حذفه .

فصل

[فى ختم القرآن]

ويستحب ختم القرآن فى كل أسبوع ، قال النبی صلى الله عليه وسلم : « اقرأ القرآن

في كل سبع ولا تزد . رواه أبو داود . وروى الطبراني بسند جيد : سئل أصحاب رسول الله صلى الله عليه : كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمجزئ القرآن ، قال : كان يمجزئنه ثلاثا وخمسا ، وكره قوم قراءته في أقل من ثلاث ، وحلوا عليه حديث : « لا يبقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث » رواه الأربعة ، وصححه الترمذي . والمختار - وعليه أكثر المحققين - أن ذلك يختلف بحال الشخص في النشاط والضعف والتدبير والنفقة ؛ لأنه روى عن عثمان رضي الله عنه ؛ كان يمجئه في ليلة واحدة . ويكره تأخير ختمه أكثر من أربعين يوما . رواه أبو داود .

وقال أبو الليث في كتاب « البستان » : ينبغي أن القرآن في السنة مرتين إن لم يقدر على الزيادة . وقد روى الحسن بن زياد عن أبي حنيفة أنه قال : من قرأ القرآن في كل سنة مرتين فقد أدى للقرآن حقه ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم عرّضه على جبريل في السنة التي قبض فيها مرتين .

وقال أبو الوليد الباجي^(١) : أمر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو أن يمجئ في سبع أو ثلاث يحصل أنه الأفضل في الجملة أو أنه الأفضل في حق ابن عمرو لما علم من ترتيبه في قراءته ، وعلم من ضعفه عن استقامته أكثر مما حذله . وأما من استطاع أكثر من ذلك فلا تمنع الزيادة عليه . وسئل مالك عن الرجل يمجئ القرآن في كل ليلة قال : ما أحسن ذلك ! إن القرآن إمام كل خير .

وقال بشر بن السري : إنما الآية مثل التمرة كلما مضمتها استخرجت حلاوتها . فحدث به أبو سليمان ، فقال : صدق ؛ إنما يؤتى أحدكم من أنه إذا أبتدأ السورة أراد آخرها .

(١) هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي المالكي الأعمش الباجي ، ولد سنة ٤٠٣ بمدينة طليوس ، ورحل للمال للفرق سنة ٤٢٦ هـ أو نحوها . فأقام قسما وبنداد ودمشق وغيرها . وتوفي بالمرية سنة ٤٧٤ هـ . ابن خلكان : ٢١٥ ، ١ .

سَأَلَهُ

[في ختم القرآن في الشتاء وفي الصيف]

يُسْنُ خَتْمُهُ فِي الشِّتَاءِ أَوَّلَ اللَّيْلِ ، وَفِي الصَّيْفِ أَوَّلَ النَّهَارِ ؛ قَالَ ذَلِكَ ابْنُ الْبَارَكِ ، وَذَكَرَهُ أَبُو دَاوُدَ لِأَحَدٍ ، فَكَأَنَّهُ أَجْبَهَ . وَيَجْمَعُ أَهْلَهُ عِنْدَ خَتْمِهِ وَيَدْعُو .
وَقَالَ بَعْضُ السَّالِفِ : إِذَا خَتَمَ أَوَّلَ النَّهَارِ صَلَّتْ عَلَيْهِ لِللَّائِكَةِ حَتَّى يُمَسِّي ، وَإِذَا خَتَمَ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ صَلَّتْ عَلَيْهِ لِللَّائِكَةِ حَتَّى يُصْبِحَ . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

سَأَلَهُ

[في التكبير بين السور اجزاء من سورة الضحى]

يَسْحَبُ التَّكْبِيرُ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الضُّحَى ؛ إِلَى أَنْ يَحْتَمَ ؛ وَهِيَ قِرَاءَةُ أَهْلِ مَكَّةَ ؛ أَخَذَهَا ابْنُ كَثِيرٍ عَنْ مُجَاهِدٍ ، وَمُجَاهِدٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ أَبِي ، وَأَبِي عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ رَوَاهُ ابْنُ خُرَيْمَةَ ؛ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي شُعْبِ الْإِيمَانِ وَقَوَاهُ وَرَوَاهُ مِنْ طَرِيقٍ مَوْقُوفًا عَلَى أَبِي بَسْمٍ مَعْرُوفٍ ^(١) ؛ وَهُوَ حَدِيثٌ غَرِيبٌ ، وَقَدْ أَنْكَرَهُ أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ عَلَى عَادَتِهِ [فِي] ^(٢) التَّشْدِيدِ ؛ وَاسْتَأْنَسَ لَهُ الْخَطِيُّ بِأَنَّ الْقِرَاءَةَ تَنْقَسِمُ إِلَى أَبْضَاحِ

(١) قُلَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي التَّفْسِيرِ ٤ : ٢٦١ ؛ قَالَ : « رَوَيْنَا مِنْ طَرِيقِ أَبِي الْحَسَنِ أَحَدَ ثَلَاثِ عَشْرَةَ عِدَّةً مِنْ أَبِي بَزْزَةَ الْقُرَظِيِّ قَالَ : قَرَأَتْ عَلَى عِكْرَمَةَ بْنِ سَلْيَانَ وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى إِسْمَاعِيلِ بْنِ قُسْطَنْطِينَ وَشَيْبَةَ بْنِ عَبَّادٍ فَلَمَّا بَلَغَتْ « وَالضُّحَى » قَالَا لِي : كَبِّرْ حَتَّى تَحْتَمَ مَعَ خَاتَمَةِ كُلِّ سُورَةٍ ، فَإِنَّا قَرَأْنَا عَلَى ابْنِ كَثِيرٍ فَأَمَرَنَا بِذَلِكَ ؛ وَأَخْبَرَنَا أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى مُجَاهِدٍ فَأَمَرَهُ بِذَلِكَ ، وَأَخْبَرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى أَبِي بَسْمٍ فَأَمَرَهُ بِذَلِكَ ، وَأَخْبَرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى أَبِي بَسْمٍ فَأَمَرَهُ بِذَلِكَ ، وَأَخْبَرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَهُ بِذَلِكَ » .

(٢) تَكْلُفٌ مِنْ ط .

متفرقة؛ فكأنه^(١) كصيام الشهر؛ وقد أمر الناس أنه إذا أكلوا المدة أن يكبروا الله على ما هدام . فاقبل أن يكبر القارئ إذا أكل عدة السور .

وذكر غيره أن التكبير [كان] لاستشمار انقطاع الوحي؛ قال : وصنفه في آخر هذه السور أنه كلما ختم سورة وقف وقفة ، ثم قال : الله أكبر ، ثم وقف وقفة ثم ابتداء السورة التي تليها إلى آخر القرآن . ثم كبر كما كبر من قبل ، ثم أتبع التكبير الحمد ، والتصديق ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، والدعاء .

وقال^(٢) سليم الرازي^(٣) في تفسيره : يكبر^(٤) القارئ براءة ابن كثير إذا بلغ « والضحي » بين كل سورتين تكبيرة ؛ إلى أن يحتم القرآن ولا يصل آخر السورة بالتكبير ، بل يفصل بينهما بسكتة ؛ وكأن للمنى في ذلك ما روي أن الوحي كان تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أباما قال ناس : إن محمدا قد ودَّعه صاحبه وقلاه ، فنزلت هذه السورة ، قال : الله أكبر ، قال : ولا يكبر في قراءة الباقيين ؛ ومن حجتهم أن في ذلك ذريعة إلى الزيادة في القرآن ؛ بأن زيد عليه فيتوهم أنه من القرآن فيثبتوه فيه^(٥) .

مسألة

[في تكرير الإخلاص]

عما جرت به العادة من تكرير سورة الإخلاص عند الختم ؛ نص الإمام أحمد على

(١) م : « فكأنه » . (٢) من هنا إلى آخر الفصل ساقط من ت .

(٣) هو أبو الفتح سليم بن أيوب الرازي القزويني سنة ٤٤٧ ؛ صاحب التفسير للمصنفين في القلوب في

التفسير . ذكره صاحب كشف الظنون ١٠٩١ (٤) قوله القرطبي في التفسير ٢٠ : ١٠٣

(٥) ذكر ابن الجزري اختلاف القراءة في ابتداء التكبير : هل هو من أول الضحي أو من آخرها ؛

وفي انتهائه هل هو من أول السورة أو آخرها . وانظر النشر ٢ : ٤٠٠ .

للنعم ؛ ولكن عمل الناس على خلافه ؛ قال بعضهم : والحكمة في التكرير ماورد أنها تسدل
مُكَّت القرآن ؛ فيحصل بذلك ختمه .

فإن قيل : فلي هذا كان ينبغي أن يقرأ ثلاثاً بعد الواحدة التي تضمنتها الختمة ؛
فيحصل ختمتان -

قلنا : مقصود الناس ختمة واحدة ؛ فإن القارئ إذا قرأها ثم أعادها مرتين كان
على يقين من حصول ختمة ؛ إما التي قرأها من النافعة إلى آخر القرآن ، وإما [التي
حصل ^(١)] ثوابها بقراءة سورة الإخلاص ثلاثاً ، وليس المقصود ختمة أخرى .

مسألة

[فيما يفعله القارئ عند ختم القرآن]

ثم إذا ختم وقرأ للمودعين قرأ النافعة وقرأ خمس آيات من البقرة إلى قوله : ﴿مُمَّ
الْمُفْلِحُونَ﴾ ^(٢) لأن آية عند الكوفيين ، وعند غيرهم بعض آية وقد روى الترمذي :
أي العمل أحب إلى الله ؟ قال : الحال ^(٣) الرتمل ، قيل للراد به الحث على تكرار الختم ختمة
بعد ختمة ؛ وليس فيه ما يدل على أن الدعاء لا يصحب الختم .

(١) تسكعة من ت .

(٢) سورة البقرة ٥

(٣) قلله ابن الأثير في النهاية ١ : ٢٥٣ : سئل : أي الأعمال أفضل ؟ فقال : الحال الرتمل ، قيل :
وماذا ؟ قال : الخاتم للفتح ؛ وهو الذي يحتم القرآن بتلاوته ؛ ثم ينتسج التلاوة من أوله ، شبهه بالسافر
يلج للنزل فيعمل فيه ثم ينتسج سيره ؛ أي ينتسج ؛ وكذلك قراءة مكة إذا ختموا القرآن بالتلاوة أجدهوا
وقرءوا النافعة وخمس آيات من أول سورة البقرة إلى : « وأولئك هم المفلحون » . ثم يطمون القراءة ،
ويحسون فاعل ذلك الحال للرتمل ، أي ختم القرآن واجتأ بأوله ولم يفصل بينهما بزمان . وقيل : أراد
بالحال للرتمل النازي الذي لا يفصل عن غزو إلا عقبه بآخر .

مَسْأَلَةٌ

روى^(١) البيهقي في دلائل النبوة وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو عند ختم القرآن : اللهم ارحمني بالقرآن ، واجعله لي أماناً ونوراً وهدي ورحمة ، اللهم ذكرني منه ما نسيت ، وعلّمني منه ما جهلت ، وارزقني تلاوته آناء الليل ، واجعله لي حُجَّةً يارب العالمين . رواه في شعب الإيمان بأطول من ذلك ، فليُنظر فيه .

مَسْأَلَةٌ

[في آداب الاستماع]

استماع القرآن والتفهم لمآنيه من الآداب المحثوث عليها ، ويكره التصدُّث بحضور القراءة ، قال الشيخ أبو محمد بن عبد السلام : والاشتغالُ عن السماع بالتحدُّث بما لا يكون أفضل من الاستماع سوء أدب على الشرع ، وهو يفتضي أنه لا بأس بالتحدُّث للمصلحة .

مَسْأَلَةٌ

[في حكم من يشرب شيئاً كتب من القرآن]

وأفتى الشيخ أيضاً بالنع من أن يشرب شيئاً كُتِب من القرآن ، لأنه تلافيه النجاسة الباطنة .

وفيا قاله نظر ؛ لأنها في مَظْنِها لا حكم لها .

(١) هذا الفصل ساقط من ت ؛ وهو في م وحواشي ط ؛ نقله عن خط المؤلف ،

ومن صرح بالجواز من أصحابنا النباه النباهي^(١) تلميذ البهوتي^(٢) فيما رأيته بخط ابن الصلاح.

قال : لا يجوز ابتلاع رُثمة فيها آية من القرآن ، فلو غسلها وشرب ماءها جاز . وجزم القاضي الحسين ،^(٣) والرافي^(٤) بجواز أكل الأظعمة التي كتب عليها شيء من القرآن . وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الرحمن السُّلَمي في ذكر منصور بن عمار^(٥) : أنه أوفى الحكمة : وقيل إن سبب ذلك أنه وجد رُثمة في الطريق مكتوبا عليها : ﴿ نَسْمِ اللَّهَ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ ﴾ ، فأخذها فلم يجد لها موصفا ، فأكلها ، فأرى فيما يرى لثامم كأن قاتلا [قد] قال له : قد فتح الله عليك باحترامك لتلك الرُثمة فكان بذلك يتكلم بالحكمة .

مسألة

[القيام للمصاحف بدعة]

وقال الشيخ أضافي « القواعد »^(٦) : القيام للمصاحف بدعة لم يمهّد في الصدر الأول ،

(١) هو أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن الحسين بن محمد النباهي النباهي ؛ أحد فقهاء الشافعية ؛ تفقه على القاضي حين بن محمد ؛ وسمي الحديث من أستاذه عبد الله بن محمد البهوتي ؛ توفي في حد سنة ٤٨٠ الباب ٣ : ٢٥٣ ، ومجمع البيان ٨ : ٣٦٩

(٢) هو عبد الله بن محمد البهوتي .

(٣) هو القاضي الحسين بن محمد بن أحمد أبو علي الروزي ؛ شيخ الشافعية في زمانه ؛ وصاحب الفتاوى المشهورة توفي سنة ٤٦٢ هـ فنون الحب ٣ : ٣١٠

(٤) هو الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن محمد القزويني الرافعي المتوفى سنة ٦٢٣ ، صاحب الشرح على الوجيز في فقه الشافعية (كشف الظنون) .

(٥) هو أبو السري منصور بن عمار ؛ البصري ؛ الزاهد الواعظ ؛ قال ابن حجر : كان إليه للتنبيه في بلاغة الوعظ وترقيق القلوب وتحريك القلوب . لسان اللباز ٥ : ٩٨ .

(٦) هو المعروف بالقواعد الكبرى في فروع الشافعية للشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام المتوفى سنة ٦٦٠ هـ كشف الظنون ١٣٥٩

والصواب ما قاله النووي في « التبيان »^(١) : من استجاب ذلك والأمر به لما فيه من التعظيم وعدم التهاون به . وسئل العباد بن يونس الموصلي عن ذلك : هل يستحب التعظيم أو يكره خوف الفتنة ؟ فأجاب : لم يرد في ذلك قلّ مسوم ، والكلمة جائزة ، ولكلّ نِدْبَةٍ وقَصْدُهُ .

مَسْنَدُ

[في حكم الأوراق البالية من المصحف]

وإذا احتيج لتعطيل بعض أوراق المصحف لبلاء ونحوه فلا يجوز وضعه في سِرَقٍ أو غيره ليحفظ لأنه قد يسقط ويوطأ ، ولا يجوز تمزيقها لما فيه من قطع الحروف وتفرقة الكلم ، وفي ذلك إضرار بالكاتب . كذا قاله الحلبي : قال : وله غُشْلُها بالماء ، وإن أحرقها بالنار فلا بأس ، أحرق عثمان مصاحف فيها آيات وقرآيات منسوخة ، ولم يُنكر عليه .

وذكر غيره أن الإحراق أولى من النسل ، لأن الفسالة قد تقع على الأرض ، وجزم القاضي الحسين في « تعليقه » بامتناع الإحراق ؛ وأختلف الاحترام ، والنوى بالكراهة ، فصل ثلاثة أوجه .

وفي « الواصيات »^(٢) من كتب الحنفية أن المصحف إذا بُلِيَ لا يحرق بل تحفر له في الأرض ، ويدفن .

وقيل عن الإمام أحمد أيضا : وقد يتوقف فيه لترصده للوطء بالأقدام .

(١) التبيان في آداب حملة القرآن : للإمام عبيد الله بن شرف النووي القاضي للثوق سنة ٦٧٦ هـ ، (كشف القلتون) .

(٢) الواصيات في القروع ، لشمس الأئمة عبد العزيز بن أحمد الحلواني المتوفى سنة ٥٠٦ هـ ، ولبصام أيضا ، وللظاهر بن أحمد البخاري صاحب الملاحة للثوق سنة ٥٤٢ هـ ، ولأبي اليسر وللإمام غير الدين حنين بن منصور للثوق بجانية خان للثوق سنة ٥٩٢ هـ (كشف القلتون) .

مسألة

[في أحكام تتعلق باحترام المصحف وتبجيله]

ويستحب تطيبُ المصحف وجعله على كرسى؛ ويجوز تحليته بالقصة إكراماً له على الصحيح، روى البيهقي بسنده إلى الوليد بن مسلم قال: سألت مالكا عن تفضيل المصاحف، فأخرج إلينا مصحفاً قال: حدثني أبي عن جدي أنهم جمعوا القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه، وأنهم فَنَضَوْا المصاحف على هذا ونحوه: وأما بالنهب فالأصحّ يباح للمرأة دون الرجل، وخَصَّ بعضهم الجواز بنفس المصحف دون علاقته بالنفصلة عنه؛ والأظهر التوسية.

ويَحْرُمُ توسُّدُ المصحف وغيره من كتب العلم؛ لأن فيه إذلالاً وامتهاناً، وكذلك مدّ الرجلين إلى شيء من القرآن أو كتب العلم.

ويستحب قبيلُ المصحف؛ لأنَّ عكرمة بن أبي جهل كان قبَّله، وبالقِيَاس على قبيل الحجر الأسود؛ ولأنه هدية لعباده، فشرع قبيلُه كما يستحب قبيلُ الولد الصغير.

وعن أحد ثلاث روايات؛ الجواز، والاستصحاب، والتوقف.

وإن كان فيه رفة وإكرام؛ لأنه لا يدخله قياس؛ ولهذا قال عمر في الحجر: لولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك.

ويحرم السقر بالقرآن ^{إلى} أرض العدو للحديث فيه: خوف أن تناله أيديهم. وقيل: كثر النزاة وأمن استيلاؤهم عليه لم يمنع؛ قوله: «غفلة أن تناله أيديهم».

ومحرم كتابة القرآن بشئ نجس ؛ وكذلك ذكر الله تعالى ؛ وتكره كتابته في القطع الصغير ؛ رواه البيهقي عن علي وغيره . وعنه تنوق رجل في ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ففتره .

وقال الضحاك بن مزاحم : ليقى قد رأيت الأيدى تقطع فيمن كتب ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ . يعني لا يحمل له سنت . قال : وكان ابن سيرين يكره ذلك كراهة شديدة . ويستحب تجريد للصحف عما سواه . وكرهوا الأعشار والأخماس معه ، وأسماء السور وعدد الآيات . وكانوا يقولون : جردوا للصحف . وقال الحلبي : يجوز ، لأن النقط ليس له قرار فيتوهم لأجلها ما ليس بقرآن قرآنًا ؛ وإنما هي دلالات على هيئتها ، فلا يضر إثباتها لمن يحتاج إليها .

وروى ابن أبي شبة في مصنفه في الصلاة وفي فضائل القرآن : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال عبد الله بن مسعود : جردوا القرآن . وفي رواية : لا تلتقوا به ما ليس منه . ورواه عبد الرزاق في مصنفه في أواخر الصوم . ومن طريقه رواه الطبراني في معجمه ، ومن طريق ابن أبي شبة رواه إبراهيم الحربي في كتابه « غريب الحديث » . وقال . قوله : « جردوا » ، يحتمل فيه أمران : أحدهما أي جردوه في التلاوة ولا تخططوا به غيره ، والثاني أي جردوه في الخط من النقط والتشير .

قلت : الثاني أولى لأن الطبراني أخرجه في معجمه عن مسروق عن ابن مسعود أنه كان يكره التشير في الصحف . وأخرجه البيهقي في كتاب « للدخل » ، وقال : قال أبو عبيد : كان إبراهيم يذهب به إلى قط للصاحف . ويروى عن عبد الله أنه كره التشير في الصحف . قال البيهقي : وفيه وجه آخر أبين منه ، وهو أنه أراد : لا تخططوا به غيره من الكتب ؛ لأن ما خلا القرآن من كتب الله تعالى إنما يؤخذ عن اليهود والنصارى ؛

وليسوا بآمنين عليها . وقوى هذا الوجه بما أخرجه عن الشعبي عن قرظة بن كعب قال :
لما خرجنا إلى العراق خرج معنا هر بن الخطاب يشيعنا قال : إنكم تأتون أهل قرية لم
دوى بالقرآن كدوى النحل فلا تشغلوم بالأحاديث فتصدّوهم ، جرّدوا القرآن .
قال : فهذا ممناه أى لا تخطئوا معه غيره .

خاتمة

روى البخارى فى تاريخه الكبير بسند صالح حديث : « من قرأ القرآن عند ظالم
ليرفع منه ، لمن بكل حرف عشر لعنات » .

السُّعُودُ الْمُتَلَاوُونَ فِي أَنَّهُ هَلْ يُجُوزُ فِي الصَّائِفِ الرِّسَالِ وَأَيُّهَا اسْتِعْمَالُ بَعْضِ آيَاتِ الْقُرْآنِ

وهل يقتبس منه في شعر وغيره نظمه بتقديم وتأخير
وحركة إعراب

جَوَزَ ذَلِكَ بِمَعْهُمُ الْمُتَمَكِّنُ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ ؛ وَسُئِلَ الشَّيْخُ عَزَّ الدِّينَ قَالَ : وَرَدَ عَنْهُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَجْهٌ وَجْهِي » وَالتَّلَاوَةُ « إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ »^(١) .

وَمَا رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِهِ^(٢) إِلَى هِرَقْلَ : « سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهَدْيَ » (يَأْخُلُ
الْكِتَابَ تَمَازُؤًا إِلَى كَلِمَةِ سَوَاءٍ)^(٣) .

وَمِنْ دَعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَهْلُمَّ آتَانَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً » .

وَفِي حَدِيثِ آخِرِ لَابْنِ عُمَرَ : « قَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
سُورَةٌ حَسَنَةٌ »^(٤) .

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أَهْلُمَّ قَالِقَ الإِصْبَاحِ ، وَجَاعِلَ اللَّيْلِ سَكْنًا ، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
سَبَانًا ، أَقْضِ عَنِّي الدِّينَ ، وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ » .

(٢) فِي بَابِ كَيْفَ يَبْدَأُ الْوَحْيَ

(١) سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٧٩

(٣) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ٦٤ ، وَقَدْ وَرَدَ الْحَدِيثُ فِي الْأَسْوَلِ مُتَضَاعًا ؛ وَاقْدَى فِي الْبُخَارِيِّ : « سَلَامٌ عَلَى
مَنْ اتَّبَعَ الْهَدْيَ ؛ أَمَّا بِمَدْقَاتِي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ ، أَسْلَمَ لَمْ . يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ ؛ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ
مِنْ عَيْلِكَ إِثْمَ الْأَرَبِيِّينَ ؛ وَبِأَهْلِ الْكِتَابِ تَمَازُؤًا إِلَى كَلِمَةِ سَوَاءٍ ... » .

(٤) كَلِمَةُ « حَسَنَةٌ » سَافِلَةٌ مِنْ ت .

وفي سياق كلامه^(١) لأبي بكر: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٢)، قصد الكلام ولم قصد التلاوة.

وقول علي رضي الله عنه: إني مبایع صاحبكم ﴿لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾^(٣).
وقول الخطيب ابن نباتة: ^(٤) هُنَاكَ يَرْفَعُ الْحِجَابَ ، وَيُوضِعُ الْكِتَابَ ، وَيُجْمِعُ مَنْ لَهُ الثَّوَابُ ، وَحَقُّ عَلَيْهِ الْمَذَابُ ، فَضَرْبُ بَيْنَهُمْ بِسُورَةِ بَابٍ^(٥).

وقال النووي رحمه الله: إذا قال: ﴿خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾^(٦) وهو جُنُبٌ، وقصد غير القرآن جاز له، وله أن يقول: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾^(٧).
قال إمام الحرمين: إذا قصد القرآن بهذه الآيات عصى، وإن قصد الذِّكْرَ ولم يقصد شيئاً لم يمس.

ولطوطوشى^(٨):

رحل الظاعنون عنك وأبقوا في حواشي الأخشاء وجدا مقيا
قد وجدنا السَّلامَ بَرَدًا سَلَامًا إذ وجدنا النوى عذاباً ألياً
وثبت عن الشافعي :

(١) من كتبه حينما عهد لمر بالملالة ، وانظر الكامل للمبرد - يصرح للرصني ١ : ٦٢

(٢) سورة النساء ٢٢٧ (٣) سورة الأفال ٤٢

(٤) هو أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباتة الحذاق القاري صاحب الخطب للمهمورة للواعظ ؛ وكان خطيب حلب ؛ وفيها اجتمع بين الفوة ؛ وأغلب خطبه تدور حول الجهاد والمضى عليه تولى سنة ٣٧٤ هـ . ابن خلكان ١ : ٢٨٣

(٥) نقلها صاحب اللؤلؤ السمرقاني في باب التضييع ٢ : ٣٤٧ .

(٦) تضييع الآية الجديد ٣

(٧) سورة مريم ١٢ (٨) سورة الزخرف ١٣

(٩) هو أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الطوطوشى الأندلسي، الزاهد العابد، صاحب كتاب سراج اللؤلؤ . تولى سنة ٥٢٠ هـ . ابن خلكان ١ : ٤٧٩ .

أثني باقي استقرضت خطأ وأشهد معشرا قد شاهدوه^(١)
 فإن الله خلّاق البرايا عنت لجلال هيته الوجوه
 يقول « إذا تدانتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه »^(٢)
 ذكر القاضي أبو بكر الباقلاني أن تضمين القرآن في الشعر مكروه ، وأئمة البيان
 جوزوه وجعلوه من أنواع البديع ، وسمّاه القدماء تضمينا وللتأخرون اقتباسا ، وسمّوا
 ما كان من شعر تضمينا .

مسألة

[يكره ضرب الأمثال بالقرآن]

يكره ضرب الأمثال بالقرآن ، نص عليه من أصحابنا العبد المذنب صاحب البصائر ، كما
 وجدته في « رحلة ابن الصلاح »^(٣) بخطه .
 وفي كتاب « فضائل القرآن » لأبي عبيد عن النخعي قال : كانوا يكرهون أن ينفقوا
 الآية عند شيء يمرض من أمور الدنيا .

قال أبو عبيد : وكذلك الرجل يريد لقاء صاحبه أو يهيم بحلجه ، فيأتيه من غير طلب
 فيقول كالسائح : « جئت على قدر يا موسى »^(٤) ؛ فهذا من الاستخفاف بالقرآن ؛ ومنه
 قول ابن شهاب : « لا تتناظر بكتاب الله ولا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 قال أبو عبيد : يقول : لا تجعل لهما نظيرا من القول ولا الفعل .

(١) ط « ما يرويه » .

(٢) تضمين قوله تعالى في سورة البقرة ٢٨٢ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَانَتْكُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاصْتُبُوا » .

(٣) رحلة ابن الصلاح فوائد شيخنا أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح ؛
 التلوي سنة ٨٤٣ هـ في رحلة إلى الشرق ، ضمنها فوائد في سائر العلوم . كشف الظنون ٨٣٦
 (٤) سورة طه ٤٠

(٥) هو الإمام محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري ؛ أحد الأئمة من التابعين .

تنبيه

[لا يجوز تعدى أمثلة القرآن]

لا يجوز تعدى أمثلة القرآن؛ وقلنا أنكر على الحرري في قوله في مقامه الخامسة عشرة^(١) « فادخلني بيتا أخرج^(٢) من التابوت ، وأوهى من بيت المنكبوت » ، فأى معنى أبلغ من معنى أكده الله من ستة أوجه ؛ حيث قال : ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْمُنْكَبُوتِ ﴾^(٣) فادخل إن ، وبني أفضل الضمير ، وبناء من الوهن ، وأضافه إلى الجمع ، وعرف الجمع باللام وأتى في خبر إن باللام ! وقد قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا ﴾^(٤) ؛ وكان اللان في الحرري ألا يصلح هذه للبالغة وما بدتمثيل الله تمثيل ، وقول الله أقوم قيل ، وأوضح سبيل ؛ ولكن قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً ﴾^(٥) ، وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثالا لما دون ذلك فقال : « لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ... »^(٦) وكذلك قول بعضهم :

وَلَوْ أَنَّ مَابِي مِنْ جَوْى وَصَبَايَةِ عَلَى جَمَلٍ لَمْ يَبْقَ فِي النَّارِ خَالِدٌ
غفر الله له ؛ والله تعالى يقول : ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْعَجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْإِلْيَاطِ ﴾^(٧) قد جعل ولوج الجمل في السم غاية لنفي دخولهم الجنة ، وتلك غاية لا توجد ، فلا يزال دخولهم الجنة منقيا ، وهذا الشاعر وصف جسمه بالتحول ، بما ينقض الآية . ومن هذا

(١) هي القائمة القرشية ١ : ٢٣٠ — بصرح الصريحي .

(٢) أخرج : أضيق .

(٣) سورة المنكبوت ٤٧

(٤) سورة البقرة ٢٦

(٥) سورة الأنعام ١٥٢

(٦) نقله السيوطي في الجامع الصغير ٢ : ٢٢١ عن الترمذي ولفظه فيه : « لو كانت الدنيا تعدل عند

الله جناح بعوضة لمسنى كالفرأ منها شرية ماء » .

(٧) سورة الأعراف ٤٠

جرت مناظرة بين أبي العباس أحمد بن سريج^(١) ، ومحمد بن داود الظاهري^(٢) ؛ قال أبو العباس له : أنت تقول بالظاهر وتفكر القياس ، فاقول في قول الله تعالى : ﴿فَمَنْ يَمْلِكُ مِنْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَمْلِكُ مِنْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٣) فمن يملك منقال نصف ذرة : ماحكه ؟ فسكت محمد طويلا وقال : أبلغني ربي ؛ قال له أبو العباس : قد أبلغت : دجلة ، قال : أنظر في ساعة ، قال : أنظرتك إلى قيام الساعة ، واقرقا ، ولم يكن بينهما غير ذلك . وقال بعضهم : وهذا من مغالطات ابن سريج وعلم تصور ابن داود ؛ لأن القرة ليس لها أبعاد ضمتل بالنصف والربع وغير ذلك من الأجزاء ؛ ولها قال سبجانه : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِنْقَالَ ذَرَّةٍ﴾^(٤) فذكر سبجانه مالا يتخيل في الوهم أجزاءه ، ولا يدرك تفرقه .

(١) هو القاضي أحمد بن عمر بن سريج أبو العباس البغدادي الشافعي ، شيخ للذهب ؛ وحامل لوائه ؛ ذكره السيوطي وأورد للمناظرة التي قامت بينه وبين داود الظاهري في طبقات الشافعية ٢ : ٨٧

(٢) هو أبو بكر محمد بن داود بن خلف الأمشباتي المروفي بالظاهري ؛ الفقيه الأديب الشاعر ؛ توفي سنة ٢٩٧ هـ ، ابن خلسكان ١ : ٤٧٨

(٤) سورة النساء ٤٠

(٣) سورة الزلزلة ٧ ، ٨

النَّحْجُ الْحَسَنِيُّ وَالْثَلَاثُونَ
مَعْرِفَةُ الْأَمْثَالِ
الكائنة فيه

وقد روى البيهقي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى خَمْسَةِ أَوْجِهٍ: حلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال ، فأغفلوا بالحلال ، واجتنبوا الحرام ، وأنعموا بالحكم ، وآمنوا بالمتشابه ، واعتبروا بالأمثال .

وقد عدّه الشافعي مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن ، فقال : ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال القوال على طاعته ، النتيجة لاجتناب مصيئته ، وترك النغلة عن الحفظ ، والازدياد من نوافل الفضل .

وقد صنف فيه من المتضمنين الحسن بن الفضل وغيره ؛ وحققته لإخراج الأغصان إلى الأظهر ؛ وهو قسبان : ظاهر وهو للمصريح به ، وكامن وهو الذي لا ذكر للمثل فيه ، وحكمه حكم الأمثال .

وقسمه أبو عبد الله البكر أباذي إلى أربعة أوجه : أحدها لإخراج ما لا يقع عليه الحسن إلى ما يقع عليه ، وثانيها لإخراج ما لا يُسَلَّمُ ببديهة العقل إلى ما يعلم بالبديهة ، وثالثها لإخراج ما لم يَجْرِبْ به العادة إلى ما جرت به العادة ، ورابعها لإخراج ما لا قوّة له من الصفة إلى ما له قوّة .

وضرب الأمثال في القرآن يُستفاد منه أمور كثيرة : التذكير ، والوعظ ، والحث ،

والزجر ، والاعتبار ، والتقرير وترتيب الراد للعلل ، وتصويره في صورة المحسوس ؛ بحيث يكون نسبته للعلل كنسبة المحسوس إلى الحس . وتأني أمثال القرآن مشددة على بيان تفاوت الأجر ، وعلى للدح والقم ، وعلى الثواب والعقاب ، وعلى تنعيم الأمر أو تعقيره ، وعلى تحقيق أمر وإبطال أمر ، قال تعالى : ﴿ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴾^(١) ، فامتن علينا بذلك لما تضمنت هذه القوائد ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾^(٢) ، وقال : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾^(٣) .

والأمثال مقادير الأفعال ، وللمثل كالصانع القى يقدر صناعته ، كالغياط يقدر الثوب على قامة المحيط ، ثم يفره ، ثم يقطع . وكل شيء له قالب ومقدار ، وقالب الكلام ومقداره الأمثال .

وقال الخفاجي : سمي مثلاً لأنه مائل^(٤) بخاطر الإنسان أبداً ، أي شاخص ، فيتأني به ويتفط ، ويخشى ويرجو ، والشاخص : للمتعب . وقد جاء بمعنى الصفة ، كقوله تعالى : ﴿ وَفِيهِ الْأَمْثَلُ الْأَعْلَى ﴾^(٥) أي الصفة العليا ، وهو قول « لا إله إلا الله » ، وقوله : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾^(٦) أي صفتها .

ومن حكمته تعليم البيان ؛ وهو من خصائص هذه الشريعة ، وللتلُّ أعون شيء على البيان .

فإن قلت : لما كان التلُّ عوناً على البيان ، وحاصله قياس معنى بشيء ، من عرف ذلك القيس فحقه الاشتغاف عن شبيهه ، ومن لم يعرفه لم يحدث التشبيه عنده معرفة !

(٢) سورة الروم ٨٠

(٤) ت : « يائل » تحريف .

(٦) سورة الرعد ٣٥

(١) سورة إبراهيم ٤٥

(٣) سورة النكيت ٤٣

(٥) سورة النحل ٦٠

والجواب أن الحكم والأمثال تصور للماني تصور الأشخاص ؛ فإن الأشخاص والأعيان أثبتت في الأذهان ، لاستمالة القهر فيها بالحواس : بخلاف للماني المقولة ؛ فإنها مجردة عن الحس ولذلك دقت ؛ ولا ينظم مقصود التشبيه والتمثيل إلا بأن يكون للثل للضروب مجزئاً مسلماً عند السامع .

وفي ضرب الأمثال من تحرير المقصود مالا يخفى ؛ إذ القرض من التثل تشبيه الخلق بالجلجلى ، والشاهد بالنائب ، فالرغب في الإيمان مثلاً إذا مثل له بالنور تأكد في قلبه المقصود ، والزهدي في الكفر إذا مثل له بالظلمة تأكد قبضه في نفسه .

وفيه أيضاً تبكيت الغصم ، وقد أكرتعالى في القرآن وفي سائر كتبه من الأمثال وفي سور الإنجيل سورة الأمثال^(١) .

قال الزخشرى : التمثيل إنما يُصار إليه لكشف للماني ، وإدناء للتوهم من المشاهد ؛ فإن كان للتمثل له عظيماً كان للتمثل به مثله ، وإن كان حقيراً كان للتمثل به كذلك ؛ فليس العظم والخفارة في للضروب به للثل إلا بأمر استدعته حال للتمثل له ، ألا ترى أن الحق لما كان واضحاً جلياً تمثل له بالضياء والنور ، وأن الباطل لما كان بضده تمثل له بالظلمة ، وكذلك جعل بيت المنكوبين مثلاً في الوهن والضعف .

وللثل هو للستغرب ، قال الله تعالى : ﴿ وَفِي الْمَثَلِ الْأَعْلَى ﴾^(٢) ، وقال تعالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾^(٣) ؛ ولما كان المثل السائر فيه غريبة استعير لفظ المثل للحال ، أو الصفة ، أو القصة ، إذا كان لها شأن وفيها غريبة .

(١) له أراد أمثال سليمان من كتب العهد القديم . (٢) سورة التل ٦٠

(٣) سورة الرعد ٣٥

أما استعارته لـ **كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا** ^(١)؛ أى حالهم المصيب الشأن كحال الذى استوفد ناراً .

وأما استعارته للوصف فكقوله تعالى : **﴿ وَفَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾** ^(٢) أى الوصف الذى له شأن ، وكقوله : **﴿ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ ﴾** ^(٣) ، وكقوله : **﴿ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ﴾** ^(٤) وقوله : **﴿ كَمَثَلِ الْفَرَسِ الْكَبِيرِ ﴾** ^(٥) ، وقوله سبحانه : **﴿ كَمَثَلِ الْخَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾** ^(٦) .

وأما استعارته لقصة فكقوله تعالى : **﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ ﴾** ^(٧) أى فيما قصصنا عليك من المعانيب قصة الجنة المعجبة ؛ ثم أخذ في بيان عجائبها .

لا يقال : إن في هذه الأقسام الثلاثة تداخلا؛ فإن حال الشيء متى وصفه، ووصفه هو حاله ؛ لأنا نقول : الوصف يُشعر ذكره بالأمور الناتجة القاتية أو قاربها من جهة اللزوم للشيء وعدم الانشكاك عنه ، وأما الحال فيطلق على ما يتلبس به الشخص مما هو غير ذاتي له ولا لازم ، فضايرا . وإن أطلق أحدهما على الآخر فليس ذلك إطلاقا حقيقياً . وقد يكون الشيء مثلاً له في الجرم ، وقد يكون ما نطقه النفس ويشوم من الشيء مثلاً ، كقوله تعالى : **﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا ﴾** ^(٨) ؛ معناه أن الذى يحصل في النفس الناظر في أمرهم ، كالمى يحصل في نفس الناظر من أمر للتوفد ؛ قاله ابن عطية ، وبهذا يزول الإشكال الذى في تفسير قوله : **﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ ﴾** ^(٩) وقوله : **﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾** ^(١٠) ؛ لأن ما يحصل للقل من وحدانيته وأزليته ونفى ما لا يجوز عليه ليس بمثاله فيه شيء ؛

- (٢) سورة التحل ٦٠
(٤) سورة البقرة ٢٦٤
(٦) سورة الجمعة
(٨) سورة البقرة ١٧

- (١) سورة البقرة ١٧
(٣) سورة الفتح ٢٩
(٥) سورة النكبات ٤١
(٧) سورة الرعد ٣٥
(٩) سورة النور ١١

وذلك التصحيف هو للتل الأعلى ؛ في قوله تعالى : ﴿ وَفِي الْمَثَلِ الْأَعْلَى ﴾^(١) ، وقد جاء :
﴿ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾^(٢) قسر بجهة الوجدانية .

وقال مجاهد في قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ ﴾^(٣) : هي الأمثال ،
وقيل : المقويات .

وقال الزمخشري : المثل في الأصل بمعنى لئيل ، أي الظل ؛ يقال : مثل ومثل
ومثيل كشبه وشبه وشبيه . ثم قال : ويستعار للحال ، أو الصفة ، أو الصفة إذا كان لها
شأن وفيها غرابة .

وظاهر كلام أهل اللغة أن « للتل » ، بفتحين : الصفة كقوله : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ
الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا ﴾^(٤) ، وكذا ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ ﴾^(٥) . وما اقتضاه كلامه من اشتراط
الغرابة يخالف أيضاً كلام القنوين . وما قاله من أن للتل وللئيل بمعنى ينفى أن
يكون مراده باعتبار الأصل وهو الشبه ؛ وإلا فالحقون - كما قاله ابن العربي - هل أن لئيل
(بالكسر) عبارة عن شبه المحسوس ، وبفتحها عبارة عن شبه المعاني المعقولة ؛ فالإنسان
مخالف للأسد في صورته مشبه له^(٦) في جوارحه وحده ، فيقال للشجاع أسد ، أي يشبه
الأسد في الجراءة ، ولذلك يخالف الإنسان الفيت في صورته^(٧) ، والكريم من الإنسان
يشابه في عموم منفته .

وقال غيره : لو كان للتل وللئيل بيان للزم التنافي بين قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ
شَيْءٌ ﴾^(٨) ، وبين قوله : ﴿ وَفِي الْمَثَلِ الْأَعْلَى ﴾^(٩) فإن الأولى نافية والثانية مثبتة له .

(٢) سورة محمد ١٩

(١) سورة النحل ٦٠

(٣) سورة الرعد ٦

(٥) سورة الرعد ٣٥

(٤) سورة البقرة ١٧

(٧) سورة الثوري ١١

(٦-٦) ساقط من ت .

(٨) سورة النحل ٦٠

وفرق الإمام غير الدين بينهما بأنَّ للثَل هو الذى يكون مساوياً لشيء فى تمام اللاهية، والثَل هو الذى يكون مساوياً له فى بعض الصفات الخارجة عن اللاهية.

وقال حازم فى كتاب « منهاج البلاء » : وأما الحكم والأمثال ؛ فلما أن يكون الاختيار فيها بجرى الأمور على المتاد فيها ، وإما بزوالها فى وقتٍ عن المتاد ؛ عن جهة الغربة أو التدور قط ، لتوطن النفس بملك على ما لا يمكنها التعرّض منه ؛ إذ لا يحسنُ منها التعرّض من ذلك ، ولتصغر ما يمكنها التعرّض منه ويحسن بها ذلك ، ولترغب فيما يجب أن يُرغب فيه ، وترهب فيما يجب أن تُرهب ، وليقرب عندها ما تستبده ، ويبعد لديها ما تستقر به ؛ وليبين لها أسباب الأمور ، وجهات الاغاثات البعيدة الاثاق بها ؛ فهذه قوائم الأحكام والأمثال ؛ فلما يشدّ منها من جزئياتها شيء .

فنه قوله : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ ^(١).

وقوله : ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَنَارٌ ﴾ ^(٢).

وقوله : ﴿ إِنْ أَفْهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَوَّضَ فَمَا فَوْقَهَا ﴾ ^(٣).

وقوله : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾ ^(٤).

وقوله : ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ ^(٥).

وقوله : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ ﴾ ^(٦) الآيات.

(٢) سورة البقرة ١٧

(٤) سورة العنكبوت ٤١

(٦) سورة النحر ١٠ ، ١٢

(٢) سورة البقرة ١٧

(٣) سورة البقرة ٢٦

(٥) سورة الجمعة ٥

وقوله : ﴿ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ نُزَابٌ ٠٠٠ ﴾ ^(١) الآية .
 وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَمَةٍ يُحِسُّهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا
 بَاجَاهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ﴾ ^(٢) ، ثم قال : ﴿ أَوْ كَطَلَّاتٍ فِي يَمْرِ لُجِّيٍّ ﴾ ^(٣) الآية .
 وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي قَضَتْ غَزَاهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا ﴾ ^(٤) .
 فهذه أمثال نصار وطوال مقتضبة من كلام الكشاف .

فإن قلت : في بعض هذه الأمثلة تشبيه أشياء بأشياء لم يذكر فيها التشبهات ، وهما
 صرح بها كافي قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ وَلَا السُّعْيَا قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ^(٥) ؟

قلت : كما جاء ذلك تصرحاً قد جاء مطوياً ، ذكره على طريق الاستمارة ، كقوله
 تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٍ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ ^(٦) ،
 وكقوله : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ
 يَسْتَوِيَانِ ﴾ ^(٧) .

والصحيح الذي عليه علماء البيان أن التمثيلين من جملة التمثيلات للركبة للقرابة
 لا يشكلف لكل واحد شيء بقدر شبهه به ؛ بناء على أن العرب تأخذ أشياء فردى
 معزولة بعضها من بعض ، تشبهاً بنظائرهما ، كما جاء في بعض الآيات ^(٨) من القرآن . وقد
 تشبه أشياء قد تضاعفت وتلاحت حتى عادت شيئاً واحداً بأخرى مثلاً ، وذلك كقوله

- | | |
|---------------------|-------------------------|
| (١) سورة البقرة ٢٦٤ | (٢) سورة النور ٣٩ |
| (٣) سورة النور ٤٠ | (٤) سورة النحل ٩٢ |
| (٥) سورة ظفر ٥٨ | (٦) سورة طهر ١٢ |
| (٧) سورة الزمر ٢٩ | (٨) ط : « في القرآن » . |

تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ مَخَّلُوا الْقُرْآنَ ثُمَّ لَمْ يَعْمَلُوا مَا كُنْتُمْ لِيَعْلَمَ أَلَمْ تُشَارِكُوا﴾^(١) ، فإن النرض تشبيه حال اليهود في جهلها بامامها من التورات وآياتها الباهرة بحال الخمار الذي يحمل أسفاره الخسكة ، وليس له من حملها إلا القتل^(٢) والنصب من غير فائدة . وكذلك قوله تعالى : ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا الْخَيْالَةَ الدُّنْيَا كَمَا أَتَزَكَّاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾^(٣) ، للرافقة نبات زهرة الدنيا كقطة بقاء الخسرة :

وقد ضرب الله تعالى لما أنزه من الإيمان والقرآن مثله بالاء ، ومثله بالنار ، فقله بالاء لما فيه من الحياة ، وبالنار لما فيه من التو والبيان ؛ ولهذا سماه الله روحا لما فيه من الحياة ، وسماه نورا لما فيه من الإنارة ؛ ففي سورة الرعد قدمته بالاء قال : ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا...﴾^(٤) الآية ، ف ضرب الله للاء الذي نزل من السماء قسيل الأودية بقدرها ، كذلك ما ينزه من العلم والإيمان فتأخذه القلوب كل قلب بقدره ، والسيل يحمل زدا رايا ، كذلك ما في القلوب يحمل شبهات وشهوات . ثم قال : ﴿وَمَا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ﴾^(٥) ؛ وهذا للثل بالنار التي توقد على القهب والنفقة والرصاص والنحاس ، فيختلط بذلك زيد أيضا كالزيد الذي يلو السيل ، قال الله تعالى : ﴿فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْسِكُ فِي الْأَرْضِ﴾^(٦) ، كذلك العلم النافع يمسك في القلوب بالوحد وعبادة الله وحده .

روى ابن أبي حاتم عن قتادة قال : هذه ثلاثة أمثال ضربها الله في مثل واحد ؛

(٢) ت : « القتل » .

(١) سورة البقرة .

(٢) سورة الكهف ٤٥

(٤) سورة الرعد ١٧

يقول: كما اضطلع هذا الزبد فصار جُءاً لا يُنفع به ولا تُرجى برّكته ، وكذلك يضطلع الباطل عن أمه^(١).

وفي الحديث الصحيح : « إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْمُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ قَبِلَتِ لِلَّاءِ فَأَنْبَتَ الْكَلَاءُ وَالْمَشْبَبَ الْكَثِيرُ ، وَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ أَمْسَكَتِ لِلَّاءِ فَشَرِبَ النَّاسُ وَاسْتَقْوُوا وَزَرَعُوا ، وَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تَمْسُكُ مَاءً ، وَلَا تُنْبِتُ كَلَاءً ، وَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ قَبِلَ دِينَ اللَّهِ فَفَضَّلَهُ مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْمُدَى وَالْعِلْمِ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا ، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّتِي أَرْسَلَتْ بِهِ » .

وقد ضرب الله للناسين مثلين: مثلاً بالنار، ومثلاً بالمطر، قال : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾^(٢) الآية ، يقال : أضاء الشيء وأضاءه غيره فيستعمل لازماً ومتعدياً، قوله : ﴿ أَضَاءَتْ مَاحُولُهُ ﴾ هو متعدٍ ؛ لأنَّ للتصود أن تضيء النار ماحول من يريد بها حتى يراها ، وفي قوله في البرق : ﴿ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ ﴾^(٣) ، ذكر اللزوم ؛ لأن البرق بنفسه يضيء بغير اختيار الإنسان ؛ فإذا أضاء البرق سار ، وقد لا يضيء ماحول الإنسان ، إذ يكون البرق وصل إلى مكان دون مكان ، فجعل سبحانه للناسين كالتي أوقد ناراً فأضاءت ثم ذهب ضوءها ، ولم يقل « انطفأت » ، بل قال : ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾^(٤) ؛ وقد يبقى مع ذهاب النور حرارتها فتضمر . وهذا للتل يقتضى أَنَّ للنافع حصل له نور ثم

(١) قوله ابن جرير الطبري في التفسير ١٣ : ٩١ (طبعة بولاق) .

(٢) سورة البقرة ١٧

(٣) سورة البقرة ٢٠

(٤) سورة البقرة ١٧

ذهب ، كما قال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَحَّ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ نَهْمٌ
لَّا يَقْتَهُونَ ﴾ ^(١) .

[تم بحون الله وجعل توقيعه الجزء الأول من كتاب البرهان في علوم القرآن للامام ابو الحسن الزركلي .
وبليه الجزء الثاني ، وأوله : النوع الثاني والثلاثون - معرفة أحكامه] .

فهرس الموضوعات

٣	مقدمة للؤل
١٣	فصل فى علم التفسفر
١٦	فصل فى علوم القرآن
	النوع الأول
٢٢	معرفة أسباب النزول
٢٩	فصل فى نزول مكررا
٣٢	فصل فى خصوص السبب وهموم الصفة
٣٢	تقديم نزول الآية على الحكم
٣٣	فائفة من كتاب الأدب للقرء فى بر الوالدين
	النوع الثانى
٣٥	معرفة للناسبات بين الآيات
٤٠	أنواع ارتباط الآى بعضها ببعض
٥٠	فصل فى اتصال اللفظ ، وللفى على خلافه
	النوع الثالث
٥٣	معرفة القواصل ورموس الآى
٦٠	إيقاع للناسبة فى مقاطع القواصل
٦٨	تقرىبات
	(٣٢ - برعان - أول)

٦٨	ختم مقاطع الفواصل بحروف للدوالين
٦٩	مبنى الفواصل على الوقف
٧٢	الحفاظة على الفواصل لحسن النظم والتشامه
٧٢	تنسيم الفواصل باعتبار التماثل وللتقارب في الحروف
٧٥	» » » المتوازي وللتوازن وللتطرف
٧٨	اكتلاف الفواصل مع ما يدل عليه الكلام
٨٤	فصل : قد تجتمع فواصل في موضع واحد ويخالف بينها ؛ وذلك في مواضع
٨٦	تنبيه : اختلاف الفاصلتين في موضعين والحدوث عنه واحد
٨٨	تنبيه : اتفاق الفاصلتين والحدوث عنه مختلف
٨٨	تنبيه : تمكين المعنى الذي سبقت له الفاصلة
٩٣	تنبيه : قد تكون الفاصلة لانظير لما في القرآن
٩٨	فصل في ضابط الفواصل

النوع الرابع

١٠٢ في جمع الوجوه والنظائر

النوع الخامس

١١١	علم للتشابه
	لفصل الأول : التشابه باعتبار الأفراد
١٣٣	» الثاني : ما جاء على حرفين
١٣٧	» الثالث : ما جاء على ثلاثة أحرف
١٤٠	» الرابع : ما جاء على أربعة حروف

١٤٤	الفصل الخامس : ما جاء على خمسة حروف
١٤٥	» السادس : ما جاء على ستة حروف
١٤٦	» السابع : ما جاء على سبعة حروف
١٤٧	» الثامن : ما جاء على ثمانية حروف
١٤٨	» التاسع : ما جاء على تسعة حروف
١٤٨	» العاشر : ما جاء على عشرة حروف
١٤٩	» الحادي عشر : ما جاء على أحد عشر حرفاً
١٥١	» الثاني عشر : ما جاء على خمسة عشر حرفاً
١٥١	» الثالث عشر : ما جاء على ثمانية عشر وجهاً
١٥٢	» الرابع عشر : ما جاء على عشرين وجهاً
١٥٣	» الخامس عشر : ما جاء على ثلاثة وعشرين حرفاً

النوع السادس

١٥٥

علم للهممات

١٦٠

تنبيهات

النوع السابع

١٦٤

في أسرار القوافي والسور

١٦٤

١ - الاستفتاح بالتناء

١٦٥

٢ - الاستفتاح بحروف التمجيد

١٧٠

تنبيهات

١٧٢

فصل

١٧٨

٣ - الاستفتاح بالتداء

١٧٩	٤ - الاستفتاح بالجلل العجوبة
١٧٩	٥ - الاستفتاح بالقسم
١٨٠	٦ - الاستفتاح بالشرط
١٨٠	٧ - الاستفتاح بالأمر
١٨٠	٨ - الاستفتاح بالاستفهام
١٨٠	٩ - الاستفتاح بالدعاء
١٨٠	١٠ - الاستفتاح بالتسليم

النوع الثامن

١٨٢	في خواتم السور
١٨٥	فصل في مناسبة فواتح السور وخواتمها
١٨٦	فصل في مناسبة فاتحة السورة بخاتمة التي قبلها

النوع التاسع

١ معرفة للسك والدنى ، وما نزل بمكة وما نزل

١٨٧	بالمدينة وترتيب ذلك
١٩١	فصل
١٩٢	فصل
١٩٣	ما نزل من القرآن بمكة ثم ترتيبه
١٩٤	ذكر ترتيب ما نزل بالمدينة
١٩٥	ذكر ما نزل بمكة وحكمه مدني
١٩٥	ذكر ما نزل بالمدينة وحكمه مكّي
١٩٦	ما يشبه تنزيل المدينة في السور للسكية

١٩٦	ما يشبه تنزيل مكة في السور المدنية
١٩٧	ما نزل بالجحفة
١٩٧	ما نزل ببيت المقدس
١٩٧	ما نزل بالطائف
١٩٧	ما نزل بالحديبية
١٩٨	ما نزل ليلا
١٩٩	ما نزل مشيما
١٩٩	الآيات المدنية في السور المدنية
٢٠٢	الآيات المدنية في السور المدنية
٢٠٣	ما حل من مكة إلى المدينة
٢٠٣	ما حل من المدينة إلى مكة
٢٠٥	ما حل من المدينة إلى الحبشة

النوع العاشر

٢٠٦	معرفة أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل
-----	--

النوع الحادي عشر

٢١١	معرفة على كم لغة نزل
٢١٣	القول في القراءات السبع

النوع الثاني عشر

٢٢٩	في كيفية إنزاله
-----	-----------------

صفحة

النوع الثالث عشر

✓ في بيان جمعه ومن حفظه من الصحابة

٢٣٣	سريع القرآن على عهد أبي بكر
٢٣٥	نسخ القرآن في الصحاف
٢٤٠	مؤاندة في عدد مصاحف عثمان
٢٤١	مفضل : في بيان من جمع القرآن حفظا من الصحابة على عهد الرسول

النوع الرابع عشر

معرفة تسميته بحسب سورة وترتيب السور والآيات وعددها

٢٤٤	تسمي القرآن بحسب سورة
٢٤٩	فصل في عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه
٢٥٣	فصل : أنصاف القرآن ثمانية
٢٥٣	قائمة
٢٦٠	تنبيه : أسباب ترتيب وضع السور في المصحف
٢٦٢	قائمة : سبب سقوط البسملة أول براءة
٢٦٣	قائمة في بيان لفظ السورة لفة واصطلاحا
٢٦٦	قائمة في بيان معنى الآية لفة واصطلاحا
٢٦٩	خاتمة في تعدد أسماء السور
٢٧٠	خاتمة أخرى في اختصاص كل سورة بما سميت به

النوع الخامس عشر

معرفة أسمائه واشتقاقاتها

٢٧٣

أسماء القرآن

صفحة

٢٧٦

تفسير هذه الأسماء

٢٨١

فائدة

٢٨٢

فائدة أخرى

النوع السادس عشر

٢٨٣

معرفة ما وقع فيه من غير لغة أهل الحجاز من قبائل العرب

النوع السابع عشر

٢٨٧

معرفة ما فيه من غير لغة العرب

النوع الثامن عشر

٢٩١

معرفة غريبه

النوع التاسع عشر

٢٩٧

معرفة التصريف

النوع العشرون

٣٠١

معرفة الأحكام من جهة إفرادها وتركيبها

٣٠٩

تنبيه في تجاذب الإعراب واللفظ انتهى الواحد

٣١٠

تنبيه آخر في بيان مراتب الكلام

النوع الحادي والعشرون

٣١١

معرفة كون اللفظ والتركيب أحسن وأضبح

٣١٧

تنبيه فيما يجب على القصر من مراعاة نظم الكلام

منحة

النوع الثاني والعشرون

٣١٨ معرفة اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص أو تغيير حركة أو إثبات لفظ بدل آخر

٣٣٨ فائدة في مراجع القراءات السبع

٣٣٨ فائدة فيما يفعل القارئ حينما يشك في حرف من الحروف

النوع الثالث والعشرون

٣٣٩ معرفة توجيه القراءات وتبيين وجه ما ذهب إليه كل قارئ

٣٤١ فصل في توجيه القراءة الشاذة

النوع الرابع والعشرون

٣٤٢ معرفة الوقف والابتداء

٣٤٣ حاجة هذا الفن إلى مختلف العلوم

٣٥٠ أقسام الوقف

٣٥٦ مسألة في أحوال الصفة

٣٥٦ مسألة في الوقف على السكتي منه دون السكتي

٣٥٧ مسألة في الوقف على الجملة للتدائية

٣٥٧ قاعدة في القى والقين في القرآن

٣٥٩ فصل في تقسيمات الوقف

٣٦٤ فصل : متى يحسن الوقف الناقص ؟

٣٦٥ فصل : خواص الوقف التام

٣٦٦ فصل : اقسام الناقص باقسام خاص

٣٦٨ فصل في الكلام على « كلا » في القرآن

٣٧٣	الكلام على « على »
٣٧٥	الكلام على « فم »

النوع الخامس والعشرون

٣٧٦	علم مرسوم الخط
٣٨٠	مسألة في كتابة القرآن بنير الخط العربي
٣٨٠	اختلاف رسم الكلمات في للصحف والحكمة فيه
٣٨١	الزائد وأقسامه :
٣٨١	القسم الأول : زيادة الألف
٣٨٦	القسم الثاني زيادة الواو
٣٨٦	القسم الثالث : زيادة الياء
٣٨٨	الناقص وأقسامه :
٣٨٨	القسم الأول : حذف الألف
٣٩٧	القسم الثاني : حذف الواو
٣٩٨	القسم الثالث : حذف الياء
٤٠٧	فصل في حذف النون
٤٠٩	فصل فيما كتبت الألف فيه واوا على لفظ التضخيم
٤١٠	فصل في مد التاء وقبضها
٤١٧	فصل في التصل والوصل
٤٢٣	فصل في بعض حروف الإدغام
٤٢٩	فصل في حروف متقاربة تختلف في اللفظ لاختلاف للمنى
٤٣٠	فصل في كتابة فواتح السور

صفحة

النوع السادس والعشرون

٤٣٢

معرفة فضائله

النوع السابع والعشرون

٤٣٤

معرفة خواصه

٤٣٦

تنبيه

النوع الثامن والعشرون

٤٣٨

هل في القرآن شيء أفضل من شيء؟

٤٤٢

فصل في أعظمية آية الكرسي

٤٤٦

قائمة في أي آية في القرآن أرحى؟

النوع التاسع والعشرون

٤٤٩

في آداب تلاوته وكيفيتها

٤٥٥

فصل في كراهة قراءة القرآن بلا تدبر

٤٥٥

فصل في نمل القرآن

٤٥٧

مسألة في جواز أخذ الأجر على تعليم القرآن

٤٥٨

فصل في دوام تلاوة القرآن بعد تعلمه

٤٥٩

مسألة في استحباب الاستياك والتطهر للقراءة

٤٦٠

مسألة في التحوذ وقراءة البسمة عند التلاوة

٤٦١

مسألة

٤٦١

مسألة في قراءة القرآن في الصحف أفضل أم على ظهر قلب

٤٦٣

مسألة في استحباب الجهر بالقراءة

٤٦٤

مسألة في كراهة قطع القرآن لكلمة الناس

٤٦٤	مسألة في حكم قراءة القرآن بالصحيحة
٤٦٧	مسألة في عدم جواز القراءة بالشواذ
٤٦٧	مسألة في استحباب قراءة القرآن بالتفخيم
٤٦٨	مسألة في فصل السور بعضها عن بعض
٤٦٨	مسألة في ترك خلط سورة بسورة
٤٧٠	مسألة في استحباب استيفاء الحروف عند القراءة
٤٧٠	فصل في ختم القرآن
٤٧٢	مسألة في ختم القرآن في الشتاء وفي الصيف
٤٧٢	مسألة في التكبير بين السور ابتداء من سورة الضحى
٤٧٣	مسألة في تكرير سورة الإخلاص
٤٧٤	مسألة فيما يفعله القارئ عند ختم القرآن
٤٧٥	فائدة
٤٧٥	مسألة في آداب الاستماع
٤٧٥	مسألة في حكم من يشرب شيئاً كتب من القرآن
٤٧٦	مسألة : القيام للمصاحف بدعة
٤٧٧	مسألة في حكم الأوراق البالية من المصحف
٤٧٨	مسألة في أحكام تتعلق باحترام المصحف وتبجيله
٤٨٠	خاتمة

النوع الثلاثون

٤٨١	في أنه هل يجوز في التصانيف والرسائل والمطبوعات استعمال بعض آيات القرآن ؟
-----	--

صفحة

٤٨٣

مسألة : يكره ضرب الأمثال بالقرآن

٤٨٤

تنبيه : لا يجوز تعدى أمثلة القرآن

٢

النوع الحادى والثلاثون

٤٨٦

معرفة الأمثال الكائنة فيه

